

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة القاهرة
كلية الآثار
قسم الآثار الإسلامية



((المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية
والحضارية زمن الفاطميين))
" دراسة أثرية حضارية "



رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية

اعداد الطالب /

احمد السيد الماوي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور /

حسن الباشا

١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م

الفهرس

الصفحة

شكر وتقدير

تمهيد

١ - هـ

مقدمة

١ - ٢٠

الفصل الاول: المجاعات في العصر الفاطمي واسبابها ٢١ - ١١٦

الفصل الثاني: النتائج السياسية والاجتماعية للمجاعات ١١٧ - ٢٢٥

الفصل الثالث: النتائج المالية والنقدية للمجاعات ٢٢٦ - ٣٤٨

الفصل الرابع: تأثير المجاعات على العمارة والفن ٣٤٩ - ٤١٣

خاتمة ٤١٤ - ٤١٩

الملاحق ٤٢٠ - ٤٤٠

بيان اللوحات ٤٤١ - ٤٥٦

قائمة بأهم المصادر والمراجع العربية والاجنبية ٤٥٧ - ٤٨٥

شكر وتقدير

أجد لزاماً على أن أصدر هذا البحث بكلمات شكر وتقدير قـــد
تعجز حروفها عن الوفاء بالمرام لأستاذي وأستاذي الأستاذ الدكتور
حسن الباشا الذي يرجع إليه النصيب الأوفى من فضل إخراج هذا البحث
على هذا النحو، فقد كان لإرشاداته القيمة وكتاباتة العلمية ، اسهام
لا ينكر في تجنبى الكثير من الزلات والهنات ، فقد أولانى من رعايته
وتشجيعه طوال فترة البحث ما أعاننى على انتهائه .

فاليه اتقدم شاكراً متناً داعياً الله أن يجزيه عنى وعن
تلاميذه خير الثواب .

—

ارتبط تاريخ مصر منذ فجر التاريخ بنهر النيل الذى لعب دورا رئيسيا
فى تحديد قسما ت أول حكومة مركزية فى العالم ، ولم يتوقف النيل عن
ممارسة دوره الفاعل خلال العصر الاصلاحى ، ذلك أن مصر كانت بلدا
زراعى ، تتوقف فيه كل مظاهر الحياة على طبيعة النهر الفيضية الموسمية .
وكان التغير فى مستوى الفيضان سواء بالنقص أو الارتفاع الجامح
يعيد إلى ذاكرة المسلمين قصة السبع سنوات العجاف التى وردت فى
سورة يوسف .

ونظرا لأهمية هذا النهر فان كتابات المؤرخين والجغرافيين
التي أشارت إلى مصر من قريب أو بعيد لم تخل من ذكر النيل وفيضانه
ومنابعه ، وقد جمع د . محمد حمدى المناوى كتابات العصر الاصلاحى عن
النيل فى كتابه " نهر النيل فى المكتبة العربية " القاهرة ١٩٦٦ ، أما
كتابا ت المحدثين فأهمها كتاب نهر النيل لمحمد عوض الذى نشر بالقاهرة
عام ١٩٥٦ ومؤلفات د . جمال حمدان التى أجملها فى مؤلفه الضخم
" شخصية مصر " الذى صدر فى جزئين ١٩٨٠ - ١٩٨١ .

وقد حظيت المجاعات والأوبئة التى حدثت فى العصر الاصلاحى
باهتمام المؤرخين المسلمين حتى أن المقرئى أقرد " رسالة " لهذه
المجاعات أسماها " إغاثة الأمة بكشف الغمة " .

لفت فيها الأنظار إلى وفاة النيل في بعض هذه المجاعات .
وكان نصيب العصر الفاطمي هو الأوفى من هذه المجاعات ، التي أفرد لها
الأستاذ الدكتور / عبد المنعم ماجد فصلا خاصا في كتابه " ظهور خلافة
الفاطميين وسقوطها في مصر " (الاسكندرية ١٩٦٨) وقد درجت المؤلفات
التي تعرضت بالبحث لتاريخ الدولة الفاطمية في مصر على التمييز بين فترتين
مختلفتين في تاريخ هذه الدولة تفصل بينهما أحداث المجاعة التي استمرت
سبع سنوات في عهد الخليفة المستنصر بالله من عام ٤٥٧ هـ - ٤٦٤ هـ ،
عرفت أولهما بعصر الخلفاء الأقياء ، والثانية بعصر الوزراء العظام الذي
تناوله بتفصيل كبير كتاب د . محمد حدى المناوي الوزارة والوزراء في العصر
الفاطمي - القاهرة ١٩٧٠ م . ولفت النظر الى تغير وظائف الوزراء والقابهم
بعد هذه المجاعة ، ما أورده الأستاذ الدكتور / حسن الباشا في مؤلفيه
" الاقلام الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار " القاهرة ١٩٧٨ ، " والفنون
الاسلامية والوظائف على الآثار العربية " ٣ اجزاء القاهرة ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
ولما كانت الآثار ، وهي علم من علوم التاريخ ، هي السجل المادي
الباقى لحوادث التاريخ فقد رأيت أن أدرس أثر هذه المجاعات التي
تكررت في العصر الفاطمي بشكل خاص ، على الانتاج الفني لهذا العصر
من خلال علاقة هذا الانتاج بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية
التي نجمت عن المجاعات .

وقد استرعى انتباهي ما نشره هيرت ليتي عن امكانات استخدام الإحصاء في اعطاء تعبير كفي عن حوادث التاريخ (التاريخ والاحصاء الاقتصادي - مجلة فكر وفن العدد ٢٠ ص ٢٠) فسعيت الى استغلال الأرقام الواردة في مصادر هذا البحث ومراجعة وتسخيرها في سبيل ذلك .

ولم يخل الطريق إلى ذلك البحث من مصاعب ومخاطره جاءت من قلة المصادر التاريخية الأصلية المعاصرة لحوادث هذه المجاعات ، وبسبب المؤرخين المسلمين من السنة أو أهل الذمة إلى إبراز الخلافة الفاطمية الشيعية في صورة مشوهة شديدة السواد . اضافة إلى البالغات السقي ملأت هذه المصادر بشأن أسعار السلع وحوادث أكل الميتات ولحوم البشر . وقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وملحقين وكتالوج . تناولت في المقدمة أهمية نهر النيل وأشرت بإيجاز إلى تاريخ المجاعات في العصر الاسلامي قبل العصر الفاطمي .

واقترنت في الفصل الأول على دراسة تطور منسوب الفيضان وعلاقته بالمجاعات والأسباب التي وقعت خلف المجاعات العديدة التي وقعت في العصر الفاطمي ، وفي طبيعتها العوامل السياسية والاحتكار التجاري .

وحوى الفصل الثاني دراسة تفصيلية للنتائج السياسية والاجتماعية التي ترتبت على أحداث هذه المجاعات . والتي من أهمها تزايد نفوذ الوزراء والعسكريين على حساب سلطات الخلفاء ، وانهايار سيطرة الخلافة على أملاكها خارج مصر ، واضمحلال مركز الزراعة بالنسبة لمجمل الاقتصاد

المصرى وتغير شكل الملكية الزراعية التى تركزت فى أيدي العسكريين وأثر هذه المجاعات على التركيب الاجتماعى وحركة العمران فى المجتمع المصرى .

وشمل الفصل الثالث دراسة لأثر المجاعات على انخفاض إيرادات الدولة التى كانت تأتى من خراج الأرض ، والتى اضطرت بسببها الدولة إلى زيادة الضرائب التجارية (المكوس) ، كما اشرت إلى أثر العوامل السياسية على نفقات الدولة الفاطمية وأختتمت هذا الفصل بدراسة أسعار السلع الغذائية وعلاقة هذه الأسعار بالرواتب والأجور ومستوى المعيشة فى فترات المجاعات وأثر المجاعات على المسكوكات الفاطمية وتحول مصر من التعامل على قاعدة المعدن الواحد (الذهب) إلى قاعدة المعدنين (الذهب والفضة) .

أما الفصل الرابع ، فقد خصصته لدراسة أثر نتائج المجاعات على حركة التشييد والبناء فى العصر الفاطمى ، التى حمل لواءها الوزراء بعد الشدة العظمى وأثر ذلك على أحجام المباني ووظائفها ونصوصها التأسيسية واختتمت هذا الفصل بدراسة أثر تغيير التركيب الاجتماعى وتطور القوى الشرائية للسكان وظهور الاتجاهات الترفية بعد الشدة المستنزفة على منتجات الفنون التطبيقية وخاصة منتجات الخزف والفخار والنسيج والتحديد نسيج الطراز الذى كان مرآة صادقة فى كتاباته لتطور نفوذ الوزراء . وكذلك تعرضت بالدراسة لأثر المجاعات على منتجات البللور الصخرى والصناعات المعدنية والحلى .

وأجملت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة .
أما الملاحق ، فأولها ملحق عن تطور منسوب الفيضان كما أوردته أمين
سامي في كتاب تقويم النيل وأضفت إليه ما عثرت عليه بين ثنايا سطور المصادر
التاريخية الأخرى . والملحق الثاني ، يحتوى قوائم تفصيلية لأسعار السلع
التي وردت في المصادر التاريخية وما يقابل أوزانها بالنظام المترى وهى
التي أعدت عليها في الرسوم البيانية المتعلقة بهذه الأسعار أثناء المجاعات
وضم الكتالوج نشر قطع المسكوكات التي أصدرها الفاطميون في أوقات
المجاعات أو بعدها مباشرة ، والمخطوطة بدار الكتب المصرية ، وإذا كانت
مجموعة العمل التابعة لمركز الأبحاث الأمريكى قد قامت بنشر مجموعة دارالكتب
فان عزائى اننى أنشر صورا لـ ٦٦ قطعة لأول مرة في هذا البحث ، إضافة
إلى بعض الأمثلة من الفنون التطبيقية التي ترجع إلى العصر الفاطمى .

المقدمه

لم يتعد المؤرخ الاغريق هيرودوت الحقيقة كثيرا عندما أطلق مقولته الشهيرة "مصر هبة النيل" إذ لولا هذا النهر الذى يشق البلاد طويلا لما عرف العالم الحضارة المصرية ، التى هى بالأصل وليدة البيئية الفيضية للنيل .

بيد أن ذلك لايعنى أن نشأة الحضارة المصرية يقف خلفها النيل (الجغرافيا) إذ أنه من الواضح كما يقول أرنولد توينى -Arnold Toy nbey ان بدء الحضارات لم يكن نتيجة البيئة الجغرافية أو حتى العوامل البيولوجية ، كل تعمل بمفردها ، ولا ريب أنه نتيجة نوع ما من التفاعل بينها جميعا ومعبارة أخرى " ليس عامل نشأة الحضارة الذى نسعى للتعرف عليه شيئا مفردا ، لكنه متعدد وهو ليس وحدة ولكنه علاقة " (١) فقد تفاعل العامل البشرى بكل ما يملكه من جهد وتنظيم مع جغرافيته النهر لتخرج هذه الحضارة إلى الوجود .

والواقع ان نهر النيل يسبق نشأة الحضارة المصرية بأمد طوويل فقصة تبدأ فى عصر " الميوسين " بنهر مصرى بحث ، أونسوى على الأكر

(١) أرنولد توينى : مختصر دراسة التاريخ - ترجمة فؤاد محمد شبل - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٦٦ - ج ١ ص ١٠١

لم يكن له اتصال بالحيشة الا العظيمة في مرحلة متأخرة ، ونجح هذا
النهر في أن يأسر الأنظمة النهرية الواقعة في جنوة ليتمدد إلى هضبة
البحيرات منذ بداية عصر "البلايستوسين" "وأخذ تقريبا شكله الحالي (١)
وصادف اكتمال نظام النهر الانتهاء التدريجي لعصر "البلايستوسين" والذي
كانت مصر خلاله غزيرة الامطار نسبيا (٢) فساد الجفاف المرامي المشرفة
على وادي النيل ، وأصبح على سكان هذه المرامي ، الذين كانوا يعيشون
على الصيد والتقاط الثمار ، أن يختاروا أحد أمر ثلاثة ، وهي التحرك
نحو الشمال أو الجنوب مع صيدهم متبعين المنطقة المناخية التي ألفوها
أو البقاء في موقعهم والحياة حياة تعسة مكثفين بما يصيدونه ———
الحيوانات التي قد تقاوم الجفاف ، أو يستطيعون من غير أن يهجمروا
مواطنهم تحرير أنفسهم من سطوة البيئة باستئناس الحيوانات وفلاحة الأرض (٣)
وهكذا اندفع سكان الصحراء الشرقية والغربية — الذين اختاروا ثالث
الخيارات — نحو الوادي بوحى الجراءة أو اليأس منذ أواخر الدهر القديم
الأعلى (٤) ، واستطاعوا بجهد جماعي خارق ومنظم أن يحيلوا مستنقعات الغاب
في الوادي والدلتا إلى أرض زراعية ، واحتضنت أقدم حضارة في العالم .

(١) د . جمال حمدان : شخصية مصر — عالم الكتب — القاهرة ١٩٨٠ ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٣

(٢) محمد عوض محمد : نهر النيل — مطبعة لجنة التأليف والترجمة — القاهرة
ط ٤ — ١٩٥٦ — ص ٢١ — ٢٢ .

(٣) أرنولد توينسي : مختصر دراسة التاريخ ج ١ ص ١١٥ — ١١٦ .

(٤) د . عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم — الانجلو المصرية — القاهرة
ط ٢ — ١٩٧٣ — ج ١ ص ٢١ — ٢٢ .

الا أن ارتباط النيل بالحياة في مصر لم يتوقف عند لحظة النشأة التاريخية للحضارة ، إذ أثار النيل مجموعة من المشاكل والتحديات كانت كونت استجابات السكان نحوها نمطا خاصا للحضارة المصرية ، لازال لصيقاتها للآن ، ونعني بـ"المركزية الشديدة" فالنهر يجري من منابعه الاستوائية في هضبة الحبشة جنوبا ، متجها نحو الشمال حتى يلقى بماءة في البحر المتوسط ، ولتزم في جريانه هذا الاتجاه الشمالى باستمرار واطراد لا نظير لهما في أى نهر آخر في العالم (١) . وهذا أصبح في مكة القاطنين في جنوب الوادى حجب المياه عن سكان الشمال مما دفع الانسان إلى تسليم مقاليد حياته إلى هيئة أو سلطة مركزية تشرف على توزيع مياه النهر بما يكفل زراعة الأراضى ، وضمان الحياة حتى مصب النهر بالإضافة إلى قيامها بتنظيم حفر الترع والقنوات وتطهيرها ، ومشروعات الصرف التى تحتاج لقوة عمالة كبيرة جيدة التنظيم ، وبناء السدود التى تدرء أخطار الفيضانات العالية ، وهذا فضلا عن وظيفتها في حماية الموضع الجغرافى (٢) من اعتداءات البدو ، الذين تجتربهم ثروة الوادى إلى الاغارة عليه من آن لآخر ، أى أن الطبيعة الفيضية لنهر النيل هى التى فرضت وجود الدولة المركزية ، حيث أزكت احساس المصريين المتصل بضرورة الانصياع لحكم مركزى مستقر ، يشرف على الجهد وينسقه وينظم الانتفاع به ، طالما كان انخفاض فيضان النيل يؤدى إلى القحط الشديد ، وكذلك ارتفاع

(١) محمد عوض محمد : نهر النيل - ص ٢٤ .

(٢) يعنى بالموضع الجغرافى Site قيمة الموارد الداخلية للدولة من حيث الأرض والناس كما وكيفا . أنظر .

د . جمال حمدان : دراسات في العالم العربى - مكتبة النهضة المصرية

القاهرة ١٩٥٨ - ص ٦٧ .

الفيضان يؤدي إلى اغراق القرى بالماء (١) أو على حد تعبير أحمد الكتاب " فان القنطرة التي تفصل بين الحياة الرغدة وبين الموت الذريع لم تكن الاقنطرة ضيقة . . . ولم يكن في استطاعة أحد أن يظل ساهرا لحماية البلاد كلها ، اللهم الا حكومة منظمة وهذا بدوره أحد الواجبات التي فرضتها هدية هذا النهر على المصريين (٢) .

ومنذ نشأة الدولة المركزية في مصر القديمة ، أصبحت الحياة في وادي النيل إلى حد بعيد تفاعلا خلاقا بين " الادارة " (الانسان) " والنهر " (الجغرافيا) ، فحينما تصاب الادارة المركزية بالاضطراب تضعف سيطرة الانسان على النهر ، وتقل القدرة على تلاقي أخطار الفيضانات المنخفضة والعالية ، وكذلك كانت حالة النهر الفيضية تؤثر في السلطة المركزية ودورها ، مما يعرض البلاد لتغيرات عميقة على كافة المستويات الحياتية فالنهر والدولة المركزية وإن هما ضمان الحياة للمصريين .

وبتقدم الزمن وتطور قدرات الانسان وتعقد الوظائف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للدولة ، أصبح بالامكان تلاقي العديد من تحديات

(١) د . سليمان أحمد حزين آخر : المجلد في التاريخ المصري - القاهرة ١٩٥١ ص ١٣ - ١٤ .

(٢) جون ولسون : الحضارة المصرية - ترجمة د . أحمد فخري القاهرة ١٩٥٥ - ص ٣٩ .

البيئة الفيضية وأخطارها سواء لتطور بناء الجسور، وهندسة الري - إذا جاز لنا استعمال هذا التعبير - أو لتقدم عمليات خزن الغلال، واحتلت الدولة المركزية بذلك - وأن لم يكن دائما - مكان الصدارة من حيث التأثير في تطور تاريخ مصر، فالانتصارات الفنية والمعمارية الضخمة في الدولة القديمة مثلا لم تكن لتتم لولا وجود " إدارة قوية منظمة تنظيمًا دقيقاً" (١).

وإذا كان سبب المجاعات في غالب الأحوال هو نقص فيضان النيل فإن الدولة المركزية يتوالى العصور أصبحت تلعب دورا بارزا في الحد من أضرار المجاعة وتحجيمها أو على العكس تكون سببا مباشرا في تفاقم الوضع وتجاوزه نتاجه الطبيعية المعتادة إلى حد الكارثة كما سنلاحظ خلال هذا البحث وفيضان نهر النيل الموسمي خلال فصل الصيف هو ولا شك أهم ملامح النهر المميّزة، وهو الذي أوجد لنا على الأقل جزأ كبيرا من هذا الوطن، فالغرين الذي يحمله في فيضانه كان سلاحه القوي في صراع الأبدى مع البحر والذي مكّنه من أن يكسب لمصر رقعة كبيرة من الأرض هي الدلتا، ومن الثابت أن ٨٢% من رصيد مياه النهر يأتي في وقت الفيضان و ١٨% فقط لوقت التحاريق، وذلك يعني عمليا أن النيل ليس إلا الفيضان أو يكاد، وذهب د. جمال حمدان إلى حد القول بأن مصر هي هبة الفيضان، وأنه لولا الفيضان لكانت مصر مجرد بلد به

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة - ترجمة د. نجيب ميخائيل إبراهيم - الهيئة

نهر فصلى هزيل يولد ويموت كل سنة دون أن يضمن حتى الوصول إلى البحر دائما ، إلى حد يعنى أن النيل هو الآخر هبة الفيضان (١) هذا كان عن الجغرافيا .

أما تاريخيا ، فان أشهر حوادث انخفاض الفيضان ما جاء ذكره في القرآن الكريم من تفسير يوسف عليه السلام للحلم الذى رآه فرعون مصر حينما رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات " قال تزدعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمت لهن إلا قليلا منها تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك ^{عام} فيه يفاك الناس وفيه يعصرون (٢) وتشير نصوص التوراة إلى أن سنين القحط هذه أدت إلى جعل كل الأراضى ملكا لفرعون مصر بناء على ما اتخذ يوسف عليه السلام من تدابير لمواجهة السنين العجاف " فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون راذ باع المصريون كل واحد حقله لان الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون (سفر التكوين - الاصحاح ٤٧ - عدد ٢٠) الا أن د . أحمد عزت عبد الكريم يرى أن ملكية الفراعنة لأراضى مصر سابقة على عهد يوسف . (٣)

(١) د . جمال حمدان : شخصية مصر - ج ١ ص ١٦٥ .

(٢) سورة يوسف آيات ٤٧ - ٤٩ .

(٣) د . أحمد عزت عبد الكريم : الأرض والفلاح فى مصر - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح فى مصر على مر العصور - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٧٤ ص ٧ .

وأقدم النصوص التاريخية التي تشير إلى قصة السنين السبع العجاف يرجع إلى عصر الأسرة الثالثة (القرن ٢٨ ق ٠ م) وفيه يتحدث الملك زوسر عن أن النيل قد تخلف في عصره سبع سنوات تباط فشحت الغلـــــــــــــــــه وجفت الفاكهة وقل الطعام (١).

قد نتج عن انهيار الدولة المركزية في أعقاب نهاية حكم الأسرة السادسة وتفرق جهات الحكم خلال عصر الانتقال الأول الذي استمر حتى نهاية الأسرة العاشرة في أواسط القرن الحادى والعشرين ق ٠ م ، أن انهيارات مشاريع الري الكبيرة ، وانتشرت المجاعات ، وملاحظـــــــــــــــــى النصوص التي تعود إلى هذه الفترة كثرة تفاخر حكام الأقاليم - أن صدقا أوادع - بالعمل على علاج المشكلات المتعلقة بأهل الريف ، مثل توتر الأمن وبوار الأرض التي ينبغي أن تستلح ومعاد توزيعها وتطهيرـــــــــــــــــ الترع المهملة ومقاومة المجاعات التي كانت تعاودهم من حين لآخر (٢) فيذكر أحد حكام الأقاليم في القرن ٢١ ق ٠ م ، أن اقليمه تعرض لسنوات قحط شديد قام خلالها بصرف مدونات من الغلال من الشون الرسمية وتجاوز عن متأخرات الضرائب في سجلات أبيه ، ونفس الشيء تقريبا يسرد على لسان حاكم آخر في بداية القرن ٢٠ ق ٠ م عندما تعاقبت سنوات قحط

(١) د ٠ مصطفى العبادى : الأرض والفلاح في مصر الرومانية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح في مصر - ١١٣ - ١١٤ .

(٢) د ٠ عبد العزيز صالح : الأرض والفلاح في مصر الفرعونية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح في مصر - ص ٣٣ .

على بلده ، إذ أشرف بنفسه على كفاية كرامة الحياة لأهله ، وعندما عادت
الفيضانات العالية وتوافرت المحاصيل تجاوز عن تحصيل متأخرات ضرائب
الزراع (١) .

ويبدو أن هذه المجاعات كانت من الكثرة وخطورة النتائج إلى حد
أن المصري القديم صور على جدران المقابر بعض مناظر الجوع ، حيث نرى
في أحد هذه النقوش رسماً لـإنسان قد برزت عظامه وخارت قواه من شدة
الجوع (٢) .

ولم تنقطع ظاهره نقص فيضان النيل خلال العصر البطلمي ، فسجل
مجمع الكهنة المصريين في البيان المعروف ببيان كانوب (القرن ٣ ق م) أنه
قد "تخلف النيل عن أن يرتفع بالقدر الكافي وشل اليأس الجميع بسبب ما
حدث ، وتذكروا الكوارث التي وقعت في عصور بعض الملوك السابقين حينما
قاسى الأهالي بسبب عجز الفيضان " (٣) .

أما في العصر الروماني فيلاحظ أن انخفاض النيل وتوالى المجاعات
قد أثر على الملكيات الصغيرة والمتوسطة أيضاً ، لأن الحكومة كانت تصر على
على تحصيل الضريبة كاملة رغم انخفاض الفيضان ، وارتفاع الأسعار وقلّة

(١) د . عبد العزيز صالح : الأرض والفلاح في مصر - ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) جون ويلسون : الحضارة المصرية - شكل ٢ (ب) .

(٣) د . مصطفى العبادي : المرجع السابق ص ١١٤ .

المحصول ، مما أصحاب الدخول المحدوده والصغيره ماشـسـرة ،
فاضطروا إلى الاستدانة سواء نقدا بفائدة ١٢% أو عينا بفائدة ٥% قد
أضطر لصغار المزارعين كما تشير إلى ذلك احدى البرديات إلى رهـنـ
الأرض نظير الدين ثم بيعها في النهاية (١) .

ومنذ الفتح العربى لمصر والخلفاء والولاة المسلمون يهتمون بأمر
فيضان النيل ، الذى أضفت عليه بعض الكتابات شيئا من القدسية (٢) .

وتفيد المصادر التاريخية أن أول محاولة تمت فى مصر الاسلاميـة
لتقادى مخاطر الفيضان كانت على خلافه عمر بن الخطاب ، الذى أهمسه
ما علمه من معاناة أهل مصر من الغلاء عند وقف النيل عن حده فى مقياس

-
- (١) د . مصطفى العبادى : المرجع السابق ص ١٢٨ - ١٢٩ .
(٢) نظرا لأهمية النيل الحيوية ، نجد أن بعض الكتاب أخذ يضى طفـلـعا من
القدسية على النهر ، فيذكر أن نهر النيل هو المعنى فى قوله تعالى
" من البحر ينبتان " (راجع الآية الكريمة فى سورة الرحمن - آية ١٩) أى النيل
والبحر المتوسط ، وأن الله أنزل فى الأرض خمسة أنهار من عين فى سدة
المنتهى أحدها نهر النيل - انظر .

محمد بن زين العابدين البكرى الصديقى : شفاء العليل فيما ورد من أخبار
النيل . مخطوط - نسخه كتبت فى رجب ١١٠٣ هـ بخط أحمد بن الحاج
عبد الرزاق - النسخه مصوره بمعهد المخطوطات العربيه بجامعة الدول
العربيه بالقاهره (٣٣ جغرافيا) عن النسخه الموجوده بمكتبة سوهـاـج
(٣٠ جغرافيا) ٣٢ ورقة (١٣ × ٢٢ سم) - ورقة ١٤ ، ٤ ب .

لهم ، فضلا عن تقاصره ، وإن مجرد شعورهم بذلك يدفع إلى الاحتكار
ورفع الأسعار بدون قحط ، فأرسل إلى عمرو بن العاص وإلى مصر وقتها
ليسأله عن جلية الأمر (١) . وكان مفاد ما أجاب به عمرو بن العاص ، أنه
وجد ما تروى مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا ، والحد الذي
يروى منه سائرهما حتى يفضل حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة
عشر ذراعا ، وإن النهايتين المخوفتين وهما الظم والاستبحار اثنا عشر
ذراعا وثمانية عشر ذراعا (٢) ، فما كان من الخليفة العادل عربن الخطاب
إلا أن أمر ببناء مقياس جديد على أن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا
وأن يقر ما بعدها على الأصل وإن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر
ذراعا أصبعين ، فبنى عمرو بن العاص مقياسا بحلولان بهذه المواصفات (٣) .

(١) تقي الدين أحمد بن علي المقرئ : المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
طبعه مصورة بالافست عن طبعة بولاق - مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة
بدون تاريخ ج ١ ص ٥٨ .

(٢) جمال الدين ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بوردى الأتابكي : النجوم
الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٣
- ج ٢ ص ٣١٣ .

(٣) المقرئ : الخطط : ج ١ ص ٥٨ - ٥٩ ، أبو المحاسن : النجوم
الزاهرة ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٣ .



وبدل ذلك ولا ريب على وعلى الخليفة بخطورة الدور الذي يلعبه
الاحتكار التجارى فى حدوث الأزمات الاقتصادية ، إذ أن المقصود بهذا
التعديل أنه عند بلوغ النيل الذراع السادسة عشر حسب المقياس الجديد ،
يظن العامة أن النيل قد وفى تماما وأن الأرض ستزرع جميعها فلا ترتفع
الأسعار ، وحقيقة الأمر أن النيل لم يبلغ سوى الأربعة عشر ذراعا ، وهكذا
حتى نهاية المقياس ، ولا شك أن فعالية هذا التعديل تستند أساسا إلى
سرية اجراء هذا التعديل ، الأمر الذى يشك معه فى أن يكون هذا
التغيير قد أتى ثماره ، لصعوبة المحافظة على سرية هذا العمل السنوى
يستوجب معرفة أشخاص عديدين سيقومون به .

والمقاييس على النيل سابقة على الفتح العربى ، فقد عرفها
قدماء المصريين منذ أقدم العصور ، حتى أن بعض المصادر العربية
ترجع أول مقياس إلى يوسف عليه السلام وتذكر موقعه بمدينة منف (١) .
كذلك بنى الرومان مقياسا عند حصن بابليون بقياسية الأكسية ، وقد
ظل العرب يستعملون هذه المقاييس حتى أواخر القرن ٢ هـ / ٨ م . (٢)

(١) أبو الحسن على بن الحسين بن على السعوى : مرجع الذهب ومعادن
الجواهر - المطبعة البهية - القاهرة - ١٣٤٦ هـ ج ١ ص ٢١٣ ، أبو سعيد
عبد الرحمن بن أبويكر السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة
المطبعة الشرفية - القاهرة ١٣٢٧ هـ - ج ٢ ص ١٩٧ . وذكر القلقشندي
أن أول من وضع مقياسا على النيل هو خليم السابع من ملوك مصر بعد الفيضان
انظر : القلقشندي ، أبو العباس أحمد : صبح الأعشى فى صناعة الانشاء :
المطبعة الاميرية - القاهرة - ١٩١٤ - ج ٤ ص ٢٩٧ .

(٢) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية - الدار القومية
للطباعة ١٩٦٦ - ص ١٤٧ .

أما أقدم مقياس عمل في الاسلام ، فهو الذى أقامة عمرو بن العاص بحلول حسب رواية تعديل المقياس ، الا أن الشك يحيط بيننا ههنا هذا المقياس ، ويرجح أن ماتم كان اصلاحا للمقاييس القديمة فقط ، وأن أول مقياس اسلامى لاشك فيه هو الذى أنشأه عبد العزيز بن مروان بحلول عندما كان والياً على مصر (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م) وتلى ذلك إنشاء مقياس اسامه بن زيد التنوخى عامل الخراج بجزيرة الروضة ، والذى بنى مرتين أولاهما عام ٩٢ هـ / ٧١١ م ، والثانية عام ٩٧ هـ / ٧١٥ م ^(١) ونسب بعد ذلك مقياس الخليفة العباس المتوكل على الله بجزيرة الروضة سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م وهو أشهر المقاييس الاسلامية على الاطلاق ويعرف بالهاشمى وذكر المقرئى أن الذراع المستخدمه في قیاسة هی الذراع السوداء التى وضعها هارون الرشيد وذلك نسبة إلى عبد أسود كان يملكه وضع المقياس على أساس طول ذراع . (٢)

ومجدد التنوية إلى أن حدود الوفاء والظلم كانت تتغير بتقادم الزمن بسبب ترسب الطين أو أهمال حفر الترع وتحريقها ، ففى ولاية الأمير محفوظ

(١) د . محمد حمدى المنارى : نهر النيل ص ١٤٨ ، القلقشندى : صبيح الاغشى ج ٣ ص ٢٩٨ .

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٥٩ .

تولى أمر المقياس عند انشاءه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد الذى انتقل من البصرة إلى مصر ، وظل عليه حتى توفى فتوارثت أسرته هذه الوظيفة إلى عهد قريب انظر :

أحمد تيمور : المهندسون فى العصر الاسلامى : نهضة مصر - القاهرة ١٩٧٩ م . ص ٢١٠ - ٢١١ .

بن سليمان أيام الخليفة العباس المتوكل على الله (منتصف ٣ هـ / ٩ م)
كان تمام خراج مصر إذا بلغ النيل الذراع السادسة عشر وان زاد الماء
بعد ذلك ذراعاً واحداً نقص الخراج مائة الف دينار (١) .

ومعد نحو قرن تغير حد الفيء وأصبح خصب البلاد ورخائها في الذراع
السابعة عشر (٢) .

ولأهمية زيادة النيل فقد حاول كثير من الكتاب والجغرافيين العرب
أن يعرضوا لأسباب زيادة الفيضان ومحاولة التنبؤ بها بواسطة الظواهر
الفلكية المختلفة (٣) .

(١) محمد بن أحمد (ابن إياس) : بدائع الزهور في وقائع الدهور - القاهرة
١٣١١ هـ - ج ١ ص ٣٦ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب : ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ - توفي المسعودي سنة
٣٤٦ هـ .

(٣) د . محمد حمدي المناري : نهر النيل - ص ١٤٢ - ١٤٣ ، يذكر البكري
في شفاء العليل ورقة ٨ - سطر ٥ ، ٦ ان النيل يتأثر
في زيادته بنور القمر وظلمته .

تلك كانت اشارة لا بد منها لتطور مستوى فيضان النيل وحدود القحط والاستبحار فيها حتى يتسنى لنا التعرف على الأسباب التي وقفت خلف المجاعات سواء أكان الفيضان أحدها أو غيره .

أما المجاعات التي وقعت في مصر الاسلامية فتبدأ بالغلاء الذي وقع عام ٨٢ هـ / ٢٠٦ م ، ووالى مصر وقتها هو عبد الله بن عبد الملك بن مروان فتشام به الناس لأن ذلك كان أول غلاء وشدة رآها المسلمون بمصر (١) وزادها سوءاً أن والى الأموى كان قد زاد الخراج على المصريين ، حتى لم يجد الأقباط مخرجاً لهم سوى هجرة الأرض فتشددت الحكومة في مقاومة حركة الهجرة ، وأمر والى بوشم الغريباء على أيديهم وجباههم وارسالهم الى أماكن مختلفه (٢) .

كما حدث قحط وانخفاض في فيضان النيل عام ١٢٤ هـ / ٧٤١ - ٧٤٢ م في ولاية حفص بن الوليد الثانية ، فصلى صلاة الاستسقاء حتى يغيث الله الناس (٣) .

وكانت آخر أزمات العصر الاموى ما وقع من الغلاء لنقص الفيضان الشديد (١٢ ذراعا و ١٦ أصبعاً) في ولاية يزيد بن حاتم المهلبى

(١) المقرئى : اغاثة الامة بكشف الغمه : دار ابن الوليد - حمص - سوريا
١٩٥٩ - ص ١٠

(٢) د . سيد الكاشف : الأرض والفلاح في مصر الاسلامية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح - ص ١٩٦ .

(٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ١ ص ٢٩١ .

سنة ١٤٧هـ / ٧٦٤ - ٧٦٥م فمأجت الفسطاط باهلها (١) .

اما فى العصر العباسى فقد وقعت مجاعة عام ١٩٠هـ / ٨٠٥ -
٨٠٦م فى ولاية ابن الخضيب ، فثار الناس لارتفاع الأسعار وتجمعوا بالمسجد
الجامع بالفسطاط ، وتصادف وقتها زيارة الشاعر العباسى أبى نواس لمصر
فصعد إلى منبر الجامع وأنشد الثائرين :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى	ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا	على حد حصى الظهر غير ركوب
فان يك باق افك فرعون فيكم	فان عصا موسى يكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية	أكل لحيات البلاد شروب (٢)

ونقص الفيضان على عهد خمارويه بن أحمد بن طولسون فارتفعت الأسعار
بمصر قرأها . (٣) .

-
- (١) ابن إياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٣١ .
(٢) د . محمد كامل حسين : الحياة الفكرية والأدبية بمصر - مكتبة النهضة
المصرية - القاهرة ١٩٥٩ - ص ١٣٣ .
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٧٧ - ٧٨ .

الآفة منذ شولى الاخشيدون حكم مصر ، لم تعد المجاعات ظاهرة
متباعدة الحدوث ، مثلما كانت منذ الفتح الاسلامى وذلك بسبب اضطراب
الادارة الادارية فتسارعت خطى الأزمان الاقتصادية وزاد عددها ، فعدم
البلاد عام ٣٢٩ هـ / ٤٠ - ٩٤١ م غلاء عظيم واختفت السلع الغذائية
من الأسواق ، وعز وجود الجيوب وخاصة القمح وتبع ذلك وباء شديد (١) .

ثم وقع الغلاء أيضا عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، وأمير مصر يومها أبو القاسم
انوجورين الاخشيد ، فثارت الناس ، ومنعوه من صلاة العتمة في جامع
عروين العاص (٢) .

ولأول مرة منذ الفتح العربى ، تعود المصادر التاريخية قصة ~~مكة~~ ^{مكة}
للسنوات السبع العجاف ، وان زادت هذه المرة إلى تسع سنوات ، بدأت
في عام ٣٤١ هـ / ٥٢ - ٩٥٣ م ، وكان سببها كثرة الفئران ، التى أكلت
المحاصيل وأتلفت الكروم ، وتوأكب ذلك مع انخفاض الفيضان فارتفعت الأسعار
منذ شهر رمضان (٣) .

(١) د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين - دار النهضة العربية
القاهرة ط ٢ - ١٩٧٠ ص ٣٦٢ .

(٢) المقرئى : اغاثة الامة . ص ١٠ .

(٣) المصدر نفسه . ص ١١ .

وظلت زيادة النيل طيلة هذه السنوات تقف عند الذراع الخامسة عشر ، وأربعة عشر أصبعا وحتى عام ٣٤٩هـ / ٦٠ - ١٦١م ، واستمر بالتالى ارتفاع الأسعار (١) .

ولغت هذه الأزمة أوجها فى سنة ٣٤٣هـ / ٥٤ - ١٥٥م ، حتى أن القمح بلغ سعره كل ميستين ونصف (٣٠٤٢ كجم) بدينار ، ثم اختفى القمح من الأسواق فثارت الناس وكسروا منبر جامع الفسطاط (٢) .

ولم تضى ثلاث سنوات على انتهاء هذه الازمة حتى تجددت الأزمة السابقة ولنفس المدة منذ عام ٣٥٢هـ / ١٦٣م ، وسقطت الدولة الأخشيدية خلال هذه المجاعة وكان انخفاض فيضان النيل وراء بداية هذه الأزمة حيث لم يتعد خمسة عشر ذراعاً وأربع أصابع ، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار إلى ثلاثة أضعاف ، واختفى الخبز وبلغ سعر القمح ديناراً للوبيتين ومع تفاقم الأوضاع السيئة إقتحم الناس فى العام التالى الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة وازدحموا عند المحراب حتى مات رجل - وأمرأه من شدة الزحام ولم تصل الجمعة يومئذ . (٣)

(١) ابن إياس : بدائع الزهور - ١٦ - ص ٤٣ .

(٢) المقرئى : اغاثة الامة ص ١١ .

(٣) نفسه .

وازدادت حدة الغلاء عام ٣٥٦هـ / ٩٦٢م بسبب النقص الشديد للفضيان الذي لم يتجاوز ١٢ ذراعا و ١٩ أصبعا (١) . ولم يكن فيضان النيل هو العامل الأوحـد الذي أدى إلى هذه المجاعة ، إذ ساعد على ذلك اضطراب أمور البلاد بسبب تهديدات الفاطميين والمغارسة بغزو مصر ، ثم قدوم القرمطي (٢) إلى الشام عام ٣٥٢هـ / ٩٦٣م ، وعجز المصريين عن دفعه عنها ، ثم غزو ملك النوبة الأسواني ووصله إلى أخميم بالصعيد ، وإعماله السلب والنهب والاحراق فعمم اضطراب البلاد (٣) .

وزاد الطين بلة موت كافر الأخشيدي ، فاختلف الجند والامراء من بعده ، وحدثت من جراء ذلك فتن داخلية قتل فيها الكثير من الناس ونهبت الأسواق وارتفعت الأسعار حتى بيعت وبيبة القمح بدينار

(١) ابن إياس : بدائع الزهور - ج ١ ص ٤٤٠ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي المعروف بالاعصم ، وهو من اتباع المذهب الفاطمي بالبحرين الذين عرفوا بالقرامطة ، وكان قد قلب ظهر المجن للفاطميين بمساعدة بقايا الأخشيديين والحمدانييين وهاجم مصر . انظر

د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ١١٠ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٢٦ .

وبات الناس على تخوف وترقب لدخول الفاطميين إلى مصر (١) . ونتيجة
لاضطراب الأحوال لم يحج أحد من مصر عام ٣٥٢هـ سوى الامام واثنين
معه (٢) . ودفعت حالة الاضطراب هذه ببعض القواد إلى مراسلة المعز
في المغرب يستدعونه للقُدوم إلى مصر (٣) .

ولقد عجلت هذه السلسلة المتتابعة من المجاعات بسقوط الدولة
الاخشيدية (٤) . كما تركت آثارها على حركة العمران ، ويكفى للدلالة
على ذلك أن عدد القرى أصبح في عام ٣٤٥هـ / ٥٦ - ٥٧م ، إبان ولاية
أنوجورين الاخشيد ٢٣٩٥ قرية بعد أن كان عددها في العصر الأموي
أكثر من عشرة آلاف قرية (٥) .

-
- (١) المقرئى : إغاثه الامة ص ١٢ - ١٣ .
(٢) ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى : المنتظم فى
تاريخ الملوك والامم - ج ٢ ص ٤٣ - ج ٣ ص ٤٣ .
(٣) مجهول : شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسير معسكره إلى مصر
نسخه مصوره بالفوتستات من مخطوط بمكتبة الاسكوريال - تاريخ نسخه
١٢٠هـ - مكتبة جامعة القاهرة برقم ٤٠٢٢ - ورقة ٢ (ب) .
(٤) د . سيد الكاشف : الأرض والفلاح فى مصر الاسلامية ص ١٧٣ ، مصر فى عصر
الاخشيديين ص ٣٦٢ .
(٥) د . محمد حدى المناوى : نهر النيل - ص ١٢١ .

الفصل الأول

المجاعات في العصر الفاطمي

وأسبابها

لما كان من المتعارف عليه لدى المؤرخين أن حالة فيضان النيل نقصاً أو زيادة ، تؤثر على حياة المصريين إن رخاء أو قحطاً ، فانه من البديهي أن نحاول أولاً التعرف على حدود الفيضان النافعة والضارة إبان فترة الدراسة ، وقيل التعرض لأحداث المجاعات وتحليل أسبابها .

ورغم وجود المقاييس على النيل ، والمناداة اليومية على مقدار زيادة النيل ، مما يتيح لعامة الناس معرفة حد الرخاء ، إلا أن الباحث يدهش أمام حجم التناقض الملحوظ في كتابات المؤرخين بهذا الشأن .

فإذا كان من المتفق عليه بين معظم المؤرخين أن حد الرخاء عند الفتح الاسلامي كان هو الستة عشر ذراعاً ، والتي كانت تكفي لزراعة أرض مصر ، وفيض من الغلات ما يكفي لسنتين كما يذكر المقرئى نقلاً عن القاضي (١) (ت ٤٥٤هـ) ، فانه ومنذ منتصف القرن الرابع الهجري تقريباً ، نجد اختلافاً واضحاً فيما ذكر عن حدود الرخاء ، وما يتطرق اليه الحديث عند سرد أحداث المجاعات ومستوى الفيضان وقتها .

فعلى حين يذكر المسعودي أن ١٦ ذراعاً تكفي لزراعة ثلاثمائة أرباع أرض مصر ، وأن ١٧ ذراعاً فيها كامل النفع ، وأن ١٨ ذراعاً تؤدي إلى الاستبحار وتلف مراعى الماشية (٢) ، نجد أن المقرئى عند تعرضه

(١) المقرئى : الخطط - ج ١ ص ٥٩ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٩٤

(٢) المسعودي : مرجع الذهب ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ .

للمجاعة التي حدثت عام ١٣٥٤هـ / ١٩٦٥ م بسبب نقص الفيضان ، يشير الى أن مبلغ الزيادة كان ستة عشر ذراعا وأصابع (١) . وفي هذا الصدد فان د . المناوي رجح ما ذكره السعدوي بحكم قرينه من هذا التاريخ ، إذ انتهى من وضع كتابه حوالي عام ٣٣٢هـ / ٤٣ - ١٤٤٤م (٢) . غير أن الأمر في حاجة إلى أكثر من ترجيح رأى على آخر استنادا إلى عامل الزمن فقط ، ونود أن نلفت النظرها هنا إلى أمور هامة :-

- ١- ان حد الوفاء كان يتغير بتقادم الزمن بسبب ترسبات الطمي الذي يجلبه الفيضان ، مما يؤدي إلى ارتفاع منسوب التربة ، وان كان هذا التغير الطبيعي يتسم بالبطء ، نظرا لوجود ترسبات طينية أيضا في مجرى النهر ، الأمر الذي يعنى ارتفاع منسوب النهر بالتالي.
- ٢- أن هذا الحد كان شديد التأثير بحالة الجسور والترع ، ومدى اهتمام الحكومات بمشروعات الري ، فاذا ما وضعنا في الحسبان حالة الاضطراب التي سادت مصر منذ سقوط الدولة الطولونية سنة ٢٩٢هـ / ٤ - ١٠٥٥م ودوام نزاعات الجند ، وتوالي الأزمات الاقتصادية ، في مدة حكم الاخشيديين ، لأمكننا القول بأن تدهورا قد طرأ على حد الوفاء نتيجة لأهمال مشروعات الري ، الا أن هذا التدهور لم يكن ليعنى أن ١٦ ذراعا هو حد المجاعة والقحط خاصة وان النيل كان يصل

(١) المقرئى : اغاثة الامة ص ١٢ .

(٢) د . محمد حمدى المناوي : المرجع السابق ص ١٦٨ هاش (٤) .

إلى هذا الحد في سنوات لاحقه ولم تحدث مجاعات .

٣- ان ثمة ملاحظة جديرة بالالتفات ، أيداهها المقرئ في معرض حديثه عن المجاعة التي روعت البلاد عام ٧٩٦هـ / ٩٣ - ١٣٩٤م إذ ذكر - أن ععادة بلاد مصر منذ الزمن القديم ، إذا تأخر جرى النيل بها أن يمتد الغلاء سنتين^(١) . وفسر ذلك بأن السنة الأولى تقل الغلال فيها ، ويزداد الطلب عليها ، فإذا ما وفى النيل في العمام التالي ، كانت الحاجة ماسة إلى الحبوب ليزدها ، فيزداد ارتفاع أسعارها . وعلى ضوء ذلك يمكن فهم سبب هذه المجاعة التي وقعت عام ٣٥٤هـ / ٩٦٥م - رغم بلوغ النيل ١٦ ذراعا حسب المقرئ و ١٦ ذراعا و ١٥ أصبعاً حسب "أبو المحاسن" - على أنها استمرار للمجاعة التي شملت البلاد منذ ٣٥٢هـ / ٩٦٣م ، حيث بلغت الزيادة في سنة ٣٥٣هـ خمسة عشر ذراعاً وأربع أصابع^(٢) . أما إذا صح ما ذكره ابن إبيك الدوادري عن ارتفاع الفيضان (١٦ ذراعاً و ١٥ أصبعاً عام ٣٥٣هـ و ١٤ ذراعاً و ١٩ أصبعاً عام ٣٥٤هـ) فان مجاعة عام ٣٥٤هـ يكون سببها هو نقص الفيضان ، بينما ينطبق التفسير السدي أورد المقرئ على مجاعة سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤م .

(١) المقرئ : اغاثة الامة ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١١ .

ومهما يكن من أمر ، فقد أصبح واضحاً ان ١٦ ذراعا لم تعد كافية لزراعة جميع أراض مصر ، حسبما ذكر المسعودى وحسبما تؤكد الروايات التاريخية ، وذلك قبيل العصر الفاطمى وان كانت لا تعنى القحط .

أما فى العصر الفاطمى فان التوصل إلى معرفة يقينية لحد الرخاء يعد أمراً مشواً بالمخاطر ، فعلى حين يؤكّد المقرئى ان زيادة النيل النافعة هى ١٦ ذراعاً إلى ما بعد سنة ٥٠٠ هـ ، وان زيادة ١٧ ذراعاً تزيد خراج مصر ١٠٠٠٠٠ دينار لما يروى من الأراضى العالية (١) ، يشير هو نفسه إلى استمرار الغلاء أعوام ٣٥٨ هـ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٦٠ هـ ، والتي بلغ النيل خلالها ١٦ ذراعاً و ٢٠ أصبعاً ، ١٧ ذراعاً ٢١ أصبعاً ، ١٧ ذراعاً ، ٢١ أصبعاً ، على التوالي ، وان الأسعار انخفضت وأخصبت الأرض وحصل الرخاء عام ٣٦١ هـ / ٧١ - ١٧٢ م ، على الرغم من أن النيل بلغ ١٧ ذراعاً وأربع أصابع (٢) . وإذا أمكن القول بأن السبب هذه المجاعات يعود إلى اضطراب البلاد عند الفتح الفاطمى ، فان المقرئى يقرر صراحة ان المجاعة التى وقعت ظم ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م سببها نقص الفيضان الذى بلغ ١٦ ذراعاً وأصابع (٣) (١٦ ، ٧) حسب الجدول

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) المقرئى : اغاثه الامه ص ١٣ .

(٣) نفسه .

المرفق (١) ثم يزيد ناصر خسرو، الذي زار مصر خلال أعوام ٤٣٩ - ٤٤٢ هـ، الأمر تعقيدا ، فيذكر أن الزيادة المعهودة هي ١٨ ذراعا وأنه كلما قلت الزيادة عن ذلك قيل أن النيل ناقص (١) وعلى النقيض من ذلك تماما ، وقعت المجاعة عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ - ١١٣٨ م بسبب توقف النيل (٢) الذي بلغ في هذه السنة ١٨ ذراعا و ١٢ أصبعا (٣) ، أو ١٧ ذراعا و ٣ أصابع طبقا لابن ايبك . كما أنه "حصل غرق نجم عنه تلف" عام ٥٥٩ هـ (٤) ، وزيادة النيل ١٨ ذراعا و ١٠ أصابع (أو ٨ أصابع) وسنلاحظ خلال هذا البحث أن بعض المجاعات ، وقعت والزيادة تخطت السذراع السادسة عشر ، بأطباع بل والذراع السابعة عشر ، في حين أن زيادة النيل قلت عن ذلك في سنوات كثيرة ولم يحدث المجاعة (انظر ملحق فيضان النيل) . ومن استقراء بيانات الفيضانات الواردة بالملحق يمكن الجزم بأن حد القحط خلال العصر الفاطمي كان مادون الذراع الخاصة عشر ، وكان هذا الحد عند الفتح العربي ١٢ ذراعا . فزيادة النيل لم تصل الى مادون ١٥ ذراعا الاثلاث مرات ابان حكم الفاطميين لمصر ، فسي

(١) ناصر خسرو : سفرنامه - ترجمة وتعليق د . يحيى الخشاب - لجنة التاليف والترجمة - القاهرة - ١٩٤٥ - ص ٤٢ .

(٢) المقرئ : اتعاظ الخنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - تحقيق د . محمد حلمي محمد - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - ١٩٧٣ ج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٦٣ .

(٤) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٤٨ - ص ٣٧٠ .

سنوات ٣٩٢هـ / ٦ - ١٠٠٢م ، ٣٩٨هـ / ٧ - ١٠٠٨م ، و ٤١٤هـ /
٢٣-١٠٢٤م ، وجميعها كانت سنوات مجاعة . وفيما عدا ذلك فـان
زيادة ما يعد ١٥ ذراعا ولو بأصبع واحد كافيه لعدم قحط البـلـاد
(٥٥٤هـ) ، كما أنه من الوارد حدوث المجاعات حتى ولو وصلت الزيادة
إلى قريب من ١٨ ذراعا . ومنزى ذلك أنه بعد ١٥ ذراعا لم يكن
هناك حد قاطع ومحدد لفيضان النيل تحدث معه المجاعة ، وان هذا الحد
كان متذبذبا ، متأثرا في ذلك بحالة الدولة المركزية ، التي كان بإمكانها
- إن استطاعت - أن تعبر بالبلاد الأزمة رغم الانخفاض النسبي للفيضان ،
أو تعجز عن منع الامور من الانحدار مع شمول الري لمعظم الأراضي .

الا ان ذلك لا يعنى من محاولة الوصول إلى حد موضوعي لوفاء
النيل يمكن معه الفصل فيما اذا كان سبب المجاعة هو النيل أم عامل
آخر . ويدو أن الحد الذى اعتبرته الحكومة كافيا لتحصيل الخراج هـو
١٦ ذراعا ، حيث كان يتم الاحتفال بوفاء النيل عنه حسبما نقل المقرئزى (١)
عن ابن الطوير .

الا انه من الملاحظ ان الاحتفال بوفاء النيل ظل يتم عند بلوغ
الزراع الساقط حتى العصر المملوكى ، رغم أن ذلك الحد لم يعد كافيا

(١) المقرئزى : الخطط - ج ١ ص ٤٧٦ . وقد أورد القلقشندى سجلا مـنـ

انشاء ابن الصيرفى يؤكـد فيه أن ١٦ ذراعا هى حد الوفاء

- القلقشندى : صبح الاعشى - ج ٨ ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

لزراعة الأرض وقتها ، وكان يحتفل بالوفاء ، فقط لكون ذلك " قانسون
الرى فى القديم " (١) ولذا فليس بالامكان الاعتداد بهذا الحد ، طالما
أصبح الاحتفال بوفاء النيل عنده مسألة تراثية لاعلاقة لها بالواقع .

فى ضوء ملحق فيضان النيل ، وروايات المؤرخين يمكن ترتيب سبب
حدود الوفاء على النحو التالى : -

١- الستة عشر ذراعا كانت تكفى لزراعة بعض الأراضى ودرء خطر المجاعة
عن البلاد ، وليس هناك خطر محقق إذ بلغت الزيادة ١٥ ذراعا .

٢- السبعة عشر ذراعا ، أصبحت كافية فقط لزراعة معظم الأراضى وليس
كلها .

٣- ان حد الوفاء الذى يكفى لزراعة جميع الأراضى ويمكن معه الوفاء
بالخراج دون عنت كان ١٨ ذراعا ، وذلك منذ منتصف القرن ١١هـ / ١١م
على الأقل .

ومعنى ذلك أن حدود النيل عند الفتح العربى زادت بمقدار

ذراعين تقريبا خلال العصر الفاطمى . وقيل الدخول فى سرد أحداث
المجاعات التى مرت بمصر الفاطمية نشير إلى أنه برغم مرور البلاد بفتنات
من الفوضى والاضطراب وخاصة فى خلافة المستنصر بالله . فان مصر
شهدت اهتماما لا بأس به بمشروعات الرى والزراعة ، فتدل وثائق الجنيـزة

(١) المقرئى : الخططج ١ ص ٥٥ .

اليهودية Geniza على وجود ادارة خاصة تشرف على أمور الزراعة بالبلاد (١) . كما وان الكتابات التاريخية تفيد بأن ثلث خراج البلاد كان يرصد لعمارة جسور أراضى مصر (٢) . والجسور المعنية هنا هى الجسور السلطانية التى توجد فى شرق وغرب الدلتا ، أما الجسور البلدية وهى التى تشتفع بها جهات محلية دون أخرى ، فكان يتولى صيانتها الملاك والمتقبلون على أن تخصم تكاليف ذلك من الخراج الذى يؤدونه للدولة (٣) . وشهدت عهد استقرار الحكم المركزى اهتماما بمشروعات الري ، مثل تطهير خليج الاسكندرية بعد ان طم تقريبا وخاصة فى قسمه الأول عند خروجه من فرع رشيد وبلغت تكاليف ذلك فى سنة ٤٠٤هـ / ١٣ - ١٠١٤م ١٥ ألف دينار ، واستفادت منه القرى الواقعة فى غرب الدلتا فضلا عن تسهيل الملاحة (٤) . وحفر فى عهد الأفضل بن أمير الجيوش عام ٥٠٦هـ / ١٢ - ١١١٣م الخليج المعروف بخليج أبى المنجا لضمان رى أراضى البلاد الشرقيه فى كل الأحوال . (٥) .

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ١٠٥ .

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٦١ .

(٣) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٦٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٣ .

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٧١ - ٧٢ ، د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ١٠٤ وهامش (٤) ويد وأن هذا الخليج كان قديما وطم ثم أعيد حفره إذ يرجع القلقشندى هذا الخليج إلى أحد ملوك مصر بعد الطوفان القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٠٥ .

مجاغات العصر الفاطمى :

قام الفاطميون منذ استقرارهم في أفريقية وتأسيس دولتهم بتوجيه خمس حملات للاستيلاء على مصر ، حققت أربع منها نجاحات محدودة في فرض سيطرتهم على بعض النواحي الواقعة في غرب مصر مثل الاسكندرية والفيوم والجيزة (١) . ولم يكتب النجاح الا للحملة الخامسة التي أرسلت عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م بقيادة جوهر الصقلي (٢) ، وكانت مصر وقتها تعاني من قحط ووباء بدأ عام ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م مما أدى إلى وفاة الكثيرين حتى عجز الناس عن تكفين الموتى فألقوا بجثثهم في النيل وترتب على ذلك اشتداد الغلاء وتدرأ القمح وانتشار أعمال السلب والنهب (٣) ، ولم يصبح في البلاد قوة مادية أو معنوية من جانب شعبها الذي أنهكه الجوع والمرض (٤) ، وكان وصول أخبار هذه الاحداث المؤسفة التي زادا سوءا موت كافور الإخشيدي وتفرق جنده - كافيا لشحن همة المعز لدين

(١) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر - دار المعارف الاسكندرية ١٩٦٨ - ص ٩٦ - ١٠٠ .

(٢) أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : شذرات الذهب في أخبار من ذهب - مكتبة القدس - القاهرة ١٣٥٠ هـ - ج ٣ - ص ٢٦ .

(٣) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية المطبعة الاميرية - القاهرة ١٩٣٢ م - ص ٩٥ - ٩٦ ، وكان في بغداد غلاء ذريع حتى بيع الكرمين الدقيق بتسعين دينارا انظر : ابن الجوزى : المنتظم ج ٧ ص ٤٧ .

(٤) د . أحمد مختار العبادى : في التاريخ العباسى والفاطمى - مطبعة شباب الجامعة - الاسكندرية ١٩٨٢ - ص ٢٤٨ .

الله ليهتبل هذه الفرصة ويستولى على مصر (١) ، خاصة بعد ان
كاتبه أعيان مصر يدعونه لدخولها بسبب طمع الجند في أهل القسري (٢)
ويدو أن المصريين وجدوا في الفاطميين منقذهم من الحالة التي تسردت
اليها البلاد فدخل الجيش الفاطمي الذي بلغ مائة ألف مقاتل مصر " ففى
يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فهرب
أصحاب كافور وأخذ جواهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة (٣) .

(١) ابو الفدا ، اسماعيل بن عمر بن كثير : البداية والنهاية - مطبعة
السعادة بمصر ١٩٣٨ - ج ١١ - ص ٢٢٦ ، ابن الاثير على بن ابيسى
الكرم محمد بن محمد : الكامل فى التاريخ - تعليق عبد الوهاب النجار
دار الطباعة المنيرية - مصر ٣٥٣ - ج ٧ - ص ٣١ ، ابن سعيد الأندلسى
المغرب فى حلى المغرب : تحقيق د. زكى حسن (وآخرون) :
مطبعة جامعة فؤاد الأول - ١٩٣٥ - ج ١ - ص ٢٠١ .

(٢) عبد الله الشرقاوى : تحفه الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين -
مصر ١٩٢٢ ص ٣٣ .

(٣) السيوطى : حسن المخاضه - ج ٢ ص ١١ ، شمس الدين الذهبى : تاريخ
الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام - مخطوط مصور يد ار الكتب المصرية
برقم ٤٢ تاريخ مجلد ١٦ ص ٩٩ حوادث عام ٣٥٨ هـ .

ومن الواضح الجلى ان انخفاض النيل لم يكن مبررا لحالة القحط
التي سادت للبلاد في عام الفتح الفاطمى ، فالفيضان كان قد وصل نسي
أقل التقديرات إلى ١٦ ذراعا و ٢٠ أصبعا ، وهو حد لا يعنى القحط
كما أسلفنا ، ولذا فانه على وجه الترجيح ، يمكن ارجاع المجاعة
والغلاء إلى اضطراب الأحوال ، ومنازعات فرق الجند ، مما أفضى إلى
ارتفاع الاسعار حتى بلغ سعر القمح تسعة أقداح بدينار (١) . بل
ان ضعف الادارة المركزية ، أدى إلى سوء عيار السكة الاخشيديية
وانتشار الغش فيها كما يتضح من خطاب الأمان الذى أعطاه جوهـر
العقلى للمصريين عند دخوله مصر (٢) والذى وعد فيه بارخـان
الاسعار ، وقرار الأمن وتجويد عيار السكة . ولكن اقرار النظام ، وضمان
زراعة الأرض ، واكمال استعادة الادارة المركزية لكافة صلاحياتها ،
لم يكن ليتم بين ليلة وضحاها ، إذ استغرق ذلك ثلاث سنوات تقريبا
حاول خلالها جوهـر الضرب بشدة على أيدي التجار والطحانيين الذين
استغلوا حالة الفوضى في محاولة الاثراء من وراءها . ففي ذى القعدة

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - تحقيق

د . جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٨ - ج ١ ص ١٦٨ .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر - ص ١٠٨ .

عام ٣٥٩هـ / ٩٢٠م قام سليمان بن عزة المغربي ، الذي تولى الحسبة (١) عضواً عن أبي جعفر الذي تولى في ربيع الآخر ، باتخاذ بعض الاجراءات لمواجهة ارتفاع الأسعار ، فضبط ساحل بولاق حيث ترد الغله في المراكب ، وجمع تجار القمح وسامسة الغلال في موضع واحد ، وسد الطرق الا طريقاً واحداً يتم منه خروج القمح تحت اشرافه وحضوره (٢) ، ثم قام بضرب احد عشر طحانا وشهرهم (٣) ، ويدو انهم حاولوا تخزين بعض الدقيق لبيعه بثمن مرتفع ، ويمكن أن نضيف إلى جانب عامل الاحتكار الذي يتسبب في ارتفاع الأسعار ، اختلال الأمن وانتشار السلب والنهب الذي كان متفشياً في بدايه خلافه المعز بمصر . (٤) .

(١) يقصد بالحسبة والاحتساب - شرط - الأمر بالمعروف إذا ظهر تركسه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله ، أي محاولة جعل الحياة السائرة موافقة لاحكام الشريعة ، وفي مصطلح التاريخ يقصد بالحسبة الوظيفة التي تراقب تنفيذ احكام الشريعة فيما هو حادث فعلاً في المجتمع الاسلامي على اختلاف طبقاته - انظر :

د . السيد الباز العريني : الحسبة والمحتسبون في مصر - مقال بالمجلة التاريخية المصرية . القاهرة ١٩٥٣ - مجلد ٣ العدد ٢ ص ١٥٧ . والحسبة عند الشيعة تدخل في عموم واجبات الامام بسبب كونها خدمة دينية وكان الامام يستخلف فيها من يراه اهلاً لها انظر : د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر . الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٣ - ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ . وقد كان للمحتسب منزلة رفيعة في العصر الفاطمي فكان يقوم بتعيين نوابه بالقاهرة وجميع الاعمال ولا يحال بينه وبين مصلحة ارادها وكانت تصاف الحسبة بمصر والقاهرة الى صاحب الشرطة بهما أحياناً انظر : القلقشندي صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٨٦ .

(٢) د . احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
(٣) المقرئ : اتعاظ الخلفاء - ج ١ ص ٧٢ ، ٧٩ .
(٤) أبو صالح الأرمي : كنائس وأديرة مصر - المطبعة المد رسية ياكسفورد . ١٨٩٥ ص ٨٤ .

ولغت الضائقة الاقتصادية ذروتها عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ - ٩٧١ م (١) ويرجع ذلك إلى استمرار تغشى الأمراض والأوبئة ، التي اشتدت بالقاهرة من المحرم ، مما دفع جوهرًا إلى منع بيع الشواء مسموطا ، وأمريان يسليخ من جلده كاجراء وقائي (٢) . وملاحظ ارتباط المجطات بانتشار الأوبئة وخاصة وباء الطاعون الذي يودي بحياة الكثيرين ، فيلحق ذلك الضرر بالأيدى العاملة في الزراعة ، إما لموت البعض ، أو لهجرة آخرين لمواطن الداء ، فتصبح الأرض ولا تجد من يزرعها . (٣) . ومن العوامل التي تساعد على تغشى الأوبئة ازدحام البيوت بالسكان ، وخاصة في الفساطط ، التي تتكون بعض الدور فيها من سبع طبقات ، وربما يسكن في الدار المائتان من الناس (٤) فإذا أُضيف إلى ذلك العادات غير الصحية التي كان يتبعها السكان من أن يرموا بما يموت من القطط والكلاب في الشوارع والنيل ومصادر مياه الشرب فيشربون هذه العفونة ، المختلطة بالماء ، فضلا عن تعذر دفن الموتى في حالة

(١) المقرئى : اغاثه الامه ص ١٣ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ١ ص ١٧٩ .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ٨٠ - ٨٢ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٤١ .

تغش الأُمُة والمجاعات ما يؤدى إلى انتشار الميكروب وبقائه لفترة طويلة بالبلاد لتأخر وسائل الطب الوقائى (١) ، لعرفنا مدى فداحة الخسائر التى كانت تقع بين صفوف السكان ، حتى أن المقرئى يذكر أنه لما سقطت الدولة الأحشيدية واختل حال مصر بتوالى الغلاء وتواتر الأُمُة والفناء " حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز " بسبب تدهور حالة الفسطاط وموت معظم سكانها . (٢)

ولا يمكن اغفال دور التهديد بالغزو الخارجى فى ارتفاع الأسعار إذ قام القرامطة بغزو الشام ونجحوا فى هزيمة الجيش الفاطمى بدمشق طم ٣٦٠ هـ / ٧٠ - ١٧١ م ، بل وحاصروا القاهرة وانهزموا عنها عام ٣٦١ هـ / ٧١ - ١٧٢ م . (٣)

ومهما يكن من أمر فقد وضعت هذه المجاعة أضرارها طم ٣٦١ هـ ، التى انخفضت فيها الأسعار واخصبت الأرض وحصل الرخاء (٤) . وذلك كنتيجة طبيعية لاستقرار أمور الحكومة الجديدة ، ونجاحها فى القضاء على الأخطار الخارجية ، ونشر الأمن فى ربوع البلاد ، مما ضمن زراعة معظم الأراضى ، ولا يعتقد ان هناك ثمة علاقة بين هذا الرخاء وحال الفئسان ، الذى كان فى هذا العام ١٧ ذراط و٤ أصابع ، أى أقل

(١) المقرئى : الخطاط ج ١ ص ٣٣٩ - ٣٤٠ د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٨٠ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٩ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١١٥ .

(٤) المقرئى : أغاثة الأُمُة ص ١٣ .

من فيضان العام السابق بأصابع .

وانتهاء هذه المجاعة كان الخليفة المعز لدين الله قد وعى
مشكل على ، الدرس ، الذي عرفه من قبل عمرو بن العاص والخليفة
عمر بن الخطاب ، الا وهو الارتباط بين الاحتكار التجارى واستشعار
الناس انخفاض زيادة النيل ، من خلال المناداة اليومية على مقدار
الزيادة ، ابان موسم الفيضان ، فأمر الخليفة في شوال سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٣م
بمنع المناداة على زيادة النيل ، وبأن لا يكتب بذلك إلا إليه ، وإلى
القائد جوهر ، وأن يباح النداء عند بلوغ النيل حد الوفاء الرسمى - وهو
الستة عشر ذراعا (١) .

بيد أن ذلك الاجراء فيما يظهر ، لم يستمر طويلاً ، إذ يشيهر
ناصر خسرو إلى استمرار نظام المناداة اليومية على زيادة النيل خـلال
زيارته لمصر . (٢)

(١) المقرئى : اتعاط الحنفاء - ج ١ ص ١٩١ ، الخطط ج ١ ص ٦١ ، وذكر
القلقشندي أنه كان يؤخذ المقياس وتكتب به رقعته للخليفة
والوزير ثم ينزل بديوان الرسائل في مسير معدله فـرسى
الديوان مستمر الحال على ذلك في كل يوم ترفـس
رقعه إلى ديوان الانشاء بالزيادة لا يطلع عليها غير الخليفة
والوزير وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (١٦ ذراعاً)
أصبح أو أصبحان - صبح الأعشى ج ٣ ص ٥١٦ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٢ .

شهدت خلافه الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) سلسلة من المجاعات ، استغرقت نحو نصف سني حكمه التي قاربت الربع قرن . ولا شك أن هذه الكوارث قد وضعت في موقف لا يحسد عليه إذ أصبح لزاما عليه أن يحارب في أكثر من جبهة ، فقد اعتلى الحاكم كرسى الخلافة وهو في الحادية عشر ، و ٥ أشهر وستة أيام (١) ، طفلا تسعى أكثر من قوة للسيطرة عليه وعلى مقاليد الأمور بالبلاد ، فنشبت المنازعات بين البربر والأتراك (٢) . وقد نجح الحاكم بعد أربع سنوات من وصاية برجوان عليه أن يمتلك زمام الأمور في البلاد كخليفة قوي (٣) . وبعد ذلك كان عليه أن يواجه غزوا خارجيا جاءه من الغرب بقيادة الثائر أبي ركة (٤) وخطر الأوثمة الفتاك والمجاعات ، وقيل ذلك معدده المنازعات التي دارت داخل البيت الخلفي للحد من نفوذه المطلق ، تلك

(١) Wustenfild (J). Geschichte Fātimiden Choliben. Aus dem 26 und 27 Bande der Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaften Zu Göttingen - Göttingen 1881 - 165.

(٢) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٣) ستانلى لينبول : سيرة القاهرة - ترجمة د . حسن ابراهيم ، د . على ابراهيم حسن - النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٠ - ١٣٤ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام مجلد ١٦ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١) المنازعات والمؤامرات التي أودت في النهاية بحياته بتدبير أخته ست الملك .
فضلا عن بعض المشاكل المتعلقة بالدعوة الفاطمية ، ومحاولات البعض
الصاق الألوهية به (٢) . ورغم أن التاريخ حافل بشخصيات كئيبة
أهضمها المؤرخون حقها وساءوا فهمها - عداً في معظم الأحوال - إلا أن
شخصية الحاكم فاقت كل هذه الشخصيات في مقدار الظلم الفادح الذي
وقع بحقها .

فكتابات المؤرخين السنة ، وكذا أهل الذمة رمت به بالشذوذ والجنون
إلى حد وصفه بأنه كان شر خليفة ، لم يل مصر فرعون شر منه (٣) ،
ولم يسلم الحاكم من كتابات كثيرة معاصرة ، حتى من قبل الكتاب الأجانب
الذين دخلوا حلبه ، إدانتهم اعتماداً على المصادر التاريخية دون تمحيص
أو نقد . (٤)

(١) أبو الفدا : البدايه والنهايه ج ١٢ ص ١٠ .

(٢) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه - مكتبة
الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٩ - ص ١١٥ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣ ، ابن العبري : مختصر تاريخ
الدول - بيروت ١٨٩٠ - ص ٣١٣ .

(٤) لينبول : سيرة القاهرة - ص ١٣٤ - ١٣٥ ،

Brocklmann (Carl): History of the Islamic Peoples.

London and Henley - 1980 - P. 160.

ولما لم يكن مجالنا هنا تبرئه ساحة الحاكم^(١) ، فانتنا سنقتصر على سرد ما يخص موضوع المجاعات في عهده ، حيث أثبت بتصرفاته وأجرائاته مع كل ما واجهه من صعاب ، أنه كان أنضج وعيا ، وأكثر عبقرية من غيره من الخلفاء الذين لم يتهموا بالجنون .

فعندما توقف النيل عن الزيادة في عهده ، وقيل له أن هذا من فعل الأجباش الذين غيروا مجرى النيل ، أمر بطرك النصارى أن يتوجه إلى الجبشة ، فذهب وعرض على النجاشي ما وقع بالبلاد من ضرر ، فأمر ملك الجبشة بفتح سد عندهم يجرى منه إلى مصر ماء النيل لأجل أن البطرك قدم عليه ، فزاد النيل في تلك السنة زيادة قوة حتى أفضى^(٢) ،

لم يقنع الحاكم بهذا الحل ، الذي يضعه تحت رحمة ملك الجبشة المسيحي ، وأظنه لم يصدق ما ذكر عن وجود سد عندهم يحجب الماء عن مصر ، ولا يستبعد أن تكون هذه الرواية التي يكثر تكرارها في سنوات مختلفه ، محاولة لتدعيم مركز القبط في مصر ، خاصة مع ما عرف عن الحاكم من تشدد مع أهل الذمة ، وظلت ظاهرة انخفاض الفيضان تستحوذ على

(١) أنظر : د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه .
(٢) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من أخبار مصر للمسيحي - مستخرج من حوليات اسلامية - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٨١ - مجلد ١٧ - ص ٣٢ .

اهتمام الحاكم حتى سمع عن أبي علي بن الحسين بن المهيشم (١) الذى
نبغ فى الهندسة ، وأنه قال لو كنت فى مصر لعلمت فى نيلها علا يحصل
به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فأرسل فى طلبه
من العراق ، وأكرم وفادته وسير معه جماعة من الصناع فى طول الاقليم
المصرى حتى وصل إلى أسوان ، لكنه اعتذر عن عجزه القيام بشئ بسبب
طبيعة أرض أسوان الجرانيتية ، فأبقاه الحاكم معززا مكروما . (٢)

وفى هذا الصدد ، يذكر ابن ابى أصيبعة أن همته انكسرت
لما رأى آثار قدماء المصريين وعظمتها ، مع أنهم لم يفعلوا شيئا للنيل ،
فأيقن عجزه ، وأنه خشى على نفسه من الحاكم فادعى الجنون حتى توفى
الخليفة ، فعاد للحياة الطبيعية ، كناسخ لبعض الكتب الطبية لبقات منها (٣)
وربما لو كان النجاح قد صادف ابن المهيشم والحاكم ، لتغيرت كثيرا معالم
وجه تاريخ مصر الاسلامية ، بل والعالم الاسلامى بأسره .

(١) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - شرح وتحقيق د . رضا
نزار رضا - مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٥ - ترجمة ابن المهيشم ص ٥٥٠ -
٥٦٠ وانظر أيضا : أحمد تيمور : المهندسون فى العصر الاسلامى -
القاهرة ١٩٧٩ - ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢) د . ماجد : الحاكم بامر الله ، ص ٦٤ - ٦٥ ، امرأة مصرية تنزع مظاهرة
فى عهد الخليفة المستنصر بالله - المجلة التاريخية المصرية - القاهرة -
١٩٧٧ - المجلد ٢٤ - ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء - ص ٥٥١ ، ابن العبري : مختصر تاريخ
الدول - ص ٣١٦ - ٣١٨ .

لم يفت في عهد الحاكم فشل ابن الهيثم في معالجة أمر الفيضان ،
فلجأ إلى الاجراءات الوقائية اعتمادا على قوة السلطة المركزية وهيئته
كرأس لهذه السلطة .

ولما كان احتكار التجار للغلال ، وتلاعبهم بالأسعار سببا رئيسيا
وراء المجاعات ، فقد عمد إلى اقامة سعر لكل شيء ، لاسيما الحبوب
والببيعات ، واستخدام وسائله الخاصة في منع تخزين الأقوات ، بضرب
جماعة بالسوط ، وشهرهم ، وأمر الاياع القمح الا للطحانيين للقضاء
على الوسطاء ، كما كان يفاجئ مخازن الغلال والبيوت للبحث عن القمح
يفرقه على الطحانيين بالسعر الرسمي . (١) .

ولأهمية الحسبة ومراقبه الأسواق ، كان الحاكم يقوم بنفسه بمهام
المحتسب ، فيدور في الأسواق مهتطيا حماره ، وتذكر المصادر السنية
أن من وجده قد غش في معيشة ، أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود
أن يفعل به الفاحشة العظمى (٢) . ورجع اهتمام الخليفة بالحسبة إلى

(١) د . ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٦٤ . وتقوية التعزير عقوبة إسلامية
تشمل حقوق الله على الناس ودائرة حقوق البشر بعضهم على بعض
شاخت وموزورث : تراث الاسلام - ترجمة د . حسين مؤنس وإحسان صدقي
أحمد - عالم المعرفة الكويت ديسمبر ١٩٧٨ القسم الثالث ص ٢٢ .

(٢) السيوطي : بحسن المخاضره ج ٢ ص ٢١٣ أبو الفدا : البداية والنهاية
ج ١٢ ص ٩٠ .

أنه اعتبرها في عموم واجبات الإمام ، بناءً على ما نقل عن علي بن ابي طالب من قول النبي صلى الله عليه وسلم له " يا علي مر بالمعروف ، وانه عن المنكر " (١) . ولذا نجد عهدنا ولي حسة القاهرة ومصر والجيزة لقائد القواد ومتولى الشرطتين (القاهرة ومصر) المعروفين (٢) عام ١٢/هـ ٤٠٢م يشدد في سجل التعيين على ضرورة مراعاة واجبات وظيفته . (٣) . ويدو ان الحاكم اعتبر غينا مسئولا عن ارتفاع الأسعار وتكالب الناس على الخبز عام ٤٠٣/هـ ١٢/م (٤) ، طالما كان ذلك يدخل ضمن واجبات المختسب فعزله من منصبه في نفس العام وأمر بقطع احدى يديه ، وأغيبها بالآخرى ثم بلسانه حتى تفي . وظل ذلك بأن غين كان متورطا في خصومة الحاكم مع أخته ست الملك ، أو بأنه أخفى عن الحاكم بعض الشكاوى الموجهة بحق غين (٥) . ويدو الاحتمال الثاني أكثر ترجيحا ، حيث تم عزل غين

-
- (١) د . ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٨٩ - ٩٠ .
(٢) عرف غين ايضا بلقب استاذ الاستاذين انظرا : د . حسن الباشا : الفنسون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية - القاهرة ١٩٦٥ ج ١ ص ٦٣ .
(٣) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة - تاريخها . فنونها - آثارها - مؤسسه الاهرام - القاهرة ١٩٧٠ ص ٥٢١ .
(٤) المقرئى : انعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا - تحقيق - د . محمد حلمى محمد احمد - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية - القاهرة ١٩٧٠ - ج ٢ ص ٩٣ ، الخطط ج ٢ ص ٨٧ .
(٥) د . حسن الباشا : المرجع السابق ص ٥٢٢ .

وعقبه اثناء ارتفاع الأسعار ، ومحتمل ان تكون الشكاوى قد مست واجباته
كمحتسب .

ولم يخل سجل أعمال الحاكم بأمر الله من جهود حثيثة لتفادي
اخطار الأوسمة ، التي كانت عادة ما تصحب المجاعات ، فلاجل الحفاظ
على الثروة الحيوانية ، التي كانت تحتاحها الأوسمة أيضا ، امر بمنع ذبيح
الأبقار السليمة من العاهه الا في أيام الأعياد حتى لا تنقرض وهو اجراء
لجا اليه ابنه الظاهر فيما بعد (١) . كما كان يصدر أوامره بمنع
أكل أوبيع بعض المأكولات ، التي ربما يترتب على أكلها مضار صحيّة
وأمرض في عصره ، مثل الملوخيا والجرجير والقرع والمتوكلية ، وهي نبات للحساء
والدليس ، وهو نوع من الصدف يؤكل نيئا وسلحا ، والترمس العفن ، وأمر
كذلك بقتل الخنازير ومنع عجين الدقيق بالأقدام وكان يعزر المخالفين
لذلك (٢) .

أما مجاعات عهد الحاكم ، فقد بدأت بمجاعة في العام التالي لتوليّه
الخلافة هام ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م وكانا كان على موعد مع الأقدار ، وكان
الذى يتولى تدبير الدولة في هذه السنة (٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م) ، أمين الدولة
ابى محمد الحسن بن عمار . وسبب هذه المجاعة قصور النيل ، حسب رأي
المقريزى ، الذى بلغت زيادته ١٦ ذراعا واصابع ، فارتفعت الأسعار ، واختفى

(١) د . ساجد : الحاكم بأمر الله . ص ٦٤ .

(٢) المرجع نفسه . ص ٩١ .

القمح ، واضطرب جبل الأمن ، وخطفت النساء من الطرق ، ووصل سمير
الخبز إلى أربعة أرطال بدرهم ، ثم انخفضت الأسعار بعد ذلك (١) ،
وإذا ما وضعنا في الاعتبار حدود وفاء النيل في العصر الفاطمي
فاننا نلاحظ أن هذا الحد من الزيادة (١٦ ذراعا و ٧ أصابع) لم يكن
يعنى القحط ، وربما تكون زيادة النيل قد تأخرت بعض الوقت ، فأدى
ذلك إلى ارتفاع الأسعار واحتكار الغلال ، خاصة وأن حالة من الفوضى
والاضطراب كانت تعم البلاد لتصارع المشاركة والمغاربة على السلطة
في بداية خلافه الحاكم .

في عام ٣٩٥ هـ / ٤ - ١٠٠٥ م ، انتشر الماء في البلاد ، وحتى
بين الماشية التي أمر الحاكم بمنع ذبح السليم منها إلا في عيد الأضحى
كما حدث على قتل جميع الكلاب حتى خلت منها الطرق (٢) ، ويدور

(١) المقرئ : اغاثة الأمه - ص ١٣ - وذكر ابن اياس (ج ١ ص ٥٥) ان الناس
اجتمعوا تحت قصر الزمرد واستغاثوا بالحاكم فقال انه متوجه إلى جامع راعد
في طريق عودته يريد أن تملأ الغلال الأرض ولاهرب عطف من يجد منها
شيئا عده ٠٠ الخ وهذه الحوادث يذكرها المقرئ في عام ٣٩٩ هـ ، وهذا
أقرب للصحة حيث ان الحاكم في عام ٣٨٢ هـ كان في الثانية عشر من العمر ،
ولم يكن له شأن في تسيير أمور الدولة .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر - ص ٢٢٨ . ويدوانه كانت
هناك حالة من الجفاف تعم منطقته حوض المتوسط فقد شهدت أفريقيا
في نفس هذه السنة غلاء شديدا وماء أودى بحياه الكثيرين : أبو الفدا - البداية
والنهاية ج ١١ ص ٣٣٥ ، ابن الاثير - الكامل - ج ٧ ص ٢٢٧ .

انما كانت تنقل العدوى . وفي اطار مقاومة الماء منع اكل الدليس ومنع
السماكين من صيده وهدد من يخالف ذلك بالقتل . (١)

ويظهر ان الحاكم تخوف من حدوث مجاعة في ظل انتشار المصا ،
خاصة وان النيل وصل في نيادته في هذا العام إلى ١٦ ذ راعا
و ٣ أصابع مما يعنى عدم زراعة بعض الأراضى ، فأشاع جوا من الرهبة
بين الناس ، وخاصة بين الكتاب ، وأصحاب الدواوين ، عندما عمل
شونة ملئت بالبوص والسنت والحلفا ، حتى قويت الشائعات بأن الحاكم
أعدها للكتاب وأصحاب الدواوين ، فاجتمعوا مشرعين فأعطاهم أمانا ،
وتلى ذلك أمانات لطوائف الجند والعبيد ، ثم التمس أهل الأسواق
على طبقاتهم كتب أمان فكثبت لهم . (٢) ورغم ذلك فان الحاكم قتل
جماعة من الأعيان . (٣)

وينبغى أن يضاف إلى الحساب ، ان ثورة أبى ركوه التى بدأت
في بركة ، بالاستيلاء على بعض أملاكها في جمادى الآخرة سنة

(١) د . حسن ابراهيم حسن : السقاطميون في مصر ص ٢٢١ .
(٢) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من أخبار مصر ص ٢٠ - ٢١ .
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢ ، الذهبى : تاريخ الاسلام
مجلد ١٦ ص ١٣٠ .

٣٩٥هـ / ١٠٠٥م^(١) ، أى فى نفس الوقت الذى أعطيت فيه هــهـهـه
الأمانات تقريبا ، فكان لابد من اتخاذ هذه الاجراءات حتى لا تسـهـول
لأحد نفسه أن يستغل هذه المالبسات مجتمعة ، ومع ذلك فقـهـهـهـه
ارتفعت الأسعار عندما تحرك أبوركوة نحو مصر ، وهدد الاسكندريـهـهـه
ثم أعمل السلب والنهب فى ريف مصر ، متعاوناً فى ذلك مع الأعراب الذين
دأبوا على الإغارة على سكان الدلتا ، متبردين بذلك على السلطة المركزية
التي أبوا أن ينضوا تحت لوائها بشكل مطلق . (٢)

ومنع النظر عن بعض الانتصارات الجزئية التي حققها أبوركوة
فقد نجح الحاكم فى نهاية الجولة فى أن يقضى على أبى ركة وأسرره
وشهر به فى القاهرة ، وإن كان قد أنظر خلال الاعداد للحرب إلى التخلي
عن تشده فى أعمال الحسبة ، فأقبل المصريون على الانضمام لجيشهـهـه
خاصة بعد أن عاينوا التخريب الذى أحدثته جيوش أبى ركة ، ووضعوا
أموالهم كلها تحت تصرف الخليفة بل وتوقفت الأسعار عن الزيادة كدليل
على صدق معاونه المصريين للحاكم . (٣)

بيد أن تصاريف القدر شاعت أن ينخفض النيل فى العام التالى
٣٩٧هـ / ٦ - ١٠٠٧م ، لتشهد البلاد مجاعة خطيرة ، وطولة نسبيا .

-
- (١) د . ماجد ظهور خلافة الفاطميين - ص ٢٤٧ وذكر ابن الجوزى أن ثورة أبى
ركه كانت فى عام ٣٩٧هـ - المنتظم ج ٧ ص ٢٣٣ وكذلك ابن العماد الحنبلى :
شذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٨ .
(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ٨٣ .
(٣) د . ماجد : الحاكم بأمر الله - ص ١٦ .

وانا كانت المصادر التاريخية ترجع سبب هذه المجاعة إلى انخفاض الفيضان ،
فإن الاضطراب يسود تحديد مقدار هذا الانخفاض .

البداية كانت بتوقف زيادة النيل فصلى الناس صلات الاستسقاء
مرتين ، يبدو ان ذلك كان والنيل عند الذراع الثالثة عشر وأصابع (١) ،
ثم كسر الخليج بعد ذلك والنيل عند الذراع الخامسة عشر (٢) وعدها
زاد النيل حتى وصل إلى ستة عشر أصبعا من ١٧ ذراعا ثم نقص بعد
ذلك (٣) . ليصل إلى ١٤ ذراعا و ١٦ أصبعا طبقا لأبى المحامد وابن
أبيك ، وهو حد في زيادة النيل يعنى المجاعة ، كما سبق التنويه آنفا ،
وقد صاحب هذه المجاعة ماء أودى بحياة الكثير من السكان (٤) .

وكان من الطبيعى ان ترتفع الأسعار ، فأصدرت الأوامر لمسحور
المقلبي متولى الستر بالنظر في أمر الأسعار ، فجمع خزنة الغلال
والطحانين والخبازين ، وقبض على مالبا الساحل من غلال وأمر أن لا تباع إلا
للطحانين لمنع الوسطاء والسماسرة . وتم تسعير القمح ، كل تليس بدينار
الاقيراط والشعير عشرونيات بدينار ، وللحطب عشر حملات بدينار ، وسعر

(١) المقرئى : أغاثه الامه ص ١٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦ .

(٣) المقرئى : الخطط - ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

سائر الحبوب والبيعات وهاجم عدة مخازن وفرق مايبها على الطحانين وضرب جماعة بالسوط وشهرهم ، فتوافر الخبز في الأسواق وهدأت الناس . (١)

الا أن استمرار انخفاض النيل أدى إلى ارتفاع الأسعار مرة أخرى فبلغ القمح كل تليس أربعة دنانير ، والارز كل صيه دينار ، ولحم البقر رطل نصف بدرهم ولحم الضأن رطل بدرهم ، والبصل عشرة أرتال بدرهم ، والجبن ثمانى أواق بدرهم ، وزيت الأكل ثمانى أواق بدرهم ، وزيت القود رطل بدرهم وبيع الخبز كل ثلاثة أرتال بدرهم (٢) . فاعيد على أثر ذلك تسعير الكثير من السلع ، فسعر الخبز كل اثنى عشر رطلا بدرهم ، ولحم رطلين بدرهم ، وتمت معاقبة من يخالف ذلك بالجلد ، فسكنت الأحوال (٣) . حيث أن العقاب لم يكن ينزل فقط بمن يخالف الأسعار ، فقد ضرب عدة من الطحانين والخبازين وشهروا لأجل ازدحام الناس على الخبز ، مما يشير إلى شبهة التباطؤ في أداء العمل ، فأصبح الخبز لايباع الا بملولا . (٤)

وزاد في الطنير نعمة ، استمرار توقف الزيادة في فيضان النيل عام ٣٩٨ هـ / ٧ - ١٠٠٨ م حتى أن الناس استسقوا مرتين ، وفتح الخليج

(١) القريزى : اغاثه الأمة ص ١٥ - ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦ .

(٣) القريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) القريزى : اغاثه الأمة ص ١٥ ويلاحظ أنه في هذه السنة نهى عن سب الصحابة ولعل ذلك لاستمالة رعاياه السننيين ؛ أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان - وفيات الأيمان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد - النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨ ج ٤ ص ٣٧٩ .

والماء على خمسة^{عشر} ذراعا فاشتد الغلاء . ثم بدأ نقص النيل بعد فتح
الخليج بأيام ، فاشتدت المسغبة ، وبيع الخبز مبلولا ، وضرب جماعــــة
من الخيازين وشهروا التعذر وجود الخبز بالعشايا ، وبلغ الغلاء ذروتــــه
في ربيع الآخر . (٢) وعندما توقفت زيادة النيل عند ١٤ ذراعا وأصابــــع
اشتدت الأزمة ولحق بالناس كل الضرر . وكشفت الكارثة عن ساق بانتشار
الأومئــــه ، فاختلفت الأدوية ، وضمن اجراءات الوقاية الطبية ، "شهر
جماعة من الناس وجد عندهم فقاع وبلوغيه ودلنيس وضربا" . (٣) ولأجل
مواجهة النيل المنهر من ارتفاع الأسعار ، وزيادة الاحتكار ، أــــمــــر
الحاكم بالآلا يخزن أحد من المؤن أكثر من حاجته ، وحدد أســــعار
القمح والمواد الغذائية ، وجعل عقوبة من يخالف ذلك القتل . (٤)

ولاعتقاد الحاكم ، وكذلك بقيه المسلمين ، أن سبب توقف النيل
هو ما يقوم به العباد من إظهار المنكرات التي نهى الله عنها مثل
السكر واللغو ، فقد منع الحاكم الناس من التظاهر بالغناء ، ومن ركوب

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧١ .

(٣) المقرئى : اغاثه الامه ص ١٦ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٥) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر - دار الفكــــر

العربى - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٩٣ .

النيل للتفرج ، ومنع بيع المسكرات ، وفرض ما يشبه حظر التجول من بعد
العشاء وحتى الفجر . (١)

وحل موعد احتفال الأقباط بعيد الشعانين^(٢) ، والغلاء على أشده ،
فمنع النصارى من تزيين كنائسهم ، كما جرت عادتهم ، وقبض على جماعة
منهم في شهر رجب يبدو أنهم حاولوا مخالفه نواهييه ، وأمر باحضار
ما هو معلق على الكنائس وأثاثه في ديوان الخليفة ، وكتب بذلك إلى كل
الولاية ، وأحرقت صلبان كثيرة على باب الجامع في الشرطه^(٣) . (لعلها شرطه
الفسطاط) .

وقد آتت الاجراءات السابقة ثمارها فخفضت حدة ارتفاع الأسعار بعض
الشيء في شهر رجب . (٤) . يبدو أن عدد الوفيات كان كبيرا خـلال
الأعوام ٣٩٥هـ - ٣٩٨هـ ، سواء من مات منهم بالماء ، أو قتل لمخالفه
أوامر الحاكم ، الأمر الذي دفعه إلى إستحداث ديوان جديد يقال لـه
الديوان المفرد ، ومهمته "الاستحوان" على من يقبض ماله من المقتولين وغيرهم

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٨٧ ، د . حسن ابراهيم : الفاطميون في مصر
ص ٢٢٨ ، الذهبي (شمس الدين) . تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير
والأعلام - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٢ تاريخ مجلد ١٦ ص ١٤٧ .

(٢) وهو عيد الزيتون وعرف بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ، ويكون في سابع
أحد من صوم المسيحيين ، وجرت العادة بأن يخرجوا سفوف النخل مسنن
الكنيسة يومها ويرون أنه يوم ركوب المسيح الحمار في القدس ودخوله إلى
صهيون وهو راكب والناس بين يديه وسبحون وهو يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر - المقرئى الخطط ج ١ ص ٢٦٤ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧١ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

من المصادرين" . (١)

وعندما كسر الخليج في العام التالي وكان مقدار الماء فيه ،
١٥ ذراعا ، (٢) ، تخوف الناس من استمرار الحالة التي يكابدونها
منذ عامين ، فتظاهروا في شارع بين القصرين ، واستغاثوا بالحاكم
الايهمل أمرهم .

وكان الخليفة عند حسن ظن رعاياه به ، فركب حماره وخرج
من باب البحر وقف وقال " أنا ماض إلى جامع راشدة . فأقسم بالله
أن عدت فوجدت في الطريق مؤثقا يطوئ حماري ، مكشوا من الغلظة
لأضربن رقبة كل من يقال لي أن عنده شيئا منها ولا تحرقن داره وأنهبين
ماله " وتوجه إلى الجهة التي حددها ، وتأخر حتى آخر النهار ، ليعطى
فرصة كافية يحمل الناس خلالها غلالهم إلى الطريق . ولشدة حركته
النقل بلغت أجره الحمار في حمل النقلة الواحدة دينارا . فلما امتلأت
الطرق بالغلal ، أمتلات عيون الناس . وساعد ذلك الحاكم على أن يصدر
أوامره بتقدير ما يحتاج إليه في كل يوم وفرضه على تجار الغلات بالنسيئة
خيرهم بين أن يبيعوا بالسعر الذي يقرره ، بما في ذلك من فائدة محتملة ،
وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم ، ولا يمكنهم من بيع شيء منها .

(١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) ذكر المقرئ أنه أشيع بلوغ النيل الذراع السادسة عشر وخلع على ابن الرداد
ثم نقص منذ ١٩ توت (اتعاظ ج ٢ ص ٧٦) .

إلى دخول الغلة الجديدة ، فاستجابوا له وانخفضت الأسعار . (١)
من هذه الرواية يستفاد أنه رغم نقص النيل في العام السابق ،
إلا أن بعض الأراضي كانت قد زرعت وأنه لولا الاحتكار التجارى والتخوف
من استمرار المجاعة ، لكانت الغلال تكفى حاجات السكان ، وتدل عبارة
" الغلة الجديدة " على أن زيادة النيل قد سمحت برى بعض الأراضي ،
والا لما كان هناك مجال للحديث عن " الغلة الجديدة " .

وقد وضعت هذه المجاعة أوزارها في شهر شعبان ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م
حينما " تراخت الأسعار " على حد تعبير المقرئى . (٢)

وان لائن
وشهدت خلافه الحاكم بعد ذلك أحداثا شبيهة بما حدث بأقل
شأنا وخطورة ، ففي سنة ٤٠٢ هـ / ١١ - ١٠١٢ م ارتفعت الأسعار ، مـ
أنظر الحاكم في رجب من هذه السنة إلى " قطع الرسم الجارى من الخبز
والحلى الذى كان يقام في شهور رجب وشعبان ومضان ، لمن يبيت بجامع
القاهرة من ليلة النصف من رجب " (٣) ، ولعل سبب ذلك عدم زراعة بعض
الأراضي حيث بلغ النيل ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع (الملحق ١) وقـ
عساو الحاكم في هذه السنة إتخاذ بعض الاجراءات التى تحول دون مخالفة
تعاليم الدين الاسلامى فنهى عن بيع الزبيب وأحرقه ومنع وصوله إلى مصر
وأراق ما كان في المخازن من جوار العسل وأمر النصارى واليهود بلبس

(١) المقرئى : أغاثه الامه ص ١٦ - ١٧ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة - ص ٣ .

الغيار والتبيز عن المسلمين وأُفرد لهم اياما خاصة في الحمامات (١).

وفي عام ٤٠٣ هـ / ١٢ - ١٠١٣ م ، ارتفعت الأسعار وازدحم الناس على الخبز ففرق الحاكم مالا على الفقراء (٢) . وربما كان ذلك مـمن جـاء انخفاض النيل في العام السابق لانه بلغ في هذا العام ١٧ ذراعا و ١٢ أصبعا .

ويذكر القريرى ان مجاعة قد وقعت عام ٤٠٦ هـ / ١٥ - ١٠١٦ م ، وان كانت قد جاءت بعكس سابقتها إذ ارتفع الفيضان في هذه السنة إلى ثلاثة أصابع من إحدى وعشرين ذراعا ، فُغرق المقياس وامتلاك كل مكان من المدينة وبلغ الماء إلى نصف النخل مما يلى بركة الجيش ، ولم يبق طريق يسلك إلى القاهرة الا من الشارع والصحراء ، وادى ذلك إلى غرق الضياع والبساتين (٢) .

الا أن قوائم النيل تخلو من ذكر لهذه الزيادة التى انتفقت المصادر التاريخية على أنها كانت ١٦ ذراعا وأصابع فان كان هناك ثمه مجاعة في هذه السنة فيكون سببها القصور النسبى لماء الفيضان .

أما ختام هذه السلسلة من مجاعات عهد الحاكم بأمر الله فكانه في سنة ٤١٠ هـ / ١٩ - ١٠٢٠ م ، حيث أشتد ارتفاع الأسعار حتى وصل

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان - ج ٤ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام - مجلد ١٦ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) القريرى : اتعاظ ج ٢ ص ٩٣ ، الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) القريرى : اتعاظ ج ٢ ص ١١٢ .

سعر رطل الدقيق درهما ، وبيع اللحم أربع أواق بدرهم ومات كثير من الناس بالجوع وبلغ عدد من مات في شهر رمضان وشوال وذى القعدة مائتي ألف وسبعين ألفا سوى الغريباء وهم أكثر من ذلك . (١)

ومن خلال استقراء قوائم الفيضان يمكن القول بأن سبب هذه المجاعة الأخيرة ، هو ارتفاع فيضان النيل إلى حد اغراق الأراضي الزراعية (١٩ ذراعا و ٨ أصابع) ، ويكون ما أوردته المقرئى بشأن المجاعة التى حدثت عام ٤٠٦ هـ منطبقا على هذه السنة ، ويرجح أن يكون المقرئى قد خلط بين أحداث السنتين ، ومؤكد ترجيحنا لهذا الاحتمال أن سنة ٤٠٦ هـ بلغ النيل فيها حسب أبى المحاسن ١٦ ذراعا وأصبعين وحسب ابن أبيبك ١٦ ذراعا و ٩ أصابع ، وهو حد يعنى عدم زراعة بعض الأراضي ، وذلك فى ضوء أن المقرئى الذى انفرد بذكر مجاعة ٤١٠ هـ ، لم يوضح سببها .

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١١٥ .

أما الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم ، فعلى الرغم من قصر مدة خلافته (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) إلا أن البلاد شهدت في عهده مجاعة مخيفه امتدت عامين (٤١٤ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٥ م)^(١)

وجملة الأحداث والملايسات التى وقعت خلال هذين العامين—تثبت بشكل قاطع أهمية الدور الذى تلعبه الادارة المركزية ، فى الحسد من مخاطر نقص الفيضان ، خاصة اذا ما قورنت بما وقع أيام الحاكم بأمر الله.

فلقد كان الظاهر ، خلاقا لأبيه ، ضعيف الشخصية ، مسلوب الارادة مع رجال الدولة الذين تركزت فى أيديهم سلطات ادارة البلاد حتى أصبح لا يدخل عليه سوى ثلاثة منهم (الشيخ نجيب الدولة الجرجرائى ، والشيخ العميد محسن بن بدوس ، والقائد معضاد) وخرجون ليسيروا أمور الدولة بينما انهمك الظاهر فى لذاته .^(٢) فقد اشتهر بشغفه باللهو وحب الغناء ، وشراء الممالك ، كما اتخذ خزانة للبندو يعمل به—ثلاثا لاف صانع ، واستكثر من شراء المجوهرات ، وأصبح الترف سمة لعصره ، إذ حاكمه كبار رجال الدولة ومياسير القوم ، الذين تأنقوا واتخذوا المغنيات والرائصات .^(٣)

(١) Lewis (B.) and others: The Cambridge History of Islam . London- 1970 -Vol.I. P.1880

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٥

ويدو الأمر كما لو كان الظاهر قد أتى ليجنى فقط ثمار جهاد
أسلامه في إقامه أول خلافة شيعيه ، غير مدفوع بهذه الروح الدينيـــــــــــــــــه
التي أشبع بها الخلفاء الاول ، والتي دفعتهم إلى الحذب والسهر على
راحه رعاياهم .

ومدائه ، فانه يمكن إجمال أسباب هذه المجاعة في :-

١- ضعف سلطة الخليفة ، رأس الدولة المركزية ، ومداية ظهور رجــــــــــــــــال
الدولة الأقوياء كأنداد للخليفة ، يشاركونه سلطته الزمنية .

كما أن الظاهر أهمل واجباته ، كمثل للسلطة المركزية ، فلم يهتم
بتوفير الغذاء للناس ، بل في أوج الأزمة قام بالاستيلاء على ما ورد إلى
ساحل مصر من مراكب ملوثة قمحا ، ورسم بتسليمها لقصر الخلفـــــــــــــــــه
وآدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار (١) . ومن المفارقات التاريخية أن الظاهر
نزل إلى القاهرة في نصف ذي القعدة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م ، والغـــــــــــــــــلا
على أشده " وشق البلد بدلالين وخلفه الخدم المقودون والمصطنعـــــــــــــــــه
وين يديه الرقاصون " (٢) ، وفي حين أن الحاكم أبطل مظاهر
اللهو والاحتفالات بواعز ديني كما أسلفنا . ولم يترك أفراد الشعب
المصري هذه المناسبة دون أن يتدبروا بسلوك الخليفة ، مذكرين إياـــــــــــــــــه

(١) المسيحي ، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن احمد : أخبار
مصر - تحقيق أيمن فؤاد السيد ، وتيارى بيانكى - المعهد العلمــــــــــــــــى
الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٧٧ - ج ١ ص ٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٣ .

بما فعله أبوه ، فاعترضوا مسيرة الخليفة في تظاهرة ضخمة وهم يهتفون
”الجوع يا أمير المؤمنين • الجوع • لم يصنع بنا هكذا أبوك ولا جدك فالله
الله في أمرنا •“ (١)

٢- أدى ضعف الخليفة إلى تضخم دور رجال الدولة الذين مارسوا
تجارة الغلال بغيه الربح ، ثم تمادوا في ذلك إلى حد احتكار
الغلال والتحكم في أسعار البيع • وبدل على ذلك نصان ، وردا لدى
المسيحي ، أولهما في حوادث رجب ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ويتعلق ” بفتح
مخازن لجماعة من رجال الدولة “ لتغرق غلاتها على الناس بسعر
منخفض • (٢) والثاني في حوادث ذي القعدة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م ويشير
إلى فتح مخزن لرجل يدعى مسعود ، غلام الشيخ نجيب الدولة أبي القاسم
الجرجرائي ، وبيع القمح الذي فيه بثلاثة دنائير التليس فتزاحم الناس
عليه • (٣) رغم أن هذا السعر لا يبعد كثيرا عن سعر البيع في ذي
الحجة (أربعة دنائير وثلاث للتليس) وهو سعر أصاب الناس بمسغبة
على حد تعبير المسيحي نفسه • ولقد لعب الاحتكار دورا بارزا في اشتداد
هذه المجاعة وخاصة في عام ٤١٥ هـ بعد أن بلغ النيل حدا يمكن

(١) المقرئ : الخططج ١ ص ٣٥٤

(٢) المسيحي : أخبار مصرج ٤٠ ص ١٥ ، المقرئ : اتعاظ الحنفاج ١٣٥ ص

(٣) المسيحي : أخبار مصرج ٤٠ ص ٧٤

(٤) المصدر نفسه ص ٨٦

معه زراعة بعض الأراضى ودرء خطر الجوع ، ولم تقتصر الممارسات الاحتكارية والتلاعب بالأسعار ، على رجال الدولة وظلمتهم ، فقد كان هناك أيضاً — مخالفات من جانب الخيازين والطحانيين وتجار الغلال الذين عذروا — من قبل المحتسب .

٣- خطر الغزو الخارجى ، الذى لاح على حدود مصر الشرقية من قبل حسان بن مفرج بن جراح الطائى عام ٤١٥ هـ / ٢٤-١٠٢٥ م ، مما أدى إلى زيادة الأسعار بعد انخفاضها .

٤- نقص زيادة النيل عام ٤١٤ هـ إلى ١٤ ذراعا و ١٤ أصبعا ، وهو حد يعنى المجاعة ، وإن كان النيل فى العام التالى قد وصل إلى ١٦ ذراعاً و ٨ أصابع .

وتبدأ أحداث هذه المجاعة فى الثلاثه أيام الاخير من جمادى الآخر عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م بنقصان ماء النيل بعد أن أنفى ، فلم تـروى لذلك الضياع ، وكثير من الأراضى ، فكثر ضجيج الناس واستغاثتهم إلى الله ، وخرج أكثر السكان من الرجال والأطفال ومعهم المصاحف المنشورة إلى جبل المقطم يستغيثون بالله تعالى فلم يغاثوا^(١) .

وكان أول رد فعل — على — هو احجام التجار عن بيع الغلال فوصل سعر تليس القمح إلى دينار ثم اختفى القمح كلية وأصبح يباع سراً بدينارين للتليس ، ووصل سعر حمة الدقيق إلى دينارين وربع ، والخبز

(١) المسبحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ١٢ ، المقرئى : اتعاظ الخفاج ١٣٤٢هـ ص ١٣

أربعة أرطال بدرهم وثمان مع ندرة وجوده في الأسواق ، ومع التبعيد
يعشرين درهما الحمل . (١)

في محاولة للقضاء على ارتفاع الأسعار غزل ابن عزه متولياً
الحسبة ، وعرضت الحسبة في رجب ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م على العميدى الذى
كان قد غزل من تولى الترتيب ، فأبى أن يصير محتسباً بعد أن كان
جليس أمير المؤمنين وصاحب خريطه ، فتم تعيين دواس بن يعقوب
الكتامى ، محتسباً على الأسواق والسواحل ، وخلع عليه بثوب مثقيل
وعامة ، ونزل إلى القاهرة في موكب عظيم ، حتى انتهى إلى مجلس
الحسبة ، فأحضر هناك الخبازين وتجار الدقيق وضرب بعضهم وشهرهم
فارتدع الناس ، وانخفضت الأسعار وظهرت الغلال في الأسواق . (٢)

(١) المسبحى : المصدر السابق ص ١٢-١٣ ذكر المقرئى في اتعاظ الخنفا
(ج ٢ - ص ١٣) الأسعار نفسها عدا أنه ذكر أن ثمن الحمل الدقيق
يعشرين درهم " وهو ما اثار استغراب المحقق (هامش (١) نفس الصفحة)
حيث أنه بذلك ، يكون ثلث القمح - وهو ما يوازى نصف حمة الدقيق وزناً
بدينارين وربع بينما تكون حمة الدقيق بدينارين وربع دينار حيث أن الرطل
المصرى يساوى ما ثلثة وأربعة وأربعين درهماً وثلث مائة وخمسون رطلاً مصرياً
حسب ابن مائى . والواضح أن النسخة المحققة كان بها خطأ من الناسخ
أو يكون المقرئى - وهو أمر مستبعد - قد أخطأ عند نقله عن المسبحى -
الذى ورد فيه أن الحمل الذى يعشرين درهم كان من التبن ، وكلمة
ثن فهي تعنى ثمن درهم في " الخبز أربعة أرطال بدرهم وثمان " ولا تعنى
الثن أى السعر .

(٢) المسبحى : المصدر السابق ص ١٣-١٤ ، المقرئى : اتعاظ الخنفا
ج ٢ ص ١٣٥ .

ولأن هذه الاجراءات لم تمس احتكارات وغلالات رجال الدولة ،الذين مارسوا رفع الأسعار ولا شك ،فإن الأمور ما لبثت أن عادت إلى سيرتها الأولى ، فبعد أيام قليلة أُنقِذ الخبز ، وكثر الازدحام على دكاكين الخبز ، وكان غاية ما فعله المحتسب أن أمر ببيل الخبز في الماء في القصارى على أن يباع بسعر ثلاثة أرباط بدرهم . وصرف النظر عن أن هذا أول مرة يرد فيها هذا الإجراء ، فإن ذلك كان يعنى عمليا إقرارا لسعر أكثر ارتفاعا من الذى كان يباع به الخبز جافا (أربعة أرباط بدرهم وثمان) طالما كان بل الخبز يعنى زيادة وزنه ، أى أنه نوع من الغش التجارى المستتر والمقنن .

وهو أيضا تحجيك للتجار على بيع الخبز نظرا لارتفاع أرباحهم وبجماية المحتسب - فظهرت الأخياز في الأسواق بعد ذلك .

ولضمان استمرار وجود الخبز ، فُتحت مخازن لجماعة من رجال الدولة ، وأُطلق للناس من السواحل غلة كثيرة ، وقام المحتسب بضرب جماعة من الخبازين وشهرهم بسبب رفعهم الأسعار ، وضيّق على الطحّانين ،الذين كانوا فيما يبدو ، يقومون ببيع الدقيق للناس بسعر مرتفع بدلا من بيعه للمخابز التى تشتري الدقيق وتبيع الخبز بأسعار محددة ، حتى أنه ألزمهم بترك عملهم فى طحين الغلال وختم على مخازنهم ، فلوست طواحينهم وجعلهم خبازين . (١) .

(١) المسيحي : المصدر السابق ص ١٥-١٦ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٣٥

اهلت سنة ٤١٥ هـ والأزمة لا زالت قائمة ، وتضاربت الأقوال بشأن زيادة النيل في هذه السنة . فالمقريزى يذكر أن زيادة النيل جاءت ناقصة ، ولم ير النيل فيما تقدم من السنين أقل نقصانا منه في هذه السنة (١) . ثم يعود فيذكر أن ماء النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٨ أصابع (٢) . ويورد ابن أبيك وأبو المحاسن أن الزيادة كانت ١٦ ذراعا . وهذه الحدود كما أسلفنا لا تعنى المجاعة ، إلا أنها مع وجود مجاعة في العام السابق والعوامل السابق الإشارة إليها ، من الممكن أن تزداد الأمور سوءا ، وهذا ما كان . فبدأ ارتفاع الأسعار من شهر ربيع الآخر ، وخاصة سعر القمح الذى بلغ التليس منه ثلاثة دنانير ، "والشعير بيع أربع وريات بدينار ، وبيع الخبز رطلين ونصف بدرهم ، وبلغ سعر حمل تبين الدواب دينسارا وإن وجد ، وارتفعت أسعار كل ما يسوكل" (٣) .

وفي الشهر التالى ، واصلت الأسعار ارتفاعها ، لاستيلاء الدولة على ما ورد إلى القس من غلال لصالح مخازن القصر الفاطمى . (٤)

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٤٢ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .
 (٢) المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٧٢ ، وذكر المسبى أن النيل قد أوفى في هذه السنة وهو الأصح . انظر المسبى - المصدر السابق ج ٤٠ ص ٤٧ .

(٣) المسبى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٣٢ ، المقريزى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٤٢ .
 (٤) المسبى : المصدر السابق ص ٣٩ ، المقريزى : نفس المصدر ج ٢ ص ١٤٤ .

ويظهر ان الأحوال بلغت حدا لا يصح السكوت عليه ، تشكك معه الخليفة في كفاءة وربما أمانة ، المحتسب ، دواس بن يعقوب ، فتم عزله في ٤ رجب ٤١٥ هـ ، ليحل بقی الخادم الاسود غلام بدر الدولة نافذ مكانه ، إضافة إلى تولية الشرطتين (القاهرة والفسطاط) .

وحاول المحتسب من أول يوم أن يضع حدا لتدهور الأحوال فنزل إلى الفسطاط ، ونظر في الحسبة وأمر أن يباع الخبز الخشكار خمسة أرطال بدرهم والحواري أربعة أرطال بدرهم . (١)

على أن أصحاب الطواحين وحوانيت الخبز ، الذين استساغوا تساهل ابن يعقوب ، لم يرتضوا هذه الأسعار ، وامتنعوا عن فتح الطواحين والحوانيت طوال اليوم التالي (٥ رجب) فلم يجد الناس خبزا ولا دقيقا . ومن ثم اضطر الخليفة إلى عزل بقی من الحسبة يوم ٦ رجب وأعادة دواس إليها . فأمر المحتسب العائد بأن يباع الخبز الذي يباع في الأفران خمسة أرطال بدرهم ، ولعله يقصد بذلك الخبز الخشكار وهو نفس السعر الذي قرره المحتسب المعزول ، على أن تباع بقية الأنواع الأخرى من الخبز بدون تسعير ، وهو كما نرى " حل وسط " يضمن توفير ما يسد به

(١) المسيحي : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٤٧ - ٤٨ . والخشكار هو الدقيق الذي لم يستقص طحنه ، ولا نخله والخبز الخشكار هو المصنوع بدقيق القمح والردة ، والحواري هو الدقيق الأبيض والخبز الحواري هو المصنوع من الدقيق الأبيض - (انظر - المسيحي هامش ٤٦٣ ص ٨٤) .

رقى الناس من الخبز الرديء ، وفى نفس الوقت يضمن زيادة مكاسب التجار فيما سواه من الأنواع الجيدة ، والفعل ظهر الخبز فى الأسواق ويبيع الخبز السميد رطلين ونصف بدرهم ، ومادون هذا النوع ثلاثة أرطال بدرهم . (١)

وإذا ما أردنا ترتيب حوادث هذه الأيام الثلاثة من شهر رجب ، على نحو فيه بعض من الرويه التأمريه للتاريخ ، فانه يمكن القول بأن دواس بن يعقوب كان متفعما — إن لم يكن متواطئا — لموقف محتكرى وتجار الغلال من رجال الدولة ، الذين تعاونوا مع بقية تجار الغلال والطحانيين والخبازين على احباط اجراءات المحتسب النهى عنه الخليفة (بقي الأسود) وظهره بموقف العاجز ، ليعود دواس بايعاز من كبار رجال الدولة المسيطرين على الخليفة ، وكان لهم ما أرادوا ، ولا شك أن اجراءات هذا المحتسب والأسعار التى كان يقررها ، كانت كلها فى صالح التجار والمحتكرين قبل أى فئه اخرى .

ولذلك ، فقد كان من الطبيعى أن لا يدوم وجود الخبز فى الأسواق الا أياما معدودات ، وإن عادت الأسعار إلى الارتفاع وخاصة ثمن القمح

(١) المسيحى : أخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٨ — وذكر المحققان (هامش ٥) ان السميد هو الحوارى وربما يكون السميد نوع أفضل من الحوارى .

والدقيق والخبز واضطربت الأحوال لذلك في نفس هذا الشهر. (١) وساعد على ذلك أنه سرت في البلاد قناعة مؤداها ان حسان بن جراح الذي خرج على الخلافة في الشام بعث بخمسمائه فارس إلى العريش ، لم يعرف مقصدهم ، فخاف الناس أن يدخلوا عن طريق القرافة فانتقل سكانها إلى القسطنطين وكذلك فعل أهالي بلبيس ، وازاء ارتفاع الأسعار واضطراب الأحوال اضطرت السلطات إلى إعادة أهل القرافة اليهم حتى تسكن الحالة. (٢)

استمر ارتفاع الأسعار حتى شهر شوال فبلغ سعر تليس القمح دينارين ثم ثلاثة دنانير غير ثمن التليس (العبوة) ، وتليس الشعير ديناراً واحداً ثم الست ويات بدينار ، والخبز رطلين بدرهم ، والدقيق رطلين ونصف بدرهم واللحم الرطل بثلاثة دراهم مع تعذر وجود اللحوم سوا من الدواجن أو الحيوانات. (٣) ومظهر أن ماء اقد أصاب الحيوانات والدواجن مما أدى إلى ارتفاع أسعارها حتى وصل ثمن رأس البقر إلى خمسين ديناراً (٤) ، الأمر الذي اضطر الظاهر إلى إصدار أوامره بعدم ذبح شيء من الأبقار السليمة وهدد من يفعل ذلك بالقتل

(١) المسبحي : المصدر السابق ص ٥٢ .

(٢) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣) المسبحي : أخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٧ ، ٦٩ ، المقرئزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

وذلك بغرض الحفاظ على الحيوانات التي تساعد في أعمال الزراعة
من حرث وري ونحو ذلك . (١)

وقد أثير تناقص أعداد الحيوانات على أسعار مياه الشرب التي كانت
تقوم بنقلها ، فبلغت رايه الماء البغل درهين والراوية الجمـل
ثلاثة دراهم . (٢)

ولم يكن الماء متفشيا فقط بين الحيوانات ، بل انتشر بين
الناس وازدادت حدته في شهر شوال فيما يبدو ، وذلك ما يفسر ارتفاع
أسعار ما يحتاج اليه المرضى ، حيث بلغ سعر الرمانة الواحدة ثلاثة
دراهم ، والبطيخه البرلس ثلاثين درهما ، والأوقيه الشراب درهما . (٣)

وكان انتشار الأُمه من الكثافة ، حتى أن الناس تشاغلوا
بها عن شراء ما كانوا اعتادوا عليه من الفواكه والحلوى في ليلة ميلاد
المسيح ، التي حلت يوم الخامس والعشرين من شوال ، حتى أنه لم
يخل منزل أحد من المرضى وأوجاع الدم والحلق . (٤)

وفيما عدا المأكولات والمشروبات على اختلاف أنواعها ، فقد
انخفضت قيمة ما يملكه الناس من متاع ، فطرح الثياب والأمتعه في الأسواق ،

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٤٩ .

(٢) المسيحي : المصدر السابق ص ٦٩ ، ٧٣ . المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) المسيحي : نفسه ص ٦٩ - المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٢ .

(٤) المسيحي : المصدر السابق ص ٦٩ .

ولم تجد من يشتريها بدرهم . (١) بل وانخفضت القوة الشرائية للعملة
«فيكون مع الرجل جملة من الدنانير فيطلب من يشبعه خبزاً فلا يجد» (٢)

ووسط هذا الخضم من المأس لم يجد الظاهر لا عازار دين الله
أى غضاظة فى أن يحتفل مع الناس بعيد الغطاس فى رابع ذى القعدة
وكان منتهى اهتمامه ان أمر بعدم اختلاط النصارى بالمسلمين . (٣) .

وخلال شهر ذى القعدة ، ازداد تعقد الموقف ، بعد أن نـمـا
إلى علم الناس ارسال حسان بن جراح /ألف فارس إلى الفرما ، ففـسـز
الناس منها إلى تنيس بالمراكب ، وأخذ الناس بمصر فى التحفظ على
أموالهم "وقد القمح والدقيق والخبز" (٤) . وقام المحتجب بمعاينة جماعة
من الخيازين لانه وجد موازينهم للأرطال ناقصة ، وصحبهم التى يزنون بها
الدراهم زائدة . (٥) .

واشتد الغلاء يوم الجمعة ١٣ ذى القعدة فبيع الخبز السمين
رطلين بدرهم وربع والخبز الخشكار رطلين بدرهم ، والحلة الدقيق بأربعة
دنانير ونصف وقيراطين ، والتليس القمح بثلاثة دنانير ، وبيع اللحم

(١) المسبى : المصدر السابق ص ٦٩ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٢ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥٤ ، اتعاظ الحنفا : ج ١ ص ١٦٦ .

(٥) المسبى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٢ .

أربع أواق بدرهم . (١)

فازدادت مسغبة الناس الذين كثر الموت بينهم لتفشى الوباء ،
وخاصه بين الفقراء والمساكين ، وبلغ الأمر بالناس ان جزارا طرح عظمة
لكلب فراه رجل شاب مستور متعفف فطرد الكلب وأخذ العظم منه ولم
يزل يمتصه نيا إلى أن نال من مصه بلغه فرماه من يده وذهب . ولم
يجد الفقراء ما يأكلونه ، فأطعموا اولادهم قضبان شجر القنبيط (وهو
أغظ أنواع الكرب) التى كان البقالون ينتزعونها من رؤوس الكرنج —
ويرمونها ، فيجمعها الفقراء ليقطنوا بها واليسير من كسب اللبس —
والسهم ، وارتفعت أيضا أسعار البقول . (٢)

وأخيرا ، شمر المحتسب دواس عن ساعد الجد ، فأحضر حمالسى
القمح وضربهم حتى أقروا بمخازن التجار وسماسرة الغلال ، التى يحملون
اليها الغلال ، وكتبوا له ١٥٠ مخزنا للقمح ، فوضع الطوايع عليها وهدد
بقطع يد من تسول له نفسه أخذ حبه قمح منها . (٣)

وتقتضى مجريات الامر أن يقوم المحتسب بالبيع من هذه المخازن
فى اليوم التالى - السبت ١٤ ذى القعدة - الا أن ذلك لم يحدث
لسبب لم تذكره المصادر التاريخيه . ولعله ان المحتسب أراد أن يعطى

(١) المسيحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٢ - ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ٧٤ - المقرئى : اتعاظ الخفاج ٢ ص ١٦٥ .

الفرصة كاملة لكبار رجال الدولة الذين يتجرون فى الغلال ، كى يبيعوا مخزونهم بأعلى سعر ممكن . وهذا ما حدث بالفعل ، فقد قام مسعود غلام الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى ، بفتح مخزن قمح له وباع منه بـ ٣٠٠ ثلاثة دنانير التليس ، فتراحم الناس عليه (١) .

المهم أن الخبز والدقيق لم يظهرها بالاسواق منذ يوم الجمعة وحتى يوم الاثنين ١٦ ذى القعدة ، ووصل سعر الدقيق ، أن وجد ، رطلا ونصف بدرهم والخبز الاسود رطلين بدرهم وربع (٢) . فثارت الرعيه وخرجوا الى الشوارع فى مظاهرات ضخمة واعترضوا ركب الخليفة الذى تقدمه الرقاصون والخدم فى النصف من ذى القعدة وهم يصيحون " الجوع - الجوع " ومطالبين الخليفة أن يهتم بأمرهم (٣) . بل وقام أحد المغاربه وهو أبو عبد الله محمد بن جيش بن الصمصامى الكتامى ويقال أنه كان مجنوناً ، بالوقوف تحت القصر ، وأخذ يسب الخليفة على أقب وجبه وبالغ فى ذلك فضربه الرقاصون حتى سقط وجروه برجله وسحبوه الى السجن ، حيث ضربة متولى الشرطه ثلاثين درة واعتقله (٤)

ولم تنقطع مظاهرات الناس فى الشوارع ، وظل هتافهم " الجوع " يشق الهوا ولا وجود لخبز أو دقيق فى الاسواق ، فتم استدعاء المحتسب دواس بن يعقوب الى القصر فى سادس عشر ذى القعدة ، وعنف وهدد ، واتهم بأنه فتن البلاد على الخليفة ، وتم تذكيره بأنه كتب بخطه تعهدا بتوفير القمح والخبز حتى ادراك الغلاء الجديدة () وهذا

(١) المسبحى : المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٢) نفسه ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٥ .

(٣) المسبحى : المصدر نفسه ص ٧٣ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

دليل جديد على وفاء النيل (فتعهد المحتسب مجدداً ببتدأرك الأمر
وقام من فوره بتوزيع القمح على الطحانين وسعره عليهم بدينارين—
ونصف التليس ، وأمرهم بأن يباع الدقيق بأربعة دنانير الحملة ، والخبز
رطلا ونصف بدرهم ، فسكن الناس لذلك قليلاً .^(١) وهذه الأسعار ليست
بعيدة عن الارتفاع .

الا أن المحتسب كان له رأى آخر ، فقبل انتهاء هذا اليوم
نزل من القاهرة ومعه سجل بالغاء جميع المكوس المقررة على الغلات الواردة
إلى السواحل ، وهذا يعنى تخفيض أسعارها ، ثم أضاف أمراً غاية فى الغرابة
حيث ألغى التسعير الذى قرره قبل ساعات . فظهر الخبز والدقيق—
فى الأسواق بأسعار قريبة من تلك التى ضج الناس بالشكوى منها—
إذ وصل سعر تليس القمح إلى ثلاثة دنانير غير ربع (وكان ثلاثة دنانير)
والخبز السميد رطلين بدرهم وربع ، والخبز الحوارى رطلين بدرهم .^(٢)

ومعد هذه الحوادث يصبح احتمال تواطىء المحتسب مع تجار
الغلال من كبار رجال الدولة ، أمر أبعد من مجرد التشكك ، إذ أنه كرس
ارتفاع الأسعار ، رغم الغاء مكوس الغلة .

(١) المسيحي : المصدر السابق ص ٧٤ — ٧٥ ، المقرئى : اتعاضج ٢ ص ١٦٥

وملاحظ أن سعر التليس القمح يوم ختم على المخازن (٣١ ذى القعدة) كان
ثلاثة دنانير أى أن الفارق هو نصف دينار فقط .

(٢) المسيحي : المصدر نفسه ص ٧٥ ، المقرئى : اتعاضج ٢ ص ١٦٦ .

واطمعت سياسة المحتسب غير العادلة ، الجشعين من التجار
والباغة ، الذين لم يقنعوا بأرباحهم العالية ، فلجأوا إلى رفع
الأسعار والغش ، ففي ٢٤ من ذى القعدة ، ضرب المحتسب بعض
بائعى الدقيق وشهرهم على الجمال فى شوارع مصر وكانوا اثنين وعشرين
رجلا وفيهم مقدمهم ويعرف بابن البورى ، وذلك لمغالاتهم فى الأسعار
وسواد الأخباز وفساد الدقيق وخلطه بالطفل المسحوق ، وأعادهم إلى
السجن بعد ذلك . (١)

ولم يكن الغش فقط فى الدقيق والخبز ، بل امتد إلى الموازين
ففى ٧ ذى الحجة ضرب المحتسب بالفسطاط رجلا حلوا يسكن على
باب زقاق القناديل وشهره على جمل لأنه وجد أرطاله التى يبيع بها
ينقص كل رطل منها أوقيتين وكل صفة يزن بها الدراهم تزيد ثمن
درهم . (٢)

وبعد هذا الحدث تأكيدا جديدا على دور الاحتكار التجارى
وممارسات التجار الأنانية ، وما وصل اليه الحال من استغفاف بالسلطة
المركزة من قبل التجار .

(١) المسبحى : المصدر السابق ص ٧٦ ، المقرئى : اتعاط الحنفا ج ٢ ص ١٦٦
(٢) المسبحى : نفس المصدر ص ٧٨ .

وكان من المنطقى الا تفلح محاولات الردع التى قام بها
المحتسب ، فعادت الأسعار ارتفاعها من جديد خلال شهر ذى الحجة ،
فبيع القمح بأربعة دنانير وثلاث للتليس ، والحمله الدقيق بستة دنانير ،
والخبز رطل وربع بدرهم ، فأصاب الناس لذلك مسغبة شديدة (١)

ولم يكن ذلك بآخر تصاريق القدر ، إذ سرعان ما قام العبيد
بمهاجمة سواحل الغلة ونهبوا وأحرقوا ، فاخذت الأخباز والدقيق ، رغم
ارتفاع أسعارها حتى وصل الخبز إلى رطل واحد بدرهم . (٢)

وانفرد المقرئى بإيراد مجاعة حدثت فى عام ٤١٢ هـ / ٢٦ - ٢٧م
وأرجع سببها إلى ارتفاع الفيضان فوق العادة حتى غرقت القرى ، واضطربت
الأحوال . (٣) منع أن النيل حسب الدوادارى وأبى المحاسن كانــــــــــــت
زيادته ١٦ ذراعا و ٧ أصابع فقط .

فى عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١م ، كادت مأساة ٤١٤ - ٤١٥ هـ أن تكسر
نفسها ، حينما تأخرت زيادة النيل عن أوانها أربعة أشهر ، لولا أن اتخذت
الدولة تدابيرها باستيراد الغلال من الشام ، ثم جاءت زيادة النيلــــــــــــل

(١) المسيحي : المصدر السابق ص ٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٨ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٠ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٢٥ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .

فاستقامت الأحوال . (١)

وفي سنة ٤٢٦هـ / ٣٤ - ١٠٣٥م حدثت بالبلاد مجاعة بسبب
تكاثر الفئران حتى أكلت الزرع وانتشر الموت بين السكان تبعاً لذلك . (٢)

تعدد فترة خلافة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ -

١٠٩٤م) حداً فاصلاً بين عهد الخلفاء الأقوياء وعصر الوزراء العظام
وكأى فترة تحول تاريخي ، حفلت بخلافته بأحداث جسام ، يحار المدارس
أمام تشابك أحداثها ، وتناقض معلوماتها ، ناهيك عن صعوبة الفصل بين
الأسباب والنتائج ، حيث توالى الأحداث عملها تأثيراً وتأثراً .

ومديهي أن ما وقع من أحداث في خلافة المستنصر بالله ، تكمن
بذوره في فترات سابقة ، طالما كان كل جديد نابئاً من القديم وحسب
بعضاً من صفاته ، وجاءت ولادته عصر المستنصر من رحم خلافة أبيه
الظاهر لأعزاز دين الله ، والذي يعد فترة انتقال بين عهدين ، عهد
سيطرة الخلفاء وعهد سيادة الوزراء .

وقبل الدخول إلى سرد وقائع المجاعات التي عاشها الناس في
عهد المستنصر بالله يحسن أن أعرض للأسباب العامة التي كانت وراء هذه
الأحداث .

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٨٠ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٥ . يذكر أبو الفداء أنه
حدث زلازل بمصر والشام فهدمت شيئاً كثيراً وماتت تحت الانقراض الكثير من
الناس سنة ٤٢٥هـ البداية ج ١٢ ص ٣٦ .

(٣) المقرئ : اتعاظ ج ٢ ص ١٨٠ .

١- ضعف السلطة المركزية :

يرجع سبب هذه المجاعات قبل أى شئ إلى ضعف شخصية المستنصر بالله ، الذى ولى الخلافة وعمره سبع سنوات ^(١) وإذا كان أبوه قد حافظ بعض الشئ على سلطاته الزمانية ، رغم تفرد رجال دولته بإدارة معظم شئون البلاد ، فان المستنصر لم يستطع بعد أن شب عن الطوق أن يستخلص صلاحياته من براثن الوزراء ورجال الإدارة والجند ، مثلها فعل جده الحاكم بأمر الله . ان ظاهرة ضعف سلطة الخليفة التى أطلت برأسها على استحياء فى عهد الظاهر ، ظهرت هنا مكتملة الأبعاد ، وموردها المقرئى على رأس العوامل التى أفضت إلى الشدة المستنصرية . (٢)

وحال ضعف الخليفة دون سيطرته على طموح القواد ورجال البلاط والخصيان الذين أخذوا يحيكون الدسائس ، وساعد على ذلك انسياق المستنصر لما يسمعه من شكايات ، فأكثر من تغيير الوزراء حتى أن الوزارة وليها خلال تسع سنوات أربعون وزيراً بعضهم قضى فى منصبه يوماً واحداً . (٣)

وبداً ذلك الاضطراب فى تغيير الوزراء فيما يبدو طم ٥٨/هـ ٤٥٠م -

١٠٥٩م ^(٤) ، واشتدت سرعة تغيير الوزراء وكذلك القضاة فى سنـــــــــة

(١) ابن خلكان : وفیات الاعيان - طبعة النهضة المصرية ١٩٤٨ - ج ٤ ص ٣١٧

ومذكو لين بول انه عمره كان ٨ أشهر فقط - انظر سيرة القاهرة ص ١٣٨ .

(٢) المقرئى : اغاثه الامة ص ٢٣ .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٨٨ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٥ .

٤٥٣هـ / ١٠٦١م . (١)

ولا شك أن سرعة اجراء التغييرات الوزارية والقضائية ، اضعفت من قوة الوزراء وأعجزهم عن تدبير الأمور ، وأوقع الاختلاف بين فئات الجند ، نتيجة لاختلاف سياسات الوزراء الذين حاول كل واحد منهم أن يتبع سياسة ترضى الطرف الذى فى مكتبته الايعاز بعزله من منصبه (٢) .

وأضافة إلى ذلك فان المستنصر كان لا يشارك وزراءه المسئولية ، كما كان يفعل الخلفاء من قبله ، وترك هذه المهمة إلى أمه التى كانت تتحكم فى تغيير الوزراء ، وتتلقب بالسيدة الملكة ، مخاطبها الرجال فى حضرة ابنها بمولاتهم وشار إليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع . (٣)

٢- تراهد نفوذ العسكريين :

نشأ عن ضعف الخليفة ، وتدهور نفوذ وزرائه فراغ سياسى لـم يملأه سوى العسكر ، فقد كانوا يحكم تنظيمهم العسكرى ، هم القوة الوحيدة فى البلاد التى يمكن أن يكون لها صدى فى تقرير أمور البلاد ، سواء باعتبار تملك السلاح والقوة ، أو سهولة التحرك بأوامر قادتهم . ووجد العسكريون - على اختلاف طوائفهم - فى ضعف وتردد ادارة البلاد فرصتهم المواتية لتوسيع رقعة نفوذهم وزيادة نصيبهم من ثروات البلاد - فطالبوا بزيادة رواتبهم ، والحقوا فى ذلك حتى خلت خزائن الدولة ، فاقضوا مضاجع

(١) المقرئزى : الخطط ج ١ ص ٣٥٦ .

(٢) المقرئزى : اغانة الامة ص ٢١ ، اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٣٧٥ .

ال خليفة والوزراء ، والجأوا الخليفة إلى بيع محتويات خزائنه لهم لأجل تسديد رواتبهم ، فأخذوها بأبخس الأثمان ، ثم تمادى بهم الحال فاقترضوا ربيع الأراضى المزروعة .

وقد بدأ صعود العسكريين السياسى منذ عام ٤٥٠هـ^(١) ، وهو نفس العام الذى كثر فيه تغيير الوزراء .

٣- الفتن والمنازعات :

تميز الجيش الفاطمى منذ فتح ^{مصر} ببتباين العناصر العرقية المكونة له ، فكان يضم إلى جانب المغاربة الذين شكلوا العمود الفقرى لجيش الفتح ، عناصر موجودة فى الشرق من الديلم والأتراك ، وعناصر سوداء من الزنج ومن العبيد الذين يشترون من تجار الرقيق ، وضم أيضا البسند والمصريين . (٢)

ورأينا كيف أن النزاعات التى ثارت بين بعض هذه الطوائف فى عصرى الحاكم والظاهر ، قد زادت من اضطراب البلاد وزيادة الأسعار ، إلا أنها كانت نزاعات محدودة يمكن لسلطة الدولة تطويقها ، فلما ضعفت السلطة المركزية ، برزت نزاعات الجند لتصبح ملمحا رئيسيا من ملامح الحياة فى عصر المستنصر ، الذى ترك الأمر إلى وزراءه فحاولوا السيطرة على أمور البلاد عن طريق الاستعانة ببعض طوائف الجيش .

(١) المقرئى : اغانى الامة ص ٢٢ - ٢٣ ، اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٦٩ - ٣٧٤ .

ففي محاولة من الوزير الفلاحى للتفرد بشئون الحكم دون الملكة
أم المستنصر ، سعى إلى تأليب الأتراك على السودان ، وهم من نفس
جنس الملكة ، التى اعتمدت عليهم ، ولجأ أثناء ذلك إلى زيادة رواتب
السودان والمغاربة ، وانقاص عطاء الأتراك ، مدعياً ان ذلك من فعل
الملكة الأم ، ورئيس ديوانها الخاص التستري ، فثار الأتراك وقتلوا التستري
وبالبدت الملكة أن نجحت في قتل الفلاحى ، وأُحلت في منصبه الوزير
أبا البركات الذى اختلف مع سياسة الملكة في أضعاف الأتراك ، فعزلته
وولت رئيس ديوانها الخاص الجديد المعروف باليازورى ، الذى نجح بقوة
شخصيته في وقف النزاع بين طوائف الجند إلى حد ما . (١)

ومع ذلك ، فقد ظلت أم المستنصر محافظة على سياستها في تقريب
بنى جنسها من السودان وداً واضحاً للأتراك أن الجيش الذى تـم
تكوينه من ٥٠ ألف جندي سوداني يشكلون حرس الخليفة وأمه ، ليس
الا مقدمة للقضاء عليهم ، لهذا أصبحت البلاد وكأنها مخزن بارود ، تكفى
شرارة صغيرة لاحداث انفجاره الهائل . (٢)

(١) ابن ميمر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب : اخبار مصر - تصحيح هنرى
ماسيه - المعهد العلمى الفرنسى القاهرة ١٩١٩ - ج ٢ ص ١٤ ،
د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين : ص ٣٧٥ - ٣٧٦ . والتستري هو
أبوسعد بن سهل التستري ، يهودى كان يقوم هو وأخوه أبونصر هارون
بالاتجار في عهد الحاكم ، وتقرب أبوسعد الى الظاهر واع له جاريه سوداء
أولدها المستنصر بالله ، فرعت لأبي سعد ذلك ، فعينه في ديوانها ، وقد
عمل أبوسعد على عزل ابن الانبارى من الوزارة وتولية الفلاحى . انظر
ابن ميمر : اخبار مصر ج ٢ ص ١٣ - ١٤ المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٤٤

(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٨٩

وبمقتل اليازورى قويت احتمالات تفجر الصراع ، إذ تولى الوزارة البابلى ،
الذى عمل بمشورة أم المستنصر فأغرى العبيد بالأتراك ، فتغيرت نياتهم
” صار فى قلب كل طائفة من الاخرى إحن“ . (١)

وجاءت شرارة الانفجار فى جمادى الآخر عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، عندما
خرج المستنصر كعادته فى كل سنة إلى جب عميره وهو موضع نزله بهيئة انه
خارج للحج ومعه الخمر فى الروايا ليسقيه للناس عوضا عن الماء ، فجـرد
أثناء ذلك أحد الأتراك سيفا على بعض عبيد الشراء ، فقتله العبيد . (٢)
احتج الأتراك على هذا الحادث لدى المستنصر ، الذى استنكوه
ونفى رضاه عن ذلك ، فحمل بعض الأتراك على جماعة من العبيد عند كـوم
شريك فانهمزم العبيد وقتل منهم عدد كبير . بعد هذه الهزيمة سارعـت
أم المستنصر إلى إمداد العبيد بالمال والسلاح ، فلما ضبط الأتراك بعضـا
مما كانت ترسله ، دخلوا على الخليفة ثائرين وأغلظوا له فى القول فأنكـر
أى صلة له بتأييد العبيد ، وثار النزاع المسلح ثانية ، حتى تمكن أـبو
الفج محمد بن جعفر المغربى الوزير من الإصلاح بين العبيد والأتراك ، وخرج
العبيد على أثر ذلك إلى شبرا دمنهور . (٣)

-
- (١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٤
(٢) المصدر نفسه ص ١٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٧ - ١٨ ،
د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠
(٣) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ١٣ ، أبو المحاسن : المصدر السابق
ج ٥ ص ١٨ - ١٩ ، د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٧٦ .

لم تستمر المهنة بين الأتراك والعبيد طويلا ، وتجددت الاشتباكات المسلحة بينهما عام ٤٥٦ / ١٠٦٤م ، واستطاع الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حمدان أن يهزموا العبيد بالاسكندرية في موضع يعرف بالكرم ، وقتل نحو ألف من العبيد وهرب من بقى حيا ، ثم تم الصلح بينهما بعد ذلك .^(١)

وهذه أول مرة يرد فيها اسم ابن حمدان مقترنا بقيادة الأتراك ، وهو الحسن بن الحسين بن حمدان أبو محمد التغلبي الأمير ناصر الدولة ذو المجددين .^(٢) وهو من أسرة الحمدانيين التي قضى الفاطميون على حكمها في حلب ، ومع ذلك فقد ولى بعض الحمدانيين مناصب في ولايات الشام ، وعين ابن حمدان هذا في ولاية دمشق سنة ٤٣٣هـ / ١٠٤١م ، إلا أنه طرد إلى مصر سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، وتولى في وزارة اليازوري حكم الرياسة بشرقيته وغريبته فكان يجيى الجوالى .^(٣) ويبدو أنه أعيد مرة أخرى إلى ولاية دمشق في رجب سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ومنها خرج في ٦ ربيع الأول سنة ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، بناء على أوامر الخليفة ، على رأس جيش كثيف جاءه من مصر ، لأجل إعادة خطبة المستنصر إلى حلب ، التي سيطر عليها معز الدولة بن مرداس ، ولكنه انهزم عنها في مستهل شعبان وأصيب بضربة شلت منها

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢٠ .

(٣) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٨٣ — ٣٨٤ .

يده ومقيت المدينة تحت سيطرة الموداسيين . (١) وليعود ابن حمدان إلى مصر ، وكأنه على موعد مع القدر ، ليقود الأتراك في فترة حاسمة — تاريخ دولة الفاطميين ، وكانت أسرته تتولى زمام الأتراك وأمراءهم منذ عهد الحاكم بأمر الله . (٢)

ومعد عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٧ م ، نقطة تحول هامة على طريق تزايد نفوذ الترك ، الذين تقووا بهزيمتهم للعبيد مرتين ، فقد استغلوا عدم مقدرة الدولة على سداد رواتبهم بسبب نقص النيل عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م وهو بدعهم ما عرف بالشدة المنتصية ، وطالبوا بزيادة واجباتهم ، ومنعوا العبيد من أرزاقهم ، فتفاقم الوضع مع تزايد أعداد السودان الذين بلغوا ٥٠ ألف رجل ما بين فارس وراجل . (٣)

عندئذ لم يكن السودان بحاجة إلى أوامر أم المستنصر التي بعثت لتفريهم بالأتراك ، فاجتمعوا وحضروا من شبرا دمنهور إلى الجيزة ، وخرج اليهم الأتراك بقيادة ابن حمدان ، وملغت نفقة تعديتهم من القاهرة إلى الجيزة مليون دينار ، وانتهت الحروب التي دارت بين الطائفتين — بهزيمة السودان وفرارهم إلى الصعيد . (٤)

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٠ - ١٢ . وذكر د . ماجد أن ابن حمدان توجه إلى حلب عام ٤٥٠ هـ ، وطاد منهزما عنها عام ٤٥٢ هـ . انظر : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٨٤ .

(٢) د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٨٥ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣ هـ . ماجد : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧ ، المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٣ .

كان فرار السودان الى الصعيد ، انسحابا تكتيكيا ، لاعادة ترتيب الصفوف ، وتأهبا لجولة أخرى من الصراع ، وبالفعل تجمع العبيد هناك وبلغ عددهم نحو ١٥ ألفا ما بين فارس وراجل . فقلق من ذلك الأتراك ودخلوا يشكون الى المستنصر بالله ، فاهتبت أم الخليفة الفرصة وأمرت بعض عبيدها فهاجموا الأتراك وقتلوا منهم . على أثر ذلك فرابن حمدان إلى خارج القاهرة وتلاحق به الأتراك وبدأ حملة تصفية جسيمة للعبيد الذين بقوا في القاهرة والفسطاط ، ولم يبق الا العبيد الذين فروا إلى الصعيد ، وفريق آخر كان في الأسكندرية ، التي حاصرها ابن حمدان فطلب عبيدها الأمان ، ورتب ابن حمدان عليها من يتق به . (١)

أعطت انتصارات الأتراك الجديدة ، زخما لابن حمدان الطامح إلى السلطة ، فاستهان بالخليفة الذي أضحي بلا حماية بعد هزيمة السودان ، وبدأ استعدادا للخليفة في عام ٤٦٠ هـ / ٦٧ - ١٠٦٨ م ، عندما طلب زيادة رواتب الأتراك من ٢٨٠٠٠ دينار شهريا إلى ٤٠٠٠٠٠ دينار ، مع عظمه بخواء خزينة الدولة بسبب اضطراب الأحوال وعدم زراعة الأرض . (٢)

والج الأتراك في طلب رواتبهم ، وحاصروا المستنصر وأخذوا جميع الأموال ثم اقتسموا الأعمال ، وساروا بعد ذلك إلى دار الوزير أبي كدينة

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٧ ، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٠ .

(٢) ابن ميسر : نفس المصدر ص ١٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١١٦ .

مطالبين بالأموال فاعتذر بخروج البلاد عن سلطة الخلافة ، وأفلاس الخزينة
فأمره بإعلام الخليفة بمطالبهم فخرجت الرقعة يخط المستنصر مكتوب بها •

أُضحيت لا أرجو ولا أتقى إلا الهى وله الفضل •
جدي نبيي وامامي أبسى وقولسى التوحيد والعدل •

المال مال الله - والعبد عبد الله • والاعطاء خير من المنع • وسيعلم
الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون •

واعذر الخليفة بأنه لم يبق عنده شىء ، فاهبطه الأتراك إلى
إخراج ذخائر الخلافة وميعها ، فأخذ يخرجها تدريجيا وهم يأخذون
التحف والذخائر " لأنفسهم بأيديهم وشمعونها بأقل القيم ، وأبغض
الألمان " (١)

لم يقف العبيد خلال هذه الفترة مكتوفي الأيدي ، فتغلبوا على الصعيد
وأكثروا السلب والنهب والقتل حتى ضج الناس بالشكوى منهم ، عندئذ سار
الأتراك إليهم في شهر رمضان سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م وبلغت نفقتهم مليون
دينار أيضا ، إلا أنهم هذه المرة هُزموا أمام العبيد ، فعادوا إلى الجيزة (٢)

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ •

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٧ •

اتهم الاتراك المستنصر بمساندة العبيد بالأموال ، وجهروا له
بالسوء من القول ، فنفى تقديمه يد العون للعبيد ، ثم أجبروا الخليفة
على أن ينفق فيهم مليون دينار أخرى عوضا عما ضاع من أموالهم .

ومذ لك تمكنوا من إعادة تنظيم صفوفهم ، وطردوا إلى محاربة
العبيد ، ونجحوا في استئصال شأفتهم نهائيا ، وتغرد الأتراك وابن حمدان
بالأمور وتحكموا في الدولة حتى طم ٤٦١ هـ / ٦٨-٦٩ م . (١)

ولم تفلح محاولات التخلص من ابن حمدان ، فقد هاجمه صيرفي
ولم يتمكن الا من جرحه ، فقبض عليه وشنق ، (٢) وكان ذلك بتدبير
المستنصر وأمه .

ولعل ذلك كان بسبب سعى ابن حمدان لاسقاط الخلافة نهائيا ،
لأنه اتفق مع رجل من الأشراف هو أبو طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني
الذي نفاه والى دمشق بدر الجمالي ، وكان هذا الرجل مجبا للناس وتلقبه
العامه بأُمير المؤمنين ، على أن يوليه الخلافة لنسبه الصحيح ، وتحالفا لأجل
ذلك مع بعض العرب واستقل ابن حمدان بقسم من الجيش وخاصة طائفة
الأكراد التي ربما كان تاج الملوك شادي زعيمها . (٣)

(١) ابن ميسر: المصدر السابق ج ٢ ص ١٨٠ . المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢

ص - ٢٧٦ ، د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٩١ .

(٢) ابوالمحسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٣ .

(٣) ابوالمحسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٣٠ ، د . ماجد : ظهور خلافة ص ٣٨٦

وبصورة واضحة فقد تحول ابن حمدان منذ عام ٤٦١ هـ من متهم تحت
دعوى حماية حقوق الأتراك ، إلى متهم على الخليفة الفاطمي وحتى الأتراك .
فقد أعمته أطماع الخاصة عن الحفاظ على قوة الأتراك عناصره الفاعلة
في إرباك أمور الخلافة ، واستأثر لنفسه واتباعه المقربين بما كان يخرج
من أموال وذخائر المستنصر ، وبدأ يتصرف في الأمور بمفرده كسيد
مطلق السلطان ، وخاصة أنه قام بتقسيم دور المكوس والجبايات على قواده
حتى لم يبق للدولة دخل يعول عليه ولا مال في القياصر يرجع إليه .^(١)

رأى الأتراك أنه لو زالت دولة الفاطميين ، أنهم سيفقدون نفوذهم
فتحركوا باتجاه تدعيم الخليفة بهدف التخلص من ابن حمدان ، ورفعوا
الأمر إلى الوزير وقالوا إن كل ما يخرج من الخليفة يقصره ابن حمدان
على اتباعه ولا يهملهم منه شيء ، فطلب الوزير منهم التخلي عن مساندته
والعمل على اخراجه من مصر فوافقوه على ذلك ، وشرع المستنصر في تنفيذ
الاتفاق ، فطلب من ابن حمدان الخروج من القاهرة ، وأمثلة ابن حمدان
للأمر لما أيقن انحياز الأتراك للخليفة ، وخرج إلى الجيزة فانتهبت دونه
ودور أصحابه وحاشيته .^(٢)

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٨ ، د . البراوى : المرجع السابق ص ٩١ .

ولكن ابن حمدان لم تعية الحيل ، فتحالف مع القائد تاج الملوک
شادی على قتل الوزير خطير الملك ، والدکر الذى قاد الأتراك ضد
ناصر الدولة ، حتى تتاح لها فرصة التغرّد بالسلطة واتفقا على أن يقوم
شادی ورجاله بقتل الوزير والدکر عند مرورهما بشارع بين القصرين فى الطريق
لقصر الخليفة ، ونها إلى علم الدکر تفاصيل الاتفاق فالتجأ إلى القصور
وأستجار بالمستنصر فى الليل ، بينما أقدم الوزير فى موكبه صباحا فبادره تاج
الملوک وجنوده فقتلوه ، وأرسل إلى ناصر الدولة فحضر إلى القاهرة (١) .

آنذاك لم يكن هناك من الحرب بد ، فلبس المستنصر عدة الحرب عموماً
بمشورة الدکر وقاد الجند وعظمة الشعب أيضاً ، واستطاع أن يهزم ابن
حمدان ومقتل الكثير من أتباعه ، ففر ابن حمدان إلى البحيرة واستجار
ببني سنيس من قبائل العرب وتزوج منهم (٢) ، فتقوى بهم ومقباء—
فيس ولوائنة ، وانضم اليه بعض المارقين ، وبدأ يستعد لجولة

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ١٨ - ١٩ ، المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢
ص ٢٧٩ .

(٢) ٥٠ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر—
الاسلامى — شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٨٢ - ص ١٨٦ - ١٨٧ .
والسنايى قطن كان يقيم بالسبحيرة من أعمال مصر وانتسب إلى لبيد بن سنيس بن
معاوية بن جلول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى بن أملاان من القحطانية
عمر رضا كحاله : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - المطبعة الاشيشية
دمشق ١٩٤٩ - ج ٢ ص ٥٥٦ .

جديدة من الصراع . (١)

ووجد ناصر الدولة نفسه بعد انقراض الأتراك من حوله في طـور جديد من النزاع مع الخلافة يصعب خلاله الاستيلاء على الحكم بمجـدد التحالف مع بعض القبائل العربية فلجأ إلى الاستعانة بقوة سنية كبيرة يسعدها إسقاط خلافة الفاطميين الشيعية ، وهي السلاجقة ، فبعث الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن النجاري رسولا منه إلى السلطان السبب أرسلان بالعراق في عام ٤٦٢ هـ / ٦٩ - ١٠٧٠ م ، طالبا منه مددا عسكريا ليقوم الدعوة للخلافة العباسية بمصر . (٢)

هنا شعر المستنصر بالله عن ساعد الجد ، انقازا لخلافته — من السقوط ، فجهز جيشا كبيرا من الأتراك وقسمه إلى ثلاثة فرق ، لكل منها مقدم ، والأرجح أن هذا التقسيم كان تقسيما بحكم الأمر الواقع ، إذ أنه راعى فيما يبدو وجود ثلاثة قواد رئيسيين بين الأتراك ، فجعل كلا منهم على رأس فرقه .

(١) ابن ميسرة : المصدر السابق ص ١٨ - ١٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢٧٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ١٤ - ١٥ ، د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٨٧ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٢ .

ويُفسر ذلك أن كل مقدم عمل بمفرده على هزيمة ابن حمدان طعها في أن يعود إليه الفضل في هذا العمل مما يدعم موقفه في السيطرة على الدولة . ولم يدخل الجيش الحرب مدججا بـ " المركبة " ، فهزمت أول فرقة أمام ابن حمدان وأعراب البحيرة وقتل أفرادها وأُستولى على أسلحتها ، وتلى ذلك انهزام الفرقة الثانية التي لم تكن على علم بما حدث ثم تقدم ابن حمدان فأجهز على بقية الجيش . (١)

بعد هذه الانتصارات الباهرة أخذ ناصر الدولة في تدعيم قواته بفضل ما غنمه من الأتراك ، وعاش في البلاد فسادا وأعمال السلب والنهب والقتل ، فأثار الذعر في الوجه البحرى ، الذى أصبح تحت سيطرته الكاملة ، وكون لنفسه دولة داخل الدولة ، غير خاضعة لنفوذ الخليفة ، بل وخطب فيها للخليفة العباسى القائم بأمر الله . (٢)

ولم يكن ذلك آخر ما فى جعبة ابن حمدان ، فقد أعقب سيطرته على الوجه البحرى بممارسة ضغط اقتصادى شديد على مركز الخلافة ، القاهرة ، بقطع الميرة عنها ، إضافة الى أن استمرار الحروب أدى إلى عجز الفلاحين عن زراعة الأرض فاشتدت الحالة على الناس . (٣)

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٣٠٢ - ٣٠٣ ، ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢٠ .
(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٠ ، المقرئى : المصدر السابق ص ٣٠٣ ،
د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ص ١٨٧ .
(٣) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٣٠٣ .

وَأُثِي الحصار الاقتصادي ثماره سريعا ، إذ ارتفعت الأسعار وشار الشعب ، فخاف المستنصر من ثورته وخشى أن يسلمه إلى ابن حمدان ، ووافق الأتراك على الإذعان لشروط ابن حمدان ، وأصبح هوفى قصيره كالمحجور عليه . (١) وقد الاتراك المصالحة مع ابن حمدان في عام ٤٦٣هـ ٢٠ - ١٠٧١م بسبب نقص الغذاء وعدم زراعة الأرض وانتشار الأوبئة . (٢) وتم الاتفاق على أن يظل ابن حمدان بالبحيرة ، وترسل لــــه الأموال التي تقرر له ، وأن يكون تاج الملوك شادي نائيه في القاهرة ، وهو الذي يضمن نفاذ الأموال اليه .

ومفضل هذا الاتفاق دخلت الغلال إلى القاهرة والفسطاط ، فطابت قلوب الناس ، ودام الأمر على ذلك لمدة شهر واحد ، اختلف من بعده الأتراك مع ابن حمدان ، فجاء من البحيرة بعساكره إلى مصر وحاصرها في ذي القعدة ونهب وأحرق وخطف النساء من الطرق ، ثم عاد إلى البحيرة (٣) بعد أن وعده الاتراك فيما يبدو بتطبيق نفس شروط الصلح السابقة .

(١) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥٠

(٢) د . راشد البراوي : المرجع السابق ص ٩١٠

(٣) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢١ ، المقرئى : تعاظ البغايا

الا ان تاج الملوك شادى أخل بالتزاماته المالية تجاه ناصر الدولة ، فزحف الأخير بالعران إلى الجيزة ، واستدعى شاديا وبعض المقدمين فخرجوا إليه مطمئنين ، فقبض عليهم وألقى العران النار فمسي القسطنطين ونهبوا وسلبوا . (١) وفي هذه المرة نجح الجيش الذي جهزه المستنصر في هزيمة ابن حمدان ومطارده هو وأتباعه ، فعاد إلى البحيرة مرة أخرى . (٢)

كان ذلك يعنى انهيارا لاتفاق ٤٦٣ هـ ، الذى نهى ولا شك على عادة الخطبة للمستنصر ، فقام ناصر الدولة بقطع خطبة المستنصر من الوجه البحرى وخطب مرة أخرى للقائم العباسى وراسله فى بغداد ، يطلب منه أن يجهز له الخلع والألوية السوداء (شعار العباسيين) ، فاضطل أمر المستنصر وتلاشى قدره . (٣)

ثم حدثت معارك بين المصارف والمغاربة عند كوم الريش بالقرب من القاهرة عام ٤٦٤ هـ / ٧١ - ٧٢ م وقتل فى هذه المعارك ١٢ ألفا من الفريقين . (٤)

-
- (١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢١٠
(٢) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٣٠٦
(٣) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢١٠ ، المقرئى : المصدر السابق ص ٣١٦
(٤) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٣٧٧

وساعدت هذه الفتن وضعف شخصية الخليفة ، ابن حمدان على تفكيك
الجيبة المالية للخليفة ، فاستمال كثيرا من الأتراك ، وأيقن عددٌ عجز
المستنصر عن مقاومته في ظل تدهور الأحوال الاقتصادية ونفسي الأمثلة ،
فدخل مصر بعساكره في شعبان ٤٦٤ هـ / ١٠٧٢ م (١) .

ومن القساط ، أرسل ابن حمدان إلى القاهرة ليطلب الأموال من
الخليفة ، فوجد رسوله الخليفة جالسا على حصير بغير فرش ولا أبهة ، وليس
عنده غير ثلاثة من الخدم ، فلما أدى الرسالة قال له المستنصر ، أما يكفي
ناصر الدولة أن أجلس على هذه الحال ؟ فبكى رسول ناصر الدولة ونقـل
إلى مؤفده ما رأى ، ففرق له وقرر للخليفة نفقة شهرية مائة دينار ، ومارس
الحكم بنفسه ، وأصبح الخليفة مجرد مسمى بلا معنى . (٢) .

وكانت أول خطوات ناصر الدولة تصفية حساباته القديمة مع أم المستنصر
فقبض عليها وطبقها غير مرة حتى استصفى أموالها وقال إنها فرت إلى
بغداد مع بعض أهل المستنصر ، (٣) وإن كان ذلك أمرا مستبعدا يحكم
العداوة التقليدية مع الدولة العباسية .

(١) ابن ميسر: المصدر السابق ص ٢١ ، المقريزي : المصدر السابق ص ٣١٦ .

(٢) ابن ميسر: اختيار مصرج ٢ ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه .

وتمهيدا لازالة الخلافة الفاطمية من مصر عمل على اخلاء القاهرة
من أعوان المستنصر الأتقياء والذين يمكن أن يقفوا حجر عثرة في سبيل
ذلك ، فكان يوليهم الأعمال ثم يعزلهم منها بمجرد وصولهم اليهم —
ولا يمكنهم من العودة مرة أخرى الى القاهرة . (١)

واخذ ابن حمدان يعد العدة لاقامة الدعوة العباسية بالقاهرة
واسقاط اسم المستنصر من الخطبة ، الأمر الذي أشار مخاوف الأتراك من
ضياع مكانتهم التي تمتعوا بها في الدولة الفاطمية ، اذا ما أقيمت
الدعوة لبني العباسي وصارت مصر ولاية سنية تابعة لخلافة بغداد
والسلاجقة الأتقياء ، فعملوا على قتل ابن حمدان ، وتزعم هذا الاتجاه صهر
ناصر الدولة " الدكر " التركي الذي كان متزوجا من ابنة ناصر الدولة ،
وتشاور مع الأمير يلدكوز أويلد كوشى ، ونجحا في جمع رأى الأتراك على
ذلك . (٢)

وتولى الدكر هذه المهمة ، لان ناصر الدولة يأمن له لكونه صهره
فاصطحب معه غلام يقال له " أبو منصور كمشتكين " ويلقب بحسام الدولة
بعد أن أطلعاه على جليلة الأمر . ودخلا على ناصر الدولة ،
ففى مستهل شهر رمضان سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م —

(١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٧ — ٣٠ .

(٢) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٩ .

والفراشون ينفضون البسط ليقعد عليها ، وهو يمشى في صحبته
الدار ، فمشى الدكر معه ثم تأخر عنه وضربه في خاصرته "بيافروت" وهو
سكين مغربي ، فعاجله كمشتكين بضربة قطعت رجله ثم حزت رأسه . (١)
ومذ لك وضعت نهاية حياة ناصر الدولة الذي لم يكن قط ناصرا لدولة
الفاطميين . ثم قام الأتراك بتتبع أقارب ناصر الدولة ورجاله حتى أبادهم
وقطع ابن حمدان قطعا ، وأنفذت كل قطعة الى بلد . (٢)

الا أن الستار لم يسدل مع مقتل ابن حمدان ، الا لينفج عمن
فصل جديد ، أخذ فيه الأتراك دور ابن حمدان ، فقد أرادوا أن يجنوا
ثمار انتصارهم على عدو الخلافة ، فدخلوا على المستنصر ومعهم رؤوس أعداءه
وطلبوا الأموال ، فرد المستنصر بأن الأموال أخذها ابن حمدان وأن الخلاف
كان بينه وبين الأتراك ، وأنهم هم الذين نقضوا العهد معه ، ولكن
الأمر استقر على مهاجرة عليه العادة ، إذ أخرج المستنصر من خزائنه
قطعا من المرجان وعروضا أخرى حمل ثمنها إلى الدكر ورفقته . (٣)

ومارس الأتراك منذ بداية عام ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م ، الضغط على
الخلافة ، وكان على رأسهم سلطان الجيوشى يلدكوز التركي والأمير الدكر
ومعهم الوزير أبى كدينة . وخاب ظن المستنصر في أن يكون في مقتل ابن

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢١ - ٢٢ ، ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٢ ،
المقريزى : المصدر السابق ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢ .

حدان راحة له . (١) ولغت سيطرة الدكر حدا مكنه من فرض حظــــر
الدخول إلى القاهره أو الخروج منها ، ولعله سعى إلى الملك . (٢)

أيقن المستنصر أن مصير خلافته أصبح في مهب الريح ، فقــــد
تحالف عليه الأتراك بعد فناء معظم السودان والمغاريه ، واستبد به اليأس
فلم يجد مخرجا الا باستدعاء بدر للجمالى من عكا بفلسطين علــــى
يستطيع انقاذه من تسلط الدكر والأتراك . (٣)

قبل بدر المهمه بشريطة أن يقدم بعسكر معه وأن لا يبقى أحدا
من عساكر مصر ولا وزرائها ، فأجابه المستنصر إلى ذلك . (٤)

سار بدر إلى مصر عام ٤٦٦ هـ (ديسمبر ١٠٧٣ أو يناير ١٠٧٤ م) فى
مائة مركب ومعه جنوده وعبدالله بن المستنصر الذى فر إليه أثناء الأحداث
وذلك رغم تحذيره من حالة البحر فى الشتاء ، ولكن الظروف الجوية واتتــــه

-
- (١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٣١١ .
(٢) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٩٢ .
(٣) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢ ، د . راشد البراوى : المرجع
السابق ص ٦٩ . ودر الجمالى هو يدرب بن عبد الله ، وكان مملوكا لجمال
الدولة بن عمار أحد ولاية طرابلس الشام ، فعرف بالجمالى نسبة اليه
و در من أصل أرمن مسلم تمكن بجد ، وحزبه من التنقل فى المناصب حتى
ولى دمشق وهو عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م وحارب بأمر الخلافة المتعديين فى حلب
ودمشق ثم تولى ولاية عكا فى سنة ٤٦٢ هـ / ٦٩ - ١٠٧٠ م وقى بها حتى طلب
المستنصر نجده . د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٩٣ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٤٢ .

ودامت كذلك أربعين يوما وصل بعدها إلى دمياط . (١) وأقام مدة بدمياط ،
اقترض خلالها مالا من تجار تنيس ويقال أقترضه عليهم ، ثم قدم عليه
سليمان اللواتي (٢) وهو يومئذ كبير أهل البحيرة وأوسعهم حالا ، حاملا
معه الغلال ، وأمن له الطريق حتى وصل إلى قليب على مقربة من القاهرة .
ومن هناك يطلب منه القبض على يلدكوز حتى يتمكن من دخول
القاهرة ، فبادر المستنصر إلى القبض عليه . (٣)

بعدها دخل بدر القاهرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى
الأولى ، وأرسل كل أمير من أمراء إلى قائد من قواد الدولة ليلا ، وأمره
ان ياتيه برأسه ، فأصبح وقد حضر من رؤوس أمراء الدولة شيء كثير
فقبض على بقية الأتراك وتبع المفسدين حتى قض عليهم وفراين يلدكوز
إلى الشام . (٤)

(١) المقرئ : اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٣١١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة
ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) اللواتيون من أعراب مصر وفروعهم بنوهاني ومنو سليمان ومنو سكتيت : انظر :
عمر رضا كحاله معجم قبائل العرب ج ٣ ص ١٠١٧ .

(٣) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٣ المقرئ : المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٢
ومذكور . ما جد ان لواته قاومت يدرا عند نزوله إلى دمياط وأنه قتل منهم
الالوف وعلى رأسهم سليمان اللواتي (ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٩٣) والواقع
ان بدر الجمالي قاتلهم بعد ذلك كما يستفاد من ابن ميسر (ج ٢ ص ٢٤)
سياق ما ورد في سجل من المستنصر إلى حاكم اليمن على بن الصليحي بتاريخ
المحرم سنة ٤٦٣ هـ — انظر د . ماجد : السجلات المستنصرية — دار الفكر
العربي القاهرة — ١٩٥٤ — ص ١٨٤ . ويمكن ارجاع تعاون لواته مع بدر
الجمالي عند نزوله إلى ان اللواتيين كانوا حلفاء ابن حمدان الذي قتل
الأتراك .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٢٣ .

لم يشأ المقرئى الا ان يحيط قضاء بدر الجمالى على الأتراك بهبق
المؤمرات والمذابح ، فيروى أنه عند دخول بدر القاهرة ، تلقاه أهـل
الدولة وانزلوه والغوا في إكرامه ، فأظهر أنه ما جاء إلا شوقا إليهم ،
وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق وعدم ذكره المستنصر
إلا بالسوء ، حتى تمكن رجاله من الدخول إلى القاهرة فرادى وخفية
ووصل عددهم إلى تسعمائة . ثم أخذ في الأكل والشرب مع الأمراء حتى
اشتد تأنسهم به ، واستدعى كل منهم إلى ضيافته ، ورد على ضيافتهم
بأن أقام وليمه للأمراء ورتب أصحابه ليقتل كل واحد منهم أميرا عند ذهابه
للخلاء ، على ان يكون له جميع ما بيد المقتول . وتم تنفيذ ما أراد بدر (١)

ان هذه الرواية التاريخية الشبيهة في حيلتها القصصية بالروايات
البوليسية ، يحيط بها الشك جملة ، وتفصيلا ، اذ ليس من الواقعية
في شيء ان يكون الأتراك وقوادهم على هذا القدر من الغفلة ، حتى يفسروا
مقدم بدر الجمالى على انه شوقا لهم ومحبة ، خاصة وأن بدر الجمالى طلب القبض
على يلدكوز التركى قبل دخوله القاهرة ، وقينا فان قرب ابن ميسر الزمنى
من هذه الأحداث يرجح صدق روايته ودخض رواية المقرئى المثيرة (٢)

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٢ .

(٢) يذكر ابو المحاسن ان الدكر التركى تحالف مع بدر الجمالى لمدة يسيرة
ثم قبض عليه بدر وأهانته وغذبه وطالبه بالمال فلم يظهر سوى ١٢ ألف دينار
مع اتساع ثرائه ، فقتله بدر الجمالى وقيل انه لم يقتل وهرب الى الشام
(النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢) .

وبعد القضاء على الأتراك بات واضحا أن خطه بدر تقضى أولا باسترداد السلطة المركزية لمهيتها في العاصمة ، القاهرة ، وتخليصها من إسطار السيطرة التركية ثم التوجه بعد ذلك الى أقاليم الدولة ، للسيطرة عليها . فقتل جماعة من أمثال المصريين وحكامهم ووزرائهم واتجه السيسى الدلتا فحارب في شرقها وغربها اللواتيين والعرب والملحيين حتى قضى على كل من سولت له نفسه الانتقام من سيطرة الحكومة الكاملة . (١)

٤- نقص فيضان النيل :

لم يصل النيل خلال المجاعات التي وقعت في عصر المستنصر ، إلى حد القحط ، كما وأنه لم يقل عن ١٦ ذراعا الا في مرتين (٤٤٦ هـ ، ٤٦٠ هـ) وتعدى خلالها ١٥ ذراعا ، ولذا فليس بإمكاننا ان نحمل الفيضان وزر هذه المجاعات ، وتعد مسئوليته عنها مسئولية محدودة وجزئية ، ولعل ذلك هو الذى حدا بالمقريزى ان يورده في آخر قائمه اسباب الشدة المستنصرية ، بل انه يزيد الأمر تفصيلا فيقول أن من أسبابها " عدم من يزرع ما شمله الري " (٢) أى موت الكثير من الفلاحين .

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤ المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٤ - ٣١٦ .

(٢) المقريزى : اغاثة الامه ص ٢٣ ويذكر Brocklmann ان سبب الشدة المستنصرية هو الانخفاض في فيضان النيل انظر . Brocklmann . Op . cit . p . 162
ويذهب . ماجد نفس المذهب مستشهد فى ذلك بقوائم النيل التى أوردها ابو المحاسن فى الجزء الخامس من النجوم الزاهرة . انظر : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٦٦ .
وتو كد رواية القلقشندى المسئولية الفيضان عن المجاعة كانت محدودة حيث ذكر ان الفيضان لم يوف خلال العامين الأولين ثم فى النيل فى السنة الثالثة وقام الى الخامسة ثم نزل فى وقته فلم يوجد من يزرع لقله الناس وأنه فى السنة السادسة وأقام حتى فرغت السابعة . القلقشندى - ج ٣ ص ٢٩٦ .

تبدأ سلسلة مجاعات عصر المستنصر بواحدة وقعت عام ٤٤٤هـ / ٥٢٠
— ١٠٥٣م ، ولا يمكن أن يكون سببها قصور النيل^(١) ، كما يقول المقرئى ، إذ أن
زيادة النيل بلغت فى هذه السنة ١٧ ذراعا وه أصابع وهو حد لا يكن
القول معه بأن النيل ناقص رغم تسليمنا بأن ذلك غير كاف لزراعة جميع
الأراضى .

ولذا وجب البحث عن عامل آخر كان له التأثير الأقوى فى نشأة هذه المجاعة
ويشد الانتباه أن المخازن السلطانية لم يكن فيها شئ من الغلال
فاشتدت لذلك المسغبة .^(٢) وأن سبب ذلك هو تغيير الوزير اليازورى عندما كان
قاضيا لبضائع المتجر أو المخازن السلطانية .

والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان من بضائع يحتاج إليها وتصدر
الربح أيضا^(٣) ، وكانت الدولة تشتري فى كل عام بمائة ألف دينار
غلال ، وكان هذا الاحتياطى يوزع وقت الحاجة على الطحانيين والخبازين^(٤)
وكان وجود هذا المخزون كفيلا بمنع التجار من التفكير فى التلاعب بالأسعار^(٥)

-
- (١) المقرئى : أغاثة الامة ص ٢١٧ ، الخططج ١ ص ٣٥٦ .
(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفاج ٢ ص ١٢٤ ، الخططج ١ ص ١٠٩ .
(٣) المقرئى : الخططج ١ ص ١٠٩ .
(٤) د . عبد النعم ماجد : امرأة مصرية تنتزع مظاهره فى عهد الخليفة المستنصر
بالله الفاطمى — مقال بالمجلة التاريخية المصرية — القاهرة ١٩٧٧ — مجلد
٢٤ ص ٣٥ .
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

ومعنى ذلك أن هذا المتجر لم يكن هدفه الرئيسى الربح بل كان التخفيف عن كاهل الشعب وخاصة وقت الأزمات ، ولكن اليازورى لم يفهم ذلك ، ونظر اليه نظرة التاجر الذى يروم الربح ، لا نظرة رجُل الدولة المسئول ، فذكر للخليفة ان المتجر الذى يقام بالغله فيه أوفى مضرة على المسلمين ولربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتتدفن فى المخازن • وزين للخليفة أن يقيم متجرا "لاكلفة فيه على الناس" ويفيد أضعاف فائدة الغلة ، ولا يخشى عليه من التغير فى المخازن لانحطاط سعره فأمضى المستنصر ما رآه اليازورى واشترى للمتجر الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما الى ذلك . (١)

ولقد وجد اليازورى فى حادثة غيرة مبررا لمشورته تلك ، إذ قام أحد باعة الخبز ببيع خبزه بسعر أقل من السعر السائد فى السوق وذلك خوفا من كساده إذا برد ، فعاقبه عريق الخبازين بمعرفة عونيين من الحسبة أغرماء عشرة دراهم • فشكا البائع ذلك إلى القاضى (اليازورى) الذى عزل العريف وكافأ البائع ، الذى ذهب بعقله المكافأة فأخذ يرخص فى سعر خبزه والباعة يتبعونه خوفا من الكساد ، فنزل سعر الخبز من أربعة أرتال بدرهم وثمان إلى عشرة أرتال بدرهم ، فخيل لليازورى أن ذلك قانسون سوف يدوم . (٢)

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) المقرئى : اغاثة الأمة ص ١٧ - ١٩ .

الا أن الاختبار الحقيقي لهذه السياسة التي انتهجها اليازورى تجاه المخزن كان فى عام ٤٤٦هـ/٥٤-١٠٥٥م ، عندما وقعت مجاعة كان سببها انخفاض النيل (١٥ ذراعا و ١٤ أصعبا حسب الدواىرى) وصحب هذه المجاعة انتشار للماء بين السكان ، ولم يكن فى المخازن الاجرايات من فى القصور ومطبخ السلطان وحواشيه فقط^(١) نتيجة لتخلى الدولة عن دورها فى شراء الغلال .

حاول اليازورى ان يوقف الكارثة ، ولم يكن الرجل الذى تنقصه الفطنة والحصافة ، فاتجه إلى مخازن التجار فختم عليها واستولى على ما بها من الغلال ، إذ كان التجار يقومون بشراء الغلال قبل حصادها من عمال النواحي مقابل ضمان التجار لسداد خراج الدولة دون أن يجهد العمال أنفسهم فى مطالبه الفلاحين ومطالبتهم بالتعجيل فى الدفع ، ثم يحمل التجار الغلال الى مخازنهم بعد الحصاد .^(٢)

قامت الدولة بشراء الغلال المصادرة ، وأربحت التجار فى ثمنها $\frac{1}{8}$ دينار فى كل دينار ، ونقلت الغلال بالمراكب إلى مصر وأودعت المخازن السلطانية ، وسعر القمح كل تليس بثلاثة دنانير بعد أن كان ثمانية دنانير ، وحدد اليازورى تمونا لمصر والقاهرة مقداره يوميا سبعمائة

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٢٦ ، وان كان المقرئى فى الخطط (ج ١ ص ٣٥٦) يذكر ذلك فى حوادث ٤٤٧هـ والأصح أن ذلك حدث فى سنة ٤٤٦هـ حسبما ذكر فى اظلة الأمة ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) المقرئى : اظلة الأمة ص ١٩ - ٢٠ ، اتعاظ الحفاج ج ٢ ص ٢٢٦ .

تليس لمصر وثلاثائه للقاهرة ، فاستقرت الأحوال لمدة عشرين شهرا حتى
دخلت الغلة الجديدة فزال الغلاء . (١)

وتحسبا لاحتمال استمرار نقصان النيل ، طلبت الدولة الفاطمية
من الامبراطور البيزنطى قسطنطين التاسع Constantine IX. Nonamocho
امداد مصر بالقمح لمواجهة المجاعة التى استمرت حتى وفاة الامبراطور عام
٤٤٧هـ / ١٠٥٦م ، فلما خلفته ابنته تيودورا Theodora اشترطت
اشتراك مصر فى معاهدة دفاعية هجومية مع بيزنطة ، فرفض اليازورى ، لأن
حاجة مصر للغلال مسألة موحته ورهن بفيضان النيل . (٢)

وحاول المستنصر أن يؤدب تيودورا لمنعها الغلال ، فجهز عسكرا
بقيادة مكيين الدولة الحسن بن على بن ملهم وتبعهم بعسكر ثان وثالث
ونودى فى سائر بلاد الشام بالغزو إلى بلاد الروم . (٣) ونزل ابن ملهم
قريبا من فاميه فحاصرها وجال فى أعمال انطاكية وسبى ونهب ، فأخرج
البيزنطيون ثمانين قطعه بحرية حاربت ابن ملهم وهزمته وأسر هو وجماعته
كثيرة . (٤)

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٢) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ١٠١ .

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٥ .

سعى المستنصر بعد ذلك إلى اصلاح العلاقات مع دولة بيزنطة
فبعث في سنة ٤٤٧هـ / ٥٥ - ٥٦ م ، أبا عبد الله القاضي برسالة
إلى القسطنطينية ، فوجد بها رسول طغرل بك السلجوقي ، وقدم
إلى من العراق وسمح له بالصلاة في مسجد القسطنطينية والدعاء للخليفة
العباسي ، فما كان من الخليفة الفاطمي إلا أن قبض على جميع ما بكنيسة
القيامة ببيت المقدس ، فازدادت العلاقات المصرية - البيزنطية سوءاً . (١)

وصحب هذه المجاعة ماء شديد أودى بحياة الكثيرين وخاصة في عام
٤٤٧هـ - ٤٤٨هـ (٢) حتى أن عطارا باع في يوم واحد الف قارورة شراب (٣)
وقدر من مات في مصر في سنة ٤٤٨هـ / ٥٦ - ٥٧ م بألف إنسان كل
يوم . (٤) وذكر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عنده
الصباح موتى أحدهم على باب النقبه والثاني على راس الدرجة ، والثالث
على الثياب التي كورها . (٥)

-
- (١) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٣٥ .
(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٧ المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٣٠ ،
وشمل السماء والقحط بغداد والشام أيضا ابن الجوزي - المنتظم - جيداً
١٣٥٩هـ - ج ٨ ص ١٦٣ ، وعم الماء والقحط الأندلس وخاصة أشبيلية
وسعى عام ٤٤٨ فيها عام الجوع الكبير - أنظر : الذهبي : تاريخ الإسلام
مجلد ١٦ ص ٢٠٠
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٩ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٧٩ .
(٥) أبو الفدا : البداية والنهاية ج ٢ ص ٦٨ .

وساعد على تفاقم الأزمة عام ٤٤٨ هـ أن الأموال في القصور
خلت نتيجة للاتفاق لاجل تجهيز المؤيد في الدين الذي أرسل
لدعم ثورة البساسيري الذي أقام الدعوة للفاطميين في بغداد . (١)
وقد خلط المقرئ بين هذه المجاعة والشدة المستنصرية ،
حيث ذكر أنها امتدت سبع سنوات بدءاً من عام ٤٤٧ هـ . (٢)

ولم تكن مصر وحدها هي التي تعاني من المجاعة والماء . قد
حدث بمكة سنة ٤٤٧ هـ بسبب عدم إرسال الطعام إليها من مصر ، وبلغ
سعر الخبز عشرة أرطال بدينار ، ثم اختفى الخبز ، فأشرف الناس والحجاج
على الهلاك ، ولم ينقذهم إلا الجراد الذي ملأ الأرض فأكلوه ثم خفت
وطأة الأزمة برحيل الحجاج عن مكة . (٣)

وفي عام ٤٤٨ هـ عم الماء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل
وخراسان والجال وسائر بلاد الشام وأكل الناس الميتة في العراق . (٤)

واستمر الغلاء والماء في عام ٤٤٩ هـ / ٥٧ - ٥٨ م في العراق وبخارى
وأذربيجان والأهواز ، وخلت أكثر دور بغداد وسدت على أهلها أبوابها
بما فيها وأهلها موتى فيها وأكل الناس الجيف والكلاب بل والادميين . (٥)

-
- (١) ابن ميسر : المصدر السابق ص ٨ ، عن ثورة أبي الحارث ارسلان بن
عبدالله البساسيري : انظر في ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٢) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٣٥ .
(٣) ابن الاثير : كامل ج ٨ ص ٧٣ .
(٤) المصدر السابق ص ٧٩ أبو الفدا : المصدر السابق ج ١٢ ص ٦٨ .
(٥) أبو الفدا : المصدر السابق ج ١٢ ص ٧٠ - ٧١ .

وكان سبب هذا الماء قلة الاغذية والجوع فنبشت الاموات واكلهم الناس . (١)
وتعرضت مصر عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م لانتشار وباء الطاعون ، فمات
في عشرة اشهر كل يوم ألف انسان . (٢) ويدو ان سبب هذا الوباء
كان الارتفاع الكبير لفيضان النيل (١٩ ذراعا ، و ١٢ اصبعاً - انظر الملحق)
إلا أن كل هذه الوقائع المريعة ، تتضائل امام جسامة أحداث المبطعة
التي اجتاحت مصر لمدة سبع سنوات بدأت في عام ٤٥٧هـ واشتهرت هذه
المجاعة باسم الشدة المستنصرية التي يقال أنه لم يحدث مثلها منذ
زمان يوسف عليه السلام . (٣)

وسبب بداية هذه المجاعة هو قصور ماء الفيضان - إلى حد ما -
فارتفعت الأسعار وأعجب ذلك الماء حتى تعطلت الاراضى عن الزراعة . (٤)
وظل النيل بعد هذه السنة يمدو وينزل فلا يجد من يزرع . (٥)

ولاشك ان نزاعات الجند التي شلت يد الحكومة ، وأخلت بالأمن ،
هى التى جعلت من هذه الأحداث كارثة حقيقية طال أمدها إلى سبع
سنوات ، ولغت أقصاها في عام ٤٦٢هـ / ٦٩ - ١٠٧٠م ، فعظم الجوع

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٧٤ .

(٣) ابن العماد الحلبي : شذرات الذهب ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٤) المقرئى : إغاثة الأمة ص ٢٣ .

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

واشتد الموء وانتشر السلب والنهب ،^(١) ولعل مرجع ذلك النقصان
الاقتصادى الذى فرضه ابن حمدان على القاهرة والفسطاط .
وخلال هذه السنوات ، انهارت القوة الشرائية للنقود ، وارتفعت
أسعار المواد الغذائية بشدة ، حتى أن حارة بالفسطاط بيعت بطبق
خبز ، كل رغيف فيه بمنزل فعرفت لذلك بخارة النليق .^(٢) ومثل
أحد الاغنياء أمام المستنصر ليشكو من أنه اشترى أردبا من القمح بسبعين
دينارا ، فنهبه منه العامة حتى لم يبق منه سوى سبعين حبة قمح
أى أن كل حبة بدينار واحد .^(٣) وهناك قصة أخرى مشابهة مفادها
أن امرأة اشترت تليس دقيق بعقد جواهر قيمته ألف دينار ، وعند
تحركت به من الفسطاط فى طريقها إلى القاهرة ، وسط الحراسة المشددة ،
هجم الناس عليها فنهبوه فلم يبق لها سوى حفنة من الدقيق فعجنتمها
وشوتها فصارت قرصة حملتها وتوصلت إلى أحد أبواب قصر الخليفة
ووقفت على مكان مرتفع ويدها القرصة وصاحت يا أهل القاهرة ادعوا
لمولانا المستنصر الذى أسعد الله الناس بأيامه وأعاد عليهم بركات
حسن نظره حتى تقويت على هذه القرصة بألف دينار .^(٤)

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠ ، أبو المحاسن : المصدر
السابق ج ٥ ص ٨٤ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤) المقرئى : إغاثة الامة ص ٢٥ ، انظر د . ماجد : امرأة مصرية تتزعج
مظاهرة (مرجع سابق) .

وحركت الحادثة الأخيرة ، مشاعر المستنصر بالله ، وربما يكون قد خشي
ثورة العامة عليه مع تزايد تمرد الجند وعصيان ابن حمدان ، فأحضر
الوالي وتهدده وتوعده إذا لم يظهر الخبز في الأسواق بالقتل والنهب .
فخرج الوالي من بين يديه وأحضر من الحبس قوما من المحكوم عليهم
بالاعدام والبسهم ثياب التجار ، ثم جمع تجار الغلة والخبازين والطحانين
ومقد مجلسا عظيما وأحضر أحد المجرمين فقال له " ولك ما لك انك خذت
السلطان واستوليت على مال الديوان إلى أن خربت الأعمال ومحقت الغلال
فأدى ذلك إلى اختلال الدولة وهلاك الرعية ؟ اضرب رقبتك " فضربت رقبة
الرجل وفعل نفس الشيء مع رجل ثان ، فخاف التجار والطحانون والخبازون
ووعدا الوالي باظهار الغلة وإدارة الطواحين وعارة الأسواق بالخبز مع
تخفيض الأسعار ليبيع الخبز رطلا بدرهم ، فرفض الوالي ذلك السعر ، فقالوا
رطلين بدرهم فأجابهم الى ذلك ، فوفوا بعهدهم . (١) .

وبدل ذلك على مدى خطورة الدور الذي لعبه الاحتكار التجارى اثنا
المجاعة وأهمية دور الحكومة المركزية في معالجة الامر .

ونظرا لسوء العلاقات مع بيزنطة منذ عام ٤٤٢ هـ ، فان انظار الخلافة
اتجهت إلى أماكن أخرى من بلاد الخلافة لاستيراد الطعام ، الذى فقد
في مصر سنة ٤٦٤ هـ / ٧١ - ٧٢ م ، فجاء الطعام بالمراكب من صقلية والمهدية . (٢)

(١) المقرئى : اغاثة الامة ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٧ .

ولاشتداد المسغبة وطول أمدّها لجأ الناس إلى أكل نحاتة النخل ،
بل طبخوها جلود البقر واعيها رطلا بدرهمين (١) ، ثم أكل الناس
الحيوانات الأليفة ، فيبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير (٢) والقط بثلاثة
دنانير . (٣) ولم تسلم دواب الخليفة ، حتى لم يبق له سوى ثلاثة
أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين فرس وجمل ودابة ، وحدث أن وزير
المستنصر ترك على باب القصر بظته وليس معها الأغلام واحد ، فجاء ثلاثة
وأخذوا البغلة منه ، فلم يقدر على دفعهم لضعفه من الجوع ، وذبحوها
وأكلوها ، فأخذوا وصلبوا فأصبح الناس فلم يروا إلا عظامهم ، إذ أكل
الناس في تلك الليلة لحومهم . (٤)

وتعدى الأمر إلى أكل الجيف والميتات ثم لحوم آدميين . فقد
اعتادت طوائف من أهل الفساد أن تسكن بيوتا قصيرة السقف ، قريبة
من المارة ، تمكنها من خطف المارة بواسطة خطاطيف وجبال أعدها

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٧ ، ٣٠٧ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٧ ، المقرئى : اغثة الامة ص ٢٣ - ٢٤ ،
الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١٦ .

(٤) ابوالمحاسن : ج ٥ ص ١٥ - ١٦ ، المقرئى : اغثة الامة ص ٢٤ .

لذلك ، ليقوموا بعد خطف الفحبة بضربه بالأخشاب حتى يتمكنوا من
تشجيع لحمه وأكله . (١)

ويدو أن قصص أكل لحوم البشر ليست من نسج خيال الكتاب
إذ أورد لنا ابن دقماق إسمين لزقاقين بالفسطاط لهما صلة بهـــــ
القصص ، أولهما زقاق البواقيل الذي يعرف أيضا بزقاق الندافين حيث
كان جماعة يقفون أيام الشدة المستتصية تحت القبو هناك فمن مرهم
ندفوه ونزعوا ما عليه ورموه في بئر هناك ، والآخر هو زقاق العكامين
حيث كان أناس يعمدون الناس بأكر في أفواههم ثم يحملونهم إلى زقاق
القتلى ليقتلونهم فيه فسعى بذلك . (٢) وصارت لحوم الآدميين سلعة
رائجة يقوم الطباخون ببيعها مطبوخة بعد أن يذبحوا ضحاياهم من
الصبيان والنساء . (٣)

(١) لبن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ١٩ - ٢٠ ، المقریزی : اتعاظ الحنفا ج ٢
ص ٢٩٦ . وظاهره أكل لحوم البشر لم تكن قاصرة على مصر مثلما رأينا فـسـى
الماء والمجاعة التي اجتاحت بغداد عام ٤٤٩ هـ ، وكان الحصار الاقتصادي
والعسكري يدفع بالسكان إلى أكل الميتة ، مثلما حدث لطرشوس التي حاصرها
البيزنطيون حتى سقطت في أيديهم عام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م . انظر : آدم متسر
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد أبو ريده - القاهرة
١٩٤٠ - ج ١ ص ٨ ، ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ١٧٩ .

(٢) ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيمن العلاني : الانتصار بواسطة عقد
الأمصار - مطبعة بولاق - ١٣٠٩ هـ ج ٤ ص ١٦ ، ١٨ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥ .

ومن حوادث أكل لحوم البشر ما ذكر عن امرأة خطفها أنسان ،
وكانت بدنية ، فأدخلها بيتافيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى ، وأوثقها
وأخذ يشرح من أفخاذها وشوى حتى شيع وسكر فقرت منه واستغاثت بالوالى
الذى كبس الدار وضرب عنق الرجل . (١)

وقد أضاف بعض الكتاب تفاصيلاً مبالغ فيها ، فمنهم من جعل آكلسى
لحوم البشر من السودان . (٢) ومنهم من قال أن الوالى أخرج من
الدار التى كبسها الوفا من القتلى . (٣)

وربما كان أكل الجيف والميتات ولحوم البشر ، هو الذى ساعد
على انتشار الماء الذى كثرت ضحاياه حتى عجز الناس عن تكفين موتاهم
فألقوهم فى الحفر جهاطت وهالوا التراب عليهم ، أو قذفوا بهم فى النيل
بدون الكفان . (٤)

ويقدر البعض أن هذا الماء أفنى ثلثى أهل مصر ، خاصة وأن الجسد رى
انتشر بين الاطفال حتى أفنى منهم ٢١٠٠٠ طفل فى شهر واحد . (٥)

-
- (١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .
(٢) أبو المحاسن : العجسوم الزاهر ج ٥ ص ١٧ .
(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٤ .
(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ ، ٣٠٧ .
(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٥ .

وإزاء هذه الكوارث ، اضطر الأثرياء إلى الهرب إلى الشام والعراق هرباً من الجوع والفتن ، وعلى رأس هؤلاء التجار الذين ابتاعوا ثياب المستنصر وذخائره والآلته التي باعها الأتراك من خزائنه ، وتركزت حركة الهجرة في طي ٤٦٢ هـ ، ٤٦٣ هـ (١٠٦٩ - ١٠٧١ م) (١)

ويستفاد من المصادر التي ذكرت تاريخ ٤٦٤ هـ / ٧١ - ١٠٧٢ م كنهاية لهذه المجاعة أن الأزمة الاقتصادية انفجرت بعض الشيء ، يقتل ابن حمدان عام ٤٦٥ هـ ، وإن ظلت حالة البلاد في اضطراب حتى وضع بدر الجمالي حداً لذلك بقدمه إلى مصر سنة ٤٦٦ هـ .

وفي أواخر عهد المستنصر تأخرت زيادة النيل في سنة ٤٨٢ هـ / ٨٩ - ٩٠ م فأرسل الخليفة بطريق الأقباط ميخائيل بهدية إلى الجيشة ، التي أمر ملكها بفتح سد يجرى منه الماء إلى مصر ، ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع . وخلع المستنصر على البطريق عند عودته . (٢)

في خلافة المستعلي بالله (٤٥٧ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠١ م) عانت البلاد من مجاعتين خطيرتين أولهما كانت في عام ٤٩٠ هـ / ٩٦ - ١٠٩٧ م

(١) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ ، الخطط ج ١ ص ٣٣٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٠٨ .

(٢) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٣٧ .

وانتشر معها الماء .^(١) ولم تذكر المصادر التاريخية سببا لهذه المجاعة ، ولكن من خلال استقراء ما ورد بجدول مقياس النيل المرفق نستطيع أن نرجع هذه المجاعة إلى النقص النسبي في ماء الفيضان الذي بلغته زيادته ١٦ ذراعا و ٢١ أصبعا حسب الدوايري ، وهذا أقرب للمنطق من الزيادة التي أوردها أبو المحاسن (١٢ ذراعا وأصبعا واحدا) .

والثانية وقعت في سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ - ١١٠٠ م ، مع اشتداد الماء الذي أدى بحياة كثير من السكان .^(٢) والسبب أيضا هو نقص زيادة النيل (١٥ ذراعا و ١٥ أصبعا حسب الدوايري وهذا أكثر قبولا من ١٨ ذراعا و ١٥ أصبعا التي أوردها أبو المحاسن) .

وطشت البلاد مجاعتين أيضا في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) وقعت أولى هذه المجاعات فمضى وزارة الأفضل بن بدر الجمالي ، ووصل سعر القمح فيها إلى كل مائة أردب بمائة وثلاثين دينارا .^(٣)

وربما يرجع سبب هذه المجاعة إلى نقص فيضان النيل ، حيث بلغ ١٥ ذراعا وأصبعا ثم هبط الفيضان بعد ذلك فشرقت البلاد .^(٤) وان كانت

(١) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٧ ، المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٩

(٢) المقرئ : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٥ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٦ .

(٣) المقرئ : اغة الأمة ص ٢٦ - وذكر ابن اياس ان ثمن الأردب كان ٣٠ دينارا (ج ١ ص ٦٣) .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٣ .

قوائم النيل لا تحوى فيضانا بهذا الانخفاض فى عهد الأمر بأحكام الله
ولا يوجد بالمصادر التاريخية تحديد واضح لسنة هذه المجاعة ، الترسى
وقعت فى وزارة الأفضل بن بدر الجمالى الذى قتل عام ٥١٥هـ / ٢١-١٢٢م^(١)
اللهم إلا إذا كانت تلك السنة التى ذكر عنها السيوطى ان القمـ
"عزبها ثم هان" ، وهى سنة ٤٩٧هـ / ٠٣ - ١٠٤م^(٢) وتكون هـى
نفس السنة التى قال عنها ابن اياس ان الغلاء دام فيها نحو ستـ
أشهر ، انخفضت الأسعار بعدها وكثرت الغلال^(٣) (فيضان النيل فى هذه
السنة كان ١٧ ذراطا و ١٣ أصبعا) .

ويرجع الفضل فى تفادى هذه الأزمة إلى السياسة الحكيمة التى اتبعها
القائد أبو عبد الله ابن فاتك ، الذى لقب فيما بعد بالمأمون البطشلى
فقد قام بالختم على مخازن الغلات ، وبغير أصحابها بين البيع منها بسعر
ثلاثين دينارا لكل مائة أردب ، أو الختم عليها حتى دخول الغلة الجديدة ،
فأجابه بعض التجار إلى ما طلب ، ثم قام بعد ذلك بتقدير ما تحتاجه
البلاد يوميا من الغلال ليصرف من المخازن بالسعر الذى حددده ،

(١) ابوالمحسن : النجوم الزاهية ج ٥ ص ٢٢٢ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٣ .

(١) فانخفضت الأسعار.

في هذه السنة أرسل البطرك إلى الحبشة بسبب نقص الفيضان
الا أن توجهه لم يفد شيئاً. (٢)

في عام ٥١٠هـ / ١٦ - ١١١٧م هبت على مصر رياح مريسة
دامت ثلاثة أيام ، فأهلكت كثيراً من الناس والحيوانات. (٣)

وفي أواخر عهد الأمر ، وعد القبض على المأمون البطائحي ومصادرتة
عام ٥١٩هـ / ٢٢ - ١١٢٣م ثم قتله عام ٥٢٢هـ / ٨ - ١١٢٨م (٤) ، ارتفعت
الأسعار حتى وصل سعر أردب القمح إلى دينار واحد. (٥).

ومثل المجاعة السابقة ، لا يوجد تاريخ محدد لها ، سوى انهـــــــــا
حدثت في أواخر أيام الأمر بأحكام الله. (٦)

(١) المقرئى : إغاثة الأمة ص ٢٦ - ٢٧ ، اتعاظ الحنفا ج ٣ (هامش ٤)
ص ٦٦ - ٦٧ . جاء في بدائع الزهور أن الوزير وقت هذه المجاعة كان المأمون
البيطائحي ، الا أن المقرئى ذكر أن الوزير كان الأفضل ، وقال ان القائد
أبى عبد الله بن فاتك ، عرف بعد ذلك بالمأمون البيطائحي عندما صار وزيراً
انظر : ابن اياس : المصدر السابق ج ١ ص ٦٣ .

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ١ ص ٦٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٠٥ .

(٤) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١٧٠ .

(٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٣٣ ، مستفاد ذلك من عبارة المقرئى
" وكان الناس قد ألفوا الرخاء أيام الأفضل والمأمون . "

(٦) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٩١ .

ويرجح أن هذه المجاعة حدثت عام ٥٢١هـ / ١١٢٢م ، حيث سجلت زيادة النيل أدنى مستوى لها بعد عام ٥١٩هـ ، وهو ٦ أذراعا و ١٥ أصبعا طبقا لابن أبيك الدوادارى .

أما أول مجاعات خلافة الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩م) فقد كانت في سنة ٥٣٢هـ / ٣٧ ١١٣٨م ، في وزارة الأفضل رضوان بن ولخشي . (١) ومحيط الشك بما ذكر^٢ تسبب نقص الفيضان^(٢) ففى هذه المجاعة إذ أن النيل بلغت زيادته ١٧ ذراعا و ٣ أصابع (ابن أبيك) أو ١٨ ذراعا و ١٢ أصبعا (أبو المحاسن) وربما كان السبب هو تأخر الزيادة فقط أو عدم زراعة بعض الأراضى .

ولا يستبعد أن يكون وراءها الوزير السنى ابن ولخشي ، الذى كان يحاول النيل من مركز الخليفة وتآليب الرعية عليه ، فحينما أمر الخليفة الحافظ لدين الله بفتح الاهرام والبيع منها للناس بسعر منخفض ، لم يشغل الوزير لهذا الأمر مما جعل الحافظ يسعى لقتله فيما بعد . (٣)

وان كان الوزير قد حاول علاج هذه المجاعة عن طريق تأديب محتكرى الغلال ، الذين يرفعون الأسعار وأمرهم بتوريد ما يحتاج اليه كل يوم من الغلال ، وأشرف على نفاذ ذلك بنفسه حتى انخفضت الأسعار (٤)

(١) المقرئى : اقامة الأمة ص ٢٧ .

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٤) المقرئى : اقامة الأمة ص ٢٧ .

ويدو أن ذلك الاجراء كان في العام التالي ٥٣٣هـ / ٣٨ - ١١٣٩م ، حينما
تزايد ارتفاع الأسعار حتى بلغ أردب القمح ثلاثة دنانير ، واضطر الوزير
كذلك إلى اخراج الغلال التي سبق أن رفض إخراجها بأمر الخليفة
وأن كان ذلك بعد أن فسدت وأرادوا ربيعها في النيل فكانت تقطع بالفئوس وتباع
بأربعين دينارا كل مائة أردب ، وكذلك الأرز الذي أبيع بعشرة دنانير
المائة أردب ، فوجد الناس بذلك الطعام الفاسد ما يسد رقهم . (١)

وآخر المجاعات التي وقعت في عهد الحافظ كانت طويلة نسبيا ،
إذ استمرت ثلاث سنوات من ٥٣٦ إلى ٥٣٨هـ ، وصحب المجاعة ماء في العامين
الأولين وإن بلغ مداه في عام ٥٣٧هـ / ٤٢ - ١١٤٣م .

وكان ابتداء ذلك في شهر شعبان سنة ٥٣٦هـ / ١١٤٢م ، فبلغ
سعر القمح تسعين درهما للأردب والدقيق مائة وخمسين درهما الحملة
والخبز ثلاثة أرطال بدرهم ، والشعير سبعة دراهم الوبيه ، والزيت الطيب
الرطل بثلاثة دراهم والجبن كل رطل بدرهمين ، والبيض كل مائة بعشرة
دراهم والزيت الحار الرطل بدرهم ، والقلقاس كل رطل بدرهم ، ولم يقدر
أحد على شراء الدجاج لارتفاع ثمنه . (٢)

(١) المقرئى: اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ١٦٨ .

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق ج ٢ ص ٨٥ ، المقرئى: اتعاظ الحنفا
ج ٣ ص ١٧٦ .

ويدو أن سبب هذه المجاعة هو الانخفاض النسبي لماء الفيضان (١٦ ذراعا و ١١ أصبعا) وهو حد وان كان لا يعنى القحط، إلا أنه يمكن ان يكون كذلك مع حكومة مركزية منهارة ، وهو ما كان واقعا بالفعل فيعد الأزمة التي أثارها رضوان بن ولخشي وانتهت بقتله ، لم يستـوزر الحافظ أحدا حتى عام ٥٣٦هـ حينما بدأت المجاعة المصحوبة بالماء (١) واستمرت لعامين حسبما ذكرنا سابقا .

أما سبب ارتفاع الأسعار في العام الثالث ٥٣٨هـ / ٤٣-١١٤٤م فيرجع إلى خرج محمد بن رافع اللواتي بالبحيرة على سلطة الخلافة ، وان كان قد قتل بعد عدة مواقع على يد والى البحيرة طلائع بن رزيك ، وأدى هذا الاضطراب ولا شك إلى ارتفاع الأسعار . (٢)

وقع الغلاء في خلافة الفائز بنصرالله (٥٤٩-٥٥٥هـ / ١١٥٤-١١٦٠م وزارة الصالح طلائع بن رزيك عام ٥٥١هـ / ٥٦-٥٧٠م ، ولا يمكن القول بأن سبب هذه المجاعة انخفاض فيضان النيل (٣) ، الذى وصلت زيادته إلى ١٧ ذراعا و ٨ أصابع . ولعل مرد ذلك إلى احتكار الغلال ،

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٧ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٨٦ ، المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٣ ص ١٧٨ .

(٣) المقرئى : أغثة الأمة ص ٢٧ ، اتعاظ ج ٣ ص ٢٢٩ .

فارتفعت أسعارها . (١)

ولجأت الحكومة إلى اخراج الغلال من الاهراء بكميات كبيرة ، وفرقتها على الطحانين مع تخفيض الأسعار ، ومنعت الاحتكار ، كما تصدق الصالح طلائع نفسه وغيره من الامراء ، بما نفس عن الناس ، ولم يستمر الحال على ذلك سوى مدة يسيرة ، حتى "فج الله وهجم الرخاء" (٢)

وكان من أثر اتجاه الصالح طلائع إلى ممارسة الاحتكار والاتجار في الغلال أن وقع الغلاء وارتفعت الأسعار في عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م ففى خلافة العاضد لدين الله . (٣)

(١) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٣٩ .

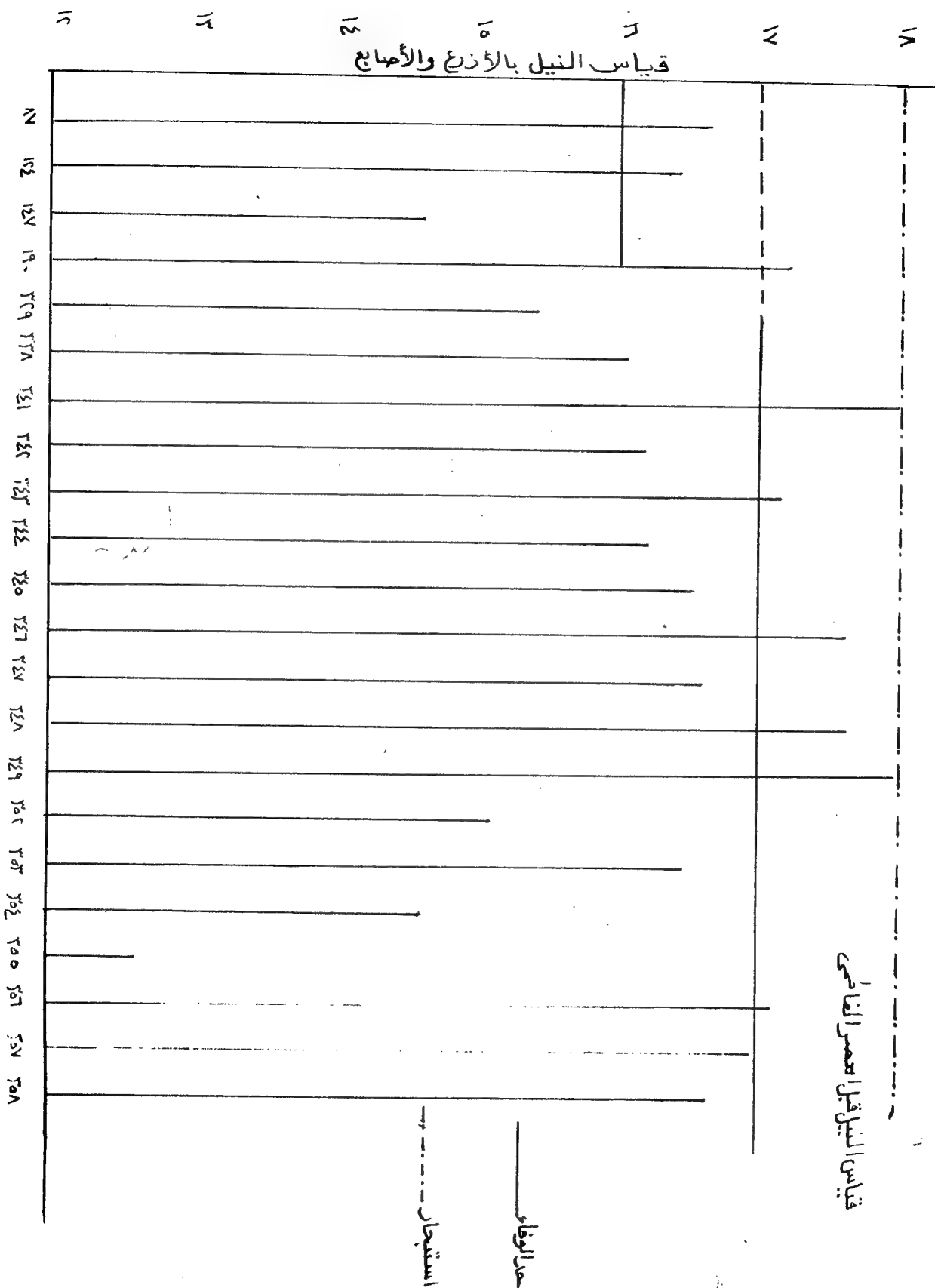
(٢) المقرئى : اغةة الأمة ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٢٤٤ . والغريب ان ابن تغرى بردى

يذكر انه لما توفى الصالح طلائع مقتولا سنة ٥٥٦ هـ حزن الناس عليه

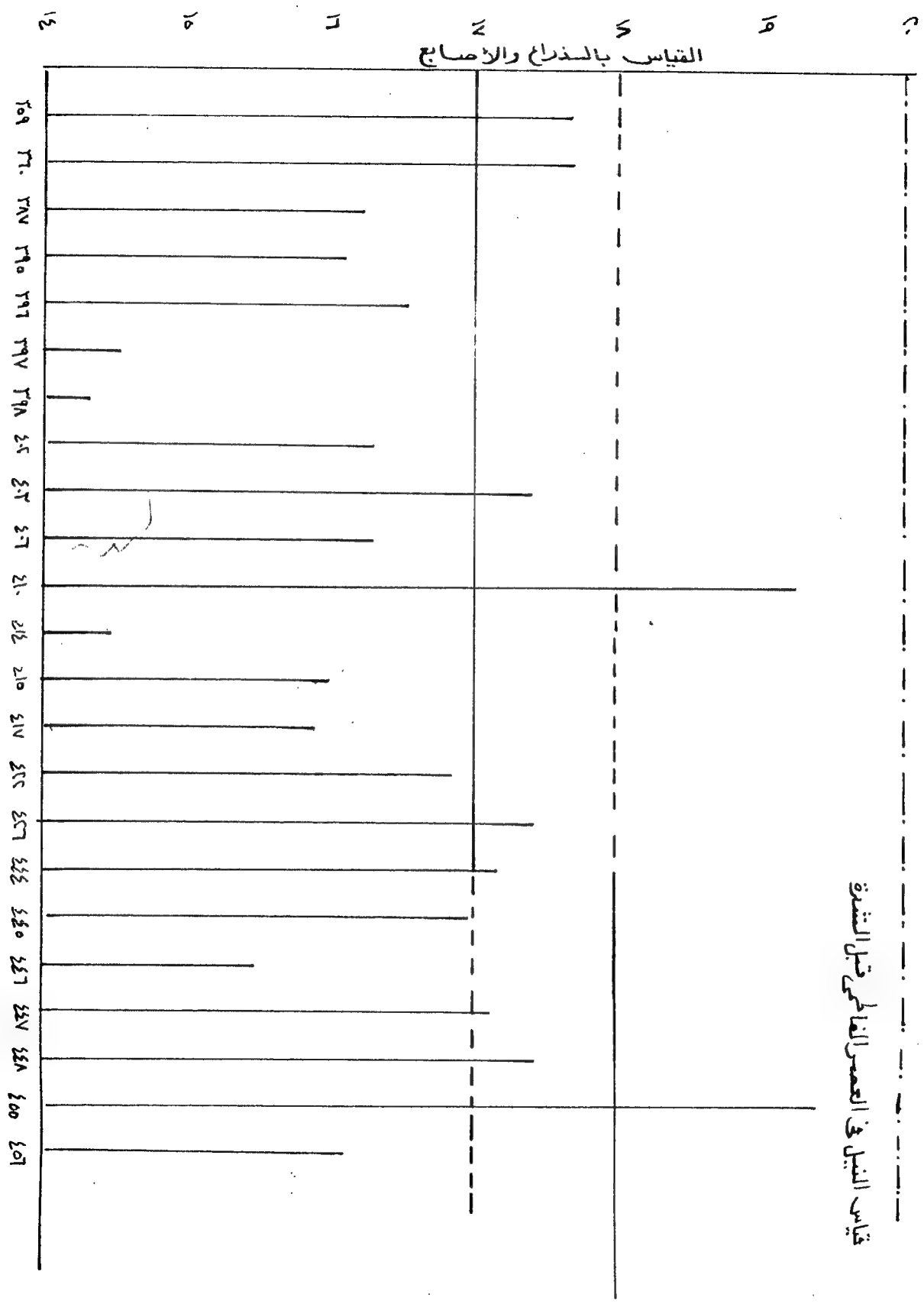
لحسن سيرته - النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٤٥ .

قياس النيل بالأذرع والأصابع



قياس النيل في العصر الفاطمي قبل المندرة

القياس بالسذراع والأصابع

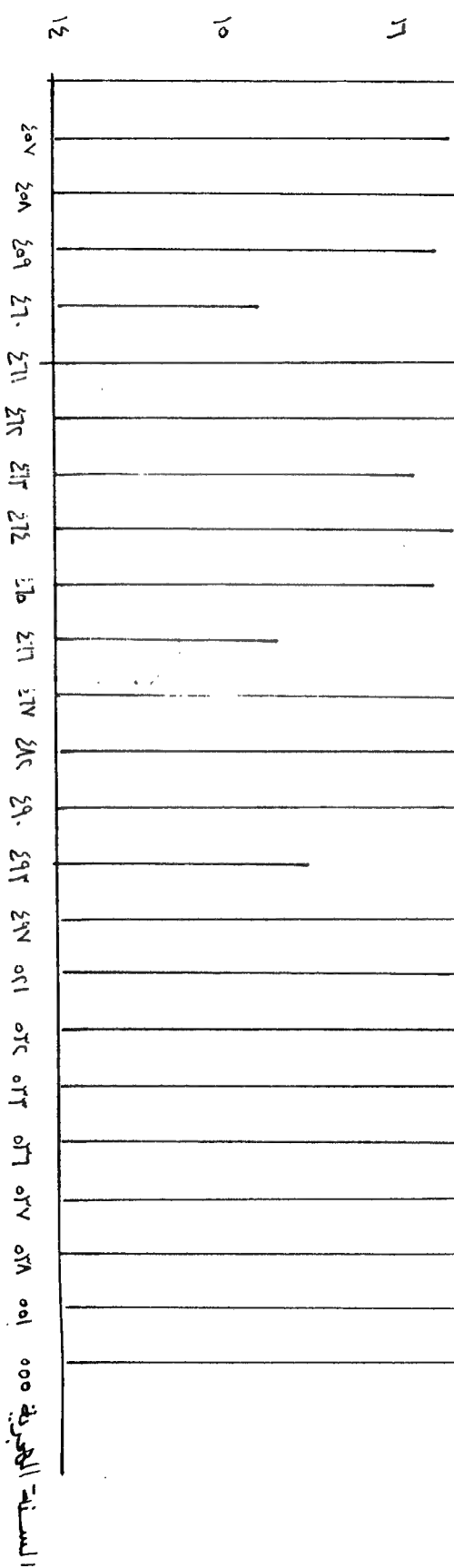


قياس النيل في العصر الفاطمي منذ السنة العظمى

حد الوفاء

استبحار

قياس النيل بالذراع والأصابع



الفصل الثاني

النتائج السياسية
والاجتماعية للمجاعات

كان طبيعياً أن تؤثر هذه المجاعات المتعاقبة على مجرى الحياة في المجتمع المصري بل وعلى الحياة داخل حدود الخلافة الفاطمية المترامية الأطراف بين أفريقيا وآسيا وأوروبا ، طالما كان المجتمع يتبادل التأثير والتأثر بين كل أجزائه ، فما أن يصيب أحد جوانب الحياة متغير حتى تتأثر الجوانب الأخرى بهذا المتغير .

وإذا كان تأثير المجاعات قد امتد ليشمل جوانب الحياة المختلفة سواء أكانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، فإن درجات التغيير التسي أصابت هذه الجوانب تراوحت عفاً من جانب لآخر ومن مجاعة إلى أخرى .

وفي مجال الدراسات التاريخية ، فإنه من الصعوبة بمكان رصد هذه المتغيرات باعتبارها ردود فعل آلية ، تحدث فجأة ولا مقدمات ، إذ هي أقرب إلى التفاعل الكيماوي بين مجموعة من المواد المختلفة (الحوادث التاريخية) ، التي تخرج لنا بمادة جديدة رغم أنها بالأصل مزيج من مواد قديمة ، ومعنى آخر فإن توالي أحداث المجاعات من الممكن أن يحدث تغيرات كمية ضئيلة في كل مرة وتتراكم هذه التغيرات الكمية حتى تصل إلى مرحلة تاريخية معينة ، تتحول فيها إلى تغير كيميائي ملموس ، هذا بالإضافة إلى ما كانت فيه المجاعات عامل دفع ساعد على تطور أوضاع بعينها إلى منتهاها .

وحسن بنا أن نبدأ ببيان المتغيرات السياسية التي كان لها عظيم الأثر في التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

أولا : النتائج السياسية للمجاعات

١- ضعف السلطة المركزية :

أسلف القول بأن السلطة المركزية هي
مقياس حالة البلاد ، وخاصة وقت المجاعة ، التي تلعب السلطة القوية
دورا أساسيا في تحجيم الأضرار الناجمة عنها .
ولاشك أن ضعف السلطة المركزية كان يفضي إلى تزايد أخطار المجاعة ،
كما أن المجاعات بدورها كانت تؤثر على تماسك هذه السلطة وتحد من
سلطتها في كثير من الحالات .

وإذا كان الخليفة الفاطمي هو رأس هذه السلطة ورمزها الديني
والدنيوي ، مثلما كان الملك - الفرعون في مصر القديمة ، فإن أجنحة
الممارسة السياسية تتمركز بشكل رئيس في البيروقراطية المدنية والعسكريين ،
ومثل هؤلاء الثلاثة في عصر الدولة الفاطمية على وجه الخصوص جوهر
السلطة المركزية .

ومعنا فقد تحطمت السلطة المدنية البيروقراطية وانهار الاقتصاد
وأصاب الدولة الفاطمية في مجملها الضعف نتيجة للمجاعات المتتالية (١) ،
وأضحى هذا الضعف متغيرا كيفيا ملموسا منذ الشدة المستنزفة التي

تعتبر حدا فاصلا في تاريخ الدولة الفاطمية . (١) حتى انه يمكن اعتبار الخلافة من عهد بدر الجمالي مجرد خاتمة طويلة لحياتها .

بيد أن ضعف الدولة الذي أصبح معلما بارزا بدءا من النصف الثاني لخلافة المستنصر بالله ، لم يكن الا تنويعا لسلسلة من الضربات التي أصابت مركز الدولة ، وحطت من هيبتها ، بل ويمكن القول بأن هذا الانحدار فسي فاعلية السلطة المركزية تمثل أولا وقبل أى شئ في التغير النسبي لثقل كل طرف من أطراف ثلاث السلطة ، وان هذا التغير كان يحدث عادة في أعقاب المجاعات .

وقد مر تغير هذا الثقل النسبي في ثلاثة أطوار ، سلطة الخليفة المطلقة ، وتزايد نفوذ البيروقراطية المدنية ممثلة في الوزراء وكتاب الدواوين ، ثم سيطرة العسكريين على أداة الحكم .

ولا يفرض هذا التقسيم فضلا تعسفيا بين حوادث التاريخ ، وانما —————
يعنى بالأساس تحديد اتجاهات جهاز الحكم في مراحل المختلفة .

أ - تدهور سلطات الخليفة :

درجت الكتابات التاريخية على التمييز بين فترتين في عمر الخلافة الفاطمية ، تنتهى أولهما بمقدم بدر الجمالي إلى مصر عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م

(١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية
مقالة بالمجلة التاريخية المصرية المجلد السادس عشر - القاهرة - ١٩٦٩ -
١٦ - ١٧

وهي التي تعرف بعصر الخلفاء الأقوياء ، والثانية تبدأ من هذا التاريخ حتى سقوط الدولة الفاطمية وتسمى بعصر الوزراء العظام .^(١) ورغم أناسه من السلم به أن وزارة بدر الجمالي قد دشت عصرا كاملا اتسم بسيطرة الوزراء واستبدادهم بالأمور دون الخليفة الا أن ذلك لا يعنى أن انهيار سلطة الخليفة بدأ فقط من هذا التاريخ .

وليس من المستغرب ان تكون تواريخ المجاطات محدداات لتقلص سلطة الخليفة المطلقة ، كما سنرى ، ونستطيع بداية ان نميز ، داخل ما اصطلح على تسميته بعصر الخلفاء الأقوياء بين ثلاثة مستويات من سلطة الخليفة .

١- الخليفة المطلق النفوذ : (٣٥٨ - ٣٨٦هـ / ٩٦٦ - ٩٩٦م) .

كان الخليفة الفاطمي خلال هذه الفترة (خلافة المعز والعزى — ز) إماما للمسلمين ، لا ينازع أحد سلطته الدينية هذه ، كما كان مطلبا في النفوذ في تسيير الأمور بالبلاد وإليه يرجع أمر تعيين الولاء والقضاء .^(٢) وتأكيذا لهذا التفرد بالحكم لم يستعمل الخلفاء تسمية الوزير " إالفترات قليلة وربما مع يعقوب بن كلس فقط الذي أمر العزيز بالله في رمضان عام ٣٦٨هـ / ٩٧٩م

(١) د . محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي — دار المعارف القاهرة ١٩٢٠ — ص ٣٣ ، وانظر : د حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر .

(٢) يصف العماد الحنبلي المعز لدين الله والعزيز بالله انهما اتسما بالحسب وقوة الشخصية مما مكن لهما من الاستحواذ على الأمور — شذرات الذهب ج ٣ ص ٥٢ — ٥٤ ص ١٢١ .

بأن يخاطب ويكتب " بالوزير الأجل ^(١) " وكان ذلك هو مبدأ ظهور هذا اللقب في الدولة الفاطمية . ^(٢) . وعدا ذلك فقد كانت هذه الوظيفة التي يقوم بها الرجل الثاني في الدولة بعد الإمام مباشرة تسمى بـرتبة الواسطة ، وكان من يتولاها يسمى وسيطا ، أو كانت تسمى بالسفارة لتدل على رتبة من يقوم بتنفيذ رغبات الخليفة ، ولعل استعمال هذين اللفظين يرجع إلى رغبة الخليفة في الإبقاء على سلطته والاستئثار بكل سيطرته فيعتد في تسيير أمور الدولة على وسيط وليس على وزيره بل كان الخلفاء يكلون أمور الدولة أحيانا إلى كتاب عديدين يلقبونهم بمـ بألقاب مثل موقع أو مدير ومصرفون الأمور بعد الرجوع للخليفة . ^(٣)

فجبر بن القاسم الذي ولي الأمور بعد اعتقال يعقوب بن كلـس عام ٣٧٣ هـ / ٨٣ - ١٩٨٤ م لم تكن له القاب ^(٤) . وكذلك كان حال أبي الحسن

(١) أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة - تحقيق عبد الله مخلص - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة ١٩٩٤ - ص ٢١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ٩٧ ، ولمزيد من المعلومات عن ابن كلـس انظر :

Mann (Jacob): The Jews in Egypt and Palestine under The Fatimid Caliphs. Oxford 1920. Vol. I, P. 17-18,

(٢) د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والزمان والأثار - دار النهضة العربية القاهرة - ١٩٧٨ - ص ٦٧ .

(٣) د . عبد المنعم ملحد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ٧٨ - ٨٠ .

(٤) ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٢٣ - ٢٤ .

على بن عمر العداس وأبى جعفر بن الفرات ، الذى ولى تدبير الأموال فى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م خلفا للأول الذى ولىها لمدة عامين . (١)

وكان للخلفاء سيطرة قوية وحازمة على الجيش الفاطمى ، فعلى الرغم من تباين العناصر التى تألف منها الجيش من بربر شكلوا العمود الفقري لجيش الفتح ، ومماليك يونانيين ومقالبه وإيطاليين ، وما أقدم عليه العزيز بالله من الاستعانة بعدد من المماليك الأتراك وخرق من الديالمة حتى أصبح الجيش ينقسم إلى مشارك ومغاربة . (٢) إلا أنه لم تحدث منازعات بين هذه الطوائف المختلفة من الجند حتى وفاة العزيز بالله .

٢- الخليفة القوى يواجه البيروقراطية والجند : (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠)

وتستغرق هذه المرحلة خلافة الحاكم بأمر الله ، الذى ولى الخلافة وهو فى الحادية عشر من عمره ، فتطلعت قوى عديده إلى الاستحواذ على السلطة من الخليفة الصغير ، كان فى مقدمتها طائفة المغاربة التى أصابها الضعف فى عهد الخليفة العزيز بسبب الاستعانة بطوائف من المشاركة فتولى أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار بن أبى الحسين الوساطة سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م وكان مقدما للمغاربة ، (٣) وسعى إلى توطيد نفوذهم مما أدى إلى إثارة المشاركة

(١) ابن منجب الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة - ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) Lewis (B.), Op. Cit . Vol I.P. 187.

(٣) عن لقب أمين الدولة : انظر د . حسن الباشا : الفنون الإسلامية ج ١ ص ٨٦ - ٢٨٧ .

بقيادة برجوان . (١)

وانتهى الأمر بعزل ابن عمار بعد النزاع المسلح الذي نشب بين المشاركة والمفارسة سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م . (٢) ويمكن اعتبار ذلك أول محاولة تقوم بها قوة من ثلوث السلطة المركزية لأجل السيطرة على الأمور دون الخليفة ، على أن النجاح الذي أحرزه برجوان بغرض وصايته على الحاكم لم يستمر طويلاً إذ نجح الخليفة في قتله عام ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، كما قتل ابن عمار أيضاً وأضعف نفوذ المفارسة وافنى شيوخهم حتى اضطروا إلى طلب العفو منه (٣)

ويدو أن برجوان كون لنفسه ثروة واسعة لم تكن مألوفة في وقتها مع سيطرة الخلفاء وتعاضل ثرواتهم ، ولعل ذلك هو الذي أحتق الحاكم عليه فضلاً عن استبداده بالخليفة ، فقد وجد بعد قتله ما ترك ثياباً فاخرة وأواني من الذهب والفضة لا حصر لها عدا الخيول والسرج المذهبة والكتب . (٤)

ويمكن القول بأن فترة خلافة الحاكم قد شهدت تقلص سلطة الخليفة أمام نفوذ طوائف الجند في الأمور السياسية كما بدأت سلطة الخليفة الديني والشخصية التي بلغت أوجها في عهد أسلافه في التقلص جرئياً ، (٥) وإن ظل

(١) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٢) ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) د . ماجد : المرجع السابق ص ٣٧٢ - انظر ترجمة برجوان في أحد بيوت

محمد بن أبي بكر بن هلكان - وفیات الأعمان - تحقيق محمد محيي الدين القاهره ١٩٤٨ ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، وذكر ابن القلائس أنه قتل برجوان لأنه كان يضييق عليه ويريد أن يحجز عليه - ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ - ص ٥٥ .

(٤) القاضي الرشيد بن الزبير : كتاب الذخائر والتحف - دائرة المطبوعات والنشر - الكويت ١٩٥٩ - ص ٢٣٢ ، مجهول المؤلف : كتاب انسان العيون في مشاهير

سادس القرون - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩١٩ - تاريخ تيمور . ص ٤٩٦ ، مجهول المؤلف : شرح اللعمه - ورقة ٥ - ب

(٥) Lewis (B.) : The Camb. Vol. I. P. 187. (٥)

ال خليفة حريصا على عدم التفريط في نفوذه ، ولعله استعاض عن ذلك بالتوسع في اضافة الألقاب وغيرها من التشريفات على وسطائه . (١)

فبينما تمتع المغاربة بنفوذ واسع في بداية خلافة الحاكم ، نجد أن مشاركته استغلوا انخفاض الفيضان عام ٣٨٦هـ / ٩٩٦م واضطراب جبل الأمن بالبلاد وطاحوا بابن عمار (٢) ومارسوا نفوذهم على الخليفة بواسطة برجوان ثم ازداد نفوذهم بالجيش بعد تصفية الحاكم لنفوذ المغاربة عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م (٣) أثناء ثورة ابن ركو التي أحتاج خلالها الى جيش لصد هجماته الآتية من أفريقية فضلا عن اضطراب الحاكم لزيادة مهام الجيش وسلطات قياده لأجل ضبط الأمن بالبلاد أثناء المجاعات المتصلة التي استغرقت معظم خلافته .

وعلى جانب آخر خاض الحاكم صراعا متداعيا مع البيروقراطيين من كتاب الدواوين الذين ربما أغرهم صغر سن الخليفة باستغلال نفوذهم لتحقيق الثروات حتى اضطروهم لطلب الأمان منه . (٤)

وربما كان سفك الدماء الذي يوصم به الحاكم مظهرا من مظاهر نضاله ضد محاولة الانتقاص من سلطانه المطلق . (٥)

(١) د . حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ص ٦٩ .
(٢) كان ابن عمار يلقب بأمين الدولة وهو أول لقب يستعمله الفاطميون في مصر مضافا الى الدولة وسبق استخدامه مع بلكين في المغرب فقد لقبه المعز لدين الله بيسيف الدولة . انظر - د . حسن الباشا : المرجع نفسه ص ٦٩ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٣٧٢ .

(٤) انظر : الفصل السابق .

(٥) د . حسن الباشا : المرجع السابق ص ٦٨ .

وغم صراعات الحاكم مع العسكريين وجهاز الادارة المدنية ، الا ان
نهاية الحاكم جاءت على يد أخته ست الملك وأفراد بيت الخليفة ، الذين
قضوا على محاولته لاستعادة نفوذه المطلق بقتله غيلة ، والاتفاق مع كبار
رجال الدولة ^(١) ، وفي مقدمتهم ابن دواس الذي أصبح محتسبا في خلافة
الظاهر . (٢)

٣- الخليفة المستسلم للبيروقراطية : (٤١١ - ٤٥٧ / ١٠٢٠ - ١٠٦٤ م) .

ظهر مقتل الحاكم بأمر الله كما لو كان انتصارا لتيار رجسـال
الادارة المدنية والعسكريين ، الذي استهدف الحد من السلطان المطلق
الذي تمتع به الخليفة في السنوات السابقة ، وساعدهم على ذلك ضعف
شخصية الظاهر لاعزاز دين الله ، الذي ترك تسيير أمور البلاد بأيدي
ثلاثة من كبار رجال الدولة ، ينتهي اثنان منهم لمعسكر البيروقراطية وهمسا
الشيخ نجيب الدولة الجرجرائي والشيخ العميد محسن بن بدوس والثالثهم
من العسكريين وهو القائد معضاد .
^(٣)

(١) ابن الجوزي : المنتظم - ج ٧ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٣ ، مجهول : شرح اللمعـه
ورقه ٨ (ب) .

(٣) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ - والجرجرائي هذا قطع الحاكم يديه
عام ٤٠٤ هـ وولاه النفقات عام ٤٠٦ هـ .
انظر : ابن منجب : الاشارة ص ٣٥ - ٣٦ .

وقد أفلح هذا الثلاثي خلال المجاعة التي اجتاحت البلاد عام ١٩١٤-١٩١٥ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م في توسيع سلطاته على حساب الخليفة ، السني عجز عن أن يستجيب لصرخات رعاياه لاقتادهم من تحكم رجال الدولة الذين مارسوا الاتجار بأقوات الشعب واحتكروها ، وجنوا الأرباح الوفيـــــرة بالتعاون مع المحتسب كما سبق الإشارة في الفصل الأول .

كما أن العبيد الذين استعانت الدولة بهم في الجيش ، انتهـزوا فرصة المجاعة فنهبوا الغلال وأحرقوا البيوت ونهبوها ، وكان ذلك أول تمهيد لطائفه العبيد على سلطة الدولة .^(١) ولاشك أن فترة حكم الظاهر قـــــــد سجلت تصاعدا ملحوظا في نفوذ الأقباط في الإدارات العليا الأمر الذي انعكس على التسامح معهم سواء في إقامة أعيادهم حتى في أوقات المجاعة وعدم مطالبتهم أيضا باعتناق الاسلام .^(٢)

٤- الخليفة بلاسلطات :

تعد الفترة الأولى من حكم المستنصر بالله فيها قبل الشدة العظمى ، امتدادا لفترة خلافة أبيه الظاهر ، حيث غرد الوزراء وكبار رجال الدولة بالأمور ، وكان لسعي كل منهم للاستحواذ على مقاليد الحكم أثره في سرعة تغيير الوزراء ، مما أفضى إلى اضطراب الإدارة المدنية ونهبها .

(١) المسبحي : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٨ ، القريزي : تعاظ الحنفــــا ج ٢ ص ١٢٠ .

(٢) Lewis (B.) : Islam . Vol .II. P. 228.

في ظل هذا الاضطراب الذي تزايد مع بداية الشدة المنتصرة ، وجد العسكريون ضالتهم المنشودة في السيطرة على البلاد ، خاصة وان طبيعة تنظيمهم العسكري ، جعلت منهم الفريق الوحيد المؤهل للاستيلاء على السلطة ، خاصة بعد أن تضخم الجهاز العسكري نتيجة لاهتمام الخلفاء بقوة مصر الحربية (١) في أطار سعى كل فرقة من فرق الجند لنيل هذا المرام نجح المشارقة بقيادة ابن حمدان في تصفية العبيد السودان ، ثم تخلصوا من ابن حمدان نفسه بعد ذلك .

ويمكن اعتبار الفترة التي امتدت من ٤٥٧ - ٤٦٦ هـ / ١٠٦٤ - ١٠٧٣ م هي بداية لتحكم العسكريين في الخلافة الفاطمية بشكل كامل ، سواء أكان ذلك في صورة تمرد على الخليفة نفسه كما فعل ابن حمدان ، أو تحت لواء كسافعل قادة الأتراك بعد مقتله . (٢)

قبل هذه المجاعة تمتع الخلفاء بثروات خيالية ، فيذكر ناصر خسرو الذي زار مصر في خلافة المستنصر قبيل الشدة ، أن بالقاهرة ما لا يقل عن ٢٠.٠٠٠ دكان ، ملك للخليفة ، معظمها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر وأقلها يؤجر بدينارين ، وثمانية آلاف بيت بالقاهرة ومصر يذهب ايجارها للخليفة ، غير الأرضة والحمامات والأبنية الأخرى التي يصعب حصرها . (٣) كما كان

(١) د . أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٧٢ .

(٢) انظر الفصل الأول .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٨ .

المستنصر يمتلك مساحات شاسعة من الأراضي ، يقع جزء منها على {
ساحل الخليج وشمل ١٦٠ قرية ، ومراكب لنقل البضائع ، بلغ ما يملكه {
منها في تنيس وحدها نحو ألف مركب . (١)

وكانت الأموال المخصصة للبلاط الفاطمي والاتفاق على مظاهر البذخ
من الكثرة حتى كان يشرف عليها ما يسمى بديوان المجلس وسمى متوليـه
بصاحب الدفتر . (٢)

كما تمتع أفراد البيت الفاطمي بثروات هائلة ومن بينهم الأميرات اللاتي
حزن ثرواتهم عظيمة . (٣)

وخلال الشدة المستنصرية تم تجريد الخليفة من كل سلطاته وأمواله ،
وانسقطت هيئته أمام الرعية ، وأجبره ابن حمدان والأتراك على أن يبيع ما فسي
خزائنه للاتفاق فيهم وكانوا يطلبون ذلك شيئا فشيئا " حتى أمست خزائنه
من المال يلقعا . (٤)

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين : ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي
الثاني - رسالة ماجستير مخطوطة بإشراف د . زيدة محمد عطا - كلية الآداب
جامعة المنيا - ١٩٨٠ م - ص ١٦ .

(٤) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٣ (سجل من المستنصر بالله
لعبد المستنصرين الصليحي بتاريخ محرم ٤٦٧ هـ) .

وكانت خزائن الخليفة تحتوى على ما يهدى إلى الخلفاء من ولايتهم
سواء في أفريقيا واليمن أو من حكام المسلمين في الاندلس أو ما كان
يهدى من ملوك الروم للخلفاء (١) وذلك فضلا عما كان يشتري لهذه
الخزائن وقد بلغت مشتريات خزائن البند وحدها منذ فتح مصر على يد
الفاطيين عام ٣٥٨ هـ ، في كل عام من ٢٠٠٠ دينار إلى ٨٠ ألف دينار
حتى استيلاء الأتراك عليها وان " جميعه باق على الأيام لم يتغير " (٢)

وقد فقد الخليفة ايان هذه المجاعة كل ثرواته من الذهب والفضة
والجواهر والأمتعة ، التي أسهبت مصادر تاريخية كثيرة في ذكر تفاصيلها
واثمانها الحقيقية والأثمان التي بيعت بها لابن حمدان والأتراك (٣)

بل ان الحاجة الجأت المستنصر إلى بيع ملابس السياسيين التي
أخذت أثناء ثورة البساسيري في بغداد واضطر إلى أخذ قناديل الفضة
والستور من مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وبيع رخام قبور أجداده (٤) (٥)

(١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥ كانت
هدايا ميخائيل ملك الروم للمستنصر سنة ٤٤٤ هـ من الذهب كما أنه أهدي
أم المستنصر أيضا - نفسه ص ٧٦ ، ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٢ .
(٣) يذكر المقرئى : انه أخرج من خزائن المستنصر ثمان وعشرون صينية مينا مجرأة
بالذهب بيعت كل منها بثلاثة آلاف دينار وأربع مائة قفص كيار من الات مصوغة
مجرأة بالذهب تم سبكها وتفريقها على المخالفين وان الات الفضة وزنها
ثلثمائة الف ونيف وأربعون الف درهم تساوى ستة دراهم بدينار - الخططج ١
ص ٤١٥ وانظر : الذخائر والتحف ص ٢٤٩ - ٢٦٣ حيث ورد ذكر ما أخرج
من الخزائن بتفصيل أكبر .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٦ - ١٧ .
(٥) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٨٥ - ٨٦ .

الخلفاء.

ولمخ الأمر بإيّن حمدان أنه أخذ يرأسل الدول الاخرى باعباره
صاحب مصر ، فأهدى في سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١-٧٠م إلى متملك الروم هدية
جليلة تساوى نحواً من أربعين الف دينار تشمل أواني البللور والأنسجوع
الفاخرة من الثياب ، (١) ويدو أن ذلك كان مما نهب من خزائن القصر .
وفقد الخليفة كل مراسم التعظيم والأبهة ، فبعد المواكب الحافلة
التي كان يركب فيها الخليفة ، أصبح يركب وحده وخواصه ليس لهم دواب
يركبونها ، وإذا مشوا سقطوا من الجوع ، وآل الأمر إلى أن استعسار
المستنصر بغلة يركبها من صاحب ديوان الانشاء . (٢)

وصار المستنصر بالله - يجلس على نخ أو خصير وتعطلت دواوينه
وزهد وقاره ، حتى أن احد الوعظ لسم يجد أحدا عند دخوله القصر
ايستأذن في الدخول على الخليفة ، كما لم ير أحدا في دهاليز القصر
فأنشد يقول :

-
- (١) الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٨٥ - ٨٦ .
(٢) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢ - يذكر ابن خلكان أن المستنصر
كان يستعير من أبيه هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلة ليركبها صاحب مظلمته .
ابن خلكان وفيما ت الأعيان ج ٤ ص ٣١٨ .

يا منزلا لم تيل أطلاله
لم أبك أطلالك لكسى
والعيش أول ما بكاه الفتى
حاشا لأطلالك ان تبلى
بكيت عيش قبل اذ ولى
لايد للمحزون أن يسلى

فلما سمع المستنصر ذلك بكى طويلا (١)

ومع ما كان عليه المستنصر من الشراء ، فان الأمر بلغ به أنه كان لا يجد طعاما ليأكله ، فكانت سيدة من الاشراف تبعث إليه في كل يوم بقعيب من فتيت من جملة ما كانت تتصدق به أثناء الشدة ولم يكن للمستنصر من قوت سوى ما كانت تبعثه إليه مرة واحدة في اليوم والليلة . (٢)

ويدو أن حالة الخليفة بلغت حدا من السوء رقى له معها قلب ابن حمدان ، فأطلق له مائة دينار نفقة في الشهر ، بعد أن قص عليه الرسول الذي بعث به ليطالب الخليفة بالأموال ، ما فيه المستنصر من يؤس حتى صار يجلس على الحصير وليس عنده غير ثلاثة من الخدم . (٣)

وقد من القرح أيضا أهل الخليفة ، فعاقب ابن حمدان أم المستنصر بعقوبات متعددة واستخلص منها أموالا جمّة (٤) ، وأدى هذا الاضطهاد الى تفرق أهل المستنصر عنه هربا من الجوع والاذلال ، فمنهم من سار

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) المقرئى : اغاثة الأمة ص ٢٤ .

(٣) ابن ميسر : اخبار مصر - ج ٢ ص ٢١ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٧ .

الى الشام والمغرب والعراق . (١) ونزحت أمه ومناة الى بغداد خوفاً
أن يمتن جوط ، (٢) وقال أن بعض نساء القصر خرجن ناشرات شعورهن
وصحن الجوع . الجوع . وهن يردن المير الى العراق فتساقطن عند المصلى
بظواهر باب النصر من القاهرة ومنت جوط . (٣)

كما بعث المستنصر بأولاده الى خارج مصر لعدم الطعام فسيـــــ
الأمير عبد الله الى عكا فنزل عند أمير الجيوش بدر ، وأرسل الأمير أبا علي
معه ، وبعث الأمير أبا القاسم والد الخليفة الحافظ الى عسقلان ولم يتحرك
عنده سوى أبي القاسم أحمد . (٤)

تلك كانت حالة الخليفة إبان الشدة العظمى ، فلما جاء بـــــ
الجمالى سلب الخليفة كل صلاحياته الدنيوية كما سنرى ، ولم يبق للمستنصر
أمر ولا نهى الا الركوب فى العيدين ، ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالى
وقام بعده ولده الافضل . (٥)

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٥ ص ٢ ، كان ذلك عام ٤٦٢ هـ كما يذكر
ابن خلكان وهى السنة التى بلغت المجاعة فيها أشدها ، ابن خلكان : - وفيات
الأعيان ج ٤ ص ٣١٨ .
(٣) المقرئى : أتعاض الحنفى ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٤) المصدر نفسه - وقد ولد الخليفة الحافظ لديـــــ
الله بعسقلان التى كانت مقر والده أثناء الشدة العظمى - انظر : المقرئى :
الخطط ج ١ ص ٣٥٧ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ٤ أورد ابن خلكان ترجمة الافضل بن بـــــ
الجمالى وذكر مقدار الثروة التى خلفها بعد مقتله فى خلافة المستعلى بالله -
وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٦ .

ظل الخلفاء من بعد ذلك على نفس الطريق ، فلم يعد لهم من الخلافة سوى الاسم فقط لاستيلاء وزراءهم على الامر وحجرهم عليهم وتلقبهم —مـ باللقاب الملوك ، فكانوا معهم كخلفاء العصر الملوكي مع السلاطين وكخلفاء بغداد مع بني بويه . (١)

بـ اثر المجاط على الوزارة والقضاء :

يكاد يكون تطور نظام الوزارة في مصر الفاطمية هو الوجه الآخر " لعملة " تطور سلطة الخليفة الفاطمي ، فموقع الوزارة من السلطة المركزية ، كان يتحدد ضعفا أو قوة ، بمدى قوة شخصية الخليفة واتساع سلطاته .

خلال فترة الخلفاء الأقوياء (٣٥٨ - ٤١١ هـ / ٩٦٩ - ١٠٢٠ م) لم يعرف الرجل الثاني في الدولة ، دائما ، بلقب " وزير " ، وإنما كان يسمى أحيانا بالواسطة أو السفير ، وربما أدار الخليفة شئون الدولة من خلال الكتاب والموظفين العاديين ، ولم يثبت لقب وزير الابد^١ من خلاف —ة الظاهر لا عزازدين الله . (٢)

وصفة عامة فاننا نفرق خلال العصر الفاطمي بين وزارة التنفيذ ووزارة التفويض . والوزير في الحالة الأولى مجرد منفذ لرغبات الخليفة ، وفي حالة

(١) السيوطي : حسن المحاضرة - ج ٢ ص ١٧٠

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ٧٨ - ٨٠

وزارة التفويض ، يفوض الخليفة إلى وزيره جميع أمور الدولة ولم يعد له
أى سلطة على هذه الأمور ، بل تناول الوزير على سلطة الخليفة الدينية (١)
ويمكن تصيف فترة ما قبل الشدة المستنصرية تحت وزارة التنفيذ ، إلا أنه
باستنجد المستنصر بقائه بدر الجمالي وإلى عكا في عام ٤٦٦ هـ تطورت
السياسة وزارة تفويض . (٢)

وإذا كان من المسلم به اعتبار الشدة المستنصرية سببا مباشرا
في هذا التحول الخطير من وزارة التنفيذ إلى وزارة التفويض ، فإنه لا ينبغي
الغش من شأن التغيرات الكمية التي حدثت في إطار وزارة التنفيذ ، ومدايعة ،
فانه يجدر التنويه إلى أن بعض وزراء التنفيذ ، قبل الشدة ، مارسوا
مهام وزراء التفويض وخاصة الوزراء الأقوياء كيعقوب بن كلس والجرجرائي ، (٣)
ولعل ذلك يدفعنا إلى إطلاق "وزارة المدنيين" أو أصحاب الأقسام
على وزارة التنفيذ "وزارة العسكريين" أو وزارة أصحاب السيوف على وزارة التفويض
التي كان جل وزرائها من قواد العسكر وحكام الأقاليم .

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية - القاهرة - ١٩٥٨ -
مج ١ ص ٢٧ .

(٣) د . محمد حدى المناوى : الوزارة والوزراء - ص ٤٣ - ٤٥ .

تعد وزارات التنفيذ - عدا استثناءات قليلة - تعبيراً عن الثقل السياسي لرجال الإدارة المدنية (البيروقراطيين) ، ولذا لم يكن المستغرب أن يكون العديد من الوزراء من أهل الذمة أو المسالمة . (١) ويمكن تلمس تزايد نفوذ هذه الفئات من حوادث اضطهاد الاقباط الذين علا كعبهم في أيام العزيز بالله ، الذي تزوج من مسيحية ، وبلغ من تحكمهم أن سيده مسلمة وقفت بطريق العزيز وأعطته قصة تتهمه فيها بأنه أهل المسلمين

(١) تولى الوزارة خلال الخلافة الفاطمية أربعة من أهل الذمة أسلموا ، وستة لم يسلموا وقوا على ديانتهم . كان الأربعة المسالمة أي الذين غيروا ديانتهم للإسلام وزراء تنفيذ قبل الشدة وهم : يعقوب بن كلس وصديقه بن يوسف الفلاحى وإبراهيم بن سعد التستري ومنصور بن مكروا . أما أهل الذمة فمنهم خمسة من وزراء التنفيذ وهم : عيسى بن نسطورس وهند بن إبراهيم ومنصور بن عبدون وزرع بن نسطورس وصاعد بن عيسى ، أما السادس وكان بعد الشدة العظمى فهو أبو المظفر مهران الأرمني وكان من قواد الأرمن العسكريين - وهو من وزراء النفوس - راجع : د . المناوى : الوزارة والوزراء - ملحق (٢) ص ٢٩٧ - ٢٠٤ .

وأن كان Mann يذكر أن يعقوب بن كلس مات يهودياً وأنه شمل برطانيته طائفة اليهود - انظر : Mann (J.) Jews in Egypt and in Palestine Vol. I. P. 17.

ومن الملاحظ لبعض من هؤلاء قد تلقب بنعوت فخرية خاصة مثل فهد بن إبراهيم الذى لقب بالبرئيسى ، ومنصور بن عبدون الذى لقب بالكافى وزرع بن نسطورس بالشافى وأخوه صاعد بالأمين الظهير شرف الملك تاج المعالى ندى الجدين - انظر - د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ١٨ - ١٩ .

اليهم وأنه "عدة للنصارى واقة على المسلمين" (١) غير أن الحاكم اضطرف—
الشرط الثاني من خلافته إلى التخفيف من حدة تنفيذ الشروط العمرية لاضطراب
الأمر داخل البلاد بسبب المجاعة والضنك (٢) وذلك حتى لاتصاب الادارة
الادارية بالاضطراب .

بيد أن تغير نظام الوزارة من وزارة تنفيذ الى تفويض ، لم يقضى نهائيسا
على سطوة الكتاب الأقباط وان حد ذلك من نفوذهم ، ففي خلافة الحافظ لديـ—
الله وقعت حادثة حاقي فيها الظلم بأحد المسلمين بفعل أحد الكتاب الأقباط ،
الأمر الذي جعل الخليفة يأمر بعدء استخدامهم في الدولة ، الا أنهم تحايـ
لوا حتى عادوا للخدمة وازداد تحكمهم بالمسلمين . (٣)

ومهما يكن من أمر ، فان الوزراء المدنيين (التنفيذ) الذين تولـ
منهم خمس في عهد العزيز بالله ، وكثر صرفهم وقتلهم في عهد الحاكم بأمر—
الله حتى بلغت عدتهم ثلاثة عشر وزيرا (٤) ، نجح بعضهم منذ عهد—
الظاهر في أن يتقدم أكثر من خطوه مبتعدا عن أن يكون مجرد منفـ

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣١ — كان فهد بن ابراهيم كاتباً لبرجوان وتولى
الوساطة مع قائد القواد الحسين بن جوهر حتى قتل معه في عام ٣٩٣هـ
ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٢٨ .
بين المؤيـ أن اليهود استفادوا من المناصب الهامة التى تولوها فزادوا من
نفوذهم وعملوا لصالح اخوانهم فى العقيدة فأساءوا إلى المصريين والمسلمين : —
انظر : د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر منذ الفتح العربى حتى الغزو
العثمانى المؤسسة العربية بيروت — ١٩٨٠ — ص ١١ — ١٢ .

(٢) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٠٣ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٠٦ .

(٤) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٤٨ — قتل الحاكم تسع وزراء منهم — انظر —
ابن منجب : الاشارة — ص ٢٦ — ٣٣ .

لرغبات الخليفة ، وجاء ترافع قدر رجال الدولة متوافقا مع حالة الصراع التي سادت لاجل الاستحواذ على السلطة من الخليفة الماجن . (١)

ويأتي في مقدمة هؤلاء الوزراء نجيب الدولة أبي القاسم على بن أحمد الجرجاني الذي ولي الوزارة للظاهر في سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م ، (٢) وكان أحد ثلاثة يسيطرون على الأمور في بداية خلافة الظاهر وقت حدوث مجاعة ٤١٤ - ٤١٥ هـ الخطيرة . وقد واجه تفسده بالوزارة وتقرير الأمور مع اخت الحاكم ست الملك بتحد العصيان الحربي وضعف الإدارة الحكومية البيروقراطية . (٣)

ويظهر من سجل تعيين الجرجاني ، انه كان أبعد من أن يكون وزير تنفيذ ، حيث يذكر الخليفة انسه قد فوض اليه أمر وزارته وجعله الوسيط بينه وبين أوليائه وناط به ازمة الحل والعقد والإبرام . (٤)

والأرجح أن الذي دفع الظاهر لزيادة سلطات الجرجاني ، ما آل إليه حال الإدارة المدنية من ضعف وفساد منذ مجاعة ٤١٤ هـ ، فقد

(١) ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزه : ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ ص ٧٣ .

(٢) ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٦ أعيد لقب الوزير الأجل

إلى الجرجاني عام ٤١٨ هـ ولم يمنع من قبل إلا لابن كلس .

د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٦٩ .

Lewis (B.) , The Camb. Vol. I. P. 188.

(٣)

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٠ - ٨٢ .

قام رجالها بالاتجار في الغلال واحتكارها ، كما انتشرت الرشوة بين الكتاب وموظفي الدولة ، كما يستدل من دعوة الخليفة للجرجرائي في سجل التعيين لدراسة أحوال المستخدمين الناظرين في الأموال ومعرفة السبب الذي يدعو المتصرف الى أن يحمل نفسه على الخطئه النكراء في الاحتجار والارتشاء؛ (١)

وقد استمر الجرجرائي — خلافا لمن سبقوه — في الوزارة حتى بعد وفاة الظاهر ووزر للمستنصر بالله حتى سنة ٤٣٦هـ / ٤٤٠م — ١٠٤٥م أي انـــــــه وزير نحو ثمانية عشر عاما . (٢) وقد تعتبر عادة لقب الوزير الأجل ايدانــــا بتدهور سلطة الخليفة ، ذلك التدهور الذي سيؤدي في نحو نصف قــــرون من الزمان إلى ظهور طبقة امراء الجيوش واستبدادهم بالحكم دون الخلفاء (٣) أما ثاني هؤلاء الوزراء فهو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري الذي وزر للمستنصر من عام ٤٤٣ — ٤٥٠ هـ / ١٠٥٠ — ١٠٥٨ م ، ولعل ألقابه تدل على ما تمتع من نفوذ في دولة المستنصر الذي لقبــــه بالوزير الأجل الأوحـــــد المكين سيد الوزراء تاج الأصفياء قاضي القضاء وداعــــى

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق — مجلد ١ ص ١٣٧ .
(٢) ابن منجب : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٣٥ — ٣٦ ، د . المناوي : الوزارة ص ٣٠٧ .

(٣) د . حسن الباشا : الالقاب الاسلامية ص ٦٩ — ٧٠ .

الدعاة علم المجد خالصة أمير المؤمنين الناصر للدين غياث المسلمين ، (١)
وهو بذلك لم يكن فقط رأساً للإدارة المدنية ، بل رئيساً للهيئة
القضائية ومشرفاً على الدعوة الشيعية . ولا شك أن الأكار من ألقاب اليازورى
كان صدى لاتساع نفوذه وارتفاع مكانته عند الخليفة . (٢)

ومن المحتمل أن يكون اليازورى قد شارك المستنصر فى حق من
حقوق الخلافة وهو السكة ، إذ يذكر السيوطى أنه سال المستنصر أن يكتب
اسمه على السكة فكان ينقش عليها :

ضرب فى دولة آل الهدى	من آل طه وآل ياسين
مستنصر بالله جل اسمه	وعبد الناصر للدين

مع ذكر تاريخ الضرب ، وطبعت الدنانير على ذلك نحو شهر ثم أمر المستنصر
أن لا تسطر فى السير وعزل اليازورى بعد ذلك من الوزارة والقضاء فـ
المحرم سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م (٣) .

وقد كان لكل من الجرجرائى واليازورى نفوذ واسع فى الجيش ، حيث
كان باستطاعتهم أو على الأقل بمشورتهم إرسال الحملات التأديبية للجهات
الثائرة . (٤)

(١) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص ٤٠ - ٤٢ - وذكر خطأ أنه
قضى فى عهده على تمرد أبى ركوه عام ٤٤٦ هـ .

(٢) د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٦ .

(٤) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٤٤ - ٤٥ .

وبانتها، وزارة اليازورى تفجرت الصراعات بين طوائف الجند مسن
السودان والأتراك بهدف السيطرة على أمور الخلافة، ودخلت البلاد فسى
مرحلة مخاض تاريخى احتضرت واضمحلت خلالها وزارة المدنيين (التنفيذ) التى
لم تكن ^{تملك} السلاح الذى بسأيدى طوائف الجند .

فمنذ عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م وحتى ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م عند مقدم بسدر
الجمالى ولى الوزارة تسع عشر وزيرا على النحو التالى :-

- ١- أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلى : ولى الوزارة ثلاث مرات أولها فى محرم
سنة ٤٥٠ هـ وصرف بعد شهرين والثانية فى رمضان سنة ٤٥٢ هـ وصرف بعد
أربعة أشهر ، والأخيرة فى ربيع الأول عام ٤٥٤ هـ وصرف بعد خمسة أشهر (١)
- ٢- أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى : تولى من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠ هـ
وصرف فى شهر رمضان من نفس العام . (٢)
- ٣- عبد الله بن يحيى بن المدير : ولى الوزارة مرتين احدهما فى صفر ٤٥٣ هـ
وصرف بعد شهر والاخرى فى شهر ربيع الأول ٤٥٥ هـ وتوفى فى وزارته فسى
جيايدى الأولى منها . (٣)
- ٤- عبد الكريم بن عبد الحاكم : قبرت له الوزارة فى رمضان سنة ٤٥٣ هـ وتوفى فسى
محرم ٤٥٤ هـ وكان قاضيا للقضاة وتولى منصب داعى الدعاة . (٤)

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٤٦ .

(٢) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء - ص ٣٠٧ .

(٣) ابن منجب الصيرفى : المصدر السابق ص ٤٨ .

(٤) المصدر نفسه ص ٤٨ - ٤٩ .

٥- أبو علي أحمد بن عبد الحاكم : تولى الوزارة سنة ٤٥٤ هـ وصرف بعد سبعة عشر يوما وكان قاضيا للقضاة وداعيا للدعاة . (١)

٦- أبو عبد الله الحسين بن سديد الدولة : الذى ولى الوزارة فى ربيع الأول ٤٥٤ هـ وصرف فى ثمانى شعبان بسبب نزاع العبيد والأتراك . (٢)

٧- أبو أحمد أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم : ولى الوزارة دفعيتين ، فى سنة ٤٥٥ هـ وصرف بعد شهرين والآخرى فى ذى الحجة من نفس السنة وصرف بعد خمسة وأربعين يوما وعقب وتوفى بالشام . (٣)

٨- أبو غالب عبد الظاهر بن فضل المعروف بابن العجى ، وكان جده من دعاة الدولة ، وتولى الوزارة غير مرة ، أولها فى جمادى الأولى سنة ٤٥٥ هـ لمدة ثلاثة شهور ، والثانية فى ربيع الآخر سنة ٤٥٦ هـ ولمدة ثلاثة وأربعين يوما ثم ولى الوزارة أثناء الشدة المستتصرية ، فقتله تاج الملوك شادى عنده الشرطة بالقاهرة سنة ٤٦٥ هـ وهو فى طريقة للقصر . (٤)

٩- الحسن بن القاضى ثقة الدولة وسنأوها المعروف بابن كدنية وكان قاضيا للقضاء وداعيا للدعاة ، تردد بين الوزارة والقضاء ، وولى الوزارة خمس دفعات أولها فى شعبان ٤٥٥ هـ ، وكان وزيرا عند قدم بدر الجمالى الى مصر ،

(١) ابن منجب الصيرفى : الإشراف ١٩١ ، يلاحظ أنه تولى مناصب قاضى القضاة وداعيا

الدعاة ، وكذلك أخوه ، وكان أبوهما قاضى طرابلس وانتقل الى مصر . ابن منجب ص ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠ ، وكان قاضيا للقضاة وداعيا للدعاة أيضا .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٠ .

فقتله بدر بدمياط هو وولده . (١)

١٠- أبوالمكارم المشرف بن أسعد وليها مرتين أحدهما في صفر سنة ٤٥٦ هـ
وصرف في شهر ربيع الآخر . (٢)

١١- أبو علي الحسن بن أبي سعد بن إبراهيم بن سهل التستري ، كان يهودياً
وأسلم ، وهو الذي باع أم المستنصر السعيدية إلى الظاهر ، وأقام فـسـى
الوزارة عشرة أيام ثم استعفى . (٣)

١٢- أبو القاسم هبة الله محمد الرعياني ، ولي الوزارة دفعتين كل منهما عشرة
أيام وصرف . (٤)

١٣- أبو الحسن علي بن الانباري : أقام أياماً وانصرف . (٥)

١٤- أبو علي الحسن بن سديد الدولة ، تولى الوزارة أيام الشدة وقد استحكـم
فساد الأمر وقلت المهيبة فأسقط الكاتبون حشمته فيما كانوا يعرضون له بهـ
فأقام أياماً وانصرف . (٦)

١٥- أبو شجاع محمد بن الأشرف تقررت له الوزارة فأقام أياماً وانصرف وتوجه إلى
الشام بحراً فلقيه بدر الجمالي عند توجهه إلى مصر فقتله . (٧)

١٦- أبو الحسن طاهر بن وزير ، أقام أياماً وانصرف . (٨)

(١) ابن منجب الصيرفي : الإشارات ، وابن كدنية هذا كان من الموالين لابن

حمدان حتى أنه كان يبخس اثمان ذخائر المستنصر لصالحه - انظر :-

الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ص ٢٥٣ .

(٢) د . محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء - ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) ابن منجب الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٥٢ .

(٥) د . محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ص ٣٠٩ .

(٦) ابن منجب الصيرفي : المصدر السابق ص ٥٣ .

(٧) المصدر نفسه ص ٥٢ .

(٨) د . محمد حمدي المناوي : المرجع السابق ص ٣١٠ .

١٧- أبو عبد الله محمد بن أبي حامد ، وكان من أهل تنيس ، ويدو أنه كان من أغنياءها ، دخل مصر زمان الفتن واضطراب الأمن واستقرت له الوزارة فأقام فيها يوما واحدا وصرف قتل . (١)

١٨- أبو سعد منصور المعروف بابن زنيور : كان نصرانيا وأسلم لما ولي الوزارة ، فأقام بها أياما قلائل فطالبه الجند بأرزاقهم فوعدهم وطمئنتهم وهرب مع اللواتيين . (٢)

١٩- أبو العلاء الغنى بن نصر بن سعيد الضيف وكان واسطة الى أن دخل أمير الجيوش الى مصر ، فنفي الى قيسارية ومعهها الى تنيس وقتل بها (٣) ويدو أن الوساطة كانت رتبة أقل من الوزارة حيث أن ابن أبي كديسة كان وزيرا عند دخول بدر الى مصر .

وهكذا كانت الشدة المستنصرية ومسا صاحبها من أحداث سببا في الاسراع بانهيار نظام وزارة التنفيذ ، ولعل السبب في كثرة صرف الوزراء وسقوط هيبتهم حتى أمام الكتاب ، هو سيطرة رجال الجيش من الأتراك على مقاليد الأمور في الدولة .

وإذا كان قواد الأتراك لم يجروا على أن ينصبوا واحدا منهم في موقع الوزير الذي يستبد بالأمور دون الخليفة ، فاق بدر الجمالي الأرمني قد فعلها

(١) ابن منجب الصيرفي : الإشارة الى من نال الوزارة ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ٥٤ . وبلغ عدد مرات تغيير الوزراء الذين تولوا الوزارة مدة الشدة ٣٦ مرة - انظر : د . المناوي : ملحق رقم ٣ - ص ٣٠٩ - ٣١١ .

وأحدث الانقلاب الوزارى الذى تولى بمقتضاه العسكريون ورجال السيف منصب الوزارة. (١)

ورغم ان المستنصر بالله هو الذى قرر بنفسه استدعاء بدر الجمالى ، فان ذلك كان ربما آخر ما اتخذه من قرارات أو مارسه من سلطات ، ان بعد ذلك عصر الوزراء العظام الذين أصبحوا أعلى سلطة من الخليفة. (٢) فقد ألزم بدر المستنصر بالقصر ولم يبق له نهى ولا أمرا لا الركوب فى العيدين. (٣)

ودام الأمر على ذلك حتى بعد وفاة بدر وتولى ولده الأفضل شاهنشاه. (٤)

وقد سيطر بدر الجمالى على الأمور فى مصر بواسطة لقبه الثلاثى الذى خلعه عليه الخليفة فهو قائد الجيش (أمير الجيوش) ومدير الدعوة (داعى الدعوة) ثم هو الوزير ، مما يعنى سيطرته على قيادة الجيش والمؤسسة البيروقراطية ، وان كان بدر يعرف عادة بأول هذه الألقاب ، وأصبحت مصر تحكم بحكم فردى عسكرى باسم أمير الجيوش. (٥)

(١) د. عطيه مشرفه : نظم الحكم بمصر فى العصر الفاطميين - القاهرة ١٩٤٨ س ١٢٢.

(٢) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٧.

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤.

(٤) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٢. Lewis (B.) The Camb. Vol. I, P. 189.

(٥) وكان أمير الجيوش قبل ذلك لقباً عاماً لصاحب ولاية دمشق فقد كان أمير الجيوش انوشكين واليا لدمشق عام ٤٢٩ هـ - انظر : د. حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٧١.

وإذا كنا نجد في القرن الأول من الخلافة الفاطمية في مصر، وزراء من الكتاب والقواد والقضاة والولاة والحجاب،^(١) فانه منذ وزارة بدر الجمالي إلى نهاية الدولة أصبح الوزير من رجال السيف عادة.^(٢)

كما أصبح معظم الوزراء من حكام الولايات، ولعل ذلك راجع إلى ازدياد نفوذهم بسبب ضعف السلطة المركزية، فبدر الجمالي كان واليا على دمشق ورضوان بن ولخشي واليا على الغربية وكان ابن السلاار واليا على الاسكندرية والبحيرة، وطلائع واليا على قوص وشاور واليا على قوص والصعيد الألى وسيدو أن ولاية قوص في ذلك الوقت أصبحت ذات مركز خاص في الدولة، فكانت أكبر منصب بعد الوزارة.^(٣)

وربما كان مبرر ذلك ضعف السلطة المركزية في مجملها، حتى عـاد الصعيد إلى وضع قريب مما كان عليه قبل توحيد الشمال والجنوب في فجر التاريخ، وساعد على ذلك البعد الجغرافي للصعيد عن مركز الخلافة بالقاهرة.

سيطرة الوزراء على الخلفاء :

يتولى بدر الجمالي شئون البلاد بدأ بحصر الوزراء العظام، ووزراء السيوف والتفويض وأصبح السلطان الفعلى منذ ذلك الوقت في أيديهم وتوارى الخلفاء

(١) د ٠ ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ٩٣

(٢) د ٠ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق - ص ٢٨

(٣) مجهول - انسان العيون - مخطوط - ص ٤٣٧

في الظل . (١) وشبه ذلك ما كان حادثا في النظام الميروفنجيـــــــــــــــ
Merovingian الذي شعاره major domo (٢) ومقـــــــــــــدم
بدر اختفى لقب الوزير الأجل واستعيز عنه بلقب السيد الأجل أمير الجيوش،
وانتهت بذلك الوزارة نفسها كوظيفة ذات خطر حتى بعد ارجاعها فـــــــــس
عصر الماليك (٣) .

وقد سيطر الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي على أمور الخلافة منذ مرض والده في ربيع الأول ٤٨٢ هـ / ١٠٩٤ م ، وظل وزيرا بقية خلافة المستنصر وطيلة خلافة المستعلي بالله وأخذ البيعة للأمر بأحكام الله (٤) . وذلك دامت وزارته ثمانية وعشرين عاما ونصف . (٥) ومن مظاهر طغيان هذا الوزير استكباره من الندوات الأمر الذي أكم الخليفة وارتضاء على مفضض واستحدث على عهده اتخاذ الندوات الشخصية على مثال ندوات الخلفاء وسرى استعمالها بعد ذلك ، فقد لقب نفسه بالأفضل وكان ذلك لقباً عاما يعد ذلك رغم أنه في منشئه كان نعتا شخصا لشاهنشاه . (٦)

(١) د . محمد حمدى المناوى: الوزارة ص ٣٣ - ٣٤ - وتأكيدا لهذا المعنى أطلقت المصادر التاريخية على أمير الجيوش " أمير مصر " ابن الجوزى - المنتظم ج ١ ص ١٦٠

(۲) ستانلی لین بول : سيرة القاهره - ۱۴۵-۱۴۶.

(٣) د. حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٧١.

(٤) ابن منجب الصيرفي : الاشارة - ص ٥٧.

(٥) د. محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ص ٣١٢.

(٦) د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٧٢ .

وحجر الأفضل على المستعلى بالله فحاول قتله ولم يفلح ^(١) ، إلا أن الأمر
بالحكام الله الذى ضيق عليه الأفضل ومنعه مما تميل إليه نفسه نجح في تدبير
مقتل الأفضل المستبد ^(٢) ، ليحل مكانه طاغية آخر استبد بالخليفة ، وهــو
المأمون البطاحى الذى ظل وزيرا مدة أربع سنوات حتى اعتقله الآمـو
يعددها هو وأخاه المؤتمن واستولى على أموالهما ^(٣) ، وبقي الخليفة—
بدون وزير حتى وفاته عام ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م ^(٤)

وعندما تولى الوزارة أبو على الأفضل المعروف بكتيفات ، وتلقب بأمير
الجيش عام ٥٢٤ هـ استحوذ على الأمور دون الخليفة الجديد الحافظ لدين
الله الذى كان كفيلا لحمل عند إحدى زوجات الأمر وحصره في موضع لا يدخل
عليه إلا من يريده ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ
سوى الاسم فقط ^(٥)

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الاعيان - ج ٢ ص ١٦٠ - ١٦٢ .
(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٣ .
(٣) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ص ٢٧٤ - وذكر أن المأمون
كان وزيرا من شوال ٥١٥ هـ حتى ٤ رمضان ٥١٩ هـ - ص ٣١٢ ، وذكر—
ابن العنبري أن الأمر قتله في هذه السنة لما أحس تأمره لقتله : شذرات الذهب
ج ٤ ص ٦٠ ، وقد استعمل في عهد المأمون القاب الكتبية المكانية فنعت بالمقام
الاعظم - والمقام الكريم والمجلس - انظر : د . حسن الباشا : الالقاب ص ٧٢ .
(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١١ ، الذى أورد ان اعتقالها تسم
في شعبان وليس في رمضان .
(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٧ ، مجهول : انسان العيون ص ٤٣٠

بل وأمر الخطباء بأن يخطبوا له بألقاب كتبها لهم وهي * السيد
الأفضل ، الأجل سيد ممالك أرباب الدول ، والمحامي عن حوزة الدين ، وناشر
جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر أمام الحق في حالتي
غيبته وحضوره ، والقائم بنصرته بماض سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله
على عبادته ، وهادي القضاة الى اتباع شرع الحق واعتقاده ومرشد دعاة
المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده مولى النعم ورافع الجور عن الأمم وبالـ
فضيلتي السيف والقلم ، أبو علي أحمد بن السيد الأجل الأفضل شاهنشاه
أمير للجيش (١)

ومستفاد من ذلك أن كثيفات تجاوز ما جرت عليه سنة الوزراء — من
الاستقلال بالأمور ودون الخليفة ، فقد كان إمامي المذهب وليس إسماعيليا ،
وسجن الخليفة ساعيا لإقامة مذهب الامامية في مصر ، وهدم المذهب الاسماعيلي ،
فعين أربعة قضاة (شافعي — مالكي — اسماعيلي — امامي) كل منهم يحكم
حسب مذهبه ، واسقط اسم اسماعيل بن جعفر الصادق الذي ينتسب اليه
الاسماعيلية ، وكذا اسم الخليفة ونفى الأذان بـ على خير العمل وجعل
الخطبة له على المنابر بالألقاب السابق ذكرها ، وتيج ذلك بضرب دراهم
ودنانير جديدة باسم الامام المنتظر ، وبعد ذلك انقلابا كاملا على الخلافة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٣٣٥ .

الفاطمية . (١)

الا أن الخطبة للمهدي المنتظر اسقطت بعد قتل ابي على أحمد
في العشرين من المحرم سنة ٥٢٥هـ / ٢٥ ديسمبر ١١٣٠م على يد مملوك
أفرنجي للحافظ وأمره . (٢) وأصبح اليوم الذي قتل فيه وأطلق فيه سراح
الحافظ يسمى بعيد النصر . (٣)

ولم يحل موت كثيفات دون استمرار سيطرة الوزراء في الدولة ، فتحكم
السعيد أبو الفتح يانسي الأرمني في الحافظ الذي دس عليه من سمه فسي
ما الاستنجا فمات واستوزر الحافظ ابنه الحسن وكان وليا لعهدده ، فأقام
ثلاثاً عوام فأساء السيرة فدس عليه السم أيضاً وقتله عام ٥٢٩هـ / ١١٣٥م . (٤)

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية مجلدا ص ٩٠-٩٢ ،

د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٧٣ .

(٢) السيوطي : حسن المحاضر ج ٢ ص ١١٨ .

(٣) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضر ج ٢ ص ١١٨ .

ويرجع مقتل الوزير الصالح طلائع بن رزيق في ١٩ رمضان ٥٥٦هـ / ١١٦١م
بتدبير عنه الخليفة العاضد لدين الله إلى استيلائه على الأمور والدولة
وحفظه للأموال منذ زمن الخليفة الفائز بنصر الله . (١)

يبد أن حال العاضد مع شاورين مجير السعدى الذى خلف ابن الصالح
صلائع ، لم يكن بأفضل منه مع الصالح طلائع فقد حكم على العاضد وحجبه ،
وظل الأمر على ذلك مع أسد الدين شيركوه وابن أخيه يوسف طلاح الدين . (٢)

رى الوزراء :

كان رى الوزراء حتى وزارة بدر الجمالى ، يتكون من المناديل الطبقيــــــــــــــــات
بالأحنك تحت خلوقهم وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها ذرايع - واحدها
ذراع - وهى مشقوقه من الامام بالقرب من القلب بازرار وعرى ، ومنها ما تكن
ازواره من ذهب مشبك أولؤلؤ ، وهذه كانت علامه الوزارة . (٣)

(١) د . محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء . ص ٢٨٠ . ذكر السيوطى ان رضوان
بن ولخشى قتل بعد عزله ج ٢ ص ١١٨ والحقيقه انه قتل طم ٥٤٢هـ حينما هرب من
الاعتقال وحاول العودة للوزارة بالقوة . انظر : مؤيد الدولة ابوالمظفر اسامه ابن
مرشد الكنانى الشيرزى المعروف بابن منقذ : كتاب الاعتبار - تصحيح هرثمغ د رنبرغ
مطبعه بيرل - ليمن ١٨٨٤ ص ٢٤ . وقد حدد د . حسن الباشا ظهور لقب
"الملك الافضل" بعام ٥٣٠هـ - انظر الألقاب ص ٧٣ .

(٢) شهاب الدين ، ابو محمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم المقدسى
المعروف بابى شامه - كتاب الروضتين فى اخبار الدولتين مطبعه وادى النيل بمصر
القاهرة ١٢٨٧هـ - الجزء الأول ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٤٣ ، ١٩٣ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٤٠ .

ومنذ الشدة العظمى وما نجم عنها من ظهور وزراء التفويض ومع تولي
بدر الوزارة التي أصبحت وزارة تفويض جل وزراءها من أرباب السيف ، صار
يخلع على الوزراء الطليسان المقور وهو زى القضاة ، كما سمح لهم بتسرك
نوابه العمامة ، ولعل ذلك اشار الى أن الوزير هو كبير أرباب السيف
والأقلام ، وكان بدر الجمالي وابنه الأفضل قد تقلدا بالسيف مع الطليسان
المقور ، ولم يخلع على أحد من الوزراء كذلك حتى ولي الصالح طلائع
بن زريك ، فجعل في خلعتة السيف والطليسان المقور . (١)

اختصاصات الوزراء :

تعددت اختصاصات وزراء التفويض واتسع نفوذهم حتى أصبحوا هم
المستولين على الأمر في مصر . (٢) أذ ألقى الخليفة لوزيره مقاليد الأمور
وسياسة الجمهور . (٣) فبطل بذلك اسم " الوزارة " وأصبح وزير السيف الملقب

(١) المقرئى ^{الخط ١٤٠ من ٤٤٠} يذكر . ما جد انه كان يخلع على الوزراء منذ عهد بدر الجمالي
بالعقد الجوهري عوضا عن الطوق الذي كان يلبسه الوزراء من قبل - (نظم
الفاطميون ج ١ ص ٨٩ - ٩٠) وحقيقة الأمر ان عقد الجوهري كان يخلع على
الوزراء منذ بداية الدولة الفاطمية ، أما الطوق فكان يخلع على أكابر الأمراء
فقط كما يفهم مما أورد ^{المترى} نقلا عن ابن طي - الخطط ج ١ ص ٤٤٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٧٢ ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧ -

(٣) د . ماجد : السجلات السمتنصرية ص ١٨٥ - سجل بتاريخ محرم ٤٦٧ هـ .

بأمير الجيوش هو سلطان مصر صاحب الحل والعقد ، واليه الحكم في الكافة
والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذي يولى أرباب المناصب
الديوانية والدينية . (١) وتأكيدا لهذا المعنى ، قام الأفضل بنقـــــل
الدواوين من القصر الى دار الملك التي بناها بالقسـطاط ، الا أن الدواوين
عادت للقصر بعد مقتله . (٢)

وقد تحكم الوزراء في حالات كثيرة في تولية الخلفاء وقتلهم أيضا حتى
يتسنى لهم الانفراد بالسلطة . فالأفضل بن بدر الجمالي تعمد ان يولى
الابن الاصغر للمستنصر الخلافة ، ولقبه بالمستعلي بالله (٣) وأبعد الابن
الأكبر نزار الذي نص المستنصر على توليته مما أحدث النزاع المذهبي
بين المستعليه والنزارية . (٤)

(١) المقرئى : الخطط ج ١ - ص ٤٤٠ .
(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٩٧ ، ونقل المقرئى عن ابن عبد الظاهر ان دار الوزارة
بناها بدر الجمالى وكانت تعرف قديما بدار القباب ، وبخالفه المقرئى حيث
يرى أن دار الوزارة من بناء الأفضل ، والنار التي عمرها أمير الجيوش يد رهى
داره بحاره برجوان التي يقال لها دار المظفر ، وظل الوزراء يسكنون بدار
الوزارة حتى نهاية الدولة وذكر وصفها كذلك . انظر : الخطط ج ١ ص
٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام - مجلد ١٦ ص ٢٧٢ .

(٤) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٤١١ - ٤١٤ .

وعندما توفي الأمر بأحكام الله من غير ولد وعين الأمير عبد الحميد
(الحافظ لدين الله فيما بعد) كفيلًا لجل مستكمّل حاول الوزير أبو علي أحمد
أن يسقط الدعوة الاسماعيلية بالمرة ويدعو للامام المنتظر. (١)

وكرر أبو الفتوح محمد بن مهال قصة تولي المستعلي بالله ، وكان
من المغاربة وأحد كبار رجال الدولة عند وفاة الحافظ اذ ادعى أن الخليفة
قد نص على ابنه الصغير اسماعيل دون بقية أولاده وأنه قد عينه وزيراً له ،
وأعلن بذلك خلافة الظاهر بأمر الله وكان عمره سبع عشرة سنة (٢)

وعندما قتل الظاهر بأمر الله بيد الوزير ابن عباس وابنه نصر فـسـى
آخر المحرم عام ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (٣) ، دخل الوزير الى القصر وعـاد
بأصغر أولاد المقتول وعمره نحو خمس سنوات وأعلن تنصيبه كخليفة جديد (٤)
وتأكيداً لسيطرته المطلقة ، قام بقتل اخوة الخليفة الحافظ ، الأميرين جبريل
وموسف. (٥)

-
- (١) غريغوريوس : أبو الفرج بن أهرن الطيب الملقب المعروف بابن العبري :
مختصر تاريخ الدول وقف على طبعة الاب أنطون صالحاني - المطبعة
الكاثوليكية للآباء اليسوعيين - بيروت ١٨٩٠ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .
- (٢) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٤١١ - ٤١٤ - وذكر
ابن منقذ ان ابن السلار ولي الوزارة رغماً عن هذا الخليفة بعد ذلك - انظر
الاعتبار ص ٥ - ٦ .
- (٣) ابوشامة : الروضتين في اخبار الدولتين ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ ، ابن خلكان -
وفيات الاعيان - ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ .
- (٤) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٣٦٢ ، الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ -
ص ١٥٢ - ١٥٣ .
- (٥) ابن منقذ : الاعتبار ص ١٥ - ١٦ .

وأعاد طلائع بن رزيق القصة عندما ولي الخلافة لابن عم الخليفة القائم

وكان عمره لا يتجاوز ١٦ عاماً ولقبه بالعاضد لدين الله . (١)

وقد شارك الوزراء خلفاء الفاطميين شارات الخلافة ، وهي الخطبة

والسكة والطراز . (٢) فكان يخطب للوزراء بألقابهم منذ بدر الجمالي ، ولدينا

سجل من المستنصر بالله لحاكمة في اليمن ابن الحسن أحمد بن علي ، يأموه

بالدعاء لأمر الجيوش بدر بعد الخليفة ، وإن يشفع ذلك بالدعاء للأفضل

بن أمير الجيوش ، وذلك بعد أن عم الدعاء لهما علي " فريق المنابر العلوية

المستنصرية بالقاهرة المعزية المحروسة وسائر البلدان والأعمال قريشها وعيدها

في أيام الجمع والأعياد " . (٣)

أما الطراز ، فقد شارك فيه الخلفاء الأقوياء مثل ابن كلس في عهد

العزیز بالله والجرجاني أيام الظاهر لا عاز دين الله واليازوري في خلافة

المستنصر ، وكان طبيعياً أن يشارك الوزراء العظام في حق الطراز فنجد

اسم بدر علي الطراز ، وأبنة الأفضل شاهنشاه ، (٤) كما أن المأمون البطائحي

(١) د . ماجد : المرجع السابق ص ٤٣٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٢ ص

٢٠٨ - ٢٠٩ .

وقد اعتاد الوزراء في أواخر العصر الفاطمي اختيار الأطفال للخلافة وكذا

اختيار القابهم الشخصية - د . حسن الباشا : الألقاب ص ٦٧ .

(٢) يذكر مؤلف شرح اللعمه : أن يعقوب بن كلس كتب اسمه ولي الطراز الكتب -

ورقه ١٥ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية - ص ٨٥ - سجل بتاريخ ٧ محرم ٤٧٩ هـ .

(٤) د . محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء - ص ٧٤ - ٧٥ ، انصاف رياض -

الحياة الاقتصادية - ص ٣٣ .

اثبت اسمه ونعته على طراز ما يعمل بالملكة من الملابس والفرش والآنية (١)
وذلك بعد أن كان الطراز حقا فقط للخليفة دون كافة المستخدمين . (٢)
وابام وزارة ابنى على أحمد بن الأفضل ، دعى له بمفرده على الغابر
ونقش اسمه على السكة أيضا . (٣)

وقد تدخل بعض الوزراء لابطال بعض المراسم والاعياد التى كانت
تحتفل بها الدولة ، فقد أبطل الأفضل بن أمير الجيوش أمر المولد الأربعة
السنوى ، والفاطى ، والامام الحاضر ، والعلوى وما يهتم به . (٤)

واذا كان الوزراء سواء أرباب الأقلام أو السيوف - الرأى الأول فى اختيار
رؤساء الدواوين ، رغم أن سجل التعيين كان يخرج باسم الخليفة ، فانه
منذ وزارة بدر الجمالى ، أصبح ينص فى السجل على أن الوزير هو الذى
قام بترشيح صاحب السجل لوظيفته ، بل أن وزراء السيف كانوا فى بعض الأحيان

(١) ابن منجب الصيرفى : الاشارة الى من نال ص ٦٣ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٤ .

(٣) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية - المجلد الاول ص ٩٠-٩٢ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

يصدرون السجلات ، باسمائهم مباشرة ، ويد وأن ذلك كان يحدث ففى
الأوقات التى يكون للوزير فيها السيطرة التامة على الدولة . (١)

ولم يختلف الأمر كثيرا فيما يتعلق بتعيين الولاة سواء داخل
مصر أو خارجها . فقد كان الخليفة هو الذين يعين الولاة من العناصر
المعروفة بالولاة للدولة الفاطمية كالمغاربة - ثم أصبحت سلطة تعيين
الولاة لوزراء التفويض ، (٢) والتالى كان ينص فى سجل التعيين ان الترشيح
كان بمعرفة الوزير ورأيه ، وصدرت بعض السجلات عن الوزراء مباشرة ، وتركزت
بذلك سلطة تعيين الولاة وعزلهم بأيدي وزراء السيف . (٣)

ووصل الأمر بالصالح طلائع بن زيك أنه كان يبيع ولايات النواحي (٤)
ولأجل زيادة مكاسبه ، جعل مدة الولاية سنة أو ستة أشهر فقط ، الأمر الذى
ترتب عليه تضرر الناس من كثرة تردد الولاة عليهم ، وكان طبيعيا ان يتبع
هؤلاء^{الولاة} نفس الأسلوب مع مساعدتهم ، مما أدى فى النهاية إلى انتشار الرشوة

(١) د . المناوى : الوزارة والوزراء ص ٤٣ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٣) د . المناوى : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١١ .

والفساد وارهق عامة الشعب والفلاحين بالضرائب. (١)

ومعد أن كان منح الاقطاعات ، من سلطة الخليفة وحده ، نجد أنه منذ وزارة أمير الجيوش ، أصبح الوزراء لهم سلطة منح الاقطاعات. (٢)

أما المظالم ، فقد كان الخليفة قبل الشدة ينظر فيها بنفسه أو ينيب عنه فيها صاحب الباب ، ومعد ها أصبح الوزراء هم الذين يجلسون للمظالم يومان في الاسبوع ، أو يعهدون بذلك لمن ينوب عنهم ، وكانت مناشير البست في هذه المظالم تخرج باسم الخليفة مع ذكر الوزير اذا كانت القصة مرفوعة باسم الخليفة ولكن في بعض الأحيان كانت التظلمات ترفع رأسا باسم الوزير وفي هذه الحالة كان المشور يخرج باسم الوزير. (٣)

وامتدت سلطات وزير التفويض لتقطع من سلطات الخليفة الدينية أيضا .
فعد صار يخلع على الوزراء بالطيلسان المقور وهو زى القضاة ، صار المستخدمون في حكم الوزير والدعاة نوابا عنه وكذلك القضاة. (٤)

(١) د . احمد عبد الرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٢٩ - ص ١٧ .

(٢) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٣٣ .

(٣) د . المتاوى : المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٧ - وكان الخليفة يكتب على اللامات والمسامحات بخطه "وزيرنا السيد الأجل . . أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاس . ذلك أن شاء الله " د . حسن الباشا - اللقائص ١٢٩٠ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٢٣ .

وقبل وزارة بدر الجمالي كان قاضي القضاة وداعي الدعة ، يعيـن من قبل الخليفة رأسا بوصفه صاحب السلطة الدينية ، ولم يكن لوزراء التنفيذ سلطة على القضاء ^(١) عدا ابن كلث والوزراء الذين تقلدوا القضاء .

ورغم أن وزراء التفويض كانوا يقلدون بأنفسهم في القضاء من يقـوم به ويعتبرون قاضي القضاة نائبا عنهم ولقبونه فقط بالقاضي ، إلا أن كتاب التولية كان يخرج من ديوان الانشاء باسم الخليفة . (٢)

(٣) وتضمنت القاب الوزير « كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين »^(٣) اشارة الى سيطرته على الدعة والقضاة ، وكان أول قاضي للقضاة يعيـن في منصة هذا من قبل الوزير هو ابو يعلى حمزه بن الحسين بن أحمد الفارقي ، الذي ولي من قبل بدر الجمالي وظل في منصبه الى أن توفي سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م . (٤)

وكان القضاء قد شهد اضطرابا موكبا لما حدث لوزارة التنفيذ قبيل واثناء الشدة المستنصرية ، فمنذ عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م تغير القضاء أحد عشر

(١) د . المناوي : الوزارة والوزراء ص ٤٥ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٤٢ . وذكر المقرئ ان متولى القضاء من قبل وزير السيف كان ينعت بقاضي القضاة - الخطط ج ١ ص ٤٠٣ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ٦٠ - ٦١ .

(٤) المقرئ : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ٣١٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص

مرة حتى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م وفق أحد القضاة في منصبه يوما واحدا (١).
وكان من أثر تحكم وزراء السيف في القضاء ان عد هؤلاء الى تعيين
قضاة سنيين لاضعاف المذهب الشيعي ، فوجدنا أبا علي أحمد بن الفضل
يعين قضاة لأربعة مذاهب بدلا من المذهب الاسماعيلي وحده ، وولي صلاح
الدين الأيبي أحد القضاة السنة القضاء والحكم ببحر والقاهرة وهو صدر
الدين عبد الملك بن دواس (٢).

وأصبح للوزراء من أرباب السيف السلطة على أرباب السيوف والأجناد ،
بعد ان كان ذلك من اختصاص الخليفة ، وأخذ الوزراء في تعيين قادة
الجيش من قبلهم ، ولهم أمر السلم والحرب ، وان كان بعض وزراء التنفيذ
قد مارسوا نفوذا على الجيش مثل ابن كلس والجرجاني واليازوري (٣).
ولغت سلطة وزراء السيوف على الجيش اقتضاها في أواخر الدولة الفاطمية ،
حتى أن أسد الدين شيركوه تلقب بسلطان الجيوش ، وكانت كلمة السلطان
من قبل قسرا على الخليفة (٤).

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٢.
(٢) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٩١.
(٣) د. المناوي : الوزارة والوزراء - ص ٤٤ - ٤٥ كان قائد الجيش يسمى
اسفهلار العسكر أي قائد الجيش ، وألفظ اسفهلار أي قائد ، كما تسمى
وظيفته الاسفهلارية أي قيادة العسكر ، وكان الاسفهلار يحمل مركزا مرموقا
في الدولة الفاطمية ، فهو يأتي في ترتيبه مباشرة بعد صاحب الباب الذي يلي
الوزير راسا . د. ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤ وكان صاحب
الباب أيضا من أجل الموظفين العسكريين انظر : د. حسن الباشا : الالقاب
الاسلامية ص ٧٥.

(٤) د. ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٩٣ - ١٩٤.

وواقع الأمر أن وزراء التفويض كانوا هم قواد الجيش ، وأداة العسكر في الحكم ، فمنذ وزارة أمير الجيوش ، أصبحت مصر تحكم بواسطة الاوتوقراطية العسكرية الذي يرأسها .^(١) وكان الفيصل في تولي الوزير مقامه في منصبه مؤازرة العسكر له ، فقد استقرت الأمور وخاصة في أواخر العصر الفاطمي ، على أن الوزير يستقر في منصبه عند عز صاحب المنصب القديم عن دفعه ، فيطيعه بقية العسكر ويمكنوا له .^(٢)

وإذا كانت الشدة المستنصرية قد أدت الى تزايد نفوذ الاتراك وقوادهم بعد قضاؤهم على السودان وسيطرتهم على الخليفة ، فان بسدر الجمالي قضى على نفوذهم وجدد صراعات الجند الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض لابن حمدان^(٣) ، واستعان بقواته من الأرمن بشكل أساسي لتأكيد سلطته على البلاد ، الا أنه لم يستطع ان يقضى نهائيا على الدور المتزايد للجند في السياسة والذي بدأ بالصراع بين طوائف الجند في عهد الحاكم بأمر الله ، ثم تمردهم في عهد الظاهر لا عزاؤدين الله^(٤)

(١) Lewis (B.) , The camb. Vol. I, P. 189.

بعد استبدال لقب أمير الجيوش بلقب الوزير إشارة الى انتقال السلطان في مصر الى أيدي رجال الحرب - د . حسن الباشا : الالقاب ص ٧١ .

(٢) ابوشامة : الروضتين ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة - ج ٥ ص ١٣ .

(٤) Lewis (B.), op. cit. vol. I. PP. 187. 188.

فبعد مقتل الآمر سيطر على أمور الدولة هزبر الملوك جرامسرد
ورغش واعتمدا على الأمير أبي الميمون عبد المجيد ليكون كفيلا لحمل مستكن،
ومعنى ذلك أن السلطة انتقلت فعليا إلى اثنين من رجال الجيش اختاراه
عبد المجيد ليلى السلطة من الناحية الشكلية فقط. (١) وتصدت بعض طوائف
الجيش للثورة الحربية الخطيرة التي قام بها حسن بن الحافظ لأجـسـل
التوصية له بولايه العهد ، وانضم اليه في ثورته أماش الناس وذغارهم
ففرق فيهم الزرد وكون منهم طائفة عرفت بصيان الزرد ، (٢) إلا أن ذلك
لم يفلح أمام ما أراد به الجيش .

وقد تميز العصر الفاطمي الأخير باستمرار المنازعات بين طوائف الجند،
فوقع صراع مسلح بينهم أدى إلى مقتل الكثير من الخيالة والرجاله عام ٥٣٣هـ /
٣٨ - ١١٢٩م. (٣) كما وقع نزاع بين طوائف السودان أدى إلى اضطراب
الأمن بالقاهرة سنة ٥٣٩هـ / ٤٤ - ١١٤٥م. (٤) واستعان ابن ولخشي بالعسكر
عند محاولته استعادة الوزارة في عام ٥٤٢هـ / ٤٧ - ١١٤٨م ، إلا أن بعض
طوائف الجيش نجحت في قتله . (٥)

(١) د . جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق - مجلد ٨٧ - ٨٩ .

(٢) المرجع نفسه . ص ١٠٦ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٨ .

(٤) ابن منقذ : الاعتبار ص ٤ .

(٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٢٩٦ .

كما تصدى العسكر للعدا ل ابن السلار الذى انحازت اليه بعض طوائف الجيش فأصبحت الدماء "بينهم مسفوحه وابواب الشر والعدا مفتوحة" (١)

وقد جمع الوزراء فى العصر الفاطمى الأخير ثروات هائلة تنضم مسائل بجموارها ثروات الخلفاء ، فى عصرهم ، أو وزراء التنفيذ قبلهم (٢)

فهاز بدر الجمالى ثروة طائلة برغم أن البلاد لم تكن قد برئت تماما مما أظابها من المحن واضطواره الى اغناء الفلاحين من خراج الأرض ثلاث سنوات ، وقيامه بكثير من الانشاءات وعمل سور القاهرة (٣) واسهمت المصادر التاريخية فى ايراد ما تركه الأفضل بن بدر الجمالى من ثروات ، فقد خلف عند وفاته ستائة مليون دينار ومن الفضة مائتين وخمسين اردبا ، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس وداوة ذهب فيها جوهر باثنى عشر ألف دينار وخمسمائة صندوق لملابسه ، وصناديق فيها ابر ذهب برسم النساء (٤) كما ترك سبع مائة طبق ما بين ذهب وفضه وما لا يحصى من الصحاف وأكواب الشراب والأرياق والقدر وأواني اللبن وغيرها وكلها من الذهب والفضه (٥) . وذكر

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٤ .

(٢) عندما تغى يعقوب بن كلس وجد له جوهر بأربعة آلاف دينار وخمسمائة ألف دينار ، وكان مدينا لبعض التجار بعشرة آلاف دينار قضاها عنه العزيز بالله - انظر : مجهول : شرح اللعة - ورقة ١٥ .

(٣) د . المناوى : الوزارة والوزراء - ص ٣١٢ .

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٧ .

(٥) د . المناوى : المرجع السابق ص ٩١ .

ويذكر ابن منقذ انه عند قدومه الى مصر في جمادى الآخر ٥٣٩ هـ / ٤٤ -

١١٤٥ م انزل في دار من دور الأفضل " غاية في الحسن وفيها بسطها
وفرشها ومرتبه كبيرة وآلها من النحاس " (١)

وعندما ألقى الأمر بأحكام الله القبض على وزيره المأمون البطائحي سنة

١١٢٥ هـ / ١١٢٥ م وجد له سبعون سرجا من الذهب المبرص • ووجد
لأخيه المؤمن أربعون سرجا محلى ذهبيا • (٢)

وبلغت ثروة الوزير عباس بن ابي الفتح بن تميم بن المعز باديس

الحميري من الغرامة ، أنه عندما اراد الخروج من مصر يوم ١٤ ربيع الأول ٤٩ هـ
حمل معه ثروته على أربع مائة جمل ومائتي بغل ومائتي جنيب ونهب العامة للكثير
من الخيل والبغال والجمال التي تخصه • (٣)

وكان الصالح طلائع ينفق الكثير من المال ، ويعطى العطايا في مجالسه

حيث كان يقرض الشعر • (٤)

(١) ابن منقذ : الاعتبار ص ٤ - وبلغ حجم ثروة الأفضل حجما ضخما حتى أن الأمر
ظل أربعين يوما ينقل أمواله حتى أنه أشيع أنه وجد هذه الأموال في كنز
عز عليه . مجهول : انسان العيون ص ٤٢٨ - ٤٢٩ .

(٢) د • المناوي : المرجع السابق ص ٩٢ .

(٣) ابوشامه : الروضتين - ج ١ ص ٩٨ .

(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٢٠ .

ولم تكن هذه الثروات في غالب الأحوال عن طريق شرعى ، فقد
كان الوزير يتسلم كل شهر راتبا يبلغ خمسة الاف دينار وهو اكبر راتب فى
الدولة (١) ، ويبدو أن هذه الثروات جاءت عن طريق الرشوة واستغلال
النفوذ (٢)

وقد أثر استحواذ الوزراء على معظم ثروات البلاد ، على مدى ثـراء
الخلفاء ، الذى بلغ أقصاه فى محتويات خزائن المستنصر التى أخرجت انتماء
الشدة المستنصرية .

وإذا كان الظاهر قد أهدى لنصر بن عباس الوزير سعيين صينيين
فضه فيها ٧٠ ألف دينار ، وملابس وثلاثين بغل رحل وأربعين جملا
بعددها وغرائرها وحبائلها لأجل أن يقتل أباه عباس (٣) ، فان هذه الهدايا
قياسا بثروات الخلفاء قبل المستنصر تعد لاشئ ، وقد ذكر أبو شامة انه
عند موت العاضد لدين الله ، لم يوجد من المال الكثير لأن شاور كان
قد أنفق معظمه وأعطى الفرنج منه ووجد فقط ذخائر جلييلة من ملابس
وفرش وخيل وكتب وجواهر مثل قضيب زمرد طوله شبر وكسر وقطع بلخشي
وجواهر نادره (٤)

قد أدت هذه الأهمية المتزايدة لمنصب الوزارة الى اشتداد الصراع
لأجل الفوز بهذه الغنيمه التى تكفل لصاحبها السيطرة الكاملة على الخلافة (٥)

-
- (١) د ٠ ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ٩٠
(٢) د ٠ أحمد عبد الرزاق : البذل والبرطله - ص ١٨ .
(٣) ابن منقذ : الاعتبار ص ١٤ .
(٤) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .
(٥) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٢٥ .

في أواخر الخلافة الفاطمية ، افضى هذا الصراع الى تعريض مصر
للخطر الصليبي وانتهى بسقوط الدولة الفاطمية واقامة الدولة الايوبية .

فعندما غلب شاور بن مجير على الوزارة وقتل رزيك بن الصالح طلائع
خرج عليه ضرغام بن سواد وتمرد عليه بالجنود ، ففر شاور الى الشام مستنجدا
بنور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م الذي بعث معه في سنة
٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م جيشا بقيادة اسد الدين شيركوه مكنه من العودة للوزارة (١) ،
الا أن شاور نقض اتفاقاته مع شيركوه واستدعى الفرنج فحاربوا مع المصريين
ضد جيش الاكراد ، وانتهى الأمر بجلأ الفرنج والاكراذ عن مصر (٢) وشبهه
السيوطي شاور بالوزير العلقمي الذي كان وزيرا للمستعصم بالله العباسي عند
غزو التتار للشرق وقام هذا الوزير بمكاتبة التتار واغراهم بالاستيلاء على
بغداد . (٣)

ومهما يكن من أمر فقد نجح أسد الدين شيركوه في دفع الافرنج عن البلاد
وتولى منصب الوزارة للعاقد لدين الله ، بعد أن قتل شاور ، وخلفه ابن اخيه
صلاح الدين في منصب الوزارة ، وأنهى بذلك خلافة الفاطميين بمصر وخطب للخليفة
العباسي ببغداد . (٤)

(١) العباد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ ص ١٨٦ .

(٢) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٣٦٨ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٢٣ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١ ص ٢٣٧ .

تأثير المجاعات على الحالة الامنية في البلاد :

أدت حالة الفوضى والاضطراب التي كانت تسود البلاد وقت المجاعات ، بسبب ضعف السلطة المركزية ، الى تسبب حالة الأمن بالبلاد ، وكثيرا مايكون وراء اضطراب حالة الأمن طوائف الجند والعربان ، الذين استعانوا بقوتهم المسلحة للحصول على أكبر قدر من المواد الغذائية والمكاسب المادية .

فقد كان اضطراب الأمن ، وانتشار السلب والنهب في الطرقات ، من المظاهر المصاحبة للمجاعة التي حدثت اثناء السنوات الاولى للفتح الفاطمي (٣٥٨-٣٦٠هـ) (١)

ففي اثناء المجاعة الخطيرة التي اجتاحت البلاد في عهد الظاهر لاغاز ديين الله خلال عامي ٤١٤ - ٤١٥ هـ (٢٣ - ١٠٢٥ م) ، اضطربت حالة الأمن بشدة ، وأفلت الزمام من أيدي الحكومة ، لان عبيد الدولة كانوا سببا رئيسيا في هذه الأحداث . ويبدو أن العبيد قد أصبحوا يشكلون قوة لها وزنها في عهد الظاهر ، مذ تزوج من جارية سودانية أنجبت له المستنصر بالله ، فما ان بدأت هذه المجاعة تأخذ بتلاسيب البلاد في عام ٤١٥ هـ حتى سلك عبيد القصر طريق التمرد والعصيان (٢) .

وقد بدأت هذه الأحداث في شهر شعبان سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، عندما توجهت تجريدة الى مدينة تنيس ، فلما عجزت الدولة عن دفع ارزاقهم ضيقوا على قائدهم فقر الى دمياط فنهبوا تنيس ، وقطعوا يد عامل السلطان بها خمسة وعشرين قطعة وأخذوا من المودع الفا وخمسمائة دينار (٣) .

(١) أبو صالح الارمني : كنائس واديرة مصر ص ٨٤ .

(٢) ستانلى لين بول : سيرة القاهرة - ص ١٣٧ .

(٣) المقرئ - زى : اتعاظ الخنفا - ج ٢ ص ١٥٧ .

وما أن ^{أُطل}شهر شوال حتى بدأ العبيد غارتهم على قوافل الحجاج المغاربية الذين لم يأبهوا لاضطراب الأمن وقطع الطرقات ، وصمموا على السير ولو بغير أمير للحج ، فعندما جاوز الحجاج بركة الجب (جب عميره) حتى قطع عليهم الطريق وأخذت أموالهم وقتل البعض ورجع من بقى منهم (١) .

إلا أن حجاج المغاربة أعادوا الكرة مرة ثانية ، فى ذى القعدة ، بعد أن استعدوا بالموءن والسلاح ونجحوا فى صد هجوم العبيد والقيصرية عليهم ، فعاد العبيد الى حاراتهم مفلولين مجرحين (٢) . ومع ذلك فلم يخرج أحد فى هذه السنة للحج من مصر سواء من المصريين أو المغاربة (٣) .

وبعد ذلك بدأ نهب السكان وفى المناطق البعيدة عن العاصمة أولا ، فنهب الريف وكثر طمع العبيد ونهبهم فيه (٤) . ففى ذى الحجة نهب الجواله من العبيد بالاشمونين وشاركهم العرب فى ذلك . وحصل رجل واحد من النهابة على ٩٠٠ رأس من البقر و ٣ الاف رأس من الضأن . وعندما حضر دوا من بن يعقوب متولى ديوان العرائف يشكو ذلك الى معضاد الخادم الأسود أجابه الأخير مستنكرا : - فتقتل عبيد مولانا ؟ وكان فى هذا الجواب ما فيه من "فساد الأحوال واطماع العبيد فى النهب" (٥) ويبدو أن الدولة حاولت الحد من حالة الفوضى التى كانت تسود الريف بسبب العبيد الجواله ، فأنفذت الكتب الى سائر الأعمال بالأرياف الحوفين ان يدخل جميع الرجال الجواله الى الخفصة ليحددون فى العساكر لحفظ البلاد ، ثم تقرر الغاء ذلك الأمر خوفا من عجز الدولة عن توفير الموءن التى تحتاجها هذه الطائفة مما يؤدى الى اضطراب الأمر فى العاصمة (٦) .

(١) المسبحى : أخبار مصر - ج ٤٠ ص ٦٩ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ج ٤٥ ص ٢٤٠ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٦٦ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .

(٥) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٢ ، المقرئى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٦٨ .

(٦) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٢٢٧ .

ولم يكن العبيد وحدهم في انتهاب الريف ، فقد كانت هناك قبائل العرب
ففي ١١ ذى الحجة ٤١٥ هـ ، قام العرب من بنى قرة بنهب الدواب بسفط ونهبها
فقتلوا قاضى سفط واستولوا على مائة وخمسين فرسا لأهل الدولة وساقوا ثلاثمائة
رمكة لمعضاد وأربعة الاف رأس من الضأن " فلم يخرج أحد لطلبهم ولا أنكر
شىء من ذلك " (١) .

ولعل سبب ضعف الدولة عن طلبهم هو مابداً يؤول اليه حال القاهرة ومصر ،
بسبب نهب العبيد لهما . حتى الجرجرائى وهو من كبار رجال الدولة وقتها
اضطر الى هجر القاهرة الى الفسطاط عندما حاول بعض المفسدين نهب داره ،
فنقل جميع رجليه فى غيش الصبح ، وما تبقى من أمتعته نقله على مهل بعد
ذلك (٢) .

وبدأت حوادث النهب بالعاصمة فى ١٠ ذى الحجة بالقصر الفاطمى ، عندما انسد
سماط عيد النحر ، ولم يحضره الظاهر ، فهجم عبيد القصر وصاحوا بالجوع . الجوع
نحن أحق بأكل سماط مولانا " فنهبوا السماط من أمام رجال الدولة الذين لم
يصدقوا أنهم سينجون بأنفسهم ، ولم تفلح محاولات الصقالة فى التصدى للعبيد
بالعصى (٣) .

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٩ وينوقره بطن هلال بن عامر بن

صعصع من العدنانية ومنازلهم فيما بين مصر وأفريقيا - عمر رضا كحالة :

معجم قبائل العرب - ج ٣ ص ٩٤٤ .

(٢) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٦ - ٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ج ٤٠ ص ٨١ - ٨٢ - ويذكر المقرئى ان

نهب هذا السماط كان بحضور الظاهر . اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢ .

وعندما حضر أبو الحسن على بن محمد الطريقي كاتب قاضي القضاء لتفرقه لحسم الأضاحى على أرباب الرسوم نهيته العسكر أيضا ^(١) ، ثم كثر بهد ذلك ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة ولم يجابوا ^(٢) .

فلما طال أمد انتظار الجند للنفقة ، واشتد الأمر على الناس من الجوع ، تجمع فى ٢٣ ذى الحجة ٤١٥ هـ العبيد ومن انضم اليهم من النهاية وخرجوا إلى أعلى الجبل بالمقطم فى نحو ألف رجل وانضاف اليهم من ورد من الجوالسة من الضياع للتجريد ، وتجهزوا لنهب مصر ، فتحرك بدر الدولة تأخذ مع بعض العساكر إلى البلد لحفظه من الهجوم المرتقب وأباح للناس بأمر من الخليفة ، قتل العبيد إذا ما حاولوا نهبهم فتحفظ الناس واستعدوا فى دروبهم ثم توجه مع بعض ونسيم إلى حيث تجمع العبيد ووعدهم بالنفقة فى اليوم التالى ، بعد أن شكوا العبيد من الجوع الذى اشتد بهم حتى أكلوا الكلاب ، وانتهى الأمر بنزول العبيد إلى حاراتهم ^(٣) ، لينفضوا فى اليوم التالى على السواحل حيث ترد الفلال ، فنهبوا دار ست ياقوت التى بساحل الشعير ، ودار الكاتبة وأحرقوها واستولوا على ما وجدوه من القمح والشعير والحبوب وغير ذلك مما فى الدكاكين ودخلوا إلى منازل من أمكنهم الدخول إليه من أهل الساحل فنهبوها ^(٤) .

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٧

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤

(٣) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٧ - فى اتعاظ الحنفا يذكر خطأ ^{المقرئى}

أنه ثالث عشره وهكذا فى بقيه الايام - ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٤) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٧ ، المقرئى : المصدر السابق

ج ٢ ص ١٧٠ .

فخرج اليهم ناخذ وقتلهم فجرح له فرس وقتل فارس من غلمانہ فلم يطق صبرا معهم وانصرف عنهم (١) . عندئذ اضطر عامه المصريين الى التصدي للعبيد بالسلاح ، فوقف الرجال والنساء على المنازل يلقون بالحجارة والطوب والجرار فانهم العبيد امامهم ، ولم يستطيعوا الاقتراب من شارع أوزقاق لان الناس حفروا الخنادق دون الدروب (٢) .

هنا لك قوى غنم معضاد وسائر صقالبة القصر ، فطاردا ^{العبيد} الى المقس ، ولقبوا في طريقهم قوما معهم كثير من أمتعة الناس التي نهبت ، فقبضوا عليهم وضرب معضاد رقاب تسعة أنفس منهم ورمى جثثهم الى الكلاب ، ثم ضرب رقاب ستة آخرين في القاهرة (٣) . فلما وجد العبيد تصميم العامة على التصدي لهم ، أخذوا في طلب وجوه الدولة الذين حرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم (٤) وعلى رأسهم الجرجرائى الذى سارع بالعودة الى داره بمصر وتحصن بها بعد ان كان في طريقه الى القاهرة (٥) .

لم يفت ذلك في عهد العبيد ، فأصبحوا يهاجمون أسواق القاهرة والسويقة عند باب زويلة ، وأخذوا في النهب ، فخرج اليهم حظى الصقلي ومعه سيف من الحصى ، اشارة الى ان ذلك بأمر الخليفة ، فقبض على طائفة منهم ضرب رقابهم ورمى جثثهم للكلاب في عدة أماكن حتى يعتبر غيرهم ، على باب زويلة ، وباب

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا - ج ٢ ص ١٢٠

(٢) المسبحى : أخبار مصر - ج ٤٠ ص ٨٧

(٣) المقرئى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٠

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥

(٥) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٨

الفتوح وفى سوق السلاح وعند شرطة القاهرة ، وعدتهم اثنا عشر رجلا ، ثم قتل
كتاميا استولى على حمار محمل بالدقيق ، ووجد عرقاء العبيد بالنفقة وشدد
عليهم فى احضار الجناء من العبيد (١) .

الا ان العبيد لم يكونوا هم وحدهم الذين ينهبون الناس ، اذ دفعت المجاعة
المروعة بالجائعين الى الطرقات يقطعونها (٢) . ففى يوم الاحد ٢٧ ذى الحجة
خرج العامة واستغاثوا الى متولى شرطة القسطة بعد ان نهبهم العامة
الذين يسكنون بكوم دينار ، فقبض على طائفة منهم وجلدهم حتى اقرؤا بالمسروقات
من الامتعة والغلال ، فصار معهم الى مساكنهم وتسلم منهم ما وجدته وسلمه
الى اصحابه واعتقل الجناء (٣) . ومهما يكن من امر فقد استمر الناس على خوفهم
من هجوم العبيد والذعار طيلة هذا العام مع اشتداد الأمراض وشدة الغلاء
وعدم الاقوات (٤) .

وعاشت البلاد حالة من الفوضى الشاملة اثناء الشدة المستنصرية بسبب
اضطرابات الجند ومنازعاتهم (٥) ، ومدت الاجناد ايديها الى النهب فخرج الأمر
عن الحسد (٦) فقد عمل الجند السلب والنهب ونشط الاشرار وقطاع الطرق والبدو
وأصبحت السبل وطرق المواصلات البرية والنيلية غير آمنة بسبب تعرض
المسافرين لنهب اللصوص واعتداء الجند (٧) واشتد خوف الناس بمصر سنة ٤٦١هـ /

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفى ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) ستانلى لمن بول : سيرة القاهرة ص ١٣٧ .

(٣) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٩ ، المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٧٠ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٥) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

(٦) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٧ .

(٧) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٥ - ٩٦ .

٦٨ - ١٠٦٩ م وكثر الخطف والقتل فى الطرقات ليلا ونهارا ، فأصبحت الطرقات غير آمنة الا بالخفارة الكبيرة ، وصار مجرد السير مغامرة غير مأمونة العواقب (١) وأدت الحروب بين الاتراك وعبيد الشراء التى كانت تستمر ليلا ونهارا ، الى امتناع الناس عن الحركة ، وعدم زراعة الارض ، حتى أن النيل لما وفسى ففى عام ٤٦٢ هـ / ٦٩ - ١٠٧٠ م لم يقدر الناس على الزرع فتفاقم البلاء بالناس واشتد جوعهم (٢) .

وقد أفضى اضطراب الأمن الى تحول طريق الحج من مصر الى الأراضى الحجازية من الطريق البرى الى الطريق البحرى ، بعد أن كان الطريق البرى هو الأكثر استعمالا حتى زيارة ناصر خسرو لمصر (٣) ، فيقرر المقرئى أنه منذ كانت الشدة العظمى ، انقطع الحج فى البر ، وصار الناس لا يتوجهون الى مكة الا من صحراء عذاب ، فيركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون الصحراء الى ميناء عذاب ومنه بالمراكب الى جده وكان ذلك طريق عودتهم أيضا (٤) . ويرجع ذلك

(١) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣٠٣

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٥

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠٢

وقد كان هناك طريق يمر من أسوان الى القاهرة حيث يوجد مرتفع من الأرض مواز للنيل ، وكانت الخزينة العامة تدفع سنويا مبلغ عشرة الاف ديناراً لتنفيذ الترميمات التى يتطلبها هذا الطريق . ص ١٣

جاستون فيت : المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى مترجمة عن
L'Egypte Contemporaine (année 1933 . PP. 24 - 264.

التحول أيضا الى خراب الدلتا زمن الشدة العظمى (١) .

وصاحب تحول طريق الحج تحولا في طرق التجارة التي تركزت في نفس الطريق سواء تجارة الهند أو اليمن أو الحبشة . وتبع ذلك ازدهار ميناء عيذاب واستمر استعماله بسبب حوادث الحروب الصليبية التي أدت الى تحول تجارة مصر من موانئ الشمال الى عيذاب (٢) ، فضلا عن اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة في بغداد (٣) .

واستتبع استعمال هذا الطريق ازدهار مدينة قوص فأصبحت أهم أسواق مصر وكان أهلها تجارا على قدر واسع من الثراء (٤) . ولعل ذلك كان مصدرة قوة حاكم قوص الذي حاز منصب الوزارة في حالات عديدة في أواخر العصر الفاطمي .

واقد استمر استعمال هذا الطريق منذ أيام الشدة المستنصرية حتى عهد السلطان الظاهر - ركن الدين بيبرس - الذي أمر بخروج قافلة الحج من البر من

(١) د . عطية القوص : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦ هـ . رساله دكتوراه مخطوطة باشراف أ . د . أحمد دراج كلية الاداب - جامعه القاهرة ١٩٢٣ ص ١١٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٨ ، فيت : المواصلات في مصر - ص ٢٠ .

(٣) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٩٠ .

(٤) د . عطية القوص : المرجع السابق ص ١١٩ ، ويبدو أن قوص حلت مكان قفط التي كانت قبل ذلك مدينة اقليم الصعيد وبدأ خرابها من بعد عام ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م - المقرئ : الخطط ج ١ ص ٢٣٢ .

٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م ، فقل استخدام هذا الطريق وتلاش أمر قوص بمعد ذلك (١) .

وعندما تولى بدر الأمور في مصر ، بدأ جهود الحثيثة والناجحة لاقرار الوضع الأمنى بالبلاد ، وتوطيد سلطانه ، فبدأ فى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م - بقتل جماعة من أمهات المصريين وحكامهم ووزائهم (٢) . وأخذ فى القبض على الاتراك وتبعهم حتى لم يدع منهم أحدا يشار اليه ، والتقط المفسدين فلم يبق على أحد منهم وتبعهم فى القاهرة ومصر حتى أتى على جميعهم القتل (٣) . واستمرت حملة أمير الجيوش على جند مصر وغيرهم مما يؤمى اليه بالفساد خلال العام التالى (٤) .

ويتضح من السجلات المستنصرية ، ان السلطة المركزية قد ضعفت قبضتها على كثير من أجزاء البلاد التى تغلب عليها المتمردون من الحاضرة والبادية ، فقد كانت الاسكندرية والبحيرة والصعيدان الاعلى والادنى خارجة عن ملكة الدولة (٥) .

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٢٨٩ ، على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك - دار حرا - القاهرة ١٩٧٣ - ص ٦١ - ٦٣ . وعن حالة قوص وتطورها حتى القرن التاسع عشر انظر :

د . سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، وآثارها الباقية فى العصر الاسلامى - المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه - القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣

(٣) المقرئى : اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٣١٢

(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١٤

(٥) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٥ .

وفى أثناء المجاعة التى وقعت عام ٥٣٧ — ٥٣٨ هـ / ١١٤٢ — ١١٤٤ م
خرج محمد بن رافع اللواتى بالبحيرة فى طائفة كبيرة من العريان ، فسار
اليهم طلائع بن زريك والى البحيرة وكسرهم وقتل أميرهم محمد بن رافع^(١) .

(١) ابن ميسر: أخبار مصر ج ٢ ص ٨٦ .

أثر المجاعات على السياسة الخارجية وحدود الخلافة :

لم يقتصر تأثير المجاعات على الأحوال الداخلية للخلافة الفاطمية ، فقد تأثرت سياستها الخارجية أيضا بهذه الأحداث وخاصة فيما يتعلق بحدود الخلافة الواسعة . فانهيار الحياة الاقتصادية واضطراب الأمن وضعف السلطة المركزية كان يعنى فى المحصلة النهائية ضعف الدولة فى الدفاع بجديّة عن البلاد المنضوية تحت لواءها ، مما دفع بأعداء الدولة والمطامعين فى الحكم الى اعلان الاستقلال عن الخلافة واسقاط الدعوة الفاطمية واقامة الدعوة العباسية فى بلادهم ، بل ووصل الأمر فى بعض الأحيان الى حد التطلع الى ازاله الخلافة فى عقر دارها بالقاهرة ، ويكفى بداية الاشارة الى ان الخلافة الفاطمية فى بداية عتوانها نجحت فى وقف المد البيزنطى فى بلاد الشام وأجبرت بيزنطة على توقيع معاهدة مع الحاكم بأمر الله عام ٣٩٢ - ٣٩٣ (١٠٠١ م) ترسخ بمقتضاها النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام (١) الا أنه على أثر معاناة البلاد فى خلافة الحاكم من سلسلة مجاعات متلاحقة ، وفى أثناء المجاعة التى حدثت عام ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م تحرك أبو ركة من الغرب قاصدا الاستيلاء على مصر وعلان نفسه خليفة للمسلمين بها مستغلا ضعف البلاد وارتباكها ، الا أن الأمر انتهى بهزيمة وفراره الى النوبة التى سلمه واليها الى الحاكم ليقتله بعد أن شهده (٢)

(١) حسن حبشى : الحرب الصليبية الاولى - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٤٧ -

ص ٢٤ - ٢٦

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٦٤ - ٦٥ . أعلن أبو ركة نفسه خليفة للمسلمين وتسعى بالتأثير بأمر الله . انظر : -

د . حسن الباشا ، الالقب الاسلاميه ص ٢٣٣ .

وخلال مجاعة ٤٠٢-٤٠٣هـ / ١٠١١-١٠١٣م تمرد العرب في الشام على سلطه الخلافة وخاصة بنو الجراح الذين استمرت ثورتهم مدة سنتين ونصف من ٤٠٢هـ / ١٠١١م الى ٤٠٤هـ / ١٠١٣م دون أن يرسل الحاكم نحوهم جيشاً^(١) ولعل ذلك كان بسبب المجاعة واضطراب البلاد . الا أن تمرد بنى الجراح بلغ حدا لا يمكن السكوت عليه ، فقد أغراهم ضعف الدولة عن حربهم باقامة الدعوه لخليفه آخر ، وكان ذلك الخليفه هو أبو الفتح الحسن بن جعفر الحسين والى مكه الذى استجاب لدعوه عرب الشام فأعلن نفسه خليفه بأسم الراشد بالله وأقيمت له الخطبه فى كثير من بلاد الشام^(٢) ، مما اضطر الحاكم إلى دفع الأموال لبني الجراح حتى انحازوا اليه ، فلم يجد أبو الفتح بدا من العوده الى مكه واعادة الخطبه والسكه للحاكم منذ ٤٠٣هـ / ١٠١٢م .^(٣)

وبعد انتهاء المجاعة جرد الحاكم فى سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م حولة ناجحه بقيادة على بن جعفر بن فلاح هزمت العرب فى الرملة واستولت

(١) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١٤٣ .
(٢) الذهبى (شمس الدين) : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير وطبقات الاعلام مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ - مجلد ١٦ ص ١٢١-١٢٢ .
(٣) د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب - دار الفكر العربى القاير . ١٩٥٠ ص ١٧-١٩ ويذكر ابن خلكان أنهم لقوه بالرشيد - وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

على أموالهم وذخائرهم ثم دخلت دمشق بعد ذلك . (١)

أما في خلافة الظاهر لأعزاز دين الله ، فقد ارتبطت مجاعة

سنة ٤١٤ - ٤١٥ هـ بحركات تمرد واسعة النطاق بدمشق .

وبدا ذلك التمرد بخروج حسان بن جراح الطائي على منتخب الدولة
أنوشتكين الدزيري ونجح حسان في هزيمته ومحاصرته في الرملة ونهب
طبرية . (٢)

وأغرى نجاح حسان هذا وانشغال الخلافة الفاطمية بالمجاعة بقية عرب
الشام بالتحالف مع حسان لاقتسام أملاك (الرجل المريض) الخلافة ، فتكاتف
سنان بن عليان بن البنا ، وصالح بن مرداس مع حسان وتكالبوا على
الدزيري ، الذي طلب نجده الخلافة ولوبألف فارس والف راجل ، ورغم أن -
الدولة نجحت في تجريد هذا العدو ، إلا أنه لم يخرج من التجريد
الاطائف يسيرة مضوا إلى العرش ، وبطل أمر من تجرد بعد ذلك بسبب
حاله الفوضى التي كانت البلاد تعيشها وربما لقله النفقة أيضا والتي بلغت
لكل فارس أربعين دينارا . (٣)

فلما أيقن العرب بضعف الخلافة عن نجده الدزيري ، استولى حسان على
الرملة وأحرقها ، واستولى صالح على حلب سنة ٤١٧ هـ ومعه بك وحاصره

(١) د جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق - دار الفكر
العربي - القاهرة ١٩٥٩ - ط ٢ ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المقرئ: انعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ وكان الدزيري قد تقلد ولاية
ميسارية في فلسطين عام ٤١٤ هـ - المقرئ: المخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) المقرئ: انعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٥٢ مبن خلكان وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٠ ،
العماد الخنبلي: شذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٥ .

دمشق ، واتفق صالح بن مرداس وصعاب الدولة سنان وحسان على أن يكونوا
يدا واحدة على صاحب مصر وقسموا البلاد بينهم ، فصار لحسان الرملة الى
باب مصر ، وللمحمود أخيه طبرية وما يتصل بها من الساحل ولسنان دمشق
وسوارها ولصالح ما بقى من الشام الى عانة . (١)

ولا شك أن تفكك أملاك الدولة في الشام يعود الى حد بعيد الى عجز
الخلافة عن تجريد العساكر الى الشام فإبان مجاءه ٤١٤/٤١٥ ذى الحجة
٤١٥هـ / ١٠٢٥م ، خرج رجال الدولة الى المضرب بالمصلى وحضر الكتاميون
وطلب منهم مائة فارس لينفق فيهم ويسيروا مع العسكر فذكر شيوخهم أن ليس
لهم دواب وأن أى شىء انفق فيهم ضاع وسألوا أن يحملوا أى تتوفر لهم
الخيول وتزاح عليهم بما ينفق فيهم ، ويبدو أن هذه المطالب كانت فوق قدرة
الدولة المنهكة ، فنزعت الخيمة ولم يتم التجريد . (٢)

وكان الكتاميون قد ذكروا بحضرة الخليفة الظاهر أنهم وطوائف الجند لديهم
المقدرة على هزيمة ابن الجراح لولا أنهم هلكوا فقرا وجوعا ، وليس لواحد
منهم مال يرجع اليه ، ففشلت لذلك محاولة تجريد سابقه في شعبان ٤١٥هـ . (٣)

(١) اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٥٣-١٥٧ . ذكر Lewis أن صالح بن مرداس استولى
على حلب عام ٤١٤هـ ولأصح أنه استولى عليها عام ٤١٧هـ . انظر -

Lewis (B.) Op. cit. P. 194.

(٢) المسيحي : أخبار مصر - ج ٤٠ ص ٨٦ .
(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٥٥-١٦١ .

وازاء ذلك العجز المتزايد اضطراب الدولة الى اقرار الوضع على ما عليه بالشام ، والاعتراف بشرعية استيلاء حسان على الرملة ، وأعطى بعد ذلك اقطاع نابلس بناء على طلبه . (١)

وكان ذلك الاجراء بمثابة اعتراف بعجز الدولة عن دفع المتمردين ، الذين ظنوا أن الطريق مفتوح الى القاهرة ، فانفذ حسان بن جراح سرية فيهم الى فارس الى القوما ففر أهلها منها الى تنيس ثم القاهرة . (٢)

ولاجل إشغال الخلافة ارسل حسان الى بنى قرة بالبحيرة يدعوهم الى نصرته وبعدهم بغنائم كثيرة ، واجابه بنو قرة بالموافقة ، ثم قبض على رسول حسان واخذت منه الكتب وحبس . (٣)

الا أن بنى قرة المقيمين ببرقة ، وقد امعنوا في الاستهانة بسطوة الخلافة اقاموا انسانا يدعوهم بامير المؤمنين ببرقة وحملوا على رأسه المظلة (٤) اشارة الى خلافته وهو ما لم يسع اليه العرب في الشام ، فقد كان مطلبهم هو - الاستيلاء على البلاد وخراجها وانفاقه في رجالهم مع اعترافهم بالسيطرة الاسمية للخليفة الفاطمي وحقوقه في الخطبة والسكة . (٥)

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ - ص ٣ - ١٥٤ ، ١٥٢ .

(٢) المسيحي المصدر السابق ج ٤٠ ص ٢٦ ، المقرئى : الخطط ج ٣٥٤

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ١٦٢ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٧ .

(٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٦٠ .

ولم تستطع الدولة الفاطمية ان تعيد بسط نفوذها على الشام الا عام ٤٢٠هـ / ١٠٢١م ، عندما نجح المدزيرى فى قتل صالح بن مرداس ففى ربيع الآخر وهزيمة حسان فى الأقحوانه ، واسترداد أملاك الخلافة ما عدا حلب التى استعيدت عام ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م بعد قتل شبل الدولة شمال ابن صالح . (١)

وقد استغل ملك الروم باسيلوس الثانى (باسيل) - Basilios Bultgaroc-tonos .

فرصه انشغال الظاهر بحوادث الشام عام ٤١٥هـ وأغار على أملاك الخلافة الفاطمية فى جزيرة صقلية واستولى على قلورية (كالبريا) . (٢)

وأثناء هذه المجاعة أيضا اضطرت علاقته مصر بالأراضى الحجازية ، التى كانت ترتبط بمصر برباط اقتصادى سياسى ، قوامه حصول الحجاز على المواد — الغذائية مقابل اقامة الدعوه الفاطمية بالأراضى المقدسه وكانت هذه الهيئه ضمانا لعدم قيام العرب بالنهب والسلب فى موسم الحج . ومن ناحيه أخرى كان للحجاز أهميه خاصه عند الفاطميين حيث تعد سيطرتهم عليه دليلا — حاسما على تزعمهم للعالم الاسلامى . (٣)

ففى عام ٤١٤هـ / ١٠٢٣م تأخرت ميره الحجاز ، فجاء الى مصر وقد منه فى العام التالى ، وطلبوا النفقه وهددوا بنقل الدعوه بمكة والمدينه للعباسيين ،

(١) ابن القلائس : ذيل دمشق ص ٢٣-٢٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب

ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٨٢ .

(٣) على بن حسين السليمان : العلاقات الحجازيه المصريه ص ٨ .

ومع ذلك لم يستطع الخليفة أن ينفق فيهم ، وتصدق عليهم جمال الدولة مظفر الصقلي صاحب المظلة بألف دينار من ماله ، وفرقوها خمسمائة نفس لكل واحد دينارين ، ولم يجد وقد الحجاز مسئولاً في الدولة ليجيب مطالبهم . (١)

وأثناء المجاعة التي وقعت بمصر عام ٤٤٧-٤٤٨هـ / ١٠٥٥-١٠٥٦ م حدثت بعض القلاقل في الشام . ففي سنة ٤٤٧هـ ، تجمع كثير من التركمان بحلب وغيرها فافسدوا في أعمال الشام . وكانت خطبة الفاطميين قد قطعت أثناء ذلك ، وخطب العباسيين في حلب على الأقل ، إذ يذكر ابن ميسر أن الفاطميين استعادوا سيطرتهم على حلب في يوم الخميس لثلاث بقين من ذي العقدة ، وخطب فيها للمستنصر بعد ما كانت الخطبة للقائم العباسي وذلك بعد حروب كثيرة . (٢)

كما نجد تميم بن المعز بن باديس والي أفريقية يقطع خطبة الفاطميين ويخضع للمرابطين الذين ظهرت دولتهم في جنوب بلاد المغرب مما يجاوز الصحراء ، في عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥ م أو ٤٤٨هـ / ١٠٥٦ م وأن أعاد بعد ذلك الخطبة للفاطميين . (٣)

ومنذ مجاعة ٤٤٧هـ ساءت العلاقات السياسية بين الدولة البيزنطية ومصر بسبب رفض أبنة قسطنطين التاسع ، ثيودورا ، إرسال الغلال إلى مصر بعد وفاة والدها الذي تعهد بإرسالها ، وفضل البيزنطيون صداقة السلاجقة الأقوياء ،

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفاء ج ٢ ص ١٦٣-١٦٤ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر - ج ٢ ص ٧-٨ .

(٣) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٢٧١ .

على صداقة الفاطميين الضعفاء ، فخطب للخليفة العباسي في جامع القسطنطينية وأسقطت خطبة المستنصر بالله . (١)

أما الشدة المستنصرية التي كانت من عوامل انهيار الخلافة الفاطمية (٢) فقد أثرت تأثيرا عميقا على السياسة الخارجية للدولة الفاطمية فتقلصت ممتلكاتها وخاصة في الشام وأفريقيا وبلاد الحجاز ، وإذا كانت القوة هي صبغة السياسة الحربية للفاطميين حتى النصف الأول من خلافه المستنصر بالله ، فان سياسته الدولية الحربية أصبحت بعد ذلك مهنية فقط على الدفاع عن كيان الدولة (٣) . وقد أدى الضعف الذي شاب قوى البلاد المادية والحربية أثناء الشدة الى ضعف سيطرته المصريين على بلاد الشام ، وأهمال الجيش والاسطول وسهل ذلك مهمة الصليبيين في الاستيلاء على بعض بلاد الشام في الحملة الصليبية الأولى (٤) .

وقد أفضى انشغال الحكم في مصر منذ الشدة بسوء الاوضاع الداخلية بسبب الازمات الاقتصادية والامته والصراعات الداخلية الى ضعف المقاومة للغزو الصليبي ، والعجز عن اخراج الصليبيين من المواقع التي احتلوها (٥) .

(١) محمد عبدالله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية — القاهرة ١٩٦٩ ط ٢ ص ١٣٣ وقد خلط بين مجاعة ٤٤٧ هـ والشدة .

(٢) نبيله محمد أحمد صبره : الخدمات الطبية في مصر الاسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني — مخطوط رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الاداب — كلية الاداب — جامعة الاسكندرية — ١٩٨٢ — ص ١٤١ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١٢٤ .

(٤) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٧ .

(٥) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : شخصيه الدولة الفاطمية ص ١٨ .

ونجم عن ذلك أيضا ذهاب ما تبقى من سوريا بعيدا عن أيدي الصليبيين إلى الأسر المحلية الحاكمة ، والسلاجقة ، وحتى بلاد الحجاز التي كانت ذات أهمية روحية خاصة رفضت أن تشارك مصر في المجاعة وتحولت نحو بغداد . (١)

كان الشام هو أكثر أملاك الخلافة تأثرا بحاله الضعف التي اتسمت بها سياسة الفاطميين الحربية أثناء الشدة المستضربة وبعدها إذ عجزت الدولة عن التصدي لأطماع الأسر المحلية من العرب أو الأتراك في السيطرة على أملاكها ، هذا فضلا من ضعفها عن الوقوف بوجه الدولة السلجوقية الفتية ، التي امتدت أيدي عسكرها إلى معظم بلاد الشام وملكته ، فخرجت عن أيدي المصريين ولم تعد اليهم (٢) ولم يمتلك المستنصر بعد انتهاء الشدة سوى التمني لوزير بدر الجمالي أن يتمكن من استعادة الأعمال الشامية . (فيشفى صدره بما وقع على ولده وحريمه ، من جهة الغز الملاحين الذين امتلكوها وحصلوا في قبضتهم) (٣) .

بدأ خروج معظم الشام عن الخلافة مع بداية الشدة عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، ففي رمضان من هذه السنة تمكن محمود بن شيل الدولة بسن صالح بن مرداس معه الأمير ابن خان التركي ، من دخول حلب ، بعد

(١) Lewis (B.) The Camb. Vol I P. 188.

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٣) د . ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٥ - سجل بتاريخ المحرم سنة ٤٦٧ هـ .

أن فشل في أخذها من قبل عام ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م ، وسنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م . (١)
 إلا أن محموداً لم يسقط الدعوى الفاطمية عند دخوله المدينة ، بسبب
 تخوفه من احتمال ثورة الشيعة بها ، ولكنه أسقطها عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م
 عندما طلب منه ألب أرسلان السلجوقي أن يدعو للعباسيين . (٢)
 ولم يكتف ألب أرسلان بذلك فسار إلى حلب في ٤٦٣هـ / ١٠٧١م وحاصرها
 فخرج له محمود بن صالح فقلده ولاية حلب من قبله (٣) ليؤكد بذلك
 خروج حلب نهائياً عن الدولة الفاطمية . خرجت صور^٤ الخلافة سنة ٤٦٢هـ عندما
 أعلن قاضيهما عين الدولة أبي الحسن علي بن علي بن عياض بن أحمد بن أبي
 عقيل خروجه عن طاعة الفاطميين ، ولم يتمكن بدر الجمالي من أخذ صور (٤)
 وكان وقتها والياً على عكا ، وذلك بسبب استنجاد القاضي بالأمير قمرلو مقدم
 الأتراك المقيمين بدمشق ، فحاصر الأخير صيدا وهي من أعمال بدر الجمالي
 فاضطر إلى فك الحصار عنها ، ثم عاد بدر فحاصر صور سنة كاملة ولم

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق سن ٩٠ - ٩٣ .
 (٢) د . محمد جمال الدين سرور : نفوذ الفاطميين في بلاد الشام - ص ٦٠ ويحدد
 ابن القلانسي يوم ١٩ شوال تاريخاً لاسقاط دعوى المستنصر في حلب سنة ٤٦٢هـ - ذيل
 تاريخ دمشق ص ٩٨ مخالفاً بذلك ما ذكره الذهبي من أن اسقاط دعوى الفاطميين
 في حلب كان عام ٤٦٣هـ - الذهبي : تاريخ الاسلام - مجلد ١٦ ص ٢١٥ .

(٣) د . محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ٦٠ .
 (٤) المقرئزي : افعاظ الخنفا ج ٢ ص ٣٠٣ - ذكر ابن ميسر أنها صفد وليست
 صور ج ٢ ص ٢٠ .

يمكن أيضا من القضاء على تمرد قاضيها (١) ولم يتمكن الفاطميون من استرداد صور إلا سنة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م (٢).

أما فلسطين فقد بدأ أتربين أوقف مقدم الاتراك الغزو بالشام الاستيلاء على أعمالها منذ عام ٤٦٣هـ / ١٠٧١م ، واستولى أولا على الرملة وبيت المقدس (٣) ولما حل عام ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م كان قد استولى على سائر فلسطين عدا أرسوف (٤) وقطعت بذلك خطبه المستنصر بالله من أحد الأماكن المقدسة على أيد اتسز التركمانى قائد السلطان ملكشاه (٥).

ونهج قاضى طرابلس نهج قاضى صور ، فقد أعلن الحسن بن عمار طرابلس اماره مستقلة عن الفاطميين عام ٤٦٤هـ / ١٠٧١م ، وظلت هذه الامارة قائمة حتى استولى الصليبيون على طرابلس عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م (٦).

وبدأت دمشق قصة خروجها عن الخلافة اثناء الشده منذ سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م ، عندما شغب أهلها على العسكر الفاطمى ووالى مصر وقتها أمير الجيوش بدر الجمالى الذى اضطر الى الخروج من المدينه بعد ان احرق - قصر الوالى ونقضت أخشابه (٧).

(١) ابن القلانسي: المصدر السابق ص ٩٨.

(٢) د . سعيد عاشور : شخصيه الدوله الفاطميه ص ١٧ ، مجهول : انسان العيون ص ٤٢١

(٣) ابن القلانسي: المصدر السابق ص ٩٨-٩٩ ويذكر المقرئى (اتعاطج ص ٢١٨) ان بيت المقدس سقط فى ايد اتسز سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م عند انهزامه من مصر وان كان ابن الجوزى يذكر ان استيلاء السلاجقه على بيت المقدس كان فى شوال ٤٦٥هـ - المنتظم ج ٨ ص ٢٨٤ .

(٤) د . سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٨ .

(٥) المقرئى : اتعاطج الحنفا ج ٢ ص ٣١ د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام ص ٦ .

(٦) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : شخصيه الدوله الفاطميه - ص ١٧ .

(٧) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ص ٩٣ ، ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ١٨ .

ولم يكن مصير خلفه الأمير قطب الدولة بارز طغان بأفضل حالا ، فقد أرسلته
المخلافه ليتولى دمشق عوضا عن بدر الجمالي ومعه الشريف أبو طاهر حيدره
بن مختص الدولة أبي الحسين في شعبان ٤٦٠هـ ، فنزل في دار العقيق بعد
حريق القصر ، وخرج هو والشريف من دمشق في ربيع الأول ٤٦١هـ / ١٠٦٨م .^(١)
فاهتبل الفرصة الأمير حصن الدولة معلى بن حيدره الكتامى ، فأستولى على
دمشق عنوة بالسيف وبدون تقليد في ٨ شوال ٤٦١هـ ، وزعم أن التقيس
واقاه بعد ذلك ، وأساء السيره في الناس .^(٢) وقد أدى انتشار ظلمه الى خراب
دمشق وأعمالها ، حتى أضطر أهلها الى الهجرة عنها ، فخربت الغوطة ،
وخلت الأماكن من السكان ووقع الاختلاف بين الوالى والعسكر ، فاضطر
الى الفرار لبانياس ووصلها في ٢٢ ذى القعدة ٤٦٢هـ / ١٠٧٥م .^(٣)
وكان أئمز بن أوق قد بدأ محاصرة دمشق منذ سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ،

(١) ابن القلائس : المصدر السابق ص ٩٤ ، وفي نفس السنة قتل أمير
الجيش الشريف حيدره وسلمج جلده - ابن ميسر - ج ٢ ص ١٩ .
(٢) المقرئى : اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٢٩٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ١٩
وفي أثناء هذه الأحداث التى عصفت بدمشق احترق جامع دمشق (المسجد الأموى)
وزال ما كان فيه من الأعمال النغيسه ، وسبب ذلك اندلاع النيران فى دار مجاورة
له أثناء حرب جرت بين المغاربة والمشاركة ، وامتدت الى المسجد - العماد الخبلى
شذرات الذهب - ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدولة ص ٣٢٢ .
(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق - ص ٩٥ - ٩٦ .

بعد استيلائه على الرملة وبيت المقدس ، فحاصرها ثلاث سنوات ، أحرق خلالها زروعها فارتفعت الأسعار وجلا أكثر أهلها عنها وفر واليهبها عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٥م ، فعاد أتسز لمحاصرتها حتى فقد الناس الطعام بها وأكلوا الميتة واضطر الأمير زين الدولة انتصار بن يحيى مقدم المصامدة في المدينة الى تسليمها بالأمان الى أتسز عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م ، فأصبحت (١) دمشق تحت سيادة السلاجقة وبطل فيها الأذان بحى على خير العمل وقطعت خطبه المستنصر وخطب للمقتدى بالله العباسى ولم تعد خطبة الفاطميين اليها بعد ذلك إلا لفترات قليلة (٢) ، ولم يكتف أتسز بالاستيلاء على أملاك الدولة بالشام ، بل طمع فى أخذ مصر ذاتها ، فجهز جيوشه وتحرك نحو مصر بعد أن أغراه بذلك ابن بلدكوز الذى فر من بدر الجمالى (٣) ودخل أتسز مصر وأساء السيرة فيها حتى استغاث أهل القوما وصمموا على قتال أتسز مع جنود الخليفة التى قل عددها بسبب المجاعات والفتن (٤) ونجح بدر الجمالى فى هزيمة أتسز وقتل أخيه ، فعاد أتسز منهزما الى دمشق سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م . (٥)

-
- (١) ابن القلانسي القليل ٩٨-٩٩ وبلغ سعر غرارة القمح اثناء الحصار عشرين دينارا ابن العبري : مختصر - ص ٣٣٤ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠١ - ١٠٢ ، جمال الدين - سرور النفوذ الفاطمي في بلاد الشام ص ١٢٥ .
(٣) جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ٦١ - ٨٢ .
(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٢٧ .
(٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ٢١٧ - وان كان ابن الاثير يذكر أن أتسز انصرف مهزوما بدون قتال - الكامل - ج ٨ ص ١٢٣ .

ولم تغلح محاولات الخلافة المتكررة في استرداد دمشق ، ففشل نصر الدولة الجيوش في استردادها بعد أن حاصرها عام ٤٧١هـ / ١٠٧٨م ، رغم أنه استولى على أعمالها وأعمال فلسطين ، وذلك لاستنجاد أئمة بتاج الدولة تتش الذي تسلم دمشق منه ، مما اضطر نصر الدولة إلى الانسحاب ناحية الساحل ، وفشلت أيضا محاولة العسكر المصري استرداد دمشق بالتحالف مع مسلم بن قريش وجماعه من بني كلاب وعرب قيس .^(١)

وحين ولاية عكا إلى كانت بحوزة بدر الجمالسي ، استولى عليها شكل أحد الأتراك بعد رحيل بدر عنها إلى مصر ، وفيها^(٢) أولاد أمير الجيوش ، فقتل وإلى عكا واستولى بعد ذلك على طبرية أيضا .

^(٣) ولا شك إن طبيعته الروابط السياسية الاقتصادية مع الأراضي الحجازية كانت وراء تأثر ولاء مكة والمدينة للفاطمين ، الذي يتغل في الخطبة للخليفة الفاطمي في الحرمين ، بأحداث الشدة العظمى . وقد بدأ الاضطراب يسود علاقه الأراضي المقدسه بالخلافه منذ انقطاع -

(١) ابن القلائس : المصدر السابق ص ١١٢ ، ١١٤ - ١١٥ .

(٢) ابن ميسر : ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) عن أهمية هذه الصلات لمصر من الناحية التجارية والسياسية أنظر د . عطيه القوصي : تجاره مصر ص ٩٦ .

ما ترسله مصر من معونه وأغذيه مع بداية الشده سنه ٤٤٥٧هـ / ١٠٦٥م ، ففى عام ٤٤٥٨هـ / ١٠٦٦م قطع محمد بن جعفر بن أبى هاشم أمير مکه خطبة المستنصر ، الا انه أعادها بعد قليل طمعا فى عوده مير مصر . ولعل (١)
وجود على الصليحي فى اليمن كان زادعا له ، فما أن توفى عام ٤٤٥٩هـ (٢)
١٠٦٧م حتى استولى أمير مکه على الأموال التى كان قد تركها الصليحي للاتفاق على الحرم منها فى عام ٤٤٦٠هـ / ١٠٦٨م ، وأخذ أيضا قناديل الكعبه وستورها وصفائح الباب والميزاب وسبكها وضرب منها الدنانير والدراهم وصادر أهل مکه فهربوا ، وكذا فعل أمير المدينه مهنا الذى قطع أيضا الخطبه للمستنصر فا انقطعت بذلك الدعوه الفاطميه من الحجاز . ويذكر (٤)
الذهبي "أن تهرد الحجاز يعود الى زله المصريين بالقحط المفرط وانشغالهم بانفسهم حتى اكل بعضهم بعضا" (٥)
ولما لم يجد أمير مکه من يردعه ، فضلا عن توقف ما يرسل من مصر من

-
- (١) القلتشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٢٠ .
(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٢٢٤ .
(٣) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٢٦-٢٢٧ .
(٤) ابوالمحاسن : النجوم الزاهره ج ٥ ص ١٩ - ٢٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٩ .
(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص ٢١٤ .

نفقات الحج التي كانت قد زادت في وزاره اليازورى من مائه ألف دينار الى مائى ألف دينار ، فقطع خطبه الفاطميين من مكه سنه ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م والتي يبدو أنها كانت قد أعيدت ، وصارت الخطبة للقائم العباسى وعضد الدولة ألب أرسلان فى مكه والمدينه ونال أمير مكه مقابل ذلك ثلاثين ألف دينار وصاحب المدينه عشرين ألف دينار من السلاجقة .^(١)
^(٢)

ويبدو أن أمير مكه كان يطمع فى أن يصل ثمن خطبه العباسيين الى ما كانت تدفعه الخلافة الفاطمية ، فاكفى بالخطبه للعباسيين فى موسم الحج فقط وكتب للمستنصر يعتذر اليه ، الا أن ألب أرسلان عاد فأرسل أموالا كثيره له فى سنه ٤٦٣هـ / ١٠٧١م فخطب أمير مكه بنفسه للعباسيين . واستمرت الخطبه لهم فى عام ٤٦٤هـ / ١٠٧٢م أيضا . ويظهر أن ذلك استمر حتى مقدم بدر الجمالى ، الذى كانت اول أعماله النظر فى أمر الحرمين المحروسين واعادتهما الى ملكه الدوله بعد أن علت فروق منابرهما

-
- (١) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ولم يلتفت المستنصر لقطع خطبته فى الحرمين لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء والخراب الذى عم مصر
ابوالمحسن : النجوم - ج ٥ ص ٢٠ .
(٢) ابوالمحسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠ د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ص ٢٠ - ٢١ .
(٣) القلقشندى : صبح الاعش - ج ٤ ص ٢٧٠ .
(٤) د . جمال الدين سرور : المرجع السابق ص ١٢٥ .

الاقدام الرجسه من الفئه الامويه والعباسية^(١) فارسل في سنه ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م رساله باسم المستنصر بالله الى صاحب مکه وهدية جليله و طالباً منه اعاده الخطبه المستنصرية لمکه فقطعت خطبه الخليفه العباسى التى دامت بمکه^(٢) اربع سنين وخمسه اشهر و برغم الأموال الطائلة التى أنفقت لأجل اعاده الخطبه الى الأراضى المقدسه^(٣) فان الخطبه سرعان ما أعيدت للمقتدى العباسى^(٤) فى ذى الحجه سنه ٤٦٨هـ .

وسئل ابن الجوزى سبب هذا التحول السريع الى ان حاكم مکه بعث الى مصر رجلين ليتعرفا على مدى قوة خليفه مصر و وان كان يرجى من وراء الخطبه له صالحا و فعادوا اليه فقالا ما بقى ثم شئ يرجى عنده بعد نفاذ الاموال وفساد الاحوال و فاعاد بسبب ذلك الخطبه للعباسيين^(٥) .
بيد ان احد العلويين نجح فى الاستيلاء على المدينه المنوره و وطرد عنها اميرها الحسين بن مهنا الذى فرقا صدا ملكشاه السلجوقى و واعاد الخطبه المستنصرية الى المدينه وذلك سنه ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م^(٦) .

-
- (١) د . ماجد — السجلات ص ١٩٢ — ١٩٣ — سجل بتاريخ ٢٧ شعبان سنه ٤٦٨هـ .
(٢) ابن ميسر : اخبار مصر — ج ٢ ص ٢٢٤ ، ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٢١ .
(٣) د . عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ص ١٨٨ — سجل بتاريخ ذى القعدة سنه ٤٦٨هـ .
(٤) ابن الاثير : الكامل — ج ٨ ص ١٢١ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم — ج ٨ ص ٢٩٨ .
(٦) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهره — ج ٥ ص ١٠٤ .

وأعيدت خطبة الفاطميين الى مكة عام ٤٧٠هـ / ١٠٧٨م وكسر المنبر الذى -
أرسله العباسيون وأحرق ، الا أن الخطبة العباسية أعيدت لمكة عام
(١)
٤٧٢هـ / ١٠٨٠م .

وقد شاب الاضطراب علاقة الفاطميين بمكة ، فاستمرت خطبة العباسيين
بها حتى عام ٥٢٧هـ عندما أقام هاشم بن قاسم بن محمد بن جعفر
الخطبة للحافظ لدين الله الفاطمى الا أن ذلك لم يستمر لفترة
طويلة ، واستقرت الدعوة العباسية بشكل نهائى فى ولاية قاسم بن هاشم
الذى تولى اماره مكة عام ٥٤٩هـ (٢)

أما اليمن ، فلم يكن للشدة التى أصابت مصر فى عهد المستنصر
بالله أى تأثير على استمرار تبعيتها للخلافة الفاطمية وذلك بفضل
ولاة السيدة الحرة للبيت الفاطمى . (٣)

-
- (١) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٣١١-٣١٢ و ٣٢٣ .
(٢) د . جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب - ص ٢٤ .
(٣) د . عطيه القوصى : تجاره مصر فى البحر الاحمر ص ٩٨ كانت السيدة الحرة
زوجة لعلى الصليحي مؤسس دولة الصليحيين فى اليمن ، وقد عرفت بهذا
اللقب الذى منحها اياه الخليفة المستنصر بالله واسمها السيدة أروى -
راجع د . ماجد ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٠٠ وما بعدها .

بل أصبحت اليمن هى المأوى لتراث الفاطميين خاصة منذ استحوز القواد
السنة على منصب الوزارة فى القاهرة .^(١)

وكان غاية ما أصاب اليمن من جراء الشدة عدم انتظام السجلات التى كانت
ترسل من الخلافة الى الصليحيين ، ففيها خلا سجلات أعوام ٤٥٧هـ ،
٤٦٠هـ ، ٤٦١هـ فانه لم ينتظم ورود هذه السجلات الى اليمن الا منذ
عام ٤٦٢هـ .^(٢)

-
- (١) د . حسن سليمان محمود : الصليحيون فى اليمن وعلاقتهم بالفاطميين
فى مصر . رسالة دكتوراة مخطوطة - كلية الآداب - جامعة القاهرة -
١٩٥٢ - ص ١٦٦ .
- (٢) راجع - د . عبد المنعم ماجد السجلات المستنصرية .

تأثير المجاعات على حدود الخلافة في أفريقيا وصقلية :

إذا كان خروج بعض ولايات الخلافة في الشرق أثناء المجاعات ، يكاد يرقى الى حد التعميم فان المغرب مهد الخلافة الفاطمية لـ يستثنى من هذه القاعدة . فقد منعت كوارث الخلافة من مجاعات وأوبئة وصراعات من الاهتمام بشئونه ، حتى خرج عن حوزة الخلافة ، ولم تضرب سكه بأسم المستنصر بالله في المهدية منذ بداية الشدة العظمى عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م .^(١) وكان ضرب السكه بأسم الخليفة الفاطمي قد توقف قبل ذلك في عهد المعز بن باديس وقطعت كذلك الخطبة الفاطمية ^(٢) سنة ٤٤٠هـ ، والا كان المعز بن باديس قد اضطر بعد ذلك الى إعادة السكه والخطبة بسبب الغزوات الهلالية التي حركتها الدولة الفاطمية ضده .^(٣)

(١) د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٧١-٢٧٣ .

(٢) العماد الحنبلي : شذرات الذهب - ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب : - ورفات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية مكتبة المنار - تونس - ١٩٦٤م - ج ١ ص ٤٤٨-٤٤٩ . وبنو هلال من العدنانية وكانوا قد ساروا الى مصر أثناء حروب القرامطة ضد مصر في بدايه خلافة الفاطميين في مصر - عمروضا كحالة : معجم قبائل العرب - ج ٣ ص ١٢٢١ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه الغزوات الهلالية أنظر : -

The Ency . Of Islam . London, 1971. Vol. III PP. 385

ومنذ عام ٤٥٧هـ أيضا لم تضرب سكه بأسم المستنصر في جزيرة صقلية ، وآخر ما ضرب بأسم المستنصر كان في أواخر ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م ، بل أن ابن الثمنه أحد الولاة المستقلين بالجزيرة سعى الى تمليك النورمان الصقلية ، وذلك بسبب عجز المستنصر بالله عن أداء ما طلبه من أموال بسبب الشده ففتح ابن الثمنه الابواب للفرنج بعد أن بعث ابنه كرهينه لدى روبرتو أخى روجر .^(١)
^(٢)

وأثناء مجاعة ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م أستطاع الجيش الفاطمى أن يستعيد صيدا وصور وعكا ومعلبك إلا أن تتش استولى على عكا في العام التالى من ابن ملاعب بسبب اقامته الخطية للمستنصر بالله وسرعان ما أعقب ذلك تحرك نواب ملكشاه بحلب والرها عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م مع قوات السلطان السلجوقى بقيادة تتش واستولوا على حصن وقلعت عرقة واقاميه .^(٣)
^(٤)
^(٥)

وفى خلافة المستعلى بالله التوشهدت مجاعات خطيرة في أعوام ٤٩٠هـ ، ٤٩٢هـ -

٤٩٣هـ ، اختل حال الدولة الفاطمية بشده وانقطعت الدعوه من معظم

-
- (١) د . ماجد : ظهور خلافيه ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .
(٢) د . عبد المنعم رسلان : الحضارة الاسلاميه في صقلية وجنوب ايطاليا - دار نهامه جدة - السعوديه ١٩٨٠ ص ٢١ .
(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص ٢٤١ .
(٤) ابو المحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١٢٨ - ١٣٠ .
(٥) د . محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى في بلاد الشام ص ٦٣ .

الشام الذي أنقسم بين الأتراك والفرنج . (١)

ففي مجاعة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م أقام فخر الملوك رضوان متولى حلب الخطبة للمستعلى بعد خطاب من الخليفة وآخر من وزيرة الأفضل ، وذلك طمعا في أن يستعين بالعسكر المصري لأجل الاستيلاء على دمشق ، فلما وجد مآل إليه حال الخلافة من ضعف وأنشغالها بالمجاعة قطع الخطبة بعد أربعة أسابيع فقط ، (٢) وفي نفس هذه السنة أعيدت الى دمشق خطبة الخليفة العباسي وقطعت المستعالية التي يبدو أنها كانت قد أعيدت قبل ذلك لوقت قصير . (٣) كما استولى الفرنج على انطاكية في ١٦ رجب ٤٩١هـ / ١٠٩٨م بعد حاصروها منذ شهر ذي القعدة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م وأخذوا أيضا معبرة (٤) النعمان عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م .

ورغم أن الخلافة نجحت في استعادته بيت المقدس عام ٤٩١هـ إلا أن الفرنج استولوا عليها في العام التالي ، وهزموا الجيش الفاطمي عند عسقلان (٥)

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦١ ، العمد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٠٤ .

(٢) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٣ .

(٣) المقرئ : الخطط ج ٣ ص ٣٥٦ . وان كان ابن العبري يذكر أنه لم يخطب للفاطمين بدمشق منذ عام ٤٦٨هـ - مختصر تاريخ الدولة - ص ٣٣٤ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٦١ .

(٥) الذهبي : تاريخ الاسلام مجلد ١٦ ص ٢٦١ ، حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى ص ٨١ - ٨٢ .

(١) واضطر الأفضل شافنشاء الى العودة بجيشه الى مصر .

وفي أثناء الأزمة الاقتصادية بالبلاد عام ٤٩٧هـ / ١١٠٤م ، نجح
الصلبيون في الاستيلاء على مدينه عكا في شعبان من نفس السنه .
(٢)

ولا شك أن الضعف الذي انتاب الدولة الفاطمية منذ الشده العظمى
قد تزايدت مضاعفاته السلبيه في السنوات الأخيرة من حياة الخلافة ، حتى
عجزت عن مقاومة ضغط السلاجقة والصلبيين ، الذين أقتسموا الشام فيما
بينهم .

فلم تصل نجده الفاطميين الى طرابلس الشام الا بعد أن دخلها

(١) ابن القلائس: ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥-١٣٧ ، العماد الحنبلي: شذرات
الذهب ج ٣ ص ٣٩٧ ، ابن العبري : ص ٣٤٢ ويقال أن عدد قتلى المسلمين في
بيت المقدس بلغ أكثر من ٧٠٠٠٠ شخص ولم تستطع الخلافة الفاطمية أن تحرك
ساكنها لهذا الحادث كما تقاس السلاجقة عن نجده المدينه وفي ذلك يقول -
أحد الشعراء ..

وكيف تنام العين ملء جفونها	على هنوات ايقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقلهم	ظهور المداكي او بطون القشائم
تسومهم الروم الهوان وانتهم	تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ابن الجوزي : المنتظم ج ٩ ص ١٠٨ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ج ٤ ص ٣٨٤ .

(١) الصليبيون عام ٥٠٢هـ / وقتلوا معظم أهلها .

والى أبعد من ذلك ، تردى حال الدولة الفاطمية ، حتى أن -
الصليبيين بعد استيلائهم على عسقلان عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ، شرعوا فى
الاستيلاء على مصر فهاجموا تينس ونهبوها .^(٢) كما حاول الادفونس صاحب
طليطلة وقشتالة واشبيلية ولنسية بالاندلس ان يستولى على بلاد مصر
والشام فى آخر الدولة الفاطمية .^(٣)

ولم تكد مصر مطمعا فقط للصليبيين ومسيحي الاندلس ، بل طمع فيها عسكر
لواته بافريقيه فهاجموها عام ٥١٢هـ / ١١٢٣م وأن كان المأمون البطائحي قد
نجح فى ردهم .^(٤)

ومهما يكن من أمر فقد أدى ضعف الدولة الى انهيار ممتلكاتها خارج مصر ، بعد
سلسلة المجاعات والأزمات الاقتصادية والأوبئة التى كابدتها اثناء حياتها ، وأودت
بها على يد وزيرها السنى صلاح الدين الأيوبي .

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٨٤ . ويذكر العماد الحنبلى أن الفرنج
أخذت طرابلس عام ٥٠٣هـ بعد حصار دام سبع سنوات وانهم أستولوا فى العام التالى
على بيروت وصيدا - شذرات الذهب - ج ٤ ص ٦٢-٦٢ .
(٢) أبو شامة : الروضتين - ج ١ ص ٩٩ .
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى - ج ٨ ص ٣٤-٣٥ .
(٤) ابن القلانص : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩ .

ثانيا : الآثار الاجتماعية للمجاعات

١ - تأثير المجاعات على الملكية الزراعية والملاك :-

شهدت مصر منذ الفتح العربى نوعين من الملكية ، الملكية الخاصة ، وملكية الدولة للأراضى الزراعية ، والأخيرة ورثتها الدولة ، أما أراضى كانت ملكا للدولة البيزنطية ((الأباطرة)) أو أراضى هرب أصحابها أو هلكوا زمن الفتح ، وأضيف الى ذلك الأرض الموات أو الأرض المهجورة ، أو عن طريق الشراء ، أو بمصادرة موظفين ماتوا بدون وارث أو فصلوا من وظائفهم لأسباب جعلت الدولة تصادر أراضيهم . وظل المصريون الذين يمتلكون الأرض ملكيه خاصة يتصرفون فيها بالبيع والشراء والتوارث والهبة والوقف ، أى أنهم يمتلكون الأرض ملكية تامه ((رقبه ومنفعة)) وكان للحكومة فقط (١) حق السيادة العليا على هذه الملكيات الخاصة . (٢)

أما عن كيفية تحصيل الدولة لضرائب الأرض (الخراج) ، فإنه منذ ما بعد عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م ، قد قسمت البلاد الى مناطق أو صفقات تطرح فى مزاد علنى كل أربع سنوات فيترايد عليها من يرغب فى ذلك ، ويجلس متولى الخراج فى جامع عمرو بن العاص وينادى على البلاد صفقات محددة

(١) د . سيدة كاشف : الأرض والفلاح فى مصر الاسلامية - مقال ضمن كتاب الأرض والفلاح على مر العصور الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة ١٩٢٤ ص ١٦٥
(٢) محمد محمود احمد ادريس : الحياه الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمى الاول (٣٥٨-٤٨٧هـ) رسالة ماجستير مخطوطة بأشراف د. / حسن أحمد محمود - كلية الاداب - جامعة القاهرة - ١٩٢٦ - ص ٢٣

المبالغ المفروضة عليها ومن يتقبل أرضا يضمها الى ناحيته ويتولى زراعتها
واصلاح جسورها وأحوالها ويحمل الخراج في أقساط ويخصم منه ما ينفق
على عماره الأرض .^(١)

وعندما فتح الفاطميون مصر أقر جوهر الصقلي بحق الأبقاء على
الملكية الخاصة ، وفي سند وقف تاريخه ٥٤٠٢ / ١١١٠ م ، يوجد ما يؤيد
ملكية الأفراد للأراضي ملكية تامة مطلقة رقية ومنفعة ، حيث للمالك حق التصرف
في ملكيته . وفيما عدا أراضي الأمتلاك الخاصة ، كان الخلفاء الفاطميون
يملكون أراضي مصر ، وكانت الأرض تؤجر الى كبار السكان من المزارعين
بصفتهم متقبلين أو ضمان يتعهدون بدفع ما عليها من ضريبة لقاء أستغلالها^(٢)
وقد ظل نظام المزايدة على الخراج متبعاً في العصر الفاطمي ، ففي عام
٩٢٣ / ٥٣٦٣ م جلس يعقوب بن كلس وعسلج بن الحسن في دار الاماره بجامع

-
- (١) د . محمد حمدي المناوي : نهر النيل في المكتبة العربية - ص ١٧٩ - ١٨٠ .
(٢) د . سيدة كاشف : المرجع السابق ص ١٦٠ .
(٣) محمد محمود ادريس : الحياة الزراعية ص ٢٤ .
(٤) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ١١٣ - ١١٤ والتضمين هو أن
يضمن شخص دفع الخراج على جهة معينة بمبلغ معروف يتفق عليه مع أولى الأمر ويقوم
هو بجمع الخراج كالإتزام في العصر العثماني وهو غير مستحب في الاسلام لانه ضمان
للأموال بقدر معلوم يقتضي الاقتصار عليه وبذلك يتملك المظلم ما زاد وينغمز مانقص وهذا
مناف وحكم الأمانة فيكون باطلا - د . ابراهيم طرخان : نظام الاقطاع الاسلامي في
العصور الوسطى الى نهايه عصر الأيوبيين - رسالة مخطوطة مقدمه لنيل درجة
الماجستير - كلية الاداب - جامعه القاهرة ١٩٤٩ - ص ١٧٤ .

(١) أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأعمال وحضر الناس للقبالات

وقد قام الفاطميون بتوزيع جانب من الأراضي العامة بالأنعام بها على المغاربة

(٢) وغيرهم من الأتباع ، أما على هيئة التملك المطلق أو الانتفاع بإيرادها فقط .

وفضلا عن ذلك كان الخلفاء يقطعون الأرض للأفراد سواء كإقطاع تملك
أو كإقطاع استغلال وهبه الانتفاع طيلة حياة المقطع أو لفترة معينة مع حق

(٣) الدولة في استرداد الإقطاع . ففي شعبان ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م ، أقطع الحاكم بأمر

(٤) الله مالك بن سعيد برمننت والمحرقه وغيرهما .

(٥) كما كان الخلفاء يوقعون بعض هذه الأراضي أو يحبسوها للانفاق على المساجد .

ومنذ الشده العظمى تزايدت ثروات الجند من الفرق المتنازعة بسبب

الانفاق فيهم ، والمقابل قلست القوة المادية للفلاحين ، فلجأوا الى بيع ما يملكون

لأجل تأمين لقمة العيش ، فانتقلت بعض الملكيات الى غير المصريين ، فقد تمام

(١) د . المناوى : المرجع السابق ص ١٨ .

(٢) محمد محمود : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) سيدة كاشف : المرجع السابق ص ١٦٥-١٦٦ . الإقطاع هو ما يقتطعه ولي الأمر

لنفسه أو يهبه لغيره من أرض أو أى نوع من المال الثابت أو المنقول وتسمى الأرض المقطعة
والجمع قطائع أو إقطاعات - د . إبراهيم طرخان : نظام الإقطاع ص ١٦٩-١٧٠

(٤) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من أخبار مصر للمسيحي - ص ٢٥ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١٠٩ .

أحد العبيد البربر بشراء أراضى وعقارات في عام ١٠٦٢ هـ / ١٤٥٩ م بمدينة
الشمونين .^(١)

وابان هذه الشدة وما صاحبها من قحط ووباء ، ازدادت أراضى الدولة
العامه بسبب ضم الملكيات الخاصة التى لم يوجد لها وارث شرعى .^(٢)
كما أن بعض المقطعين انتهزوا فرصه الاضطراب أيام الشدة فزادوا من
اقتاعاتهم ثم أخذوا يجيرون على ما فى أيدي المقطعين ويحتمل أنهم
ارغموهم على التماس الحمايه مقابل رسم مقرر .^(٣)

ويذكر المقرئى أنه فى وزاره الأفضل اضاف أرباب الأملاك الى أراضيهم من
أملاك الدواوين أراضى اغتصبوها ومواقع مجاورة لأملآهم تعدوا عليها
وخلطوها وحازوها ، ورغم ثبوت الاعتداء الا أن الأفضل أقر بالوضع القائم
مع الزام المقطعين بإداء الخراج عن هذه الأراضى .^(٤)

ويبدو أن بعض الأراضى أصابها البوار منذ الشدة ، فقام المقطعون بإصلاحها
ولأجل التشجيع على زياده مساحه الأراضى المستصلحة أعفى الأفضل من
يفعل ذلك من أداء الخراج لمدى أربع سنوات .^(٥)

-
- (١) محمد محمود احمد : المرجع السابق ص ٢٦-٢٧ .
(٢) د . عطيه مشرفة : نظم حكم الفاطميين - ص ١٨٨ ، انصاف رياضى : الحالة
الاقتصاديه والمظاهر الاجتماعية فى العصر الفاطمى الثانى ص ٣١ .
(٣) د . راشد البراوى : المرجع السابق ص ٦٠ .
(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٥ ، محمد محمود : الحياه الزراعيه ص ٢٨ .
(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٥ .

وقد أدت الشدة المستنصرية الى زيادة عدد الأقطاعات في البلاد ، ان كان من نتيجة تسلط العناصر العسكرية ابتداء من ١٠٧٤هـ / ١٠٧٤م فأنهم أخذوا يقطعون الأقطاعات للأمراء والجند مع ابقائها تحت اشراف الديوان ، ويبدوا من هذه الأقطاعات كانت من الأراضى الحكومية ، ولعلها بدأت عن طريق الضمان .^(١)

ولاشك أن انتشار الاقطاعيات ليس فى مصر فحسب بل فى الدول الإسلامية كان انتشار مطردا مع ضعف شخصيه ولى الأمر ، فمنذ ضعف شخصيه الخليفة ، أصبح من حق وزراء السيوف منح الاقطاعات .^(٢)
^(٣) واتسمت اقطاعاتهم منذ عهد بدر الجمالى بالاتساع بعد أن أصبح الأمر بأيديهم ، ويغلب أن تكون اقطاعات هؤلاء الوزراء اقطاعات تمليك لهم الحق فى توريثها لذريتهم .^(٤)

وقد قام بدر الجمالى بتحسيس بعض النواحي فى البحرين الشرقى والغربى للنيل على عقبه هى وساتين بظاهر باب الفتوح ، وعرفت جملة هذه الأراضى بالحبس الجيوش ، ولم يتم فك هذه الأحباس الا بعد أن أنقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى أمراء كبيره فألقى فقهاء ذلك العصر ببطلان ذلك^(٥)

(١) د . عبد العزيز الدورى : مقدمه فى التاريخ الاقتصادى العربى دار الطليعة بيروت ١٩٦٩ ص ١٠٣ .

(٢) د . ابراهيم طرخان : نظام الاقطاع الاسلامى ص ٦٦ .

(٣) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ٣٣ .

(٤) د . محمد حمدى المناوى : الوزراء والوزراء ص ٨٤ .

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١٠ .

(١)

وكانت قيمه متحصل الحبس الجيوش سنويا نحو ٣٠.٠٠٠ دينار .

ولم يكف الوزراء العظام بمنح الاقطاعات لأنفسهم ، بل تصرفوا في منحها للاستثمار من الأنصار حتى يتمكنوا من الوصول الى مطاعمهم الشخصية في السلطة والرئاسة ، ووصل الأمر الى حد أن شاور أثناء صراعه مع ضروغام عرض على نور الدين محمود بن زنكي ، أن يقطعه ثلث خراج مصر ، ويعني

(٢)

ذلك أن الخليفة لم يصبح له أى قدرة على التصرف في الاقطاعات .

الا أن أهم تطور حدث في نظام الملكية الزراعية فيما يتعلق بالأراضي المقطعه ، ونوعية المقطعين ، كان على عهد الأفضل بن بدر الجمالي عام ٥٠١هـ / ١١٠٧-١١٠٨م ، ويتضح مما أورده المقرئى أنه كان يقصد بالمقطعين الضمان الذين كانوا يترايسدون على الأراضى ويضمنون دفع خراجها ، ويحسن أن نورد أولا ما ذكره المقرئى في هذا الصدد ، عندما رأى المأمون البطائحي " اختلال أحوال الرجال العسكرية ، والمقطعين - وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت أحوالهم لقلة المتحصل منها وأن اقطاعات الأمراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها ، وأن في كل ناحية من القواضل للديوان جملة تجىء بالعسف وتتردد الرسائل من الديوان الشريف بسببها . فخاطب الأفضل بن أمير الجيوش في أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها اى يعيد توزيعها ، وعرفه أن المصلحة في ذلك

(١) انصاف رياض : الحاله الاقتصادية ص ١١٥ .

(٢) د ٠ ابراهيم على طرخان : نظام الاقطاع ص ٦٩ .

تعود على المقطعين والديوان ، لأن الديوان يتحصل له من هذه الفواضل
جملة يحصل بها بلاد مقورة . فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات
وراكها وأخذ كل من الأقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بساتين
وأملكا ومعاصر في نواحيهم ، فقال لهم من كان له ملك فهو باق عليه
لا يدخل في الاقطاع وهو محكم أن شاء باعه وأن شاء أجره . فلما
حلت الاقطاعات أمر الضعفاء من الأجناد أن يتزايدوا فيها ، ف وقعت الزيادة
في اقطاعات الأقوياء الى أن أنتهت الى مبلغ معلوم ، وكتبت السجلات
بأنها باقية في ايديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد
وأخضر الأقوياء وقال لهم : ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت بيد الأجناد
قالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها ، فقال لهم
ابدلوا في كل ناحية ما تحمله ، وتقوى رغبتكم فيه ، ولا تنظروا في العسيرة
الأولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الحد
الذي رغب كل منهم فيه ، فأقطعوا به وكتب لهم السجلات على الحكم
المتقدم ، فشملت المصلحة القرينين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد
مقورة ، بما كان مغرقا في الاقطاعات بما بلغه خمسون ألف دينار^(١) . كما
تمت زيادة مدة الاقطاع من أربع سنوات الى ثلاثين سنة^(٢) .

(١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٨٣ والمقصود بالبلاد المقورة : اقطاعات جديدة
يمكن منحها لمقطعين جدد .

(٢) د . محمد حمدي المناوي : نهر النيل ص ١٨٠ .

ويمكن أن نستخلص من هذا النص ما يلي:-

- ١ - أن بعض المقطعين وأصحاب الضمان ، كانوا يدفعون أقل من الوارد المنتظر ((الخراج الذى تزايدوا عليه)) حتى اضطرت الدولة لشطب مبالغ كبيرة مما يسمى بالبواقي^(١) ، وذلك منذ بوار الأرض - واضطراب الحياة الزراعية ابان الشدة المستنصرية .
- ٢ - أن عدد المقطعين العسكريين بدأ يتزايد بسبب الحوادث التى صاحبت الشدة العظمى ، والى أدت الى تناقص أعداد الفلاحين حتى أن الجندى كان يخرج بنفسه هو وجماعته يحرقون ويزرعون^(٢) فى البلاد . كما أن الشدة العظمى نشرت الفقر بين صفوف الكثيرين من صغار الملاك ، فأصبح من العسير على أفراد الشعب الاشتراك فى المزايدات التى كانت تعقد بشأن هذه الاقطاعات وصار القادرون على هذا العمل من الأجناد والموظفين والأمراء من ذوى الرواتب الثابتة^(٣) ولاشك أن الأجناد هم الذين ورثوا الأراضى التى كانت بأيدي

(١) د . عبد العزيز الدورى : مقدمه فى التاريخ الاقتصادى العربى ص ١٠٣-١٠٤

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور - ج ١ ص ٦١

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ٦١

الضمان من الملاك والفلاحين الذين فقدوا ثرواتهم أيام الشدة ،
فانسحبوا من العملية المالية ^(١) . ولم يبق في الميدان سوى كبار —
الضمان من الأمراء .

٣ — أن البعض من كبار الضمان تصرف بالأرض وكأنها أصبحت ملكا له
فغرس البساتين وأنشأ الأبنية والمعاصر ، كما تجاوز على أملاك —
الديوان وأضافها إلى حوزته ^(٢) .

٤ — أن المقطعين العسكريين تزايد عددهم وثقلهم في الحياة الزراعية ،
فطالبوا بتغيير اقطاعاتها المخفضة الربح بأخرى أعلى ربحا فكان
لهم ما أرادوا ^(٣) .

٥ — أن نظام الضمان تحول إلى ما يشبه الملكية حيث زادت مدة الضمان
من أربع سنوات إلى ثلاثين سنة . ولا شك أن زياده عدد الضمان
من العسكريين ، وانتشار اقطاعاتهم بعيد الوجه الاقتصادي لسيطرة
العسكريين السياسيه على أمور الخلافة منذ عهد بدر الجمالي —
أمير الجيوش .

(١) د . راشد البراوي : المرجع السابق ص ٣٢١ .

(٢) د . عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٣) د . ماجد : نظم الفاطميين — ج ١ ص ١١٤ .

وتبدو أهميه اقطاعات العسكريين مما ذكره القلقشندى عن ديوان الاقطاع
فى العصر الفاطمى من أنه كان مختصا عندهم بما هو مقطع للأجناس
وليس للمباشرين فيه تنزيل حليه جندى ولاشيه دابته ، وكان يقال —
لاقطاعات العربان فى أطراف البلاد وغيرها الاعتداد وهى دون عبيرة
الأجناس (١) .

على انه مع كثرة اقطاعات الأجناس والأمراء ، لم تعم الدولة الفاطمية
الاقطاع الحربى فى بلادها ، حيث كانت الاقطاعات قبالات للأرض وليست
اقطاعا بالمعنى المعروف بعد ذلك فيما تلى الدولة الفاطمية من دول (٢) .

وقد شهدت الفترة الأخيرة من العصر الفاطمى تناميا لدور المقطعين ،
ففى أثناء التجهيز لمحاربه الفرنج فى عسقلان على عهد الحافظ لدين الله
قام صاحب الخريطة بارسال النفقة الى من كان مسافرا فى اقطاعه من —
طوائف الجند المجردين . كما أن الأجناس من مقطعى البلاد أينسودوا (٣)
طلائع بن رزيك فى تحركه للاستيلاء على الوزارة عام ٥٤٩هـ / ١١٥٤م . (٤)

وهذه التطورات التى طرأت على نظام القبالات ((أى الالتزام بأداء خراجها))

(١) القلقشندى: صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٩٣ .
(٢) د . ابراهيم على طرخان: نظام الاقطاع — ص ٢٢ — ٢٩ ، وان كان د . عبد المنعم
ماجد يذكر أن الاقطاعات كانت للأجناس لقاء قيامهم بالواجبات العسكرية — نظم
الفاطميين — ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣ .
(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا — ج ٣ ص ١٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢١٦ .

والانقطاع ، هي التي مهدت لادخال الاقطاع العسكرى زمن الأيوبيين
وان كان من الواضح أن الاداره العاليه كانت لاتزال باشراف الدواوين (١)

٢ - تأثير المجاعات على التركيب الديموجرافى للسكان :

كانت المجاعات تؤدى فى غالب الأحوال الى انتشار الأوبئه الفتاكه
بين السكان ، ويرجع سبب انتشارها عادة الى انعدام الوعي وخاصه بين
سكان الريف المصرى بسبب الجهل وانتشار الشعوذه (٢) فضلا عن تخلف
وسائل الطب الوقائى وازدحام المساكن غير الصحيه بالسكان فى الحضر (٣)

ويعد الطاعون أخطر هذه الأوبئه ، فهو مرض سريع الانتشار ويرجع سببه فى
معظم الحالات الى قصور النيل وما يترتب عليه من توقف الزراعة وتعذر توافر
الأقوات وبالتالي ارتفاع الأسعار ، ويرتبط ظهور الطاعون بظهور عدد كبير
من الجرذان نافقه ، وتم حديثا اكتشاف هذا الوباء فى الجرذان ، وكان
انتقال العدوى للانسان يتم بواسطه البراغيث التى تترك الفئران المصابة
التى على وشك الهلاك وتنقل للانسان (٤) فضلا عن أن الفيضانات العاليه
للنيل والسقي تؤدى الى اغراق الأرض كان يعقب انحسار ماء

(١) د . عبد العزيز الدورى : المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٢) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٢٨ .

(٣) انظر الفصل الأول .

(٤) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٣٤ .

(١)

هذه الفيضانات انتشار الوباء بالبلاد .

وصفه عامة أدى انتشار الأوبئة الى التأثير بشكل واضح على التركيب الديموجرافى بسبب موت الكثيرين وكان الريف أكثر المناطق تأثرا بهذه الأوبئة .

ففى عام ٣٦٠ هـ اشتد الوباء وفشت الأمراض وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الأموات ودفنهم فكان من مات يطرح فى الشيل فقد تزايدت (٢) الأمراض وكثر الموت مع مجاعه ٣٩٨ هـ - ٣٩٩ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٨ م مع (٣) ندره الأدوية وأرتفاع الأسعار ، فبلغ رطل السكر أربعة دراهم ، ونذر الرمان كل أوقية بدرهم ، ودهن البنفسج كل أوقية بدينار ، والبطيخه بثلاثة دنانير . (٤) وفى سنة ٤١٠ هـ مات كثير من الناس بالجوع ويبلغ عدد من مات فى مدة رمضان وشوال وذى القعدة مائتى ألف وسبعين ألفا سوى الغرباء وهم (٥) أكثر من ذلك .

وابان المجاعة التى حدثت عام ٤١٤ هـ - ٤١٥ هـ انتشرت الأوبئة وكثر الموت ولاسيما بين الفقراء والمساكين . (٦) وأحصى من مات ممن عرف وكفن ودفن

-
- (١) محمد الغزالى : تحفه الخليل فى اخبار مصر والنيل - مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة - رقم ٦١١ تاريخ عن نسخه بمكتبه جامع الشيخ ابراهيم باشا - الاسكندرية (٢٠×١٤) ٨٢ ورقة - بدون تاريخ ويعود الى بداية ١١ هـ - ورقة ٢٣ سطر ٨ ، ٧ ، ٨ .
(٢) المقرئى : اقاؤه ص ١٣ (٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٤) نبيله محمد : الخدمات الطبيه ص ١٢٨ . (٥) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ١١٥
(٦) المسيحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٢ .

من آخر شهر رمضان الى بعض ذى القعدة عام ٤١٤ هـ فكانوا ١٧٠٠٠٠ انسان
وأما الغريب ومن لا يعرف ومن يلقى في النيل ولا يجد من يقبره فأكثر من
هذه العدة أضعاف لاتحصى .^(١)

ومن المرجح أن هذه الأوبئة كانت استمرارا للأمراض التي كانت منتشرة منذ
مجاة ٣٩٨ — ٣٩٩ هـ . وقد خفت وطأة هذه الأوبئة لبعض الوقت وعادت
للانتشار مرة أخرى في البلاد عام ٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م .^(٢)

صاحب مجاعة ٤٤٧ — ٤٤٨ هـ / ١٠٥٥ — ١٠٥٦ م انتشار الوباء في مصر . وبلغ
الوباء أشده عام ٤٤٨ هـ حتى أنه كان يموت في اليوم ألف نفسه .^(٣)
ذلك الوباء سائر البلاد من الشام والجزيرة

(١) المقرئى : اتعاط الحنفا ج ٢ ص ١٧٢ . ويبدو أن ابن النباش الذي كان له مسجد
معروف بالقرافة قد حضر هذا الوباء الذي كفن فيه ألف طريق وستمائة ، اذان ابن النباش
كان يحضر حلقات الفقيه ابن النعمان .

وكان على بن النعمان ومحمد بن النعمان يعقدان حلقات الفقه في عهد العزيز
بإله ، كما كان الحسين بن النعمان داعيا للدعاء في عهد الحاكم بأمر الله . د . ماجد
ظهور الخلافة الفاطمية ص ٣٢٨ .

(٢) نبيله محمد : المرجع السابق ص ١٢٨

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٧ ، الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٥) وبلغ من هذا الوباء أوجه في شهرى رجب وشعبان حتى أن الخليفة كفن من
ماله ١٨ ألف انسان وحمل أربعة وخمسة في تابوت واحد . ابن الجوزى : المعظم
٨٤٠ ص ١٧١ — ١٧٢ .

والموصل والحجاز واليمن والعراق^(١) . ثم عاد الطاعون ليستشرى بين سكان البلاد وخاصة القرى عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م فمات في عشرة أشهر كل يوم ألف إنسان^(٢) .

أما الشدة المستنصرية فقد صاحبها وباء عظيم لم يعهد مثله حتى أفتى معظم السكان^(٣) . ويقال : أن هذا الوباء أودى بحياة ثلثي أهل مصر ، ولم تزرع الأرض لعدم الرجال ، حتى أن الرجل كان يمشى من جامع ابن طولون الى باب زويلة ، لا يرى في وجهه إنسانا يمشى في الأسواق^(٤) .
ويبدو أن هذا الوباء بدأ منذ عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م . واشتدت حدته ففى العام التالى "فكان يموت الواحد من أهل البيت فى القاهرة أو الفسطاط فلا يمضى ذلك اليوم حتى يموت سائر من فى ذلك البيت" . وبلغت الوفيات^(٥)
حدا عجز الناس معه عن مواراة الأموات فكفونهم فى الأنخاب ثم اضطسروا الى حفر حفائر كبيرة يلقون فيها الأموات بعضهم ببعض حتى تمتلئ الحفيرة

-
- (١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ — ج ٨ ص ٢٩٠ . ويذكر أبو المحاسن انه كان يموت فى مصر كل يوم عشرة الاف انسان : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٩ وقد استمر هذا الوباء فى عام ٤٤٩هـ فى بخارى والأهواز وواسط بسبب قلة القوات ونبس الموتى وأكلهم — أنظر المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٣٥ والحنبل : شذرات ج ٢٧ ص ٢٢٩ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم — ج ٥ ص ٢٤٠ .
(٣) مجهول : انسان العيون فى مشاهير سادس القرون — ص ٤١٩ .
(٤) ابن اياس : بدائع الزهور — ج ١ ص ٦١ . ويبدو ان عدد الوفيات كان كبيرا حتى ان ابن تخرى بردى يذكر انه مات أكثر أهل مصر — النجوم ج ١ ص ١٥ .
(٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا — ج ٢ ص ٢٩٢ .
(٦) ابن ميسر : أخبار مصر — ج ٢ ص ٢٠ .

(١)

بالرم من الرجال والنساء والصغار والكبار ثم يهال عليها التراب .

وزادت ضراوة الوباء عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م في القاهرة والفسطاط حتى

(٢)

أن أهل البيت كانوا يموتون في يوم واحد ولا يوجد من يستولى عليه . وقد

(٣)

اضطر الناس في العام التالي الى القاء موتاهم في النيل بغير اكفان .

وأدى الحصار الغذائي الذي فرضه ابن حمدان على مصر والقاهرة عام

(٤)

٤٦٥هـ / ١٠٧٢م الى استمرار نفث الوباء .

واذا كان الوباء قد ادى الى وفاء الكثير من السكان حتى أن البلاد

(٥)

كانت بحاجة الى فترة من الوقت حتى تعود لسيرتها الاولى ، فان الحروب

والفتن التي كانت عادة ما تصاحب المجاعات أدت الى تناقص أعداد السكان

(٦)

أيضا ، هذا فضلا عن وباء الجدري الذي جاء في اعقاب الشدة العظمى .

ورافق الوباء مجاعه ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م التي وقعت في عهد المستعلى

(٨)

بالله فمات من أهل مصر خلق كثير . وفي عام ٥٠٥هـ / ١١١١م حدث وباء

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) المقرئى : الخطط - ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٢ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل - ج ٨ ص ١١٧ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية - ص ٩٧ .

(٦) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٦ .

(٧) نبيله محمد : الخدمات الطبية ص ١٢٠ .

(٨) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٣ ص ٢٥ ، كان الوباء متفشيا أيضا في العراق

حيث اختفت الأدوية وصار يحمل في النعش الواحد ستة موتى - ابن الجوزى :

المنتظم ج ٩ ص ١١٣ .

(١) هلك به خلق كثير يقدر عددهم بنحوستين ألف نفس.

وتكرر بطش الوباء اثناء مجاعه عام ١٤١١/١٥٣٦ م ، وبلغ أشده
في العام التالي حتى صعب احصاء من توفي ، ويبدو أن الوباء بلغ أشده
(٢)
(٣) في مدينة الاسكندرية .

لم تكن الأوبئة التي تصاحب المجاعات هي السبب الوحيد وراء —
تناقص اعداد السكان ، اذ ساعدت هجرة الناس الى خارج البلاد على
خلخله الكثافة السكانية خاصة في الأراضي الزراعية التي كان سكانها
يفرون منها هربا من الوباء حتى أن النيل ظل يطلع وينزل أثناء الشدة
(٤)
ولا يجد من يزرع .

وخلال الشدة العظمى نجا أهل القوة من المصريين بأنفسهم وساروا الى
العراق والشام ، ولم يكن رحيل هؤلاء من مصر هربا فقط من الجوع —
والوباء ، بل للتجار أيضا فيما حازوه من ثياب المستنصر وذخايرة وآلاته .
(٥)
(٦)

ومن مفارقات القدر أن التجار فروا الى بغداد ومعهم بعض ما نهب من

(١) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨١ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر — ج ٢ ص ٨٥ .

(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٦ .

(٤) المقرئ : الخطوط ج ١ ص ٣٣٧ .

(٥) ابن ميسر : أخبار ج ٢ ص ٢٠ ، أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٥ . ويبدو أن حركة
الهجرة الى الخارج هذه كانت ظاهرة ملحوظة عام ٤٦٢ هـ ، كما يستفاد مما ذكر

ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧ ، وابن خلكان : وفيات ج ٤ ص ٣١٨ .

(٦) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣٠٣ .

دار الخلافة في بغداد أيام ثورة البساسيري ونقل الخزائن المستنصر ،
فأخذ أحد الشعراء يمدح القائم بأمر الله العباسي قائلا :

قد علم المصري أن جنوده سنو يوسف منها وطاعون عحواس
أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منه خيفة أي ايجاس (١)
وان كان التجار بدأوا يعودون الى مصر مع استقرار الأمور في وزارة أمير
الجيش . (٢)

٣ - تأثير المجاعات على مظاهر الحياة الاجتماعية :

شهدت المجاعات انتفاضات للسكان في شكل مظاهرات خرجت تجوب
الشوارع مطالبة الخلفاء بتوفير الأقوات للشعب والنظر في مصالح الرعية ،
مثلا حدث في خلافة الحاكم بأمر الله ، والظاهر لاعزاز دين الله ، والمظاهرة
التي قادتها أمراء أثناء الشدة المستنصرية . (٣)
(٤)

الا ان الشعب لم يقم بثورة للتخلص من هذه الأوضاع المتردية ويرجع سبب
ذلك الى قوه نظام يقرب من الاسترقاق ، والرعب الذي اثاره في نفوس
سكان المناطق الزراعية الاستبداد وطوائف الجند والضعف الشديد المترتب
على النكبات التي أصابت السكان حتى أصبحت شيئا شبه عادي ومألوف لهم . (٥)

(١) ابن الأثير: الكامل ج ٨ ص ١٠٨ .

(٢) المقرئ: الخطط - ج ١ ص ٣٨٢ .

(٣) انظر الفصل الأول.

(٤) انظر مقال د. عبد المنعم ماجد : أمراء مصرية تنتزع مظاهرة في عهد الخليفة -

المستنصر بالله - في المجلة المصرية للدراسات التاريخية - سبق الاشارة اليه .

(٥) د. راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية - ص ٩٦ .

ولاشك ان الأوبئة والمجاعات كانت تشغل الناس عن الاهتمام بالاحتفالات - الموسمية والمواكب فضلا عن أن الاحتفالات الخاصة بوفاء النيل لم تكن تعمل أثناء المجاعات .

وعندما غرقت البلاد في هذه الظاهر^(١) لا عازر دين الله في لجى المجاعة المروعة لم تمنع التجار والباعة عن ان ينقفوا على احتفال الذهاب الى سجن يوسف حيث ان عدم الأقوات كان يمنعهم عن هذا .^(١)

واضطر الظاهر الى اجبار التجار على الدفع ، واطلق للعامه ضعف ما أطلق في العام السابق (١٤١٤ هـ) من الهبة فخرج العامه الى السجن كعادتهم .^(٢) ليلة الميلاد يوم الخميس ٢٠ شوال اشتغل الناس عما كانوا يبتاعونه فيها من الفواكه والحلوى بما كانوا عليه من الأمراض وتواتر الموت والوباء .^(٣)

٤ - تأثير المجاعات على العمران :

يرجع المقرئى سبب انشاء المعز لمدينه القاهره الى اختلال حال مصر بسبب الأوبئة والمجاعات .^(٤) وقد أدت الشدة المستنصرية الى التأثير

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ١٤٤ - يقع سجن يوسف عليه السلام ببوصير من أعمال الجيزة ،

(٢) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الخطط ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٩ .

(٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٩ .

على حركة العمران في مصر والقاهرة ، فبدأ خراب القسطنطينية منذ تعرضها
للحصار من قبل ابن حمدان ومات عدد كبير من أهلها بالوباء^(١) . وخلا
موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلي القرافة حيث الكيمان الى بركة
الجيش^(٢) . وأسفرت الشدة عن خراب خط جامع ابن طولون^(٣) ، وهلك من
كان في القطائع من السكان ، واندثر ما بقى من منازلها بعد تدمير محمد
بن سليمان العباسي لها ، وكان أكثر من ألف دار^(٤) .
وعندما قدم بدر الجمالي نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلي القاهرة حيث كان
العسكر والقطائع ، وصار فضاء وكيماناً فيما بين مصر والقرافة ، وتراجع أمر
القسطنطينية حتى احترقت في وزارة شاورين مجير^(٥) ، وإذا كانت القسطنطينية قد

-
- (١) جاستون فيث : القاهرة مدينه الفن والتجارة بيروت ١٩٦٨ - ص ٦٢ .
د . جمال محرز أن الشدة المستنصرية كانت سبباً رئيساً لخراب القسطنطينية
كما تكشف عنها حفائر القسطنطينية . حيث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ
القاهرة ١٩٧٠ ج ٣ ص ٣٢٤ .
(٢) المقرئى : الخطط ج ٣ ص ٣٣٧ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٧٧ .
(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٤٠ .
(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٧ ، على بهجت ، البير جبريل :
حفريات القسطنطينية - مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٢٠ ص ١٤ .

انحدر أمرها فان الشدة قد غيرت أيضا من معالم القاهرة^(١) ، ولذا فانه
عندما دخل أمير الجيوش القاهرة " وهي يباب دائرة خاوية على عروشها
غير عامرة ، أباح للناس من العسكرية والمحلية والأرضه وكل من وصلت قدرته
الى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومسات
أهله " ، فاخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل
في القاهرة وسكنوها ، وبذلك لم تعد القاهرة قاصرة على حرس الخليفة —
وحواشيه ، وأبيع سكن العامة والجمهور فيها^(٢) . وكان من ضمن ما تم استحداثه
حارة الحسينية خارج باب الفتوح حتى أختطت على يمين من خرج من باب
الفتوح الى صحراء الهليلج^(٣) . كما أندثر قصر اللؤلؤة الذي بناه الظاهر
عنياب القنطرة وهو من القصور المعدودة بالقاهرة " ودام أمر هذا القصر
مستقيما الى أن وقع الغلاء أيام المستنصر فذهب من محاسن القاهرة
شيء أثير^(٤) .

-
- (١) محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية ص ٤٤ .
(٢) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٦٤ ، جاستون فيينا : القاهرة مدينة الفن
والتجارة ص ٩٢-٩٣ .
(٣) المقريزي : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٦ .
(٤) أبو المحاسن : النجوم ج ٤ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
وأن كان المقريزي يذكر أن قصر اللؤلؤة بناه العزيز بالله أنظر : أتعاط
ج ٣ ص ٨١ هامش (١) .

كما أثرت هذه المجاعات أيضا على عمران القرى ، فيعد أن كان عدد القرى في العصر الأخشيدي نحو ٢٣٩٥ قرية نقص هذا العدد في أواخر الدولة الفاطمية ليبلغ ٢٠٦٢ قرية فقط .^(١)

٥ - تأثير المجاعات على التركيب الاجتماعي :

لما كان المجتمع المصري بالأصل مجتمعا زراعيا تتحور أنشطة سكانه حول الزراعة فإن التغيرات التي طرأت على الملكية الزراعية ونظام القبالات أثرت يقينا على تركيب القوى الاجتماعية في مصر منذ الشدة المستنصرية .

فاذا كان المجتمع المصري في العصر الفاطمي ينقسم الى فئة محدودة تملك كل شيء وتتمتع بكل شيء .

وأغلبية عظمى لا تملك أي شيء^(٢) ، فإن هذه التغيرات قد أدت الى زيادة حدة هذا التقسيم .

ولاشك أن أهم معالم هذه التغيرات الاجتماعية ظهور العسكريين كقوة اجتماعية لها دورها وأهميتها في المجتمع المصري ، خاصة منذ اتجاههم للتعامل المباشر مع الحياة الزراعية سواء كمقبليين أو كملاك . فقد رأينا أن المجاعات نشرت الفقر بين سكان الريف وأزهقت الأوسمة الكثيرة

(١) د . عطية مشرفه : نظم الحكم ص ١٨ ، د . عبد المنعم ماجد : امرأة مصرية ص ٣٦ .

(٢) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ١١٦ .

من أرواح الفلاحين ، وأصبح الأمراء والأجناد هم فقط القادرون على المزايدة على الاقطاعات ، وبذا أصبح المقطعون العسكريون هم أصحاب اليد العليا في البلاد سياسيا واقتصاديا ، فمنهم الوزراء وقواد الجيوش وأصحاب الاقطاعات الزراعية . ولم يؤد هذا التطور فقط الى القضاء على كبار الملاك الزراعيين الذين كانوا يتزايدون على قبالات الأرض ، بل أيضا قضى على هراء الطبقات التقليدية كالأمراء والأشراف الذين فقدوا ثرواتهم أثناء المجاعات بسبب النهب وارتفاع الأسعار ، حتى أن الأشراف المتعالمين كانوا يحاولون أثناء الشدة الحصول على كسرة من الخبز في مقابل العمل في أحد الحمامات (١) . وساعد على اندثار طبقه الأشراف والأمراء سيطرة الوزراء الذين تعمدوا تقليص سلطات البيت الخليفي وثرواته ، واستعانوا بالمقابل بالأجناد وكبار موظفي الدواوين في محاولتهم كسب أكبر قدر من الأنصار بالهبات والأعطيات والرشوة .

والى جانب العسكريين وكبار الموظفين ظهر التجار كقوة اجتماعية ومادية مؤثرة . فهم من ناحية ، نجحوا في أن يحققوا أرباحا خيالية من التجارة ، وساعدتهم على ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، فحازوا بذلك معظم النقد المتداول في الأسواق خاصة الذهب والفضة ، وليس من المستبعد أنهم وجهوا بعض هذا الفائض الى شراء الأمتعة والذخائر والعقارات والمجوهرات التي انخفض ثمنها وقد انعكس هذا التراكم النقدي ، على قدرة هؤلاء التجار على الاسهام بنشاط في مجال اقتصادي بعيد عن اضطراب الحياة الزراعية ، وهو تجارة الشرق ،

(١) ستانلى لين بول : سيرة القاهرة ص ١٤٢ .

وتوضح وثائق الجنيزه Geniza أن التجار تمتعوا بثروات طائلة من
(١)
مشاركتهم في تجارة الشرق .

وأما صيادلة العضور الوسطى (العطارون) من انتشار الأوبئة قسـى
أوقات المجاعات التي شهدت رواجاً في بيع الدواء وتركيبات الصيدلانية ،
فعظم شأن العطارين ونمت ثرواتهم بسبب ذلك حتى أن أحد العطارين
(٢)
باع في عام ٥٤٤٨هـ / ١٠٥٦م في "يوم واحد ألف قاوورة شراباً" .
(٣)

ويمكن القول بأن السبب الرئيس وراء تراكم ثروات التجار يعود بالدرجة
الأولى إلى فوارق الأسعار قبل المجاعات وبعدها ، فقد حاز هؤلاء التجار معظم
النقد الذهبى والفضى والأمتعة والجواهر التي تعد مخزناً للقيمة ، وأعادوا
استثمارها بعد المجاعات التي عادت الأوضاع إلى طبيعتها بعدها ، فاستردت
(٤)
العملة قيمتها المشهورة ، وارتفعت ثانية أسعار الأمتعة والمجوهرات .

-
- (١) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١٢٥ .
(٢) نبيله محمد : الخدمات الطبية ص ١٤١ .
(٣) أبو المحسن : التجمم الزاهر ج ٥ ص ٥٩ — ابن الجوزى المنتظم ص ١٧٦
(٤) تطورت البرجوازية الإسلامية بشكل عام ببطء خلال القرن الأول الهجرى وخرجت
إلى ضوء التاريخ في ق ٢هـ ، وأصبحت عاملاً اقتصادياً واجتماعياً مؤثراً منذ القرن ٤هـ ،
ويبلغ هذا التطور مداه في القرن الرابع والخامس أى أثناء العصر الفاطمى أنظر :
Goitien (A.D) Studies in Islamic History and Instit-
ution. Brill , Leiden 1968, P. 218 .

وقد أدى الثراء العريض الذى أصابه العسكريون والتجار وكبار موظفى الدواوين الى انتشار مظاهر الترف فى المجتمع ، وليس فقط فى القاهرة ، وفى الاسكندرية ازدهت المدينة فى العصر الفاطمى الثانى بقصور كثيرة رائعة للقضاء والأسر الكبيرة بالمدينة ، وقد أسهبت مصادر كثيرة فى وصف عظمتها ونظمت فيها أبيات (١)
الشعر .

وعلى الجانب الآخر ، فإن الأحداث التى صاحبت المجاعات أدت الى مزيد من الارتفاع فى مستوى حياة فقراء المدن والفلاحين ، والذين أصبحوا أجراء لدى المقطعين من الأمراء والأجناد ، فقد كان مستوى العمال الزراعيين غاية فى الازمحلالة خاصة إذا ما قورن بالأغنياء وكبار الملاك . (٢)

ورغم أن الدولة كانت تسامح فى بقايا ضرائب الأرض فى بعض الأحيان ، وكانت تراجع من وقت لآخر ، تقديرات الضرائب على الأرض ولم تترك تقديرها للمقطعين والمقبليين ، فانها من ناحية أخرى وسعت نطاق الضرائب (المكوس) على أنشطة الحياة المختلفة ، حتى أن هذه المكوس شملت كل شئ عدا الهواء ، الذى ترك حراً طليقاً ، وأدت زيادة المكوس الى انتقال كاهل الشعب سواء فى المدينة أو الريف . (٣)

(١) د . جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٥٠-٥٢ .

(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ١١٥-١١٦ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٥ .

(٤) أنظر الفصل الأول ، وقد ألغيت هذه المكوس على يد الناصر - صلاح الدين الأيوبي بعد قضاؤه على الدولة الفاطمية - أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٧٤ .

الفصل الثالث

النتائج المالية والتقدمية للمجاعات

كانت النتائج الاقتصادية للمجاعات بعيدة الأثر في المجتمع المصري الذي يحيط به سياج من المركزية الشديدة .
وقد أثرت المجاعات ، بشكل أو بآخر على مجمل الحالة المالية للخلافة الفاطمية
اذ أن الخزانة العامة كانت تعتمد في تمويلها على المصادر الضريبية سواء
كانت مالية أو عينية ، تأتي بشكل أساسي من ضرائب الأرض الزراعية ، إضافة
إلى ضرائب الأنشطة التجارية والصناعية والخدمية .

أما الإدارة المالية للبلاد في العصر الفاطمي ، فقد بدأ تنظيمها بعد فتح
جوهر لمصر وقضائه على المظاهر السلبية للمجاعة التي صاحبت الفتح (١)
ومقتضى التنظيم المالي الجديد خصص كل إيراد لوجه معين من الإنفاق
كان يخصص خراج الأرض لسداد رواتب الجند وموظفي الدواوين ، ولم يستعمل
بيت المال أو خزائن الخاص الا في تخزين الفائض والاحتياطي من الأموال (٢) .

(١) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ١٠٣ .

(٢) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ . وكان
بيت المال فنى مصر منذ الفتح الاسلامي بالجامع العتيق وينسب بناؤه إلى
قرة بن شريك وإلى مصر وإلى أسامة ابن زيد التنوخي - أنظر : المقريزي
إغاثة الأمة - ص ١٤ هامش (٢) . وقد نقل بيت المال في العصر الفاطمي
إلى القصر - ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٨ . أما خزانة الخاص فهو
تعبير يستعمل للدلالة على وظائف القصر المالية في بعض الأحيان - أنظر :-
د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٢ .

ويلاحظ على النظام المالي الفاطمي تضارب الاختصاصات بين الدواوين (١) وان كان من الثابت ان مهمة ديوان النظر وديوان التحقيق كانت المقابلة بين الدخل والصرف (٢) ، او ما يعرف الان بالموازنة العامة . ول مقتضيات البحث فان الدراسة ستقتصر على تتبع تأثير المجاعات على ايرادات الدولة ومصرفاتها بغض النظر عن تفاصيل التنظيم المالي للخلافة الفاطمية .

(١) د . عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ٢٣٠ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٤ . وينقل المقرئ عن ابن الطويران

ديوان المجلس هو أصل الدواوين وفيه علوم الدولة بأجمعها —
الخط ج ١ ص ٣٩٧ .

أولا :- تأثير المجاعات على الإيرادات :-

كان ربط إيرادات الدولة يتم حسب التقويم الشمسي لأن خراج الأرض كان يشكل الجزء الأكبر منها ^(١) ، وان كان ذلك لم يحل دون جباية أموال المكوس على ^(٢) أساس الشهور الهلالية أو التقويم القمري .

١ - الخراج :- مع الاعتراف بوجود اختلافات فرعية بين الفقهاء ، فإنه يمكن تعريف الخراج بأنه " أجره عن الأرض لأن مالكيها هم مجموع الأمة الإسلامية وتبقى الأجرة وان انتقلت الأرض من أيدي أهل الذمة إلى أيدي المسلمين فيجب على المسلمين دفع الخراج لأنه مؤبد مع الأرض ، وهكذا بقي الخراج طوال العهد الإسلامي " ^(٣) .

(١) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٩٤ . ويرجع ذلك إلى ارتباط المواسم الزراعية بالتقويم الشمسي وقد ظلت أسماء الشهور الشمسية تستخدم حتى مع السنة الهجرية ، مثلما نجد في بعض شواهد القبور أنظر :-
Wiet (G.) Catalogue Général du Musée Arabe du Caire.
Stèles Funeraires. La Caire. 1936. Tome 2.

شاهد قبر رقم 3150/51 بتاريخ سري عام ٢٥٠ هـ وفى Tome .
طبع عام 1937 شاهد قبر بتاريخ سبع خلون من طوبة عام ٣٨٠ هـ - رقم
pl XLIV: , 2721 / 495 .
(٢) د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٢٢١ .

(٣) د . محمد ضياء الدين الرئيس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية .
دار المعارف القاهرة - ط ٣ - ١٩٦٩ ص ١٣٠ وأنظر : محسن خليل : نفس
الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي بغداد ١٩٨٢ ص ٢٤١ وما بعدها .

وكانت هذه الضريبة تفرض أحيانا على المحصول ، وان كان الغالب فرضها على أساس مساحة الأرض المنزرعة (١) .

ولم تكن الضريبة العقارية تدفع كلها نقدا ، فقد كان بعضها يدفع عينا بالحاصلات وغيرها ، وكان أكثر خراج الأرض في الوجه القبلى يؤخذ عينا بينما كان معظم خراج الوجه البحرى يؤخذ نقدا (٢) .

وبديهيًا ، كانت حالة الفيضان تؤثر على مساحة الأرض المنزرعة ، سواءً فى حالة نقص الفيضان أو زيادته عن الحد المألوف ، ويترتب على ذلك عجز الحكومة عن جباية الخراج (٣) . وقد أشار ناصر خسرو إلى أن الخليفة كان لا يأخذ الخراج إذا لم يصل مستوى الفيضان إلى ١٨ ذراعا (٤) . ولا يعنى ذلك بالضرورة أن الحكومة كانت تتخاضى نهائيا عن استيفاء حقها من الخراج فى الأعوام التى لا يصل النيل فيها إلى حد الوفاء ، فقد كان غاية ما تفعله أن تؤخر جانبها من الخراج إلى بعض الوقت (٥) وهو ما أصطلح على تسميته بالهواقسى . وبالجملة فإن المجاعات التى تقف حالة الفيضان وراءها كانت تسبب اضطرابا فى جباية الخراج وفى الاقتصاد العالم (٦) .

وقد تباينت تقديرات المؤرخين لمقدار الضريبة على الفدان ، فمن قائل بأن جوهر القائد جعل على كل فدان سبعة دنانير عند فتحه لمصر (٧) ، إلى

(١) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية ص ١٨١-١٨٢ .

(٢) د . عطيه مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٨٩ .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٦٣ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٢ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٢٦ .

(٦) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١١٥ .

(٧) د . محمد حمدى المناوى : نهر النيل - ص ١٢٨ .

قائل بأن هذه الضريبة أصبحت بعد ذلك وحتى نهاية العصر الفاطمي ثلاثة أرباب لكل فدان من القمح أو الشعير (١) .

وتجدر الإشارة أولا إلى أن المساحة المزروعة من أرض مصر تعرضت للتقلص وخاصة بعد مجاعات العصر الاخشيدى ، فبعد أن كانت هذه المساحة تقترب من ستة ملايين فدان عند الفتح الاسلامى ، أصبحت عند بداية حكم المعز لدين الله ٢١٤ ٢٨٥ ، فداناً وفى أحسن التقديرات ٦٤٦٢٤٥ فداناً (٢)

أما مبلغ خراج مصر أثناء مجاعات العصر الفاطمى ، فإنه كان يتعرض للنقصان بسبب تقلص المساحات المزروعة من الأراضى التى يحصل عنها الخراج . فحالة فيضان النيل ، سواء بالنقصان أو الزيادة المفرطة ، كانت تؤدى إلى عدم زراعة بعض الاراضى وبالتالي عدم تحصيل الخراج عنها أو تأجيل التحصيل .

وحتى فى حالة وفاء النيل ، كما حدث أثناء بعض المجاعات ، كانت هناك عوامل أخرى تؤدى إلى نفس النتيجة ، فقد كانت الأرض لا تزعم بسبب قلة الأيدي العاملة فى الزراعة ، والتى كانت تضطر لهجرة الأرض لاختلال الأمن وانتشار أعمال السلب والنهب أثناء المجاعات ، أو لأن الأوبئة التى عادة ما كانت تصاحب المجاعات كانت تتكفل بحصد أرواح سكان الريف ، فلا تجد الأرض من يزرعها رغم توفر مياه الري .

ويضاف الى هذه العوامل عامل آخر أكبر تأثيراً على المدى البعيد ، وهو ما ينجم عن المجاعات من ضعف السلطة المركزية وتفكك الادارة للدولة

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٥٢ ، عمر طوسون : مالية مصر من

عهد الفراغة إلى الآن - الأسكندرية ١٩٣١ - ص ١٣٣ .

(٢) د . عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٩٤ .

وهو ما يفضى إلى عدم الاهتمام بمشروعات الري وإقامة الجسور وتطهير السمرق
واقترار الأمن فى المناطق الريفية ، وهى أسباب تؤدى فى مجملها إلى تقلص
المساحة المنزرعة والتالى إلى قلة الخراج المتحصل منها .

وإذا ما أردنا تتبع مدى تأثير خراج مصر أثناء المجاعات بهذه العوامل فأننا
سنواجه فى بداية العصر الفاطمى بمحاولات المؤرخين من أهل السنة الصاق
الحيث والظلم بحكومة الفاطميين الشيعة ، فيذكر بعض المؤرخين أن الخراج
كان فى عام ٣٥٨ هـ / ١٦٩ م ٧ ملايين من الدنانير لأن جوهر العقلى
رفع الضريبة على الفدان من ثلاثة دنانير ونصف إلى سبعة دنانير (١) ، بينما
يشير البعض الآخر إلى أن مجمل خراج مصر عن هذا العام كان أكثر من
ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف دينار (٢) . ورغم أن عمرطوسون يرى أن هذا
التقدير الأخير للخراج كان فى عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م لأن فتح الفاطميين
لمصر كان فى شعبان ٣٥٨ هـ أى فى أواخر العام ولا يعقل أن يجبى جوهر
خراجا فى هذا العام (٣) ، فإنه من غير المنطقى أن يكون ذلك المبلغ
هو خراج مصر فى أى من عامى ٣٥٨ هـ أو ٣٥٩ هـ ، لأن مصر كانت تمر بأزمة
اقتصادية عنيفة يستحيل معها تحصيل هذا القدر من الخراج ، خاصة
وأن الامان الذى أعطاه جوهر للمصريين وعد فيه بتخفيف المعاناة عنهم (٤) .
ولعل فيما نقله المقرئ عن ابن زولاق ما يؤيد ذلك ، إذ ذكر أن يعقوب
بن كلس وعسلج بن الحسن توليا الخراج ووجوه الأموال من قبل الخليفة

(١) د . راشد البراوى حالة مصر - ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٢) المقرئ : الخططج ١ ص ٨٣ .

(٣) عمرطوسون : مالية مصر ص ٥٤ . وان كان ذلك لا يعد دليلا قاطعا إذ ان -

جباية الخراج كانت تتم على أساس السنة الشمسية لا الهلالية .

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٣ .

العزیز بالله عام ٣٦٣ هـ / ١٧٤ م ، وأنهما طالبا الملاك والمقبولين ببقایا
الاموال (١) ، وهى على الأرجح الاموال التي لم تجبها الحكومة بسبب
المجاعة التي اجتاحت مصر منذ نهاية العصر الإخشيدي واستمرت مصحوبة
بالوباء حتى عام ٣٥٩ هـ / ١٧٠ م .

وقد بلغت جباية الخراج عام ٣٦٠ هـ ٣٠٠٠ ر ٢٠٠ دينار (٢) ، ويتناسب
ذلك المبلغ مع حالة الاستقرار التي بدأت تعم البلاد بعد انتهاء خالصة
الاضطراب الاقتصادي والسياسي التي سبقت وواكبت الفتح الفاطمي .

وقد ارتفع خراج مصر بعد عام ٣٦٢ هـ / ١٧٣ م على يد يعقوب بن كلص
إلى مليون (٣) دينار في تقدير عمر طوسون ، وان كان من المرجح أن ذلك كان
مقدار الخراج في عام ٣٦٣ هـ / ١٧٤ م وهو العام الذي تولى فيه ابن كلص
وعسلوج بن الحسن جباية الخراج وطالبا الناس ببواقي ومتأخرات الخراج كما
أشير الى ذلك آنفا .

وظل خراج مصر طوال عهد الخلفاء الأوائل يتراوح بين ٣ و ٤ ملايين دينار (٤)
ورغم تسلمينا بمعقولية ما أورده المؤرخون من تقدير للخراج في عهد الخليفة
الحاكم بأمر الله بحوالى ٣ مليون دينار (٥) أو ٣٤٠٠٠ ر ٠٠٠ دينار (٦)

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٢ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) عمر طوسون : مالية مصر ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) د . سيدة كاشف : الأرض والفلاح ص ٧٣ .

(٥) عمر طوسون : المرجع السابق ص ٥٥ - ٥٦ نقلا عن نقش الأزهار لاهسن

إياس .

(٦) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٣٦ .

بسبب تشدد الحاكم وسطوة حكومته واستقرارها الا ان ذلك المبلغ لم يكن ليجمع فى اوقات المجاعات التى حفل بها عهد الحاكم ، خاصة وأن الخليفة كان يعطى اعفاءات ضريبية كثيرة فى اوقات الازمات ، وفى عام ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م سامح ضامن الصعيد بما عليه من ضرائب قدرت بنحو ٧٦٥ و ٦٤٩ دينار^(١) وربما كان ذلك المبلغ يشكل متأخرات تراكت بسبب مجاعة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م خاصة وأن الصعيد من أكثر مناطق مصر تضررا من انخفاض الفيضان .

ولم تمدنا المصادر التاريخية بأية أرقام عن خراج مصر أثناء خلافه الظاهر لاغاز دين الله الذى وقعت فى عهده مجاعة ٤١٤ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م ولا بد أن هذه المجاعة الخطيرة قد تسببت فى اتضاع الخراج لأن انخفاض الفيضان كان عاملا رئيسيا فيها فضلا عن عوامل الاحتكار التجارى والغزو الخارجى وتفكك الادارة للإدارة للدولة .

ويمكن أن نتبين بوضوح مدى تأثير المجاعات على الخراج ، اذا ما قارنا مقداره خلال خلافة المستنصر بالله ، فى ثلاثة فترات متميزة ، تستوعب أولها مدة وزارة اليازورى ، والثانية تستغرق الشدة المستنصرية والأخيرة فى مدة وزارة بدر الجمالى وأبنه الافضل . ورغم أنه لا يوجد لدينا تقدير واحد ودقيق لمقدار الخراج فى وزارة اليازورى (٤٤١ - ٤٥٣ هـ) الا أنه يمكن أن نشير الى قوة مركز الدولة الفاطمية المالى الذى امتدحه الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر خلال هذه الفترة والى ما أورده المقرئى عن ارتفاع^(٢) الدولة

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفيا - ج ٢ ص ١١٤

(٢) تعنى كلمة الارتفاع وكذا العبوة مقدار الدخل لجهة معينة - أنظر د . ابراهيم طرخان : النظام الاقطاعى ص ١٢٤ .

فى وزارة اليازورى والذى حددته ببـلـغ ٢ مليون دينار يتبقى منها فائضاً مقداراً ٢٠٠.٠٠٠ دينار بعد النفقات (١) .

وبعد وفاة اليازورى دخلت مصر فى فترة من الاضطراب والاقتتال بين طوائف الجند مهدت للشدة المستعصية التى انخفض خلالها الخراج لعدم زراعة معظم الارض وعجز الدولة عن التحصيل أيضاً ، حتى أن البالغ التى كانت على النواحي ولم تسدد كانت كبيرة واضطرت الدولة فى النهاية الى شطب هذه البالغ التى عرفت بالهواقى (٢) . وقد بلغ مقدار هذه الأموال ٢ مليون دينار و ٧٦٧.٧٢ دينار و ٦٧٠٠ درهما و ٢٣١.٠٢٨١٠ أردباً من القمح فضلاً عن المحاصيل والسلع الأخرى (٣) ولعل فى ضخامة هذه الهواقى ما يشير إلى انخفاض الخراج أثناء الشدة العظمى (٤) .

ويكفى أن نشير إلى أن خراج الوجه البحرى الذى كان يقدر فى عهد اليازورى بنحو ٦٠٠.٠٠٠ دينار سنوياً (٥) انخفض حتى عاد لا يبلغ المائة ألف دينار (٦) .

(١) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ . وان كان المقرئى نفسه قد ذكر فى الخطط (ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠) أن مقدار ارتفاع مصر والشام معاً ٢ مليون دينار يخص مصر منها مليون دينار فقط . ومع ما عرف عن كفاءة اليازورى واستقرار البلاد رجح عمر طوسون ود . البراوى أن يكون مبلغ المليون دينار هو فائض ميزانية مصر مالية مصر ص ٥٦ - ٥٧ ، حالة مصر الاقتصادية ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٢) د . عبدالعزيز الدورى : مقدمة فى التاريخ الاقتصادى ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) المقرئى : الخطط - ج ١ ص ٨٣ - ٨٤

(٤) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٢٦ .

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٨٢ .

(٦) د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٢٣٠ .

وقد بلغ الخراج فى عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م ٦٠٠.٠٠٠ دينار وهو يتناسب مع استمرار الشدة (١) .

وامتد تأثير الشدة على الخراج الى السنوات التى تلتها بسبب اهمال مشروعات الري خلالها وقلة الأيدى العاملة فى الزراعة اما بسبب هجرة الأرض أو الموت بالآوثة ، إضافة لقلة البذور والفقر الذى خلفته الأحداث ، الأمر الذى دفع ببدر الجمالى بعد قضائه على المتمردين إلى إعفاء المزارعين من الخواج ثلاث سنوات حتى توافعت أحوال الفلاحين (٢) . والأرجح أن هذه السنوات تبدأ بعد دخول بدر إلى مصر عام ٤٦٦ هـ أى فى المدة من ٤٦٢ هـ إلى ٤٦٩ هـ . ولعل هذا الاعفاء الضريبى الذى لجأ اليه بدر الجمالى فكان بسبب ضالته المبالغ التى كان يمكن تحصيلها وينبىء عن الوضع المتردى الذى هوت إليه إقتصاديات البلاد ، وهو ما يدفع بنا إلى تجييز التشكك الذى أبداه د . راشد البراوى بشأن مقدار الخراج عام ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م وهو ٨٠٠.٠٠٠ ر ٢ دينار (٣) وهو رقم أورده المقرئ نقلًا عن كتاب المنهاج فى

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٧ .

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٣٠ والأرجح أن هذا الاعفاء كان مجرد تأجيل للسداد كما يتضح من الاعفاء من البواقي بعد ذلك .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٣٣٧ . ذكرت أنصاف رياض فقط أن ذلك كان مقدار الخراج فى عام ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م وهو أيضا مستبعد لأن الشدة كانت لا تزال مستمرة وكان الخراج فى العام السابق ٦٠٠.٠٠٠ دينار — انظر : الحالة الاقتصادية فى مصر ص ١٠٤ .

علم الخراج للقايسى أبى الحسن المخزومى الذى أشار الى عمل مقاييسه
لخراج مصر قبل عهد بدر الجمالى وحتى عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م^(١) ، وذلك
أن البلاد لم تكن قد برئت بعد من آثار الشدة المستنصرية فضلا عن تفكك
الادارة وعجزها عن جباية مثل هذا المبلغ الضخم .

بل يمكن القول بأن الشدة وماتلاها من مجاعات قد أثرت على خراج مصر حتى
سقوط الفاطميين نتيجة لاضطراب الريف وتكرار تفشى الأوبئة بين سكانه وضعف
الادارة المركزية التى عجزت عن مواصلة مشروعات الرى الكبيرة ، وهى عوامل
أدت فى المحصلة النهائية إلى تراجع مساحة الأراضى المنزرعة تبعا لانخفاض
عدد القرى الذى وصل فى نهاية العصر الفاطمى إلى ٢٠٦٢ قرية^(٢) بعد
أن كان عددها فى العصر الاخشيدى ٢٣٩٥ قرية^(٣) .

ورغم أن بدر الجمالى نجح فى رفع إيراد الدولة الى حوالى ٣٠٠٠٠٠٠ ر
دينار سنويا^(٤) ، فإن هذا المبلغ وهو على وجه التحديد ٣٠٠٠٠٠٠ دينار
كان فى عام ٤٨٢ هـ ، لم يكن يعتمد فقط على الخراج أو الضريبة العقارية
بل كان يشمل أيضا ضرائب التجارة (المكوس) حيث وردت ضمن مصادره

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٠ ، عمر طوسون مالىه مصر ص ٥٢

(٢) عمر طوسون : مالىه مصر ص ٢٢٩

(٣) د . عبد المنعم ماجد : امراء تترعص ص ٣٦

(٤) Lewis (B.) The Cambrédige History. Vol. P. 189.

متحصلات تنيسى وهى مدينه صناعيه وعيذاب وهو ميناء مصر على البحر الاحمر وكذا الاسكندريه (١) وبالمثل فان تقدير ايرادات مصر خلال وزارة الافضل بن امير الجيوش بـ ٥ مليون دينار ومليون ارباب للاحراء (٢) كان يشمل المكوسى اذ ان التجاره الخارجيه لمصر كانت قد اخذت فى النشاط منذ القرن ١٢ هـ / ١٢ م واصبحت ايراداتها تشكل جزءا معتبرا من ايرادات الحكومه (٣) . ولا يعود ذلك الارتفاع كما تقول الباحثه انصاف رياض الى ان الافضل قام بحل الاقطاعات واعاد توزيعها وزاد مدة الارتفاع الى ثلاثين سنه (٤) ، اذ انه رغم بقاء هذا التغيير فى نظام قبالات الارض الا ان الخراج واصل انخفاضه فى السنوات التاليه (٥) .

فمنذ مقتل الافضل عام ٥١٥ هـ وحتى عام ٥٤٠ هـ لم يزد خراج مصر عن ٢٠٠.٠٠٠ دينار على يد القاضى الموفق ابي الكرم بن معصوم التنيسى " ولم يجب أحد هذه الجباية حتى انقرضت الدوله الفاطميه " (٦) .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٠ ، وهذا المبلغ هو خراج عام ٤٨٣ هـ فقط وليس بمتوسط للخراج فى عهد بدر الجمالى كما اشارت الى ذلك انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١٠٤ .

(٢) عمر طوسون : مالىه مصر ص ٥٨ ، والاهراء مخازن يحمل اليها ماورد من الغلات السلطانيه وكانت ترد من منفلوط والحبس الجيوشى وينفق منها مايقع به عليها من أمور الدوله والمربطيات : انظر : المقرئى : اتعاظ الحنفيا ج ٢ ص ٧٢ هامش ٢ .

(٣) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(٤) انصاف رياض : الحاله الاقتصاديه ص ١٠٤ .

(٥) بدأ هذا النظام الجديد على يد الافضل عام ٥٠١ هـ انظر القسم الاول الفصل الثانى

(٦) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٠ ، عمر طوسون : مالىه مصر ص ٥٨ — ٥٩ .

والخلاصة ان المجاعات كانت تؤثر على مقدار خراج وأن الشدة المستنصرية
وما اتبعها من نتائج اقتصادية وسياسية واجتماعية وديموجرافية قد
أثرت على الخراج تأثيرا سلبيا حتى نهاية العصر الفاطمي ، وازداد -
هذا التأثير تعظما مع الضعف المتواتر للإدارة المركزية في البلاد
وتفرق مراكز الثقل السياسي بين الخلفاء والوزراء وعمال النواحي
وقواد العسكر .

٢ - المكسوس : وهى المصدر الثانى من مصادر الإيرادات الفاطمية وهى فى الأصل ضريبة تؤخذ على الوارد والصادر من البضائع فى الموانئ (١) ثم أصبحت تفرض على تجارها الداخلية وبعض الأنشطة الاقتصادية غير المتعلقة بالزراعة ، فكانت تفرض أيضا على المراعى والمصائد والبغائع وتجارة الترانسيت والذبائح وسوق الرقيق وأنواع الصناعات كالفاخور والمزور وحتى الحجيج (٢) .

وكان هذا النوع من الضرائب يشير حفيظة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشروع اذ ان التجارة فى دار الاسلام ليس عليها اى ضرائب (٣) ، فضلا عن أن المصادر الطبيعية للثروة كالنطرون والكلاً والمصايد مما لم تمتد إليه يد الإنسان بالرعاية كانت تعد أيضا من الأنشطة التى يحرم فرض الضرائب عليها (٤) .

(١) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٧ . وكانت كلمة مكس بمعنى ضريبة أسواق معروفة من قبل فى العصر الجاهلى وكلمة مقس اسم قرية على ساحل النيل فى شمال القاهرة وكانت تعرف باسم أم دنين وسميت بهذا ذلك بهذا الاسم لان الماكسى كان يقعد بها ليستخرج المكسى فكلم مقس تحريف لكلمة مكسى : د . سيد الكاشف : مصر فى عصر الولاة - سلسلة الألف كتاب (٢٤١) ص ٤٠ وعن تطور هذا النوع من الضرائب انظر : د . ابراهيم طرخان : النظام الاقطاعى ص ١٧٧ - ١٨٠ .

(٢) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٨ .

(٣) د . ضياء الرئيس : الخراج والنظم ص ١٣٩ .

(٤) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ٣٤١ .

وكان تحصيل هذه الضرائب يتم بواسطة ديوان الهلالى (١) وكانت قيمة
المكس تتراوح ما بين ١٠ % ، ٢٥ % من ثمن البضاعة (٢) . فعروض تجارة
أهل الحرب وأهل الذمة المارين بها على ثغور الاسلام كان يؤخذ عليها
العشر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب (٣) على أن هذه الضريبة التجارية
عرفت فى بعض الحالات بالخمسة أيضا وتراوح ما بين ٣٥ ر ١٠٠ دينا وكانت
تنخفض أحيانا إلى عشرين دينارا (٤) على الحمل .

ویدخل ضمن موارد الدولة الضريبة التى عرفت بالسواحل ، وكانت تستأدى
فى الثغور الساحلية مثل الاسكندرية ودمياط ونسترو والبولس والفرما وكان
لها ديوان خاص بجبايتها هو " ديوان الثغور " (٥) وكان بعض هذه
الضرائب يستأدى عينا ، فكان يتباع للديوان أو المتجر السلطانى من التجار
الواردين إلى مصر بعض السلع التى تستبدل قيمتها من ضرائب التجار
فاذا زاد ثمن ما يباع عن الضريبة دفعت الدولة لهم ذهباً بقيمة الثلث
وبضائع أخرى بقيمة الثلثين (٦) .

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٦ .

(٢) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٨ .

(٣) د . ضياء الرئيس : الخراج والنظم ص ١٣٨ .

(٤) انصاف رياض : الحاله الاقتصادية ص ١١١ .

(٥) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٩ د . مشرفه : نظم ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٦) انصاف رياض : الحاله الاقتصادية ص ١١٢ وهو تغير فى شكل تعامل الضرائب
وليس ضريبه جديده كما اعتقدت الباحثة .

والى جانب الضرائب على التجارة الخارجية عرفت أيضا الضرائب على
التجارة الداخلية الواردة إلى المدن والمخازن والأسواق والبضائع الصادرة من
المدن وحراسة الغلات بالمقضى ورسوم السبسة والدلالة وأجور استخدام
المعدات على النيل (١) .

ويضاف إلى ذلك الضرائب التي كانت تؤخذ على بعض المنتجات من منابعها
مثل صناعة النسيج ، فنعرف أن مدينة تنيس التي اشتهرت بهذه الصناعة
كان خراجها في اليوم الواحد ألف دينار كما ذكر ناصر خسرو (٢) .

وقد أثرت المجاعات المتوالية وما نجم عنها من تحطم السلطة المدنية
البيروقراطية وانهايار الاقتصاد القائم على الزراعة أساسا - على إيرادات الدولة
من الزراعة فاجتهد محصلو الضرائب لتعويض النقص الكبير في الدخل (٣) .
ونتج عن ذلك تزايد مقادير وأنواع المكوس على أوجه النشاط الاقتصادي
المختلفة ، فقد وجه الفاطميون اهتمامهم إلى هذه الضرائب غير الباشرة
لتنمية مواردهم عند انقضاء الخراج (٤) وساعد على ذلك ازدهار التجارة في
نهاية العصر الفاطمي فاستطاعت أن تحتل على هذه الأعباء الضريبية
المتزايدة (٥) . إلا أن المكوس تزايدت في الدولة الفاطمية بمرور الوقت

(١) د . راشد البراوي : حاله مصر ص ٢٠١ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة طبع دار الكتب ١٩٤٢ ص ٥٧ .

(٣) Lewis (B.), The Camb. History Vol. I. P. 188.

(٤) د . عطية مشرفه : نظم الحكم ص ٢١٧ .

(٥) د . راشد البراوي : حاله مصر ص ٢٠٢ .

حتى وصلت الى حد لا يطاق في نهاية العصر الفاطمي كما سنلاحظ من
الضرائب التي أسقطها صلاح الدين ، ولا يتفق ذلك بعض المحاولات التي بذلت
لإلغاء المكوس أثناء المجاعات عملاً على تخفيف العبء عن أفراد الشعب ،
فنعرف عن الحاكم بأمر الله أنه أمر بإلغاء بعض هذه المكوس غير الشرعية (١) -
فيذكر المقرئى نقلاً عن المسبحي أن الحاكم أسقط في شهر رمضان عام
٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م عن أهل مدينه القلزم ما كان يؤخذ من مكوس المراكب (٢)
وذلك أثناء أول مجاعه حدثت بمصر في عهد الحاكم وعندما توقفت زياده النيل
في مجاعة عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٨ م - أمر الحاكم بإبطال عدده مكوس (٣) وما
ان انتهت هذه المجاعه في شعبان عام ٣٩٩ هـ / ١١٠٩ م (٤) حتى أعاد
الحاكم المكوس التي كان قد رفعها (٥) .

ومع بدايه الانخفاض النسبي للفيضان والتوقع المبكر للمتاعب الاقتصاديه
التي حدثت أثناء مجاعة عام ٤٠٢ هـ / ١١-١٠١٢ م ، أمر الحاكم بإبطال عدده

(١) د . ماجد : الحاكم ص ٦٣ . يذكر د . ماجد ان ذلك تم لاعتقاد الحاكم
في عدم شرعيه هذه المكوس وان كانت حوادث التاريخ تبرهن على ان ذلك
يتم لضرورات اقتصاديه واجتماعيه ان أنه أعادها بعد ذلك كما نلاحظ بعد
ذلك .

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٦ .

(٤) انظر مجاعات الحاكم

(٥) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٩ .

مكوسى فى جمادى الآخر عام ٤٠١ هـ / ١٠١١ م (١) . وأدى استمرار هذه
الآزمه الاقتصاديه طوال العام التالى إلى عوده الحاكم إلى إلغاء المزيد
من المكوسى فى شهرى رجب وجمادى الأول عام ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م (٢) . وفى
عام ٤٠٦ هـ أسقط الحاكم مكوسى الغله والفاكهه ودار الضرب (٣) .

وعندما تفاقمّت المجاعة التى بدأت عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م وتظاهر الناس
فى الطرقات وصاحوا بوجه الخليفه الظاهر لا عزاز دين الله واختفى القمح
من الأسواق ، أمر الظاهر فى ذى القعدة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م بإلغاء جميع
مكوسى الغله الباعه بساحل مصر (٤) . ويبدو أن هذه المكوسى قد
أعيدت بعد ذلك إذ نعرف أن الخليفه الحافظ عندما ولى الخلافه حاول
استرضاء مشاعر الناس فأمر فى ثالث ربيع الاول ٤١٦ هـ بإلغاء بواقي مكوسى
الغله (٥) . ومن المصادر الماليه التى تأثرت بأحداث المجاعات المواريسه
الحشريه ، وهى مال من يموت وليس له وارث خاص يقرباه أو نكاح أو لا
أو الباقي بعض الغرض من مال من يموت وله وارث ذو فرض لا يستغرق جميع المال
ولا عاصبه (٦) . فقد استولى الخليفه على أموال من ماتوا بالوباء

(١) المقيزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٢) المقيزى : اتعاط ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) مؤلف مجهول : انسان العيون ص ٤١٥ .

(٤) المقيزى : اتعاط ج ٢ ص ١٦٦ ، وربما كان ذلك لقله المعروض منها فى
الأسواق وتشجيعا على ظهور الغلال .

(٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٤٦ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٣ ص ٤٦٤ .

أثناء مجاعة عام ٤٤٢ هـ وليس لهم وارث ، وكان مالا جزيلًا على حد تعبير ابن أبي أصيبعة (١) . وأضيف ذلك المال إلى إيرادات الدولة .

وشكلت المصادرات وخاصة منذ العصر الفاطمي الثاني جزءًا من مصادر الدولة المالية ، ففى أعقاب الشدة المستعصية قام بدر الجمالى بمصادرة أموال القادة الأتراك وإيداعها ديوان المفرد (٢) .

وكان للدولة الفاطمية الشيعية المذهب ضرائب مذهبية لم تكن معروفة فى الدولة الإسلامية السنية المذهب ، وهى " الفطرة " وهى شبيهة بضريبة الروم ومقدارها درهم عن كل ولد من الرجال والنساء " والهجرة " ومقدارها دينار عن أدرك من النساء والرجال و " البلغة " وهى اختيارية يدفعها القادرون ومقدارها ٢ دنانير و " الألفه " وتجمع أموالها فى موضع واحد ويكونون فيه أسوة واحدة أى يدفع كل منهم مبلغًا محددًا من المال والزكاة " و " الخمس " أى أن الرجل يخرج خمس ما يملك والمرأة خمس غزلها (٣) . بالإضافة إلى " النجوى " ويبلغها ثلاثة دراهم وثلاث

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٥٦٣ . ومنذ وزارة الأفضل بن بدر الجمالى مع أخذ شئ من التركات وأمر بحفظها لأصحابها حتى يحضر من يشئت حقه فيها . انظر : انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ١١٤ . ولعل ذلك كان بسبب قلة المال المتحصل منها بعد انتهاء الشدة ودخول مصر فى طور الاستقرار النسبى فى عهد بدر الجمالى .

(٢) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ١١٢ - ١١٨ . وقد نشأ ديوان المفرد ليس فى العصر الفاطمي الثاني كما ظنت الباحثة بل أنه انشئ فى عهد الحاكم بأمر الله فى صفر عام ٣٩٨ هـ أثناء المجاعة التى مرت بمصر " برسم من يقبض ماله من القتولين وغيرهم " . انظر المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣) د . عطيه مشرفه : نظم الحكم ص ٥١ ، هوامش ٥ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١٠٤ .

تجمع من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسيما الصعيد (١) . والثابت تاريخيا ان هذا النوع من الضرائب المذهبية قد تعرض للنقص بسبب المجاعات في بعض الأحيان ففي صفر عام ٣١٨ هـ أمر الحاكم بإبطال أخذ الخس والنجاوى والفطرة (٢) ، وكان ذلك بسبب المجاعة التي كانت في هذا العام وعندما حاول بعض القضاة تحصيل هذه الضريبة في وقت لاحق أعاد الحاكم أوامره بوقف أخذ هذه الضرائب مرة أخرى عام ٤٠٠ هـ (٣) ذلك أن البلاد لم تكن قد أفادت بعد من المجاعة التي وضعت أوزارها عام ٣٩٩ هـ ، ودليل ذلك أن الحاكم عاد في عام ٤٠١ هـ فأمر بأخذ مال النجاوى (٤) . وقد أدت الشدة المستمرة إلى توقف تحصيل هذه الضرائب ويستفاد من أحد السجلات الموجهة من المستنصر بالله إلى حاكم اليمن علي بن محمد الصليحي أن اليمن لم ترسل طوال سنوات الشدة المستمرة أى ضرائب سواء من الفطر والزكاة والنجاوى أو أى ضرائب أخرى ولا درهم واحد وذلك " لموانع الطريق " (٥) .

أما الجزية التي كانت تجبى من أهل الذمة في دار الاسلام جزاء المنعهم لهم وأمنهم على أموالهم وحريةهم (٦) ، فكانت تدفع سنويا وتجمع في المدن من المشتغلين بالتجارة أو الصناعة وغيرهم وكانت تدخل في خراج الأرض ففى

(١) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٩١ .

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة ص ٢٩ .

(٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٥) د . ماجد : السجلات ص ١٨٨ - ١٨٩ سجل بتاريخ ذى القعدة ٤٦٨ هـ

(٦) د . ضياء الرئيس : الخراج والنظم ص ١٣١ .

الريف (١) ، ولا يعلم مقدارها طوال العصر الفاطمي ، ونعلم فقط أنها كانت في عهد الأمر بأحكام الله تتراوح ما بين دينار وثلاث ودينارين على كل رأس (٢) . ولا توجد اشارة في أى مصدر تاريخي الى تعرض مقدار الجزية المفروضة على الرؤوس الى أى تغيير أثناء المجاعات . مما يدل على حرص دولة الفاطميين على رعاياها من أهل الذمة وعدم غبنهم أو تجاوز حدود الشرع معهم . ورغم ان المقرئ قد أخطأ عندما ذكر أن المكوس التي كان قد بدأ أحمد بن المدبر فرضها على المصادر الطبيعية من المصايد والكلا قد ألغيت أيام أحمد بن طولون ولم تعد الا عندما ضعفت الدولة الفاطمية (٣) ذلك انها كانت موجودة كما رأينا أيام الحاكم بأمر الله الا انه يمكن القول ان هذه الضرائب قد تعددت واتسعت بسبب انضاع الخراج في أواخر الدولة الفاطمية حتى أن المقرئ اعتقد انها فرضت فقط في أواخر الدولة الفاطمية ولا شك ان زيادة هذه المكوس كان مطروحا مع محاولات تعويض نقص الخراج الناجم عن المجاعات ونتائجها ويمكن تبين مقدار هذه الضرائب غير المباشرة (المكوس) مما ذكره المؤرخون عن اسقاط صلاح الدين الايوبي

(١) د . راشد البراوي : حاله مصر ص ٣٢٩ .

(٢) د . ماجد : نظم ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ ويقدرها د . ماجد ود . راشد بنحو ١٣٠.٠٠٠ دينار وهو مقدار جبايتها عام ٥٨٢ هـ (١١٩ م) اي بعد عشرين عاما من سقوط الدولة الفاطمية . انظر ايضا د . راشد : حاله مصر ص ٣٣٩ - ٣٤٠ وعموما فقد كانت هذه الضريبة آخذة في التناقص بسبب تحول أهل الذمة للإسلام ، فنعرف انها بلغت عام ٨١٦ هـ ، مبلغ ١١٤٠٠ دينار فقط - المقرئ الخط ج ١ ص ١٠٧ .

(٣) المقرئ : الخط ج ١ ص ١٠٤ ، ١٠٧ - ١٠٩ .

لبعض هذه الضرائب . فهو أولا قد أمر باسقاط متأخرات سنوات سابقة حتى عام ٥٦٤ هـ بلغت قيمتها مليون دينار و٢ مليون أردب غله وأبطل هذه الضرائب من الدواوين (١) .

ثم أسقط ما كان يستأدى من الحجاج بالحجاز من المكوس (٢) ، وأبطل ما كان يؤخذ من المكوس بمصر والقاهرة وكان جملة ذلك فنى كل سنة مائة ألف دينار (٣) بالاضافة إلى ما كان يستخرج بالأعمال القبلية والبحرية وهو بنفس المقدار (٤) . وقد أورد أبو شامة نص السجل الذى ذكر المقرئى ان القاضى الفاضل هو الذى كتبه بشأن اسقاط هذه المكوس وفيه اشار الى عدم شرعية هذه الضرائب وثقلها على السكان " نطهر منها مكاسينا ونصون عنها مطالبنا ونكفى الرعيه ضرهم الذى يتوجه اليهم ونفصع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم (٥) " .

وقد اورد المقرئى قائمه تفصيليه بأنواع المكوس الملغاة ومقدار كل منها يتضح منها أنها قد فرضت على التجاره الخارجيه مثل مكس البهار والبضائع والقوافل وعلى التجاره الداخليه مثل سمرة النمر ورسوم العلبه المنسومه إلى

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٢٤ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٥

(٢) أبو شامة : المصدر نفسه والصفحه نفسها .

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٤ .

(٤) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ١٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٠٥ . ويبدو من صيغه السجل انه خاص بالغاء مكوس مصر والقاهرة فقط ولا يعنى ذلك أن صلاح الدين قد أسقط جميع المكوس فقد بقى مكس النطرون الذى استحدثه ابن المدبر فى العصر الايوبي فيذكر القاضى الفاضل ان النطرون كان مضمونا الى آخر سنة ٥٨٥ هـ ببلغ ١٥٠٠ دينار . المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .

بلبيس وعلى سوق الغنم بالقاهرة ومصر . وعبور الأغنام بالجيزة وعلى المواد الخام كرسم فندق القطن والكتات والمصنوعات مثل خاتم الشرب والديبقم فضلا عن المعديات على النيل والسلخانات بل والدواجن التى تربيتها (١) . ويعود الفضل لهذه الضرائب المفروضة على التجاره والصناعه فى تعويض نقص خراج الارض وخاصة فى الفتره الاخير من حياه الدوله الفاطميه التى تعددت وزادت خلالها هذه الضرائب والمكوسى التى اغاها صلاح الدين . فعلى الرغم من تدهور الحاله السياسيه والاقتصاديه فى أواخر عهد الفاطميين الا ان اقتصاد مصر ظل قويا بسبب حركه التجاره العالميه عبر ارضيها وان كانت هذه الحركه قد تأثرت ولا شك بسبب الحروب الصليبيه ونجاح الصليبيين فى اقامه مملكه بيت المقدس (٢) . فكانت لمصر علاقات تجاريه واسعه فى حوض البحر المتوسط بفضل السيطره الكامله التى قرضها الاسطول الفاطمى على البحر المتوسط وقد ظلت لهذا الاسطول قوته البحريه حتمى عام ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م رغم ضعف الدوله الفاطميه (٣) .

ومنذ منتصف القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى عقدت مصر سلسله من المعاهدات التجاريه مع أما لغى والبندقيه وجنوه وبيزا بشأن حمايه تجار

(١) المقرئزى : الخططج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) د . عطيه القوصى : تجاره مصر ص ١٢٦ .

(٣) د . أحمد مختار العبادى ، ود . السيد عبدالعزیز سالم : تاريخ البحريه الاسلاميه فى مصر والشام - بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٧ . وتعد هذه السيطره البحريه امتدادا للهيمنه العربيه على المتوسط منذ القرن ١٢ هـ / ١٢م التى استمرت حتى صعود المدن التجاريه فى ايطاليا مثل فينسيا وجنوه : أنظر

Newbigin (M.) The Mediterranean Lands, London .

1938, P. 176.

هذه الدولة أثناء مزاولة نشاطهم التجارى فى مصر ، وقد اشار بنيامين التيطلى الى وجود سفن من ٢٩ دولة ومدينه اورييه بميناء الاسكندريه عند زيارته لها عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م (١) .

ورغم المنازعات السياسيه التى كانت بين مصر الفاطميه وبيزنطة إلا أن ذلك لم يحل دون قيام نشاط تجارى واسع بينهما وخاصة بالنسبه لتجاره المنسوجات المصريه (٢) ، وذكر ناصر خسرو أن كثيرا من السلع التى رآها واعجب بها فى أسواق القسطنطين كانت من واردات بلاد الروم (٣) . كما أن مصر كانت تعتمد على بيزنطة احيانا فى استكمال احتياجاتها من القمح (٤) . وقد تركزت الأنشطة التجاريه الفاطميه فى البحر الاحمر ، ويعزى صعود الاقتصاد المصرى فى عهد الخلفه الفاطميه الاخير الى استمرار نشاطها التجارى فى البحر الاحمر (٥) .

وتعد تجاره الكافور او الكارميه على الطريق البحرى بين مصر وشرق افريقيا والهند والشرق الاقصى أهم هذه الأنشطة التجاريه على الاطلاق (٦) .

-
- (١) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١١٠ - ١١٣ .
(٢) د . ابراهيم العدوى : الدوله الاسلاميه وامبراطوريه الروم - الأنجلو المصريه القايره ط ٢ ١٩٥٨ ص ١٥١ - ١٥٢ .
(٣) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١١٢ .
(٤) د . ماجد : ظهور خلافتهم ص ٣٦٥ .
(٥) د . عطيه القوصى : تجارة مصر ص ١٢١ .
(٦) لمزيد من التفاصيل عن تجاره الكافور وتطورها : انظر صبحى لبيب : التجارة الكارميه وتجاره مصر فى العصور الوسطى - المجله التاريخيه المصريه ، المجلد الرابع العدد الثانى - مايو ١٩٥٢ .

وقد بدأت هذه التجارة فى العصر الفاطمى واشتهرك فيها التجار اليهود إلى جانب المسلمين والمغاربة واصبحت كلمة الكارم شائعة فى القاهرة منذ بدايه القرن ٦ هـ / ١٢ م ، ولم يكن الكارم وحدهم فى مجال التجارة مع الهند ، فحتى عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م لم يكن الكارم قد احتكروا بعد هذه التجارة اذ كانت تشاركهم حوالى مائتى سفينة لا يملكها تجار الكارم (١) .

كما ان الازدهار الصناعى الذى شهدته البلاد بفضل تشجيع الصناع الاجانب والتسامح مع الاقباط الذين كان يعمل عدد كبير منهم فى الصناعه ، وتزايد الاقبال على المنتجات الترفيه كالمالبس الفاخره (٢) كان له الاثر فى زياده رصيد الدوله من الضرائب التى فرضت على هذه الصناعات حتى شملت المواد الخام بل وبيع هذه المنتجات على ايدى الماسره الذى كان وجودهم فيما يبدو عاملا مساعدا على تقدير وجباية الضرائب (٣) .

(١) د . عطيه القوصى : تجاره مصر ص ٨٩ - ٩١ . وقد بدأ احتكار الكارميه لهذه التجاره يأخذ شكله المكتمل فى عصر الماليك حيث شكل تجار الكارم قوه مالىه تمويليه الى جانب الحكومه .
انظر : Goitein : Op. cit . P. 349.

(٢) د . راشد البراوى : حاله مصر ص ١٢١ - ١٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦ .

المصروفات في الدولة الفاطمية :-

لم ترد في كتب المؤرخين احصاءات دقيقة تبين ابواب المصروفات والايادات حتى يمكن موازنة النفقات بالدخل وتحديد الفائض والعجز .^(١)
وان عرفنا ان المبدأ السائد في التنظيم المالي أن يخصص كل ايراد لنفقة معينة ، فكان الخراج مثلا يخصص للانفاق على الأجناد وغيرهم من أرباب الوظائف في الدولة حيث كانت رواتبهم من بين نفقات الدولة ، وكان على ديوان الرواتب أن يقوم بدفع العطاء الى الأجناد والموظفين شهريا ، كما كانت ايرادات المكوس وغيرها تسد نفقات بعض موظفي الدولة وأجنادها .^(٢)

وبديهي أن انخفاض ايرادات الدولة ، وخاصة الخراج ، أثناء المجاعات كان يؤثر سلبا على وفاء الدولة ببعض التزاماتها ، وخاصة بعض الرواتب التي كان يتأخر صرفها في أحسن الأحوال . كما كانت الدولة تعجز أثناء المجاعات عن سداد مستحقات فقراء مكة والمدينة ، مما أدى الى خروجهما عن سلطه الخلافة في أثناء بعض المجاعات . ويحدث أثناء المجاعات أيضا ان تتخلى الدولة عن بعض التزاماتها تجاه الفقراء وخاصة في ليالي شهور رجب وشعبان ورمضان .

(١) د . عطيه مشرفة : نظم الحكم ص ٢٢٨ .

(٢) د . ماجد : نظم الفاطميين - ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

الا أن بعض الأحداث المصاحبه للمجاعات وما يترتب عليها من نتائج ، كان يؤدي الى زياده أوجه الانفاق ، وخاصة نفقات اقرار الأمن والقضاء على المتمردين ، أو زياده رواتب الثائرين من العسكر ، وقد كان من نتيجة الشدة المستنصرية وما أدت اليه من زياده نفوذ وزراء التفويض والعسكريين ، أن تزايدت التزامات الدولة ونفقاتها تجاه هذه الفئات واستمر تزايد النفقات حتى نهاية الدولة الفاطمية .

تأثير المجاعات على المصروفات :

تشكل الرواتب العبد الأكبر على الخزائن الفاطمية وما من شك في أن ما أورده د . ماجد نقلا عن خطط المقريزي من تقدير لعطاء الأجناس وأرباب الوظائف بثلاثمائة ألف دينار سنويا يتسم بالشواضع الشديد خاصة (١) إذا ما قورن مع ما أورده عمر طوسون عن الرواتب أيام كافور الأخشيدي والتي بلغت نحو نصف مليون دينار " خارجا عن مرتبات الجيش والحاشية والمتصرفين في الاعمال " (٢) .

وإذا كان بالامكان اعتبار مبلغ الثلاثمائة ألف دينار مبلغا تقريبا لعطاء الجنود وأرباب الوظائف فإنه قد يكون صحيحا في بداية عصر الدولة الفاطمية إلا أنه بتعاظم القوة العسكرية للخلافة وتعدد فرق الجند وازدياد نفوذ الوزراء وحواشيهم ازداد هذا المبلغ ، خاصة إذا ما أضفنا الى هذه

(١) د . ماجد : نظم الفاطميين ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) عمر طوسون : ماله مصر ص ٥٣ .

وليس بإمكاننا أن نقرر ما اذا كانت الدولة الفاطمية تلتزم بدفع رواتب لاقارب الوزير في بدايتها أم لا . وذلك لعدم توافر أى اشارة تاريخية الى ذلك وان جل ما وصلنا سواء عن طريق المقرئى أو القلقشندى كان عن طريق ابن الطوير . وغاية ما يمكن أن نسوقه من ادله على التشكك فى وجود هذا الالتزام هو ما اشارت اليه المصادر التاريخية من قيام العزيز بالله من تسديد ديون وزيره يعقوب بن كلس رغم ما عرف عنه من اتساع النفوذ وسعة الحال .

ومهما يكن من امر فان من يلى الوزير من ولد وأخ كان راتبه المقرر من ١٠٠ الى ٢٠٠ دينار وان كان شجاع بن شاور المنعوت بالكامل قد وصل راتبه الى ٥٠٠ دينار بسبب تضعف سلطة الخليفة ثم حواشى الوزير مهما كان عددهم من خمسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعا^(١) ت ولاشك أن ازدياد نفوذ وزراء التفويض منذ الشده المستنصرية قد كلف الخزانة العامة وأثقل كاهلها بالنفقات ، حيث عمل هؤلاء الوزراء على استهالة حواشيتهم بالاموال لضمان ولائهم وكانت الاقطاعات التى لاحظنا تزايدها خلال النصف الاخير من حياة الخلافة الفاطمية احد أهم وسائل التحايل على الرواتب المحددة بواسطة ديوان الرواتب بل أن بعض الوزراء لجأ الى تحبيس بعض الاراضى للاتفاق منها على ذويهم حتى بعد وفاتهم

(١) القلقشندى : صبح الاعش ج ٣ ص ٥٢٥ .

مثل الحبس الجيوش • مما كان يعنى فى المحصلة الاخيرى ضياع ربع هذه الأوقاف على الخزانة • ولم تقتصر زياده النفقات على الاموال النقدية ، اذا ازدادت النفقات العينيه كالسوات والجريات الغذائية ، تبعا لمحاولات الوزراء استمالة قلوب حواشيهم ومؤيديهم ، فتذكرة الطراز كانت أيام الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى تشتمل على ٣١ الف دينار ارتفعت فى عهد خلفه الوزير المأمون البطائحي الى ٤٣ الف دينار ، تضاعفت بعد مقتله واستيلاء الخليفة الأمر باحكام الله على السلطة ^(١) • وقد ضاعف المأمون الكسوة الشتوية عما كانت عليه أيام الأفضل لتصل إلى ما دون العشرين ألف دينار بقليل • ^(٢)

وقد تحمات الخزانة العامة ايضا متطلبات مظاهر الترف الى احاط السوزراء العظام انفسهم بها ، فعند مقدم بدر الجمالى لم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة وأنشأ دارا اخرى لهذا الغرض ولما أتى من بعده ابنه الأفضل أنشاء دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رجة باب العيد • ونقل المقرئى عن ابن ميسر أن الأفضل أقام فيها ^{هجرة} سماها ^(٣)

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٩٩ - مع ملاحظة ان ما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاصة (الخليفة وحواشيه) فى كل سنة عشرة الاف دينار انظر المصدر نفسه ج ١ ص ٣٩٨ •

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤١ وتفصيل ذلك ١٤٣٠٥ قطعه مقارنه ب ٨٧٢٥ قطعه فى عهد الأفضل •

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٦١ •

(١)
خيه الفرج بلغت تكاليفها ١٠٠٠ ر. د. دينار يضاف الى ذلك ما استحدثه
المأمون من زيادة في نفقات الطيب حيث صار له راتب منها مستقل عما
للخليفة وهو ما لم يكن موجودا قبل ذلك كما أن قرر تقديم شراب حلو
في إيوانه فأضيف ذلك إلى نفقات خزانه الشراب . (٢)

أما رواتب أرباب الوظائف فإن المقرئى والقلقشندى أوردوا راتب كل وظيفته
نقلا عن ابن الطوير ، وان كنا نجهل مدى تأخر هذه الرواتب بالمجاعات
والنتائج التي نجمت عنها . وبلغت النظر ما أوردته ابن الطوير من أن راتب
قاضي القضاة كان في الشهر مائة دينار ومثله داعى الدعاء ، وهو (٤)
ما يتناقض مع ما ذكره ناصر خسرو الذي زار مصر في النصف الاول من حكم
المستنصر من أن راتب قاضي القضاة ألفى دينار مغربى في الشهر ومرتب
كل قاض على قدر مرتبته وذلك حتى لا يطمع القضاة في أموال الناس
أو يظلمونهم . (٥)

-
- (١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٢٠ .
(٢) المصدر نفسه والصحة نفسها .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٠١ - ٤٢٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٥ - ٥٢٢ .
وقد عاش ابن الطوير في اوائل العصر الأيوبي - د . ماجد : ظهور خلافة ص ٢١ .
(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٦ ، د . عطيه مشرفه : نظم ص ٢٥٨ .
(٥) ناصر خسرو : سفر نامه ص ٦٥ .

وقد يكون هذا التخفيض الذى أجرى على راتب قاضى القضاء وداعى الدعاء ناجما عن تدهور الدعوة الشيعية فى آخر الدولة الفاطمية بفضل السوزراء العظام من المخالفين لمذهب الاسماعيليه فضلا عن نطق الوزراء باللقاب —
”كافل قاضى القضاء وهادى داعى الدعاء“ وتحول من يتولى هذين المنصبين إلى مجرد وكيل عن الوزير فى اداره القضاء والدعوه .
(١)

ولا شك أن الراتب الذى اورده ناصر حزو يتناسب مع جلال المنزلة التى كان يحكيها قاضى القضاء وداعى الدعاء فى اوائل الخلافه الفاطمية حيث كانوا على اتصال مباشر بالخليفه وبلغ بعضهم نفودا واسعا .

وقد تأثرت نفقات الدوله الأخرى بالمجاعات نتيجته لانخفاض الايرادات، مما جعلها تتخلى عن بعض واجباتها فى الانفاق .

ففى اثناء مجاعه ٣٩٧—٣٩٨ هـ ونتيجته للفتنه التى أثارها ابوركوه ،
أنفق الحاكم بأمر الله الأموال الطائلة لأجل القضاء على الفتنة وإعادة حالة الاستقرار للبلاد حتى أن وزن الاكياس التى انفق اموالها وهى فارغه
بلغ ٢٦ رطلا . ونتيجته لأحداث المجاعات اضطر الحاكم فى شهر رجب
(٢)
عام ٤٠٢ هـ الى قطع ما كان يصرف من الخبز والحلوى لمن يبيت بجامع

(١) ظل وزراء السيوف يتولون منصب قاضى القضاء على الاقن حتى ولايه بهرام النصرانى للوزاره فى خلافه الحافظ فولى قاضيا بدلا منه لانه كان نصرانيا : أنظر د . عطيه مشرقه : نظم ص ٣٧٢ .

(٢) مؤلف مجهول : انسان العيون ص ٤١٠ .

القاهرة (الأزهر) في ليالى الجمع والأنصاف من شهور رجب وشعبان
(١) ورمضان .

وأن لم تمنح المجامع عام ٤٠٣ هـ الحاكم من أن يقوم بإحصاء المساجد التي
لاغله لها فكانت ثمانمائة مسجد فأطلق لها في كل شهر من بيت المال
(٢) ٦٢٢٠ درهما .

وان الحاكم ^{دراطة} أقر مرتبات الفقهاء والمؤذنين بجوامع القاهرة كما هي دون -
نقصان وكان مقدارها في ٤٠٦ هـ ٧١٧٣٠ دينار^(٣)، ولعل ذلك يعطى
بعدا جديدا لعقيلة الحاكم بأمر الله وقوه ادارته التي جعلته يفرق بين
الالتزام بالمصروفات الاساسيه للدولة والمتعلقة بأعمال العبادات والرواتب
وبين امكانيه التفاضى عن بعض المصروفات الغير ملحة كصرف الخبز والحلوى
ولما كان النظام المالى للدولة الفاطمية يركز على قاعده تخصيص كـل
ايراد لتنفقة معينه وما نعرفه عن تخصيص خراج الأرض وبعض المكوس لأجل
سداد الرواتب فان احداث المجاعات كانت مصحوبه عادة بعجز الدولة عن
سداد الرواتب او تأخرها في احسن الأحوال .

وكان مصدر التخوف الرئيسى في هذه الخاله يأتى من قبل فرق العسكر

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٦٦ .

(٢) أيمن قواد سيد / نصوص ضاعه ص ٣١ . وفي نفس هذا العام قام الحاكم بإيقاف
رباعا وجوانيت على الجامع الأزهر وجامع المقس وجامع الحاكم وجامع راشد ودار العلم
بالقاهرة .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٨١-٨٢ د . صلاح البحيرى : عالمية
الحضاره الاسلاميه ص ٢٨-٨١ .

التي سرعان ما تلجأ الى السلاح لاجل تعويض راتبها الموقوف .

ومن خلال ما ذكرته المصادر التاريخية نستطيع أن نقرر بأطمئنان أن ثورات العبيد واضطراب الامن أثناء مجاعه ٤١٤-٤١٥ هـ في عهد الظاهر مرجعه الاساسي ارتفاع الأسعار مع عدم وفاء الدولة بتسديد رواتب الجند وخاصة خلال عام ٤١٥ هـ . حيث اشتكى "طوائف العسكر من الفقر والحاجه فلم يجابوا" (١) وحتى التجريد التي أرسلت إلى تنيس ثاروا على عاملها في شعبان ٤١٥ هـ لتأخر رواتبهم ، واستولوا على ١٥٠٠ دينار من إيرادات الدولة . وعندما طلب من العميد محسن بن بدواس صاحب بيت المال أن يحمل المال لينفق في الرجال خشيه الفساد اعتذر صاحب بيت المال بأنه ليس لديه "الا اليسير الموفور لخواص مهمات الخليفة" وعارض الجرجاني اقتراحا بمصادرة التجار لان تجار مصر أصبحوا "هلكى من الغلاء" (٢) ولأمال لهم ، واضطرت الدولة الى الاستدانه ، ففي الخامس والعشرين من ذى الحجه عام ٤١٥ هـ حمل الامير بهاء الدولة مظفر مبلغ عشرة الاف دينار على سبيل القرض وطلب من أبى طالب الحسنى العجمى متولى الصناعة قرضا بنفس القيه فسام حتى وصل القرض إلى خمسة الاف دينار بعد أن

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٤ ، المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(١)

ضمن ابوالقاسم الجرجرائي ان يعاد المبلغ اليه بعد ذلك .

وتبعاً لتردى الحالة المالية عجز الظاهر عن تسديد كامل ما كان ينفق

للحسينيين بمكة من اموال ه ففى ه ذى الحجة أطلق لهم ألف دينار

(٢)

يترفقون بها وأمرت لهم ام الظاهر أيضا بشئ من عندها .

وانتظر الوفد المكي حتى ٢٥ من ذى الحجة فدفعت لهم الدولة النصف

من واجباتهم الا ابا الفتوح حسن بن جعفر فانه لم ينفذ اليه بشئ

ووعده بان يرسل له المال عن طريق البحر فعاد الوفد المكي الى مكة

(٣)

ساخطا على عجز الخليفة عن تحمل واجباته المالية تجاه بلادهم .

وقد ارتبطت المجاعات في الغالب بعجز الخلافة عن تسديد أموال

الحجاز التي كانت عاملاً رئيسياً في الحفاظ على ولاء حكام الاراضى المقدسه

للفاطميين ه وظهر ذلك بجللاء اثناء الشده المستنصرية وخاصة مع تعاظم قوة

السلجوقية ودخولهم حلبه المنافسة في الانفاق على الحرمين فاستطاعوا أن

يحولوا ولاء الحجاز لصالح العباسيين أيام الشده المستنصرية كما أشرنا

الى ذلك من قبل .

(١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ .

(٢) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٦ ه بيدو واضحاً من سياق كتابات المؤرخين ان مال الخليفة واهله كان يعد مالا خاصا لاعلاقة له بمال الدولة والانفاق منه كان يتم على سبيل المنح والمن .

(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ .

كما ان الخزانة الفاطمية ارهقت قبل الشدة بنفقات حروب العبيد والأتراك
فقد تكلف الأتراك في عبورهم الى الجيزة لمحاربة العبيد عام ٤٥٩ هـ -
(١)
مليون دينار .

وفي اثناء الشدة العظمى كان الانفاق يتم على خلاف قواعد الرواتب
فقد انفقت الخزانة العامة في غير استحقاق ٣ ملايين دينار خلال خمسة
عشر شهراً أولها شهر صفر عام ٤٦٠ هـ (٢)

ولعل الحالة الوحيدة التي زادت فيها الرواتب اثناء احدى المجاعات
كانت تلك الزيادة التي اقترها ابن حمدان اثناء الشدة المستنصرية حيث
اجبر الخليفة على زياده رواتب الأتراك بالجيش حتى نفذت الخزائن ، فرفع
راتبهم عام ٤٦٠ هـ من ٢٨ ألف دينار الى ٤٠٠ ألف دينار والمعروف أن
الجنود استوفوا حقوقهم عن طريق بيع محتويات خزائن المستنصر عندما
عجزت الخزانة الخاوية عن دفع رواتبهم (٣)
(٤)

وقد احتفظ لنا المقرئ بنص توقيع للخليفة الحافظ لدين الله على استيثار
الرواتب جاء به أن أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثيراً لا عطاء

-
- (١) المقرئ : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٣ .
 - (٢) المقرئ : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٧ .
 - (٣) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٣ .
 - (٤) المقرئ : اتعاظ ج ٢ ص ٢٧٥ د . راشد : حالة مصر ص ٩٠ وكان ذلك عام ٤٦٥ هـ وكان الراتب ٢٨ ألف دينار وليس ٢٠ ألفاً كما ذكرت الباحثة انصاف رياض انظر الحالة الاقتصادية ص ١٣٠ .
 - (٥) أنظر كتاب الذخائر والتحف .

ولا يكدره بالتأخير له والتسوية والابطاء ولما أنتهى اليه ما أرباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شغلهم برحمته ورأفته وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته..... الخ (١).

ويظهر من توقيع الخليفة الذى انهاء بأقرار الجميع على رواتبهم دون نقصر ان الدولة كانت قد تأخرت فى سداد الرواتب ولعل ذلك كان بسبب احدى المجاعات التى مرت بعصر اثناء حكم الحافظ لدين الله وربما كان هذا التوقيع اثناء سنوات المجاعة الهائلة التى عصفت بالبلاد خلال الأعوام من ٥٣٦ - ٥٣٨ هـ / ١١٤١ - ١١٤٣ م .

وقد تسبب الضعف المالى للدولة الناجم عن المجاعات فى قلة الاهتمام بمشروعات الري الكبيرة اذ لم تشر المصادر التاريخية الى مشروعات ري كبيرة فى العصر الفاطمى الاخير.

(١) المقرئى : الخططج ١ ص ٣٩٨ نقلا عن ابن الطوير .

الأسعار

تكاد ظاهرة تحرك الاسعار أن تكون القاسم المشترك الاعظم يبين
مختلف احداث المجاعات التي وقعت بمصر مهمت اختلفت الاسباب السبق
وقعت خلف هذه المجاعات سواء كانت طبيعية أو سياسية أو اقتصادية .

ومن خلال الدراسة التفصيلية لأسباب وحوادث المجاعات يمكن القول
بأن العوامل الطبيعية كالفيضانات وانتشار الآفات والرياح لم تكن هي
العوامل المؤثرة في اختفاء السلع الغذائية .

ويعد التحكم في عرض السلع - لاندرتها - أهم العوامل على الإطلاق
في ارتفاع الاسعار ، خاصة وأن انتاج مصر من الحبوب في حالة وفاء
الفيضان كان يكفيها لمدة عامين ويمكن تتبع حالات التحكم في عرض الحبوب ،
منذ قيام تجار الجملة بشراء الحبوب وهي بعد لاتزال محصولا في الارض
عن طريق تسديد ثمنها - أو معظمه - مقدما للفلاح حتى يتسنى له
شراء البذور ودفع الضرائب المقررة عليه ، ويقوم هؤلاء التجار بخزن الغلال
حتى اذا ما ارتفعت الاسعار قاموا ببيعها .^(١)

ويحدثنا ناصر خسرو عن تاجر قبلى من ثراء مصر ، التجأ اليه الخليفة الفاطمي
عند انخفاض الفيضان ليعطيه ما يستطيع من الغلة اما نقدا واما قرضا ،

(١) المقرئى : اغاثة ص ١٩ - ٢٠ .

فقال له التاجر ان لديه من الغله ما يكفي اطعام اهل مدينه مصر ست
سنوات ومع الضرب صفحا عما قد يكون فى قول ناصر خسرو من مبالغه فأنه
لا يمكن أن نخض المصراف عن قدره كبار التجار على خزن الغلال بـل
واحتكارها بحكم قوتهم التمويلية المضحمة . وتتضح أهميه الاحتكار فيما سبق
ذكره من قيام الوزير الميازورى بالاستيلاء على مخازن الغلال الخاصة بالتجار
وبيعها للجمهور بسعر يعادل حوالى ثلث السعر الذى كان يباع به فى
الاسواق مع اعطائهم هامش ربح قليل^(٢) وهذا الاجراء من الناحية الفقهية
لاغبار عليه حيث نهى الرسول الكريم (ص) عن الاحتكار فقال ((لا يحتكر
الا خاطئ)) والمحتكر هو الذى يعتمد الى شراء ما يحتاج اليه الناس من
الطعام فيحبسه عنهم ويريد اغلاء عليهم .
وبجانب اجراء المصادره لجأت الدولة الفاطمية الى اسلوب آخر لكبح جماح
ارتفاع الاسعار اثناء المجاعات . وقد سبقت الاشارة الى الاهراء السلطانيه
والتجر السلطاني الذى كان يشتري فى كل عام ما قيمته مائة الف دينار
من الحبوب ليوزع وقت الحاجة على الطحانيين والخبازين ، ودخول الدولة كتاجر
مشارك فى السوق يكاد يقارب فكرة تدخل الحكومات فى تجارة الجملة او -
تقديم السلع المدعومة للجمهور ومن شان هذه السياسة ان تحد من ارتفاع

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦٢ .

(٢) كان ذلك خلال اعوام ٤٤٢-٤٤٨هـ - انظر الفصل الاول .

(٣) ابن تيميه : الحسيه فى الاسلام - المطبعة السلفية - القاهرة ١٤٠٠هـ ص ١١٠ .

(٤) د . ماجد : امراء تتوهم ص ٣٥ .

الاسعار اثناء الازمات بحيث يصبح التضخم السعري مكبوتا بهذه القيود .
(١)

ولم يكف الفاطميون بالتدخل فى تجارة الجملة بل لجأوا إلى إقامة متاجر
بيع الغلال ودكاكين الخبز المملوكة للدولة بقصد تثبيت سعرهما أو ترخيصهما .
(٢)

وتجدر الإشارة إلى أن الدولة كانت تلجأ فى حالات كثيرة إلى الغاء
الوسطاء فى عملية تداول وبيع الدقيق والقمح ، فلم تكن تسمح ببيع القمح
إلا للطحانيين ولا يخرج الدقيق من المخازن إلا إلى المخابز . ومن الملاحظ
أن الخوف من المستقبل المجهول كان يساعد على تفاقم الازمات الاقتصادية
فما أن يستشعر الناس توقف النيل عن الزيادة حتى يقوموا بخزن الغلال
ويحجبوا عن عرضها فى الاسواق توهمها بحدوث المجاعة أو طلبها لزيادة
الكسب .
(٣)

وكان الفاطميون يواجهون ذلك إما بمحاولة اخفاء امر الفيضان عن
طريق منع المناداة بزيادته كما امر المعز لدين الله أو عن طريق التهديد
بعقاب من يخزن الغلال مثلما فعل الحاكم بأمر الله ، وعلى الرغم من هذه
الاجراءات إلا أن ذلك لم يحل دون قيام الناس بخزن الحبوب .

أما لجوء الدولة إلى سياسة التسعير فلم نسمع عنه فى عصر الفاطميين قبل
خلافة الحاكم بأمر الله . فعلى الرغم من ارتفاع الاسعار عند فتح جوهـر
لمصر ووعده فى امانة للمصريين بارخاض الاسعار وتوفير الاقوات ، إلا أنه
(٤)

(١) د . رمزى زكى : مشكلة التضخم فى مصر - الهيئة العام للكتاب - القاهرة ١٩٨٠
ص ٢٣ .

(٢) د . ماجد : امراء مصر ص ٣٥ .

(٣) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٨١ .

(٤) د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ٣٩٥ .

(١)

لم يلجأ الى التسعير وأكفى بضبط مايرد الى الساحل من غلال منعاً للاحتكار .
ويرجع تخوف جوهر من اللجوء الى التسعير الى معارضه معظم الفقهاء لاجراءات
التسعير ولم يشأ جوهر فيما يبدو ان يستشير حفيظه رعاياه السنه ضد الدولة
الشيعيه الناشئة . ويستند الفقهاء في ذلك الى ما روى عن الرسول (ص) عندما
طلب منه ان يسعر للمسلمين بسب ارتفاع الاسعار فقال " ان الله هو القابض
الباسط الرازق السعير وان^(٢) لا رجو ان القى الله ولا يطلبن أحد بمظلمه ظلمتها
آياه في درهم ولا مال " ولا يمكن ان يعد لجوء الحاكم للتسعير تحدياً للدين
الاسلامى او خروجاً على تعاليمه ، اذ ان جمهور العلماء اشترطوا " قيام الناس
بالواجب " اى قدرتهم على الدفع حتى لا يحد لأهل الاسواق حد لا يتجاوزونه
في السعر ، وهو ما لم يكن قائماً مع تزايد الاسعار الجنوني وعدم وفاء دخول
و ثروات عامة الناس بشراء احتياجاتهم من السلع الغذائية ، فضلاً عن ذلك كان
الحاكم يجمع التجار ويتفق معهم على تسعير كل صنف من الدلال بثمان معين
لا يزيد ولا ينقص ، ولعل في ذلك محاولة لتحقيق السعر العادل Foter
Price الذى كان سائداً في اوريا في العصور الوسطى وبلاد^(٥) -
المسلمين وهو السعر الذى ليس فيه غبن على التاجر او ارهاق للمستهلك .
ولا يمكن اعتبار السعر الذى يقرره ابناء الطائفة فيما بينهم وبين المحتسب -
بواسطه عريضهم نوعاً من انواع التسعير بل هو اقرب الى التسعير الوديه التى تحاول
الاقتراب من فكرة السعر العادل ، ويذكر ناصر خسرو ان التجار في مصر

(١) المقرئى : اتعاظ ج ١ ص ٢٢٢ ، ١٦٩ .

(٢) ابن تيميه : الحسبه فى الاسلام ص ١١ (٣) نفسه ص ٢٠ .

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٥٥ ، وتراضى اهل السوق مع الامام على
السعر جائز عند ابن حبيب انظر ابن تيميه الحسبه ص ٢٠ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٢٢٣ .

(١) كانوا يبيعون بأسعار محددة ، ويؤيد ذلك حادثه عريف الخبازين الذى ضرب
(٢) خبازا لانه باع باقل من السعر المتفق عليه بين ابناء الطائفة والمحتسب
وهو ما استنكره اليازورى فى حينه مع ان ذلك جائز شرعا لان فى الحفاظ
(٣) على ذلك السعر العام مراعاة لمصلحة الجمهور والعبرة بهذه المصلحة .

ولم تكن سياسة التسعير هذه تؤمّن ثمارها المرجوة فى جميع الاحوال ،
(٤) فنعرف انها نجحت على عهد الحاكم بامر الله لشده رغب الناس منهوسطوته
وفشلت فى اثناء مجاعه ٤١٤-٤١٥هـ / ١٠٢٣-١٠٢٤م بسبب التواطؤ بين
رجال الدولة والتجار ، ولم تنجح عام ٥٣٢هـ / ١١٣٢م بسبب سعى رضوان
بن ولحشى الى تأليب الرعية على الخليفة الحافظ لدين الله .

وسهما يكن من امر ارتفاع الاسعار ومحاولة التغلب على ذلك فان يداية
الشعور بالضائقة الاقتصادية وارتفاع الاسعار يكون عادة فى الفسطاط والقاهرة
وذلك بسبب اعتمادهما على غلات الاقاليم وخاصة الوجه القبلى ،^(٥) وأن كانت
الفسطاط تنزل اخص فى السعر بسبب قرب النيل من الفسطاط فالمراسب
التي تصل بالمحاصيل ترسو هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها * وليس

(١) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٢٢٣ .

(٢) المقرئى : اغاثة ص ١٢ - ١٩ .

(٣) ابن تيميه : الحسبة ص ١٩ - ٢٠ .

(٤) ابن اياس : بدائع ج ١ ص ٥٥ .

(٥) د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٨١ .

يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة (١) .

ويلاحظ من كتابات المؤرخين ان الغلاء لم يكن يشمل الريف الا عند تضافر عوامل نقص الفيضان وانتشار الاوبئة واختلال الامن مثلما حدث فى الشده المستنصرية .

وقد شملت حركة الاسعار كافة السلع سواء الغذائية او غيرها من السلع المعيشية كالامتنع والملابس وان اتسمت كل منها بالتحرك فى اتجاهين متباينين تماما فبينما ترتفع اسعار السلع الغذائية تنحدر قيمه الامتنع وما شابهها ، وذلك بتاثير قوانين العرض والطلب ، فالمعرض من السلع الغذائية يقل ويشتد الطلب عليه ، وهو طلب بطبيعته غير مرن فترتفع الاسعار ، وبالمقابل تتجه كميات النقود الموجوده بايدى الناس الى شراء الاغذية ويعرض الناس امتعتهم لاجل تايين النقود اللازمة للغذاء ، وامام كثرة المعرض من الامتنع وقله الطلب عليها تنخفض اسعارها ، تلك العلاقة العكسية هى اول ما يميز حركة الاسعار اثناء المجاعات .

١ - السلع الغذائية

تشمل قائمه السلع الغذائية كل ما يحتاجه الانسان لغذائه من ماكل وشراب ، فى كافة صوره سواء كانت محاصيل تحصل من الارض او حيوانات او يدخل فيه العمل الانسانى بالصنعه والتحويل ويمتد ايضا الى الاشربه وخاصة الماء

(١) المقيزى : الخطط ج ١ ص ٣٦٢ .

وما قد يستعمل كدواء اثناء حالات انتشار الأوبئة .

اولا : تطور سعر القمح ومشتقاته :-

يعد القمح الغذاء الرئيسى للسكان وخاصة فى المدن ، وهو اول -
السلع التى تختفى عند استشعار حدوث المجاعة وطبيعى أن يمتد ذلك الى
مشتقات القمح من الدقيق والخبز .

ومعينا بداية أن نصل الى تحديد سعر تقريبي للقمح فى خلال العصر
الفاطمى فى غير اوقات المجاعات ، اذ لم تشر المصادر التاريخيه الى سعر
القمح فى الاوقات العادية ، وان كان لدينا ثلاثة اسعار للقمح أحدهما
قبل العصر الفاطمى والثانى فى العصر الأيوبي والأخير فى العصر المملوكى
السعر الأول ورد فى بردية نشرها Grohmann وترجع الى صفر عام
٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، وهى تتضمن بعض الأسعار الخاصة بسلع اشتراها كاتب
البردية ، يهمننا منها أن متوسط سعر القمح كان $\frac{1}{3}$ ٢ أردب لكل دينار (١) ،
وباستخدام القياس المترى ، نجد ان هذه الكمية توازى ١٢٠٤ ر ٠٠ كيلو جرام .

Grohmann (A.), Arabic Papyri in the Egyptian library, Vol. VI, Cairo 1962, PP. (١)

35 - 36 , Pls. III- IV.

ففى السطر ١٧ بـ $\frac{1}{3}$ ٢ أردب لكل دينار ، وفى السطرين ٢٠ ، ٢١ - $\frac{1}{3}$ ٣ دينار
عن ثمن ٨ أردب وهو ما يعنى أن كل دينار يشتري ٢,٢٨ أردب أى $\frac{1}{3}$ ٢ أردب .
(٢) انظر هنتس (فالتر) : المئابيل والأوزان الاسلامية وما يعاد لها فى النظام
المترى ترجمه عن الألمانية
د . كامل العسلى : عمان ١٩٧٠ ص ٥٤ ، الاراد ب يوازى ١٢٥ ، ٧٣ كيلو جرام .

أما السعر الثاني فقد أورد الميرزى نقلا عن القاضي الفاضل الذى ذكر
أن سعر القمح أثناء شد الرخاء الذى عم البلاد عام ٥٨٧هـ بلغ
مائة أردب بثلاثين دينارا ^(١) . ومعنى هذا أن الأردب الواحد كان بثلاث
دينار أى بنحو ٠٠٤٥ ر من الدينار للكيلوجرام . والسعر الأخير ينقله -
القلقشندي عن كتاب مسالك الأبصار للمقر الشهابي ابن فضل الله ، الذى ^(٢)
ذكر ان اواسط سعر أردب القمح ايامه ١٥ درهما ^(٣) .

وإذا ما أخذنا فى الاعتبار استمرار ارتفاع قيمة الذهب (الدنانير) مقارنة
بالفضة (الدراهم) نتيجة لعامل الندرة ، حيث بلغ سعر الدينار بعد موت
الناصر فرج ثلاثين درهما ، نجد ان سعر الاردب الواحد حوالى نصف دينار ^(٤)
أى ان ثمن الكيلوجرام هو ٠٠٦٨ ر من الدينار .

فإذا اعتبرنا من الناحية الحسابية فقط ان الدينار يوازي مائة قرش فان هذه
الاسعار تكون على النحو التالى :-

١- سعر عام ٢٨٨هـ ٥,٨ ملجم للكيلوجرام (سعر للأجل)

٢ - سعر عام ٥٨٧هـ ٤,٥ ملجم للكيلوجرام

٣ - سعرها قبل عام ٧٤٩هـ ١,٨ ملجم للكيلوجرام

(١) الميرزى : الخطط ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى فضل الله العمرى المتوفى

٧٤٩هـ / ٣٤٩م ومؤلفه هو مسالك الابصار فى مسالك الامطار : انظر : د . احمد

عبد الرازق . دراسات فى المصادر السلوكية المبكرة - القاهرة ١٩٧٤ ص ٤٧ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٧ .

(٤) الميرزى : اغاثه ص ٧٢ .

ويكون متوسط هذا السعر ٥,٧٣ مليا للكيلوجرام الواحد ، وهو لا يتعد كثيرا عن سعر عام ٢٨٨ هـ وهو ما اتخذناه اساسا للسعر العادي اثناء العصر - الفاطمي مع الأخذ بالاعتبار اسعار تحويل الدينار دراهم طوال العصر الفاطمي كما هو مبين بلوحه الاسعار . وباعتبار ان سعر الدينار بالدرهم تراوح ما بين ١٥,٥ درهما و ١٦ درهما فان السعر المعتاد للقمح بالدرهم بالنسبة للكيلوجرام يكون ٠,٩ من الدرهم .

واذا ما بدأنا دراسته تطور سعر القمح قبل العصر الفاطمي فانتبا
سنجد ان سعر الكيلو جرام منه بلغ ٤٩٧ من الدرهم عام ٣٤٣ هـ . ثم^(١)
ارتفع بعد تسعة اعوام اى عام ٣٥٢ هـ الى ٦١٦ من الدرهم وتضاعف ففى^(٢)
المدة من ٣٥٦ - ٣٥٢ هـ ليبلغ ١,٢٣٥ من الدرهم وما ان أصبحت مصر على^(٣)
أعتاب الغزو الفاطمي بلغ سعر الكيلوجرام عند فتح جوهر لمصر عام ٣٥٨ هـ^(٤)
٢,٣٢٥ درهما .

اما فى خلافة الحاكم فان اقصى سعر وصل اليه القمح كان خلال عام ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م^(٥)

-
- (١) ٢,٥ وبيه بدينار . المقرئى : اغانة ص ١١ .
(٢) ٢ وبيه بدينار . المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٣) وبيه بدينار : المصدر نفسه ص ١٢ .
(٤) المقرئى : اعلاظ ج ٢ ص ١٦٨ (٩ اقواح بدينار) .
(٥) المقرئى : اغانة ص ١٦ .

حيث بلغ سعر الكيلوجرام ٧٣٨، من الدرهم ، وكان سعر التسعير الذى قرره
الحاكم فى عام ٣٩٧هـ للكيلوجرام هو ٢٣٥، من الدرهم اى أقل قليلا من
الثك . وبهنا هنا ان نذكر بعبارة للمقريزى وردت عند حديثه عن مجاعات
العصر الاخشىدى (٣٥٢هـ) من ان الاسعار تضاعفت ثلاث مرات عما هى عليه ،
ومع ذلك يبقى هذا التسعير دون مستوى السعر العام حيث ان نسبة التضخم
به تبلغ نحو ٢٦٥% من السعر العادى ، ومعنى ذلك ان معدل التضخم
فى سعر القمح خلال عصر الحاكم يصل الى ٨٢٠% من السعر العادى
واتخذ التضخم فى سعر القمح شكل التضخم الزاحف (Creeping Inflation)^(١)
بمعنى تزايد السعر من فترة لآخرى فى خلال المجاعة التى وقعت فى عهد
الظاهر ٤١٤-٤١٥هـ / ٢٣-٢٤م ففى خلال جمادى الآخر ٤١٤هـ بلغ
سعر الكيلوجرام ١٦٤، من الدرهم وتضاعف بعد نهاية هذا الشهر الى
٣٢٨٢، من الدرهم ثم تضاعف للمرة الثالثة فى ربيع الأول ليصل الى ٤٩٥،
من الدرهم اى ان السعر تضاعف بنسبه ٣٠٠% فى المدة من جمادى الآخر
٤١٤ الى ربيع الأول ٤١٥هـ اى خلال ٩ شهور فقط، وقد ظل هذا السعر

(١) المقريزى: اغاثه ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١١.

(٣) د . رمزى زكى : التضخم فى مصر ص ٢٣.

(٤) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٢-١٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) المقريزى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢.

قائما حتى ١٢ من ذي القعدة فوصل ^(١) سعر الكيلو جرام الى ٥١٢, من الدرهم
ليقفز في ذي الحجة الى ٧٠٧, من الدرهم . ومعنى ذلك أن نسبة التضخم
في سعر القمح خلال عهد الظاهر وصلت الى ٧٨٥% من السعر العادي ^(٢)
اما التسعير الذي عمل به لمدة يوم واحد وهو ١٦ ذي القعدة عام ٤١٥ هـ
فقد جعل سعر الكيلو جرام ٤١٠, من الدرهم اي بنسبه تضخم ٤٥٥% .

اما في خلافة المستنصر بالله فان سعر القمح سجل اعلى معدلات —
التضخم المعروفه في العصر الفاطمي وربما في مصر الاسلامية على الاطلاق
ففي مجامع عام ٤٤٦-٤٤٧ هـ / ١٠٥٤-١٠٥٥ م بلغ سعر الكيلو جرام ٣١٢, ١
درهما اي بنسبه تضخم قدرها ١٤٥٧% في حين ان التسعير الذي طالبت ^(٣)
الدولة ان يبيع التجار على اساسه جعل سعر الكيلو جرام ٤٩٥, من الدرهم
اي ان نسبة التضخم به بلغت ٥٥٠% .

يبدو ان نسب التضخم هذه تتضاءل بجانب ما كان عليه الحال اثناء
الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤ هـ / ١٠٦٤-١٠٧١ م) وان كانت هذه الاسعار
تؤخذ بجانب من الحذر لما في بعضها من مبالغات واضحة خاصة من قبل ^(٤)
المؤرخين المتأخرين . وأقل تقدير لسعر القمح كان عام ٤٦٤ هـ حيث بلغ

-
- (١) السبكي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ .
 - (٢) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٩ .
 - (٣) السبكي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٤-٧٥ ، المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥ .
 - (٤) ابن منجب الصيرفى : الاشارة ص ٤٣ ، المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٢٦ .
 - (٥) المقرئى : اغاثة ص ٢٠ - ٢١ .
 - (٦) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧ .

سعر الكيلو جرام ٤,٠٦٣ درهماً أى بنسبه تضخم قدرها ٤٥١٤,٤ % يليه
تقدير آخر فى نفس العام يجعل سعر الكيلو جرام من ١,١٢٦ درهماً
الى ١٢,١٩٠ درهماً . اما تقديرات الاسعار خلال عام ٤٦١ هـ فتباينته
اقلها يصل بسعر الكيلو جرام الى ١٥,٣١٦ درهماً وقريب منه تقدير ابن الزيات
لسعر النيلو خلال الشدة الستنصرية بـ ١٥,٥٣٥ درهماً أى بنسبه تضخم
تصل الى ١٧٠٧٣ % ثم تقدير آخر يجعل سعر النيلو ١٧,٥٠٤ درهماً
وبالتالى ترتفع نسبه التضخم الى ١٩٤٤٨ % واعلى سعر لنفس العام ورد فى
النجوم الزاهره وهو ٢١,٨٨ درهماً للكيلو جرام . أى بنسبه تضخم قدرها
٢٤٣٢٠ % اما اقصى سعر للكيلو جرام من القمح فقد وصل فى تقديرات البعض
الى ٤٣,٧٦٠ درهماً للكيلو جرام الواحد أى بنسبه تضخم ٤٨٦٤٠ % .
وهذه الاسعار حتى فى حدها الادنى تشكل أكبر نسب التضخم فى اسعار
العصر الفاطمى وهى ولا شك تتناسب مع حالة الانحدار والشلل الكامل الذى
اصاب اقتصاد البلاد والتحلل الذى كف يد الادارة عن التدخل فى الاسعار
او القضاء على الفتن والثورات واضطرابات الأمن الداخلى .

-
- (١) المقرزى : اتعاطج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٧٧ .
(٤) المقرزى : اتعاطج ٢ ص ٢٦٧ ، كذلك ورد نفس السعر عند الحديث عن سعر
القمح اثناء الشدة فى المقرزى : اغاثه الامه ص ٢٣ ، الخطط ج ١ ص ٣٣٧ نقلاً عن
الجوانى ، ابن آياس : بدائع ج ١ ص ٦ وهونفس التقدير الذى اورد به ابو المحاسن
لعام ٤٥٩ هـ - النجوم ج ٥ ص ٧٩ .
(٥) ابو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ٨٣ .
(٦) وهو ٢٠٠ ديناراً للاردب - انظر ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٣٤ ،
د . راشد البراوى : حالة مصر ص ٩٤ نقلاً عن النويرى .

(١)

فى مجاعه ٤٩٢هـ / ١٠٣م بلغ سعر الكيلو ٦,٥٦٤ درهما لمدة ٦ اشهر

اى ان نسبة التضخم وصلت الى ٢٢٩٣% وهو رقم يبعث على التشكك خاصه وان البلاد لم تكن فى حالة قحط شديد يضاف الى ذلك البعد الزمنى لابن اياس عن العصر الفاطمى ، ولدينا تقدير آخر لسعر القمح خلال هذه السنه (٢) أورده العلامة المقرئى وهو ٢٨٤، من الدرهم لكل كيلو جرام وتكون نسب التضخم

فى هذه الحالة ٣١٥,٥% فقط أى نحو ثلاثة اضعاف السعر الطبيعى . وقد نزل التسعير (٣) يثمن الكيلو الى مادون السعر العادى فبلغ سعر الكيلو ٠,٦٥ من الدرهم ، والغريب أنه بعد ان تم البيع على اساس هذا السعر للطحانيين فقط منعاً للوساطة ، تسربت كميات الى ايدى الناس فباعوها فى السوق السوداء على ابواب المخازن بسعر ٢١٨، من الدرهم للكيلو جرام اى بأكثر من ثلاثة اضعاف سعر الشراء . وذات السعر كان للكيلو جرام من القمح اثناء مجاعه (٤) ٥٢١هـ / ١٢٢م . ثم تضاعف ذلك الرقم ثلاث مرات فى عام ٥٣٣هـ فبلغ سعر الكيلو ٦٥٦٤، من الدرهم (٦) ووصل الأمر الى حد بيع الغلال الفاسد فى نفس

(١) ابن اياس : بدائع الزهورج ١ ص ٦٣ .

(٢) المقرئى : اغاثه ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦ ، وهو يماثل تقدير القاضى الفاضل لسعر القمح فى عصره -

انظر المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٤ .

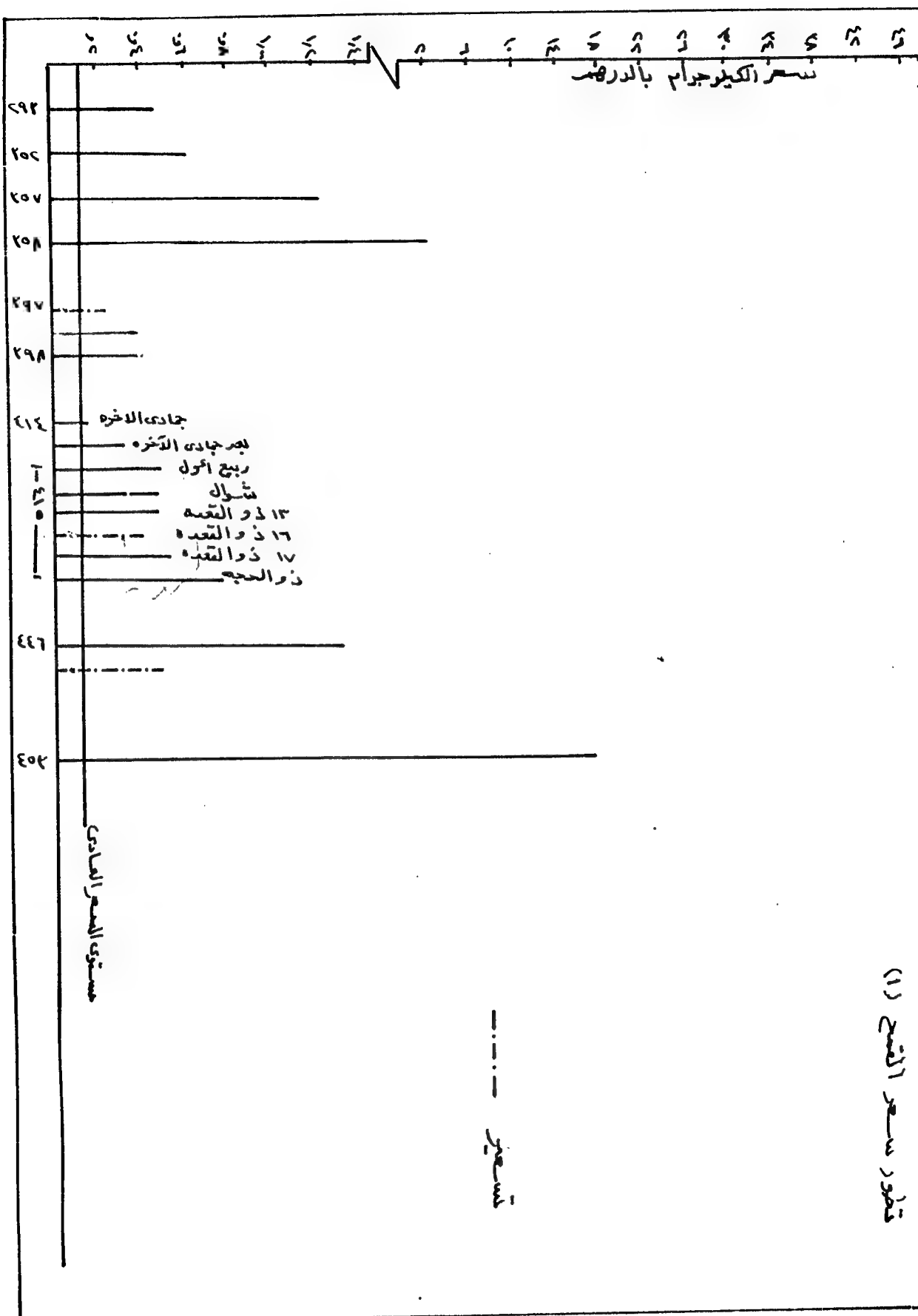
(٤) المقرئى : اتعاظ ج ٣ ص ٦٦ ، ٦٧ هامش ٤ .

(٥) المصدر نفسه ص ١٣٣ .

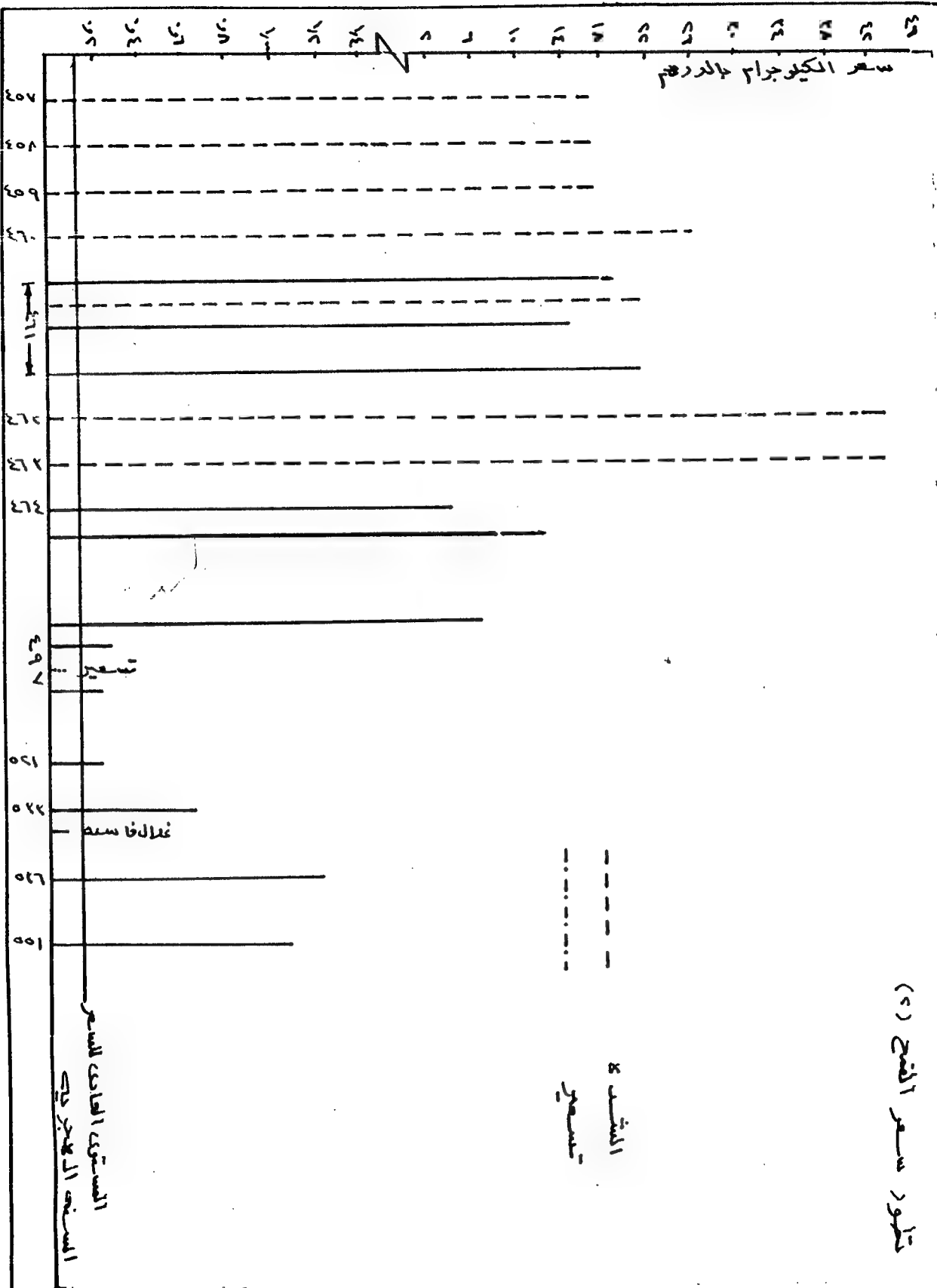
(٦) المصدر نفسه ص ١٦٨ .

تطور سعر الفصح (١)

تسعين



(c) المشاور



(١) العام مع اشتداد الازمة بسعر ٠,٨٧٥٢ درهما للكيلوجرام .

(٢) وواصل التضخم الزاحف لسعر القمح نموه ، فبلغ سعر الكيلوجرام عام ١٤٣٦هـ /

١٤٢-١١م ١,٢٣٠ درهما أى بنسبة تضخم قدرها ١٣٦,٦ % ، وانخفض

عام ١٤٥١هـ الى ١,٠٩٤٠ درهما للكيلوجرام ^(٣) وقلت بالتبعيه نسبة التضخم الى

٠ ١٢١,٥ %

سعر الدقيق :

الدقيق هو طحين القمح ، ولذا فان ارتفاع سعر القمح اثناء المجاعات

يؤدى الى رفع سعره بالتبعيه ، اضافة الى تزايد اجور الطحانين ، باعتبار

العمل المبذول فى الطحن سلعه خاضعه للتغيير ، ولدينا اشارة واضحة

لقيام الطحانين برفع اجور الطحن اذ أخذ الطحانون فى ذى القعدة عام

١٤١٥هـ / ١٠٢٤م " فى طحين القمح خمسة دراهم " ^(٤) وهو ما يعادل سعر

أكثر من ١٠ كيلوجرامات من القمح وقتها (٠,٢١٨ من الدرهم لكل كيلو) .

واذا كانت الدولة تستطيع ان تتحكم فى سعر القمح عن طريق محاصرة

السواحل التى ترد اليها الغله أو البيع من مخازنها بالسعر الذى تحدده ،

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨ .

(٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ .

(٣) المقرئى : اغاثة ص ٢٢ .

(٤) السبجى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٢٣ .

فان التحكم فى سعر الدقيق - مرحلة ما قبل الخبز - كان يتم عن طريق

(١)

قصر بيع القمح للطحانيين والتشديد عليهم بالبيع بالسعر المنخفض .

ولم تشر المصادر التاريخيه الى سعر للدقيق قبيل أو خلال العصر الفاطمى

فى الاوقات العادية وأول ما وصلنا عن أسعار الدقيق كان فى عهد الحاكم

بأمر الله عندما استشعر الناس توقف زيادة النيل عام ٣٩٧هـ ولجؤ الحاكم

الى أخذ ما فى مخازن الغلال والمطاحن والمخابز وتغريغه بالسعر الرسمى ،

(٢)

فبلغ سعر الكيلوجرام من الدقيق فى البداية ٣٧٧ ر من الدرهم . وسرعان

(٣)

ما ارتفع فى نفس السنه ليصل الى ٨ ر من الدرهم . واستمر نفس السعر

(٤)

خلال عام ٣٩٨هـ .

أن العلاقة بين سعر القمح والدقيق خلال هذين العامين تتميز -

بثبات سعر كل منهما سعر الكيلوجرام من القمح كان ٧٣٨ ر من الدرهم

ومعنى ذلك أن سعر العمل اللازم للطحن لكل وحده (كيلوجرام) كان

٠٦٢ ر من الدرهم . أى ان الزيادة فى السعر أقل قليلا من $\frac{1}{12}$ من سعر

(٥)

القمح . وبلغ سعر الدقيق أقصى ارتفاع له فى خلافة الحاكم بأمر الله عام ٤١٠هـ/

٠١٩م فبلغ سعر الكيلوجرام من الدقيق ٢,٣٠٦ درهما وهو سعر مرتفع للغاية

ولكننا فيه أسرى للمقريزى الذى لم يورد أخذ من المؤرخين غيره شيئا آخر

(١) مثلما حدث فى عهد المعز لدين الله عام ٣٥٩هـ والحاكم بأمر الله عام ٣٩٧هـ

٣٩٨هـ - انظر المقريزى : اغاثه ص ١٢ - ١٢ .

(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٦ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها . (٤) المقريزى : اتعاطج ص ٢٤

(٥) المصدر نفسه ص ١١٥ .

عن مجاعه هذا العام .

ولدينا زخم من الاسعار الخاصة بالدقيق نقلها الينا مؤرخ قريب عهد
بالمجاعة التى وقعت فى خلافة الظاهر لاغاز ديين الله فيما بين عامين
٤١٤ هـ ، ٤١٥ هـ وهو المسيحى ، ففى جمادى الآخر ٤١٤ هـ بلغ سعر الكيلوجرام^(١)
من الدقيق ٢٦٦ ر، من الدرهم مقابل ١٦٤ ر، من الدرهم للكيلوجرام — من
القمح أى بزيادة قدرها ١٠٢ ر، من الدرهم أى أن سعر العمل اللازم لطحن
كيلوجرام من القمح كان $\frac{5}{8}$ سعر القمح ثم ارتفع سعر الكيلو فى شوال ٤١٥ هـ^(٢)
الى ٩١٤ ر، من الدرهم مقابل ٤٩٥ ر، من الدرهم للكيلو القمح فى نفس
الشهر وكان سعر الحمل ٤١٩ ر، من الدرهم أى ما يوازى ٨٤,٦ % من سعر
القمح ثم انخفض سعر الدقيق فى ١٣ ذى القعدة عام ٤١٥ هـ فبلغ^(٣) سعر
الكيلوجرام ٥٥٥ ر، من الدرهم مقابل ٤٩٥ ر، من الدرهم للكيلوجرام من الدقيق
وهو نفس سعر القمح فى شهر شوال مما يعنى انخفاض سعر العمل ليصل
الى ٠,٦٠ ر، من الدرهم لكل كيلوجرام من القمح أى بنسبه $\frac{1}{8}$ من سعر القمح
الا أنه نتيجة لمصادره مخازن الغلال وقله المعروض فى الأسواق ارتفع^(٤)
سعر الدقيق فى ١٥ ذى القعدة الى ١,٥٢٣ درهما لكل كيلوجرام وأن لم
يبرد لدينا سعر للقمح فى هذا اليوم ولعل ذلك كان بسبب

(١) المسيحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٢ - ١٣ .

(٢) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٣) المسيحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤ .

(١)

عدم بيع القمح على الاطلاق فى الاسواق .

(٢)

أما السعر الذى قررته الدولة كسعييرة لبيع الدقيق فى ١٦ ذى القعدة
فقد جعل سعر الكيلوجرام من الدقيق ٤٧٤ ر، من الدرهم مقابل ٤١٠ ر، من
الدرهم لنفس المقدار من القمح أى أنه سعر قوة العمل ضمنا بما يسوازي
٠٦٤ ر، من الدرهم لكل كيلوجرام أى نحو $\frac{1}{7}$ من سعر القمح .

الا ان ثمن التسعير هذا لم يعبى به أحد طويلا فواصلت الأسعار ارتفاعها
حتى وصل سعر الكيلوجرام من الدقيق فى شهر ذى الحجة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م^(٣)
الى ٧١١ ر، من الدرهم مقابل ٧٠٧ ر، من الدرهم لنقل الكمية من القمح
ويلاحظ هنا انخفاض سعر العمل الى ٠٠٤ ر، من الدرهم أى حوالى $\frac{1}{175}$
من سعر القمح .

أما أسعار الدقيق خلال الشدة المستنصرية فلدينا منها تقديريين
متباينين وكل منهما لايتعلق بسعر متداول نقديا بالسوق وانما بسعر مقايضه
الأول ورد فى حادثه المرأة التى باعت عقدا من الجوهر قيمه ١٠٠٠ دينار
لتشتري به ٩٧,٥ كيلوجرام من الدقيق (نكيس) وسعر الكيلوجرام فى هذه^(٤)

-
- (١) يذكر المسيحي ان الطحانيين اخذوا فى طحين القمح من القمح فى شهر ذى القعدة
خمسه دراهم ٤٠ ص ٧٢ ولعل ذلك يفسر سر ارتفاع اجر العمل فى هذا الشهر .
- (٢) القرىزى : اتعاض ج ٢ ص ١٦٥ .
- (٣) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٦ ، القرىزى : اتعاض ج ٢ ص ١٦٩ .
- (٤) القرىزى : اغاثه ص ٢٤ .

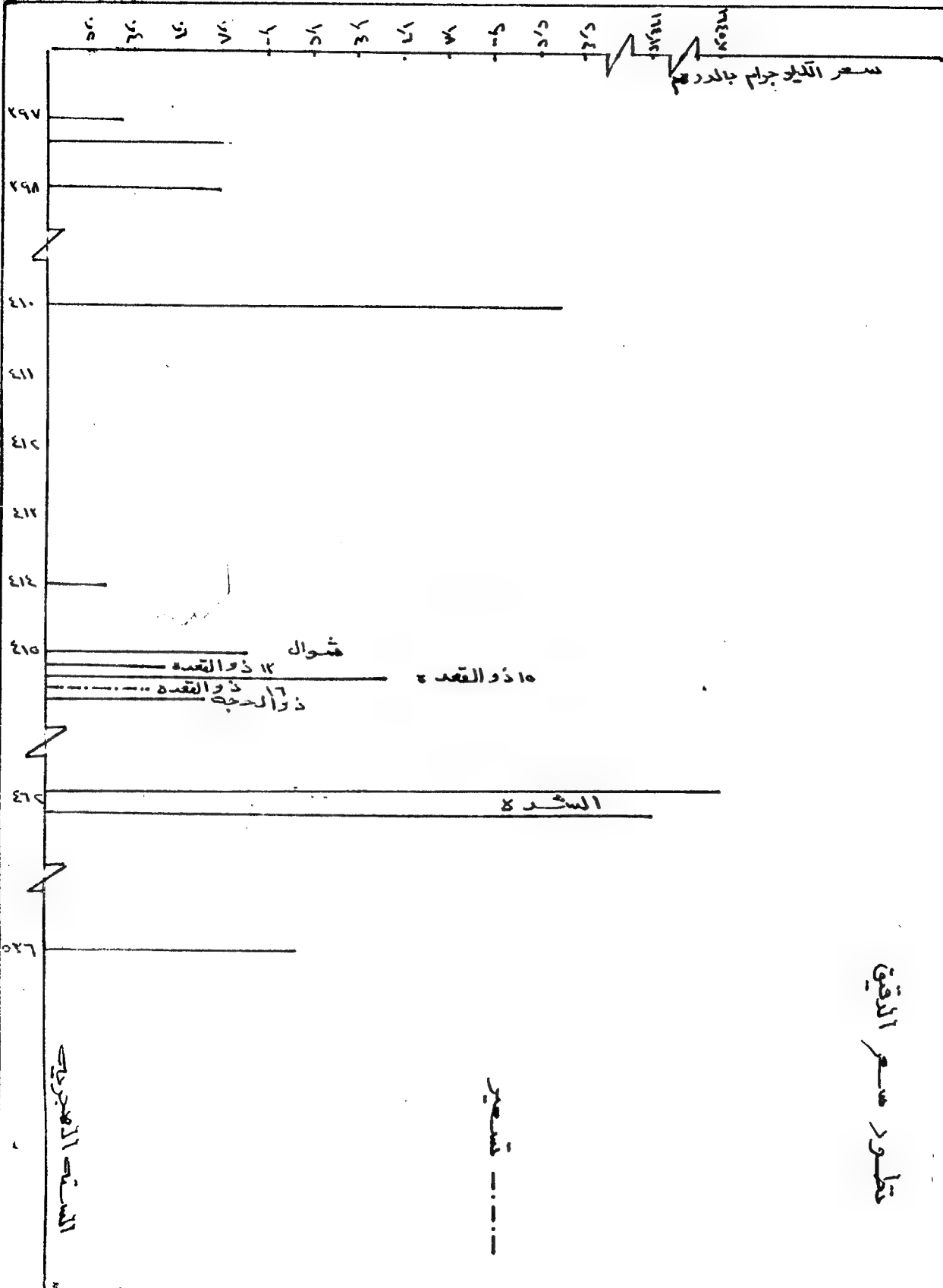
الحالة يبلغ ١٦٤,١٠٢ درهما ، اما السعر الثانى فنجده فى واقعه النقايشه
بمنزل قيمته ٩٠٠ دينار بعشرين رطلا من الدقيق ^(١) (٨,٢٥٠ كيلو جرام) ^(٢) أى
أن سعر الكيلوجرام ١٦٤٥,٧١ درهما . وهى كما نرى ارقام ضخمة تتناسب
مع حجم التضخم الهائل فى أسعار القمح التى أشرنا اليها خلال الشده
المستنصرية . والتقدير الوحيد لسعر الدقيق أثناء الشده العظمى كان لعام
١٦٦٢ هـ وهو يقدر سعر الحملة من الدقيق (١٣٥ كيلو جرام) بثلاثمائة دينار ^(٣)
ومن شأن هذا التقدير أن يجعل سعر الكيلوجرام ٣٥,٥٥٥ درهما .
وآخر أسعار الدقيق فى العصر الفاطمى ورد عند ذكر مجاءه عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م
حين بلغ سعر الحملة (١٣٥ كيلو جرام) ^(٤) ١٥٠ درهما أى أن سعر الكيلوجرام
من الدقيق كان ١,١١١ درهما مقابل ١,٢٣٠ درهما للكيلوجرام القمح
وهو ما يدفعنا الى التشكك فى صحة هذه الأرقام اذ ليس من المعقول أن
ينخفض سعر الدقيق عن سعر القمح اللهم الا اذا وضعنا فى الاعتبار

-
- (١) أبو المحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٧ .
(٢) هنتس (فالتر) : المكايل والأوزان الاسلامية ص ٣١ .
(٣) ابن الجوزى : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧ .
(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ .

تطور سعر المقيق

تسعين

المساحة المبرورة



(١) أن سعر بيع القمح كان يشمل العبوة أو الجوال الذى يوضع فيه .

الخبز :

كان اختفاء الخبز هو أقبح مظاهر المجاعة التى تمس الناس مباشرة ، حيث يتزاحم الناس على الأفران بغية الحصول على احتياجاتهم ويكثر التلاعب فى أسعاره عن أى سلعة أخرى وذلك لتعدد هذه الطرق فانتقل الخبز من الأفران الى دكاكين بائعى الخبز كان يزيد من كلفته نتيجة لزيادة هوامش الربح الخاصة بتجار الخبز فضلا عن أجره الأفران . ولما كان الخبز يباع وقتها بالوزن فان الأفران كانت تلجأ الى الغش عن طريق اخراج الخبز قبل نضجه مما يزيد من نسبة الماء به فيزيد وزنه ، وفى بعض

(١) ذكر المسيحي ان سعر القمح فى شوال ١٥٤١ هـ كان ثلاثة دنانير للتليس غير ثمن التليس ، ج ٤٠ ص ٦٧-٦٩ . ويستبعد هنا ان يكون سبب ارتفاع سعر القمح عن الدقيق هو عادة اهل مصر فى استعمال القمح لعمل الفزر الابيض الأمر الذى كان يؤدى الى ارتفاع أسعاره ، اذ ان ارتفاع السعر رهن بقوانين العرض والطلب وليس الاستخدام . انظر المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٦٨ .

(٢) كان للخبز دكاكين يباع فيها وكان لبائعى الخبز عريف يعاون المحتسب أنظر : المقريزى : أغاثه ص ١٨ - ١٩ .

(٣) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٥ - ١٦ ، المقريزى : انماط ج ٢ ص ١٣٥ وكانت الأفران تجد فى ازدحام الناس وتكالبهم سببا يدعوهم الى ذلك .

(١)
الأحوال كان الخبازون يخلطون الخبز بالطفل فيزداد سواده • مستغلين في ذلك تكالب الناس على الخبز وسرعه شرائه بعد خروجه من الافران مباشرة ،
اذ أن غش الخبز كان يظهر بشكل واضح بعد ان يبرد الخبز ولذا فان سعر (٢)
الخبز البايث كان دوما أرخص سعرا كما يتضح مما أورده المقرئى نقلا عن (٣)
القاضى الفاضل •

ويلاحظ من كتابات المؤرخين ان الخبز فى مصر كان على نوعين رئيسيين :
النوع الأول : أسمر اللون وهو من دقيق أسمر أقل نقاوه وهو أرخص الأنواع
سعرا ويسمونه بالخبز الاسود ، أو الخشكار أو خبز الافران • (٤) (٥) (٦)
النوع الثانى : وهو الخبز الابيض وهو على نوعين الحوارى ثم السميذ الأكثر (٧)
جودة وشمه أكثر ارتفاعا من سابقة الاسمر ويمكن اعتبار أسعار
الخبز الوارد فى المصادر التاريخيه مشيرة الى خبز الانسرا
الاسمر مالم ينص صراحه على انها تتعلق بالانواع الفاخرة من الخبز
كما فى بعض الحالات •

-
- (١) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٢٢٦ ، المقرئى : اتعاطج ٢ ص ١٦٦ •
(٢) المقرئى : اغاثه ص ١٨ •
(٣) ذكر القاضى الفاضل ان الخبز البايث فى عام ٨٢٠ هـ كان يباع بسعر ستة ارطال
بدرهم - المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٤ •
(٤) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ٢٤ •
(٥) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٧ - ٤٨ •
(٦) المصدر نفسه ص ٤٨ •
(٧) المصدر نفسه ص ٤٨ و ٧٢ •

أما السعر العادى للخبز فى غير أوقات المجاعات خلال العصر الفاطمى فانه كما أورد المقرئى ١٦ رطلا بدرهم وذلك عند حديثه عن الاسعار فى حالة رخاء البلاد عام ٣٩٠هـ / ٠٠٠م أى أن المستوى الطبيعى لسعر الكيلو جرام من الخبز هو ١,٤٢٨ من الدرهم .

تطور سعر الخبز فى العصر الفاطمى :

عندما دخل جوهر مصر عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م كان سعر الكيلو جرام من الخبز يبلغ ٤,٥٧١ درهما أى بزيادة عن السعر العادى تقدر بنحو ٣٢٠٠ % . وإذا (٢)

ما قارنا هذا السعر بسعر الكيلو جرام من القمح فى هذه السنه وهو ٢,٣٢٥ درهما سنجد أن طحن هذه الكمية ثم خبزها تكلف تقريبا مثل السعر أى ١٠٠ % . (٣)

أما أسعار الخبز التى وردتنا عن مجاعات الحاكم بأمر الله فأولها سعر الخبز عام ٣٨٢هـ / الذى يصبح بمقتضاه سعر الكيلو جرام ٥,٧١ من الدرهم أى بنسبه تضخم قدرها ٤٠٢,١ % وخلال المجاعة التى استمرت خلال أعوام ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ هـ اتخذ ارتفاع اسعار الخبز شكل التضخم الزاحف المطرد . ففى بدايه المجاعة عام ٣٩٦هـ / ٥ - ٠٠٦م بلغ سعر الكيلو جرام ٢,٢٨ من الدرهم أى بنسبه تضخم (٤)

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٥٠

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٣١٠

(٣) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٨

(٤) المقرئى : اغاثه ص ١٣٠

(٥) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٦٢٠

قدرها ٦٠% فقط الا ان هذا السعر سرعان ما واصل تضخمه ليصل فى نفس العام^(١) الى ٣٨٠, من الدرهم للكيلوجرام أى بنسبه تضخم قدرها ٢٦٢% من السعر العادى .

وحاول الحاكم أن يوقف هذا التسارع فى ارتفاع الاسعار فقرر فى عام ٣٩٧هـ تسعير الخبز فانخفض نصيب الكيلوجرام من الدراهم الى ١٩٠, من الدرهم أى نصف السعر الذى فى عام ٣٩٦هـ بنسبه تضخم ١٣٣,٥% وجدير بالملاحظة ان هذا السعر ينخفض عن تسعير نفس وحده الوزن من القمح فى هذا العام وهو ٢٣٥, من الدرهم وهو التسعير الذى اقربيا بعد بسبب استمرار انخفاض النيل وارتفاع الاسعار^(٢) . ويبدو أن هذه التسعيرة لم يعمل بها طويلا فقد عاد سعر الكيلوجرام من الخبز الى ما كان عليه فى عام ٣٩٦هـ وهو ٣٨٠, من الدرهم فى نفس عام ٣٩٧هـ وكان سعر الدقيق فى هذه الفترة ٣٧٢, من الدرهم للكيلوجرام أى ان الفارق لم يتعد ٠,٠٣ من الدرهم ومع اقتراب نهاية عام ٣٩٧هـ تضاعف السعر ليصل نصيب الكيلوجرام من الدراهم^(٣) ٧٦١٩, من الدرهم بنسبه تضخم ٥٣٥,٩٠% وهو نفس السعر الذى استمر التعامل به فى عام ٣٩٨هـ^(٤) . وبشكل عام فان الثبات فى أسعار الخبز فى نهاية

(١) المقريزى : اتعاظج ٢ ص ٦٢ .

(٢) المقريزى : اغاثه ص ١٥ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) المصدر نفسه ص ١٦ .

(٥) المقريزى : اتعاظج ٢ ص ٦٩ .

(٦) المصدر نفسه ص ٧٤ .

٣٩٧ هـ ، وعام ٣٩٨ هـ نجده كذلك فى اسعار كل من القمح والدقيق الا ان المثلث للنظر هو انخفاض سعر الكيلو من الخبز (٧٦١ ، من الدرهم) عن سعر الكيلو من الدقيق وهو ٨ ، من الدرهم ، ولعل ذلك الانخفاض يفسر سوء حالة الرغيف وزيادة نسبة الماء فيه أو خلطه بمواد أخرى حتى أسود لونه حسبما يذكر المقرئى (١) ولعل ذلك هو الذى دفع الدولة الى القيام بدور ايجابى فى حصر كميات القمح وتحديد وصولها الى الطحانيين على ان يقوم كل تاجر بأداء قطعيه أو فريضه للمطاحن والمخابز التى قدرت - حاجاتها فى كل يوم (٢)

وكما هو الحال فى اسعار القمح والدقيق فقد أمدنا المسبحى بفيض من الأرقام حول تطور سعر الخبز خلال مجاعه عام ٤١٤-٤١٥ هـ . بدأها بسعر ٩ رجب عام ٤١٤ هـ عند بداية استشعار انخفاض النيل اذ بلغ سعر الكيلو جرام من الخبز (المبلول) غير كامل النضج ٧٦١ ، من الدرهم وانخفض هذا السعر فى جمادى الآخر ليبلغ (٤) ٦٤٢ ، من الدرهم أى بنسبه تخفص قدرها ٤٥٢ % من السعر العادى ويفارق ٣٧٦ ، من الدرهم عن سعر الكيلوجرام من الدقيق فى نفس الشهر .

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) المقرئى : اغاثه ص ١٧ .

(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ١٥ - ١٦ .

(٤) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥ ، المسبحى ج ٤٠ ص ١٢ - ١٣ .

فى ربيع الأول ٤١٥ هـ ارتفع سعر الكيلوجرام^(١) الى ٩١٤, من الدرهم أى نسبه التضخم ارتفعت ٦٤٣% من السعر الطبيعى وفارق ٤١٩, من الدرهم عن سعر الكيلوجرام من القمح فى نفس الشهر . ومنذ رجب ٤١٥ هـ يبدأ^(٢) المسبحة فى التمييز بين أسعار أنواع الخبز الرديئة والفاخرة ، ففى ٤ رجب نجد أن سعر الكيلوجرام من الخشكار (الاسمر) ٤٥٧١, من الدرهم مقابل ٥٧١٤, من الدرهم للخبز الحوارى . أى أن الفارق بين كلا النوعين هو ١١٤٣, من الدرهم واستمر سعر الخبز الخشكار أو خبز الافران على ما هو عليه حتى يوم ٦ رجب ليرتفع بعد ذلك الى ٧٦١٩, من الدرهم^(٣) بينما يصل سعر الكيلوجرام من الخبز الفاخر (السميد) الى ٩١٤٥, ومعنى ذلك ارتفاع الفارق بين السعريين الى ١٥٢٦, من الدرهم . وفى شوال واصل التضخم الزاحف فى أسعار الخبز نموه فوصل سعر الكيلوجرام^(٤) ١,١٤٥٨ درهما (ولعل ذلك كان فى خبز الافران الاسود) ونسبه تضخم قدرها ٨٠٦% من مستوى السعر العادى . وزيادة قدرها ٢٣١, من الدرهم عن سعر الكيلوجرام من الدقيق فى هذا الشهر .

-
- (١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ .
(٢) المسيحي : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٤٧ - ٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٨ .
(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها " كل الانواع عدا السميد وهو افضل من الحوارى " .
(٥) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

فى ١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ سجل السمين الفاخر ارتفاعا جديدا فى سعره فوصل
سعر الكيلوجرام الى ١,٤٢٨ درهما (١) فى حين طرأ على الخشكار انخفاض
طفيف هبط بالسعر الى ١,١٤٢ درهما . الا ان الخشكار أبى سعره الا أن-
(٢)
يلحق بالسمين بعد يومين فى ١٥ ذى القعدة فأصبح ١,٤٢٨ درهما
للكيلوجرام أى بنسبه تضخم قدرها ١٠٠% من السعر العادى وان كان
يقل عن سعر الكيلوجرام من الدقيق فى نفس اليوم بمقدار ٠,٠٩٥ من الدرهم
ولعل فى وصف المسبجى للخبز بأنه أسود اشارة كافية لسوء حالة الرغيف
وخلط دقيقة بمواد أخرى .

(٣)
ولم يتمخض جبل سعر التسعير فى اليوم التالى ١٦ ذى القعدة الا عن فار ،
فاضحى سعر الكيلوجرام ٩١٤ ، من الدرهم أى بنسبه تضخم قدرها ٦٤٣% من
السعر العادى . وقد استثنيت الانواع الفاخرة من التسعير فبلغ سعر
الكيلوجرام من السمين ١,٤٢٨ درهما ومن الحوارى ١,١٤٢ درهما فى ١٧ ذى-
القعدة . (٤) ويبدو أن الالتزام بسعر الخبز الخشكار لم يستمر طويلا فنعرف أن
(٥)
فى ذى الحجه وصل سعر الكيلوجرام من الخبز الى ١,٨٢٨ درهما ونسبه
تضخم ١٢٨٧% ويقارن ١,١١ درهما عن سعر الكيلوجرام من الدقيق فى هذا
الشهر .

-
- (١) المسبجى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٤ .
(٣) المقرضى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥ .
(٤) المسبجى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٧٥ . (٥) المقرضى : اتعاظ ج ١٦٩ ص ٢ .

الا أن هجوم المبيد على الأسواق أدى الى ارتفاع الأسعار مرة أخرى ففى نفس الشهر فبلغ سعر الكيلوجرام ٢,٢٨٥ درهما وارتفعت بالتبعيه نسبته (١) التضخم الى ١٦٠٩% وهى أعلى نسبة فى هذه المجاعة .

وفى اثناء الشدة المستنصرية أوردت مصادر تاريخيه عدة واقعه ببيع رغيف خبز وزنه رطل واحد كبيع الطرق عن طريق المزايدة وان اختلفت ففى تقدير ثمنه ما بين ١٤ درهما (٢) أو ١٤ دينارا (٣) أو ١٥ دينارا (٤) ومعنى ذلك أن سعر الكيلوجرام يكون على التوالى ٣٢ درهما ، ٥١٢ درهما ، ٥٢٨ درهما .

وقد أورد أبوالمحسن سعرا للخبز عام ٤٦٣هـ اثناء حصار ابن حمدان (٥) للقاهرة يصبح بمقتضاه سعر الكيلوجرام من الخبز ٢,٨١٣ درهما أى بنسبته تضخم قدرها ١٩٨٠% من السعر العادى .

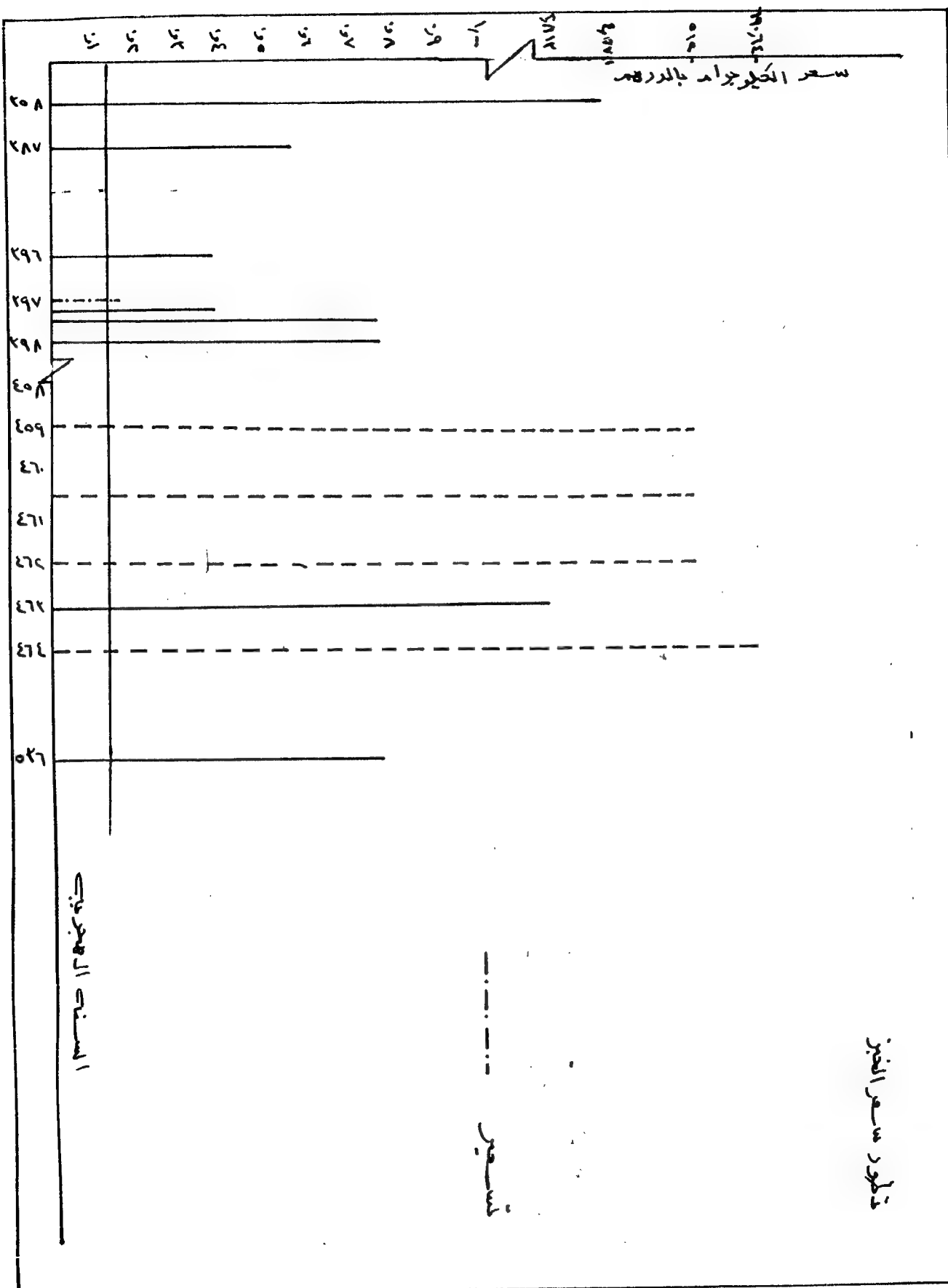
وأخر تقديرات اسعار الخبز فى العصر الفاطمى ترجع الى عام ٥٣٦هـ حيث (٦) بلغ سعر الكيلوجرام من الخبز ٢٦١, من الدرهم أى بنسبه تضخم ٥٣٥% - ويلاحظ على تقديرات الأسعار الخاصة بهذا العام استمرار تناقص نصيب الكيلو

-
- (١) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٨٨ (٢) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٣٤ .
(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٣٢ .
(٤) المقرئى : اغاثه ص ٢٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٦٠ .
(٥) أبوالمحسن : النجوم ج ٥ ص ١٥ .
(٦) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ .

مطلوب سعر الخبز

تسعير

المنتجات المستوردة



١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

رجب
الحرام
الآخرة

013

بعد دہشت

مشاور

٥ ذى القعدة

١٢ ذى القعدة

١٦ ذو القعدة

١٧ ذى القعدة

ذو الحجه

ذو الحجة بعد ١٥ جمادى

١٠٠

انسان کے لئے

است

25

1

سجود

١٣٣٥

جرام من الدرهم من القمح ١,٢٣٠ الى الدقيق ١,١١١ الى الخبز ٧٦١,

والخلاصة :

١ - ان قوائم الأسعار التى تتعلق بمجاعات الحاكم بأمر الله ومجاءه ٤١٤ -

٤١٥ هـ تتسم فى مجملها من حيث النسب بين أسعار القمح والدقيق

والخبز بقدر من الواقعيه يجعلنا أكثر اعتقادا بصحتها مما يشير السى

أقترابها من الحقيقة التاريخيه .

٢ - ان نسب التضخم فى الأسعار فى عصر الحاكم بأمر الله أقل عن مثيلاتها

فى عصر الظاهر لاعزاز دين الله وذلك يعد انعكاسا دقيقا لقوة الادارة

المركزية فى عهد الحاكم بأمر الله وسطوتها وقدرتها على التأثير فى

الحد من ارتفاع الأسعار ، وفى ذات الوقت تأكيد لروايات المؤرخين

عن ضعف الظاهر وانصرافه الى اللهو عن رعاية مصالح المسلمين فضلا

عن اتجاه رجال دولته الى الاتجار بأقوات الشعب .

رغم ان أعلى نسبة تضخم فى سعر القمح فى عصر الحاكم كانت ٨٢٠ % -

من السعر العادى مقابل ٧٨٥ % فى عهد الظاهر نجد أن أعلى نسبة

تضخم فى سعر الخبز فى عصر الحاكم كانت ٣٥,٩ % من السعر العادى

مقابل ١٦٠٩ % فى عهد الظاهر .

ان هذه النسب المتباينه فى سعر القمح وسعره فى صورته النهائية

(الخبز) يعكس طبيعة السياسات التي اتبعها الحاكم بأمر الله والتي ارتكزت على منع الوسطاء من السماسرة والتجار وفرض الرقابة على المطاحن حتى لا يخرج الدقيق منها الا الى الخباز وقد أدت هذه السياسة الرشيدة الى تقليص هامش الربح الناتج عن دخول أكثر من تاجر في عملية تداول السلعة . ويتضح ذلك من الجدول (١) ان لم تتعد نسبة تكلفه تحويل القمح الى خبز وهوامش الربح التجارى ٣٢% من سعر القمح فى خلال عصر الحاكم . وعلى العكس من ذلك نجد ان هوامش الربح قد ازدادت فى مجاعه ٤١٤هـ - ٤١٥هـ وخاصة فى عام ٤١٥ حيث توالى ارتفاعها من ١١٨% ، ١٣١% ، ١٨٨% ثم انخفضت الى ١٥٨% الا أنها سرعان ما عادت الى الارتفاع الى - ٢٢٢% ويدل ذلك التضخم الزاحف على مدى شراسه الدور المخرب الذى لعبه الوسطاء والسماسرة .

٣ - ان التسعير الذى قرره الحاكم بأمر الله وان لم يعد بالسعر الى مستواه العادى الا أنه كان فى حدود أقل من ثلاثة أضعافه وهو سعر الاختناق الأولى فى المجاعات والناجم عن الاحجام عن عرض السلع لمجرد استشعار خطر المجاعه ، وتسعير الحاكم كان ساعيا لخدمه المستلكنين فى حين نجد ان التسعير فى عهد الظاهر وان لم يستمر طويلا - كان مجرد تعديل بسيط فى الأسعار لم يقدم شيئا فعلا على طريق

التاريخ	سعر القمح	سعر الدقيق	سعر الخبز	الفارق	نسبة التضخم
٣٩٢ هـ ٣٩٨ هـ	٧٣٨ ر	٨ و	٧٦١٩ ر	٠٢٣ ر	٢٢ ٪
جمادى الآخر ٤١٤ هـ	١٦٤ ر	٢٦٦ ر	٦٤٢٨ ر	٤٧٨ ر	٢٩١ ٪
ربيع الأول ٤١٥ هـ	٤٩٥ ر	—	١١٤٣ ر	٤١٩ ر	١١٨ ٪
شوال ٤١٥ هـ	٤٩٥ ر	٩١٤ ر	١٤٥٨ ر	٦٥٠ ر	١٣١ ٪
١٣ ذو القعدة ٤١٥ هـ	٤٩٥ ر	٥٥٥ ر	١٤٥٨ ر	٦٥٠ ر	١٣١ ٪
١٤ ذو القعدة ٤١٥ هـ	٤٩٥ ر	٥٢٣ ر	١٤٢٨ ر	٩٣٣ ر	١٨٨ ٪
ذو الحجة ٤١٥ هـ	٧٠٧ ر	٧١١ ر	٨٢٨ ر	١٢٠ ر	١٥٨ ٪

جدول (١) الأسعار بالكيلوجرام للدرهم والفارق ونسبة التضخم بين سعر القمح وسعر الخبز .

التاريخ	السعر للقميـح نسبة تضخمـة للسعر العادي	السعر للدقيق نسبة تضخمـة للسعر العادي	السعر للخبز نسبة تضخمـة للسعر العادي
٣٩٧ هـ	٢٣٥ ر	—	١٩٠ ر
	٢٦٠ ٪	—	١٣٠ ٪
١٦ ذو القعدة ٤١٥ هـ	٤١٠ ر	٤٧٤ ر	٩١٤ ر
	٤٥٥ ٪	—	٦٤٣ ٪

جدول (٢) أثمان التسعير بالكيلوجرام للدرهم ونسب التضخم بها

رفع المعاناة عن الشعب فضلا عن تراخي الحكومة وازدياد سطوة التجار الذين نجحوا في فرض اسعارهم •

ويلاحظ ان الحاكم لم يسعر الدقيق لانه كان غير قابل للتداول في الاسواق بالمرء اذ كان يخرج من المطحن الى المخازن باشراف الحكومة ويظهر من الجدول (٢) ان نسبة السعر العادى في القمح السى تسعير الحاكم كانت ٢,٦:١ وفي الخبز ١,٣:١ في حين انها فى

٤١٥هـ بالنسبة للقمح ٤,٥:١ والخبز ٦,٤٣:١ •

٤ - ان التسعير كان نهاية لمجاعة الحاكم فى عام ٣٩٨هـ فى حين انه (١)

لم يعنى شيئا بالنسبة لمجاعة الظاهر ٤١٤ - ٤١٥هـ •

ثانيا : الشعير والأرز :

كان للأرز الذى يزرع فى دلتا وادى النيل أهمية خاصة فى غذاء المصريين فى المدن كما يتضح من اهتمام المؤرخين بايراد أسعار الأرز وقت الازمات خاصة وأنه كان يمثل بديلا مقبولا للقمح وخاصة فى صورته الأولسى قبل عملية التدزينة وهو الشعير • والارز بطبيعته يحتاج الى ماء وفير لاجل زراعته ولذا فان انخفاض الفيضان كان يعنى فى التحليل النهائى انحسار مساحه الاراضى المزروعه به •

(١) المقرئى : اغاثة ص ١٧ وان لم يورد المقرئى الأسعار •

وأقرب سعر للشعير ورد فى برديه عربية ترجع الى عام ٢٨٨هـ / ٩٠١م وهو يجعل سعر $\frac{1}{2}$ أردب ديناراً واحداً وثلاث (١) وهى كميته توازى بالقياس المترى ١٨٢,٨١٢ كيلو جرام ويكون سعر الكيلو جرام ٠,٠٠٢٤٩ من الدرهم . ولسم يرد الينا سعر الأرز فى الاوقات العادية ان لم يتزامن سعر للأرز مع آخر للشعير حتى تتسنى لنا المقارنه .

(٢) وفى عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م والبلاد تعانى من ضائقه شديده كان سعر الكيلو جرام من الشعير ١,٤٧٩ درهماً أى أن نسبه التضخم تعادل أكثر من ١٩٧ ضعفاً .

(٣) اما فى خلافة الحاكم فقد وصلنا سعر للشعير يرجع الى عام ٣٩٧هـ . وهى

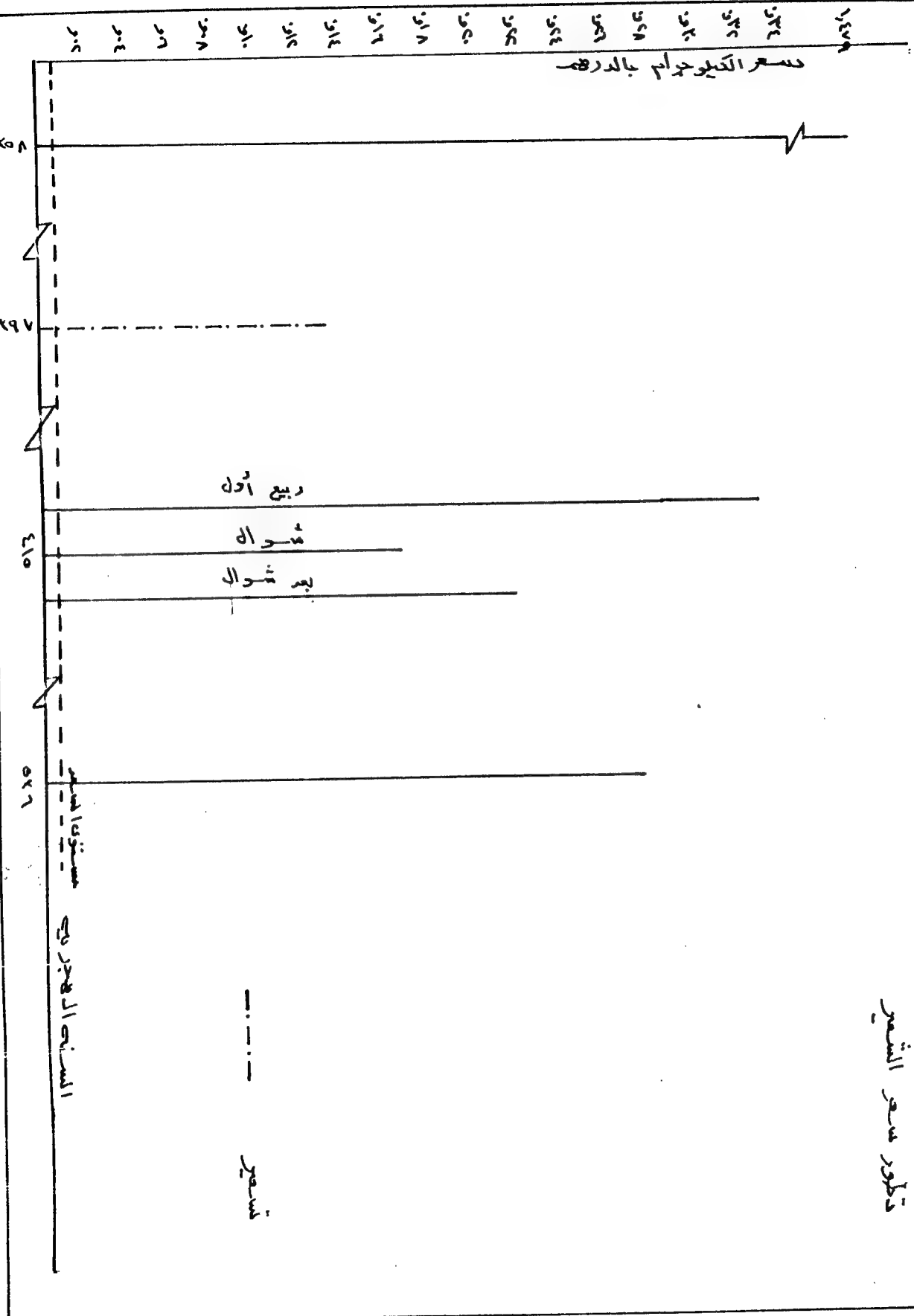
-
- (١) Grohmann (A.); OP. Cit. Vol. VI. PP. 37 - 38. ترجع البردية فيما يبد و لبيع بالاجل وهو ما يعنى ارتفاع السعر نوعاً ما وقد استبعدنا سعر اورد فى بردية ترجع الى القرن ٤هـ ، Vol. V PP. 134 - 136 تجعل سعر الخمس وبيبات يتراوح ما بين دينار ودينار ونصف وقيراط ويكون سعر الكيلو جرام على ذلك ٢٦٢, من الدرهم وهو رقم يرتفع عما ورد من أسعار فى بعض المجاعات بل أنه يرتفع عن ثمن الشعير فى اوائل العصر المملوكى التى اورد ها العمري . حيث كان سعر الأدرج من الشعير ١٠ درهم (القلقشندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٧) وهو ما يجعل سعر الكيلو جرام ١٣٦, من الدرهم ويبدو ان برديه القرن ٤هـ ترجع الى احدى سنوات المجاعة أوربما تكون متعلقة ببيع بالاجل وهو ما يعنى ارتفاع السعر عن المعتاد .
- (٢) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣١ .
- (٣) المقرئى : اغاثه ص ١٥ .

ضمن التسعير الذى قام به الحاكم وهذا التسعير يجعل سعر الكيلو جرام
١٣١٤ ر من الدرهم ونسبه التضخم ١٠٧٥% ووصلنا من نفس السنه سعر آخر
(١)
للارز بعد انهيار هذا التسعير يصبح بمقتضاه سعر الكيلو من الارز ٣١٤٥ ر
درهما • وهو نفس السعر الذى كان قائما مع بداية عام ٣٩٨ هـ •
(٢)
وفى خلال مجاعه ٤١٥ هـ بلغ سعر الكيلو جرام من الشعير فى ربيع الأول ٤١٥ هـ
(٣)
٣٢٨٧ ر من الدرهم وانخفض فى شوال الى ١٦٤ ر من الدرهم ليعاود -
(٤)
الارتفاع بعد شوال الى ٢١٩١ ر من الدرهم وآخر سعر للارز يرجع الى
(٥)
عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م وهو ارز فاسد وصل سعر بيع الكيلو جرام منه الى ٠٢١ ر من
(٦)
الدرهم • وبالمقابل فان آخر سعر للشعير فى العصر الناطق يعود الى عام
(٧)
٥٣٦ هـ وعلى اساسا فان سعر الكيلو جرام يبلغ ٢٧٥٢ ر من الدرهم •

- (١) المقرئى : اغاثه ص ١٥ •
(٢) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ •
() وهى نفس ظاهرة استقرار اسعار ٣٩٧ هـ ٣٩٨ هـ فى اسعار القمح والخبز فى
هذه السنه •
(٣) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٣٢ •
(٤) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ •
(٥) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٧ •
(٦) المقرئى : اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨ •
(٧) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ •

تطور سعر الشعير

سعر التليو حرام بالدرهم



تطور سعر الأرز

سعر التوزيع بالدرهم

١٠
٢٠
٣٠
٤٠
٥٠
٦٠
٧٠
٨٠
٩٠
١٠٠
١١٠
١٢٠
١٣٠
١٤٠
١٥٠

٨٦٠

٧٦٠

٥٦٠

السنة الهجرية

ثالثاً : أسعار اللحوم والحيوانات :-

بعد البروتين الحيوانى أحد المصادر الهامة لغذاء الانسان ، يدل
ان معدلات استهلاكه يمكن ان توفى الى مستوى الدخل فى دول العالم (١)
وماتى البروتين الحيوانى من حيوانات كالبقر والغنم او من الطيور كالحوم
الداجن وميضها (٢) وتتأثر أسعار الحيوانات واللحوم اثناء المجاطات بعدة
عوامل :-

ا - قلة الكلالا الناجم عن عدم وفاء الفيضان او زيادته المفرطة مما يؤدى
الى موت الماشية (٣)

ب - انتشار الأوبئة بين الحيوانات ووفاء اعداد هائلة منها حتى انفسا
نجد الحاكم بامر الله يامر بعدم ذبح الاناث من الأبقار للحفاظ على
نسلها (٤) وكذلك ابنه الظاهر لا عزاز دين الله . (٥)
وذلك للحفاظ على الحيوانات التى كانت تعد أدام رئيسية من أدوات العمل
فى الحقول .

ج - مع تفاقم أزمة المواد الغذائية المزروعة ، تتجه الأنظار الى الثروة

الحيوانية ويزداد الطلب عليها فترتفع الاسعار ويظهر من أسعار

(١) مورلايه (فرانيس) وكولينز (جوزيف) : صناعة الجوع ترجمة احمد حسان
سلسله عالم المعرفة العدد ٦٤ الكويت ١٩٨٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٢) كان فى مصر الفاطمية تربية للدواجن بالمنازل ويدوانها كانت على نطاق واسع
اذ كانت تفرض عليها المكوس انظر : المقريزى : الخططج ١ ص حيث
ذكر ضريبه بيوت الفروج ٣٠ ديناراً .

(٣) كان فى استجار جزء من الارض ضرر للحيوانات لعدم المراى : انظر : احمد
الغزالي : تحفه الخليل ورقة ١٢٣

(٤) د - ماجد : الحاكم ص ٦٤ .

(٥) المقريزى : اتعاظج ٢ ص ١٤٩ .

اللحوم انها كانت تشمل بالأساس لحوم الابقار ولحم الضأن وان سعر
الاخير كان اكثر ارتفاعا بعض الشيء . (١)

ولم يرد في المصادر أسعار للحوم في العصر الفاطمي في حالة الرخاء ، وانما
لدينا سعر يرجع الى العصر المملوكي نقله القلقشندي عن العري (ت ٧٤٩هـ)
وهو يجعل اقل سعر للحوم " الرطل بنصف درهم وفي الغالب اكثر من
ذلك " (٢)

وفي خلافة الحاكم ومع اشتداد المجاعة عام ٣٩٧هـ وصل سعر الكيلو
جرام من لحم البقر ١٥٢ درهما ومن لحم الضأن الى ٢٢٨ درهما (٣) فسارع
الحاكم الى استخدام سلاح التسعير ليصل بسعر الكيلوجرام الى ١١٤ أى
الى النصف من سعر لحم الضأن . (٤) واستمر هذا السعر ثابتا ، كقيسة
السلع خلال عام ٣٩٨هـ^(٥) ويدوان ذلك كان بالنسبة للحوم الضأن اذ ان لحم
البقر كان يباع في عام ٣٩٨هـ بواقع ٥١٦ ومن الدرهم للكيلوجرام (٦) اى ان
النسبة بين سعر لحم البقر والضأن ظلت ثابتة وهى تقريبا نسبة ١ : ٢ وهو
ما يعطى مصداقية أكثر لصحة هذه الاسعار .

(١) المقرئى : اغاثه ص ١٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٧ .

(٣) المقرئى : اغاثه ص ١٦ .

(٤) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٦٩ .

(٥) المقرئى : المصدر نفسه ص ٧٤ .

(٦) المصدر نفسه ص ٧٤ .

أما في أثناء مجاعة ٤١٠ هـ والتي رجحنا أن يكون سببها —
الزيادة المفرطة للنيل الأمر الذي كان يؤدي إلى غرق أراضي الكـ
الخاصة بالمواشي فقد ارتفعت أسعار اللحوم نظرا لندرة غذاء الحيوانات
فوصل سعر الكيلوجرام منها إلى ٦٦٧ درهما (١)

ونظرا لانخفاض النيل عام ٤١٤ هـ وتفشي الأوبئة بين الحيوانات
في نفس العام والعام التالي له فإن أسعار اللحوم سجلت ارتفاعا ملحوظا
أثناء المجاعة التي حدثت في عهد الظاهر. فبلغ ثمن الرأس من البقر
٥٠ دينارا (٢) في شوال من عام ٤١٥ هـ في حين أن سعر الكيلوجرام
من اللحم في هذا الشهر (٣) ٦٨٥ درهما انخفض قليلا في ١٣ ذي القعدة (٤)
ليبلغ ٦٦٧ درهما الكيلوجرام .

وخلال الشدة المستنصرية سجلت أسعار اللحوم أقصى ارتفاع لها
فبلغ سعر الكيلوجرام منها عام ٤٦٤ هـ ٢٦٧٠ درهما في ذات الوقت
اضطر الجوع الناس إلى طبخ جلود البقر مع الكيلوجرام منها بما يسوازي

(١) المقرئى : اتعاظج ٢ ص ١١٥ .

(٢) المقرئى : الخططج ١ ص ٣٥٤ .

(٣) للمقرئى : اتعاظج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) المسبحى : اخبار مصرج ٤ ص ٧٢ .

٢٢٨٥ درهما ،^(١) ونعلم من نص وقفية الحاكم بأمر الله على جامع الازهر عام ٤٠٠ هـ أنه رصد لهذا الجامع من زيت القود في العام الف رطلًا ومثنا رطل ثمنها مع أجره الحمل سبعة وثلاثون دينارًا ونصف ،^(٢) ومعنى ذلك ان مجمل الوزن ٥٢٥ كيلوجراما ثمنها ٦٢٥ درهما أى أن ثمن الكيلوجرام بأجره حملة تبلغ ٢٧ من الدرهم وذ تكون نسبة التضخم في سعر زيت القود ٢٩٤% .

ولمغ سعر الزيت (زيت الطعام فيما يبدو) سعرا خياليا في عام ٤٦٤ هـ^(٣) اثناء الشدة المستنصرية حيث وصل الى ٥٣٤١ درهما ولدينا من عام ٥٣٦ هـ وسعر للزيت الطيب (زيت الزيتون) يجعل ثمن الكيلوجرام ١٦ درهما في الوقت الذى يصل فيه سعر الزيت الحار (بذرة الكتان) ٣٤٢ درهما .^(٤)

خلاصة : اسعار خضروات ومنتجات نباتية :-

بلغ سعر البصل خلال عام ٣٩٧ - ٣٩٨ هـ / ١٠٠٦ - ١٠٠٧ م ٢٢٨٥ درهما للكيلوجرام ،^(٥) اما القلقاس (وهو نبات درنى) قلدينا تقديران مختلفان لسعره خلال عام ٥٣٦ هـ اولهما يجعل سعر الكيلوجرام

(١) المقرئى : اغاثه ص ١٦ .
(٢) د . صلاح البحيرى : عالمية الحضارة لاسلامية ومظاهرها فى الفنون - حوليات كلية الاداب - جامعة الكويت الحولية الثالثة ١٩٨٢ .

(٣) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥ .
(٥) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٧٤ ، اغاثه ص ١٦ .

٢٨٥ ر ٢ درهما (١) والثاني ينخفض به الى ١٤ ر ١ درهما (٢).

اما السكر وهو أحد المنتجات النباتية — فقد ذكر ابن الجوزي أنه كان يباع بوزن الدراهم (٣)، أثناء الشدة المستنصرية وان كان ذلك القول به بعض المبالغ لان السكر ليس طعاما أساسيا كالخبز أو اللحم الا أنه يدل على مدى ارتفاع سعر السكر خاصة اذا ما عرفنا ان متوسط سعر الكيلوجرام من السكر في منتصف القرن الثامن الهجري (٤) في مصر المملوكية كان ٢٤٢ ر درهما. ولم تنجح مخلفات النباتات كالأحطاب والتبن التي يستعمل في اطعام الحيوانات من موجه الغلاء أثناء المجاعات حتى ان الحاكم أمر في عام ٣١٧ هـ بتسعير الحطب (٥) على اساس دينار واحد للعشر حملات أي بواقع ٠.٧٤ ر درهما للكيلوجرام.

اما التبن فقد وصل سعر الكيلوجرام منه في جمادى الآخر ٤١٤ هـ (٦) الى ٠.٨ ر من الدرهم وانخفض قليلا في ربيع الاول ٤١٥ هـ (٧) فبلغ

(١) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٨٥.

(٢) المقرئ : اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧.

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٤٧.

(٥) المقرئ : اغاثه ص ١٥.

(٦) المسبحي : اخبار مصر ج ٤ ص ١٢ — ١٣.

(٧) المقرئ : اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢.

٠٠٦٤ ر من الدرهم وقصد افادتنا وقفية الحاكم على الجامع الازهر
(٤٠٠ هـ) بأن عشر مائة وخمسين حمل تبين ونصف حمل يبلغ ثمانية دنانير
ونصف وثلاث دیناره (١) ومعنى ذلك ان السعر العادى للكيلوجرام من التبغ
٠٠٤٢ ر من الدرهم اى ان نسبة التضخم تبلغ نحو ١٢٠٠ % من السعر
العادى.

وفى الاوقات التى كانت المجاعات مصحوبة بالوباء ، كانت اسعار
الاغذية التى تستعمل كدواء للمرضى تسجل ارتفاعا خاصا من حيث انها
غذائى ودواء بذات الوقت . فالرمان بلغت الثمرة الواحدة منه فى شوال
٤١٥ هـ ٣ دراهم (٢) مع اننا نعرف مما ذكره القاضى الفاضل عن اسعار
عام ٥٧٨ هـ ان المائة حبة من الرمان الجيو كانت بدرهم واحد (٣) وفى
ذات الشهر شوال ٤١٥ هـ وصل سعر البطيخ الهيرلس الواحدة السلى
٣٠ درهما وأوقيه الشراب (الدواء) الى درهم واحد (٤)

سادسا : سعر الماء :

حتى ماء الشرب كانت اسعاره تتعرض للارتفاع اثناء المجاعات متأثرا
فى ذلك بثلاثة عوامل قد تجتمع سويا فى مجاعة واحدة هى :-

(١) د ٠ صلاح البحيرى : عالم الحضارة ص ٨١

(٢) المسبحى : اخبار مصر ج ٤٠ ص ٦٩

(٣) المقرئى : الخطوط ج ٢ ص ٢٤

(٤) المقرئى : اتعاطج ج ٢ ص ١٦٢

١- أولها انخفاض منسوب المياه النيل مما يعنى زيادة الجهود المبذولة لرفع الماء .

٢- قلته حيوانات الحمل كالجمال والبغال بسبب نفوقها أو ذبح بعضها للاكل .

٣- ان الارتفاع العام فى اسعار الماكولات كان يؤدى الى ارتفاع الاجور حتى يتمكن الاجراء من شراء غذائهم .

فى عام ٤١٥ هـ ارتفعت اسعار الماء وذلك على الأرجح يرجع الى العاملين الاخيرين لان الفيضان كان قد وفى فى هذا العام فبلغ سعر راوية البغل (المحمولة على البغل) درهمين وراوية الجمل ثلاثة دراهم (١) .

وارتفعت اسعار الماء خلال الشدة العظمى فبلغ سعر الراوية عام ٤٦١ هـ دينارا واحدا (٢) وبلغ اثناء عام ٤٦٣ هـ ١٣ قيراطا (٣) .

(ب) انخفاض اسعار العقارات والسلع غير الغذائية :

على عكس حال السلع الغذائية كانت ما عداها من الاملاك والسلع التى كانت تعد مخزنا للقيمة كالجواهر والعقارات - يتعرض سعرها لانخفاض السريع فى قيمته حتى اذا ما رغب اصحابه فى عرضه للبيع من أجل

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦ .

(٣) ابوالمحاسن : النجوم ج ٥ ص ١٥ .

النقود لشراء الغذاء لم يجدوا من يشتريه.

ففي ابان مجاعة ٤١٤ هـ - ٤١٥ هـ كانت الثياب والامتعته تعرض

في الاسواق وينادى عليها فلا يوجد من يدفع درهما فما فوقه . (١) وفي

خلال الشدة المستنصرية تعرضت قيمة العقارات للهبوط العنيف ، فأصبح

المنزل يباع مقابل عشرين مكيالا من القمح . (٢) وبيعت في عام ٤٦١ هـ دار

ثمنها ٩٠٠ دينار بأقل من تليس دقيق (التليس ٩٧٥ كيلوجرام) وفي نفس

العام بيعت حمارة بمصر (الفسطاط) بطبق خبز حسابا عن كل دار غيف

فصارت تعرف بحاره الطبق حتى دثرت فيما دثر من خطط مصر . (٣) ويذكر

أن امراء خرجت تروم بيع جواهرها فلم تجد من يشتريها فألقت بهـ

في الطريق فلم يلتفت اليها أحد . (٤) .

وتحفل مصادر تاريخية شتى بأوصاف لاحصر لها لما أخرج من خزائنه

المستنصر من كنوز على يداين حمدات بأسعار نورد منها أن سبعة أمداد

من الزمرد تقدر قيمتها بـ ٣٠٠.٠٠٠ دينار (٥) بيعت بخمسمائة أى $\frac{1}{٦٠٠}$ من

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢ ، الخطط ج ١ ص ٣٥٤ .

(٢) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٠٥ .

(٣) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٤) البوالمحسن : النجوم ج ٥ ك ١٧ .

(٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤١٤ .

قيمتها وبيع عقد جوهر تقدر قيمته بحوالى ٨٠.٠٠٠ ديناراً بالف دينار (١)
أى بما يعادل $\frac{1}{8}$ من قيمته الحقيقية.
علائقه الاسعار بالروبيات :

من خلال الاستعراض السابق لاسعار المواد الغذائية فاننا يمكن
ان نطمئن الى أن الاسعار المعطاء في عهدى الحاكم والظاهر تتسم
بقدر كبير من التناسق فيما بينها وخاصة ما بين القمح والدقيق والخبز
وعلى الأخص أرقام مجاعة ٤١٤ - ٤١٥ هـ حيث ان مصدرها الرئيسى
كان تاريخ المسبحى القريب عهد بأحداثها.

ولها كانت المصادر التاريخية قد أمدتنا برواتب لبعض الموظفين
في الدولة فانه با مكاننا تلمس مستوى الحياة الاقتصادية لبعض افراد
الطبقات الوسطى والصغيرة في المجتمع المصرى لمعرفة مدى تأثير قوتهم
الشرائية بأسعار المجاعات وتحديد مستوى معيشتها خلال هذه الاوقات
وسنجعل من القمح مرجعنا الرئيسى للاسعار حيث انه اكثر المواد تداولاً
في غذاء الشعب الأساسى.

(١) ابن الزبير: الذخائر والتحف ص ٢٥٣.

ومداية فان متوسط ما يحتاجه الانسان من الجيوب ليقى على قيد الحياة يقدر برطل واحد من الجيوب (١) وهو ما يعادل ٤٣٧ر٥ جرام . واذا ما افترضنا ان الموظف الواحد يعول اسرة تتكون من زوجة وابنتين اى اربعة افراد فان ما يحتاجه يوميا من الجيوب لتأمين حياتهم يبلغ ١٧٥٠ ر لكيلوجرام اى ان حصيلة الكمية الشهرية تبلغ ٥٢ر٥ كيلوجرام .

وسنبدأ برواتب الموظفين بالجامع الازهر الذين حددتهم وقفية للحاكم بامر الله عام ٤٠٠هـ (٢) ولا نعتقد ان هذه المرتبات قد تعرضت للزيادة حتى نهاية العصر الفاطمى حيث انها كانت محددة في وقفية
اولا : خطيب الجامع (٣)

وهو على قمة السلم الوظيفى ومعد من الشرائح العليا للطبقة المتوسطة وراتبه الشهري ٧ دنانير اى ما يوازي ١٦٢ درهما حسب اصلاح النقدي الذي اصبحت بمقتضاه سعر الدينار ١٨ درهما في عهد الحاكم ، ١١٢ درهما حسب سعر الصرف ١٦ درهما للدينار منذ

(١) وهو ما يعادل ١٥٠٠ سعر حرارى - انظر مورلايه (فرانيسيس) : صناعة الجوع ص ١٨ ، ٢٦ وحسب احصاءات الامم المتحدة الاخيرى فان نصيب الفرد من الجيوب فى الدول الفقيرة يوازي ١٣٦ كيلوجراما فى العام اى ٣٧٧ جراما يوميا ، انظر : د . محمد على الفراء : مشكلة انتاج الغذاء فى الوطن العربى : سلسلة عالم المعرفة العدد ٢١ الكويت ١٩٧٩ ص ٢٢

(٢) د . صلاح البحيرى : عالية الحضارة ص ٧٩ ، ٨١ .
(٣) عن الخطيب فى العصر الفاطمى انظر : د . حسن الباشا : الفقهون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية . دار النهضة العربية ١٩٦٥ ج ١ ص ٤٨٦ .

تطور متوسطه سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم إلى نهاية عهد الظاهر جفارا بالمرتبات
 مرتب حبيب الجامع الأرض

لتسكير

مرتب خازن دار العلم

مرتب احماد الصلوة

مرتب الموزينين والعودة والمشرق على الأرض

مرتب فرثا دار العلم

مرتب عامل مسجد

السنة الأخيرة

زور القعدة
 ٢١٥ ربيع الأول

بعض جدران الأرض

جدار الأرض

٢٥٧

٢٩١

سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم

١٧٠
١٦٠
١٥٠
١٤٠
١٣٠
١٢٠
١١٠
١٠٠
٩٠
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠

تطور متوسط سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم بعد عهد الظاهر عقارنا بالمرتبات

سعر احتياجات الأسرة من القمح بالدرهم	١٠٠	١١٠	١٢٠	١٣٠	١٤٠	١٥٠	١٦٠	١٧٠	١٨٠	١٩٠	٢٠٠
مرتب خطيبه الجامع الأزهر											
مرتب خازن دار العلم											
مرتب إمام المدرسة											
مرتب المؤذنين والفقهاء والمشرف على الأزهر											
مرتب فراش دار العلم											
مرتب عامل مسجد											
المسكنة الخيرية	١٥١	١١٥	١٢٢	١٣٦	١٥٠	١٦٣	١٧٦	١٨٩	٢٠٢	٢١٥	٢٢٨

عام ٤٣٦ هـ حتى عام ٤٤١ هـ عندما ضربت دراهم جديدة كل ٣٥ منها
بدينار (١) إلا أن سعر الدينار عاد إلى ١٦ درهما أيام الشدة. (٢)

في خلال اعوام ٣٩٧ - ٣٩٨ هـ يكون سعر ٥٢ كيلوجرام يسوازي
٣٨٦٢٧ درهما من مجمل ١٦٢ درهما هي راتبه الشهري ومعنى ذلك أن
خطيب الجامع الازهر كان في مجاعة ٣٩٧ - ٣٩٨ هـ فوق خط الفقر والحاجة.

أما في مجاعة الظاهر لاعزاز دين الله فان سعر القمح في جمادى
الآخر ٤١٤ هـ يجعل ثمن ٥٢ كيلوجرام يوازي ٨٦١ درهما ومعد
جمادى الآخر يتراوح السعر إلى ١٧٢٢ درهما وفي ربيع الاول ٤١٥ هـ يبلغ
سعر هذه الكمية ٢٦ درهما ٠ وفي اقصى ارتفاع للسعر في هذه المجاعة
في نى الحجه ٤١٥ هـ يصل سعر للكمية اللازمة للأسره شهريا إلى ٣٧١٤
درهما وهذا يظل خطيب الجامع الازهر فوق خط الفقر في عهد الظاهر
لاعزاز دين الله حتى وقت اشتداد الازمات واذا ما توغلنا إلى عهد المستنصر
بالله فان مرتب الخطيب ينخفض إلى ١١٢ درهما لان سعر صرف الدينار
صار ١٦ درهما ٠ في مجاعة ٤٤٦ هـ بلغ سعر ٥٢ كيلوجرام ٦٨٨٨ درهما
أي ان غذاء الحد الأدنى من الحبوب وحده يلتهم اكثر من ٦٠% من اللأب

(١) Balog (P.) History of the Dirham in Egypt from the

Fatimid conquest until the collapse of
the Mamluk Empire, R.N. Vie Série 1976

P. 115.

(٢) المقرئى : الخططج ١ ص ٤١٦.

الشهرى لخطيب الجامع الازهر ، الا ان مجاعة المستنصر الكبيره أدخلت
خطيب الجامع الازهر فى دوامه الفقر ودفعت به الى ما أسفل خط الفقر
فأقل تقدير لسعر القمح وهو فى عام ١٤٦٤ هـ (١) يجعل ثمن هـــــ
الكفيه من القمح يوازى ٢١٣ر٣ درهما ناهيك عن التقديرات المرتفعه
الاخرى ومعنى ذلك أن راتبه يشتري ما يقدر وزنه بـ ٥٦ ر ٢٧ كيلوجرام
اى احتياجات ١٦ يوما فقط ، وفيما عدا الشدة المستنصرية ومجاعة عــــم
١٤٩٧ هـ - التى يبلغ سعر ما يحتاجه من القمح خلالها ٣٤٤ر٦١ درهما
- اى اكثر من ثلاثة اضعاف راتبه الشهرى = يظل فى مقدور خطيب الجامع
الازهر ان يقوم بأعبائه الأسرية فى شراء الغذاء ، هذا اذا لم تتأخر
الدوله او تنقطع عن تسديد راتبه الذى يأتى من أوقاف بعضهـــــ
اطيان زراعيه ، خلال المجاعات والازمات.

ثانيا : امام الصلاه بالجامع الازهر : (٢)

وراتبه دينارين $\frac{2}{3}$ دينار + $\frac{1}{8}$ دينار شهريا فاذا كان

سعر الصرف ١٨ درهما يكون راتبه ٥٠ر٢٥ درهما وفى حالة سعر الصرف ١٦ درهما
يكون ٤٤ر٦٦ درهما مع أقصى سعر للمجاعات عام ١٢٩٧ - ١٢٩٨ يكون ثمن
الـ ٥٢ كيلوجرام ٢٨ر٦٧ درهما اى يتبقى له من راتبه ١١ر٥٨ درهما
لمتطلبات الحياه الاخرى . وظل امام الصلاه فى عهد الظاهر لاعزاز ديسن

(١) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) امام الصلاه هو الذى يؤم المصلين فى الجامع وكانت توليته للوظيفة تصهر عـــن
الخلفاء انظر : د . حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص ١٠٨ .

الله أفضل حالا حيث يصل سعر الكمية المطلوبة لعيش أسرته الصغيره
٤ (٣٧ درهما في حالة أقصى سعر وصل إليه القمح في مجاعة ٤١٤ هـ —
٤١٥ هـ في مجاعة ٤٤٦ هـ كان مرتب امام الصلاة كافيا فقط لشراء احتياجات
٢٠ يوما من القمح تقريبا .

والنسبة لادنى سعر للقمح في الشده العظمى فان راتب
امام الصلاة يكفى فقط لشراء ١١ كيلوجرام تقريبا اى احتياجات أقـل
من اسبوع . وفى ايات ٤٩٧ هـ لم يعد يكفى راتب امام الصلاة الا لشراء
٦٨ كيلوجرام اى احتياجات أربعة ايام فقط ومع ذلك يقلت أامام الصلاة
من خط الحاجه والعوز فى المجاعات الاخرى عدا على ٥٣٦ هـ ٥٥١ هـ ففى
عام ٣٥٦ هـ يبلغ سعر احتياجاته من القمح ٦٤٦ درهما ويغضى مرتبـــــــــه
فقط ما يزن ٣٦٢٨ كيلوجرام اى احتياجات ٢٠ يوما تقريبا من الشهر .
اما فى عام ٥٥١ هـ فان ثمن ما يحتاجه لاسرته من القمح يبلغ ٥٧٤٣ درهما
بينما يغضى راتبه ما يزن ٤٠٨ كيلوجراما اى احتياجات ٢٣٣ يوما من
الشهر .

ثالثا : المؤننون والقوم والمشرى على الجامع :

ويحدد راتبهم بدينارين شهريا أى من ٣٦ الى ٣٢ درهما . لم
يقل أى من هؤلاء الموظفين خلال مجاعات الحاكم من خط الفقر حيث يبلغ
سعر ما تحتاجه أسر كل منهم من القمح ٣٨٦٧ درهما ، بينما يكفى مرتب
كل منهم لتأمين ما يزن ٤٨٧٥ كيلوجرام اى احتياجات ٢٧٨ يوما وتعـــــــــدد
هذه الفئات مستفيدة رئيسية من سعر التسعير الذى قرره الحاكم عــــــــام

٤٩٧ هـ. وحيث يجعل هذا السعر ما يحتاجونه من القمح يقدر بـ ١٢٣٢ درهما.

وخلال مجاعة ٤١٤ - ٤١٥ هـ لم تدفع الاسعار بالقوة الشرائية للمؤذنين والقومة إلى قرب خط الفقر الا بعد شهر ذى الحجة عام ٤١٥ هـ حيث بلغت سعر احتياجاتهم ٣٧١٤ درهما واصبح راتبهم قادرا على الوفاء باحتياجات اسرهم لمدة ٢٩ يوما من أيام الشهر.

وفي مجاعة ٤٤٦ هـ في خلافة المستنصر لم يعد المؤذنون والمقومة بقادريين على شراء اكثر من ٣٩ ر ٢٤ كيلوجرام أى احتياجات ١٣٩٣ يوما من الشهر. في ظل أدنى تقدير لأسعار القمح خلال الشدة العظمى لم يعد هؤلاء الموظفون بقادريين على شراء اكثر من ٧٨٢ كيلوجرام وهو ما يمثل احتياجات ٤٥ يوما.

وكان الحال اكثر سوءا بالنسبة لهم في النصف الاول من عام ٤٩٧ هـ حيث أصبحت القوة الشرائية لراتبهم غير قادرة على الوفاء بأكثر من ٤٨٧ كيلو جرام أى احتياجات ٢٧٨ يوما. ولم يكونوا أحسن حالا في عام ٥٣٦ هـ فقد تقلصت قوتهم الشرائية إلى ٢٦ كيلوجرام أى احتياجات ١٤٨٥ ^{يوما} ولم يتغيّر الامر كثيرا في ٥٥١ هـ الذى بلغت قدرتهم فيه على شراء القمح ٢٩٢٥ كيلوجرام أى احتياجات ١٦٧١ يوما.

رابعاً : قيم الميضاء :

وراتبه كما حددته وثيقه الحاكم دينار واحد في الشهر (١٨-١٦ درهم) وهو يقبض في آخر السلم الوظيفي بالجامع الأزهر. وطوال مجاعة ٣٩٧ - ٣٩٨ كان قيم الميضاء أسفل حظ الفقر حيث لم يكن راتبه بقادر على شراء أكثر من ٢٤٣٧ كيلوجرام أى احتياجات ١٣٩ يوم ، ومع عدم قيم الميضاء معنيا بالتسعيرة التى أقراها الحاكم حيث تجعل بمقدوره شراء كل احتياجاته من القمح ببلغ ١٢٣٧ درهما ، وكذا تسعير ٤١٥ هـ فى عهد الظاهر حيث بلغ ثمن احتياجاته ما يوازي ٢١٥٣ من مجمل راتبه ٢٢٥ درهما (سعر الصرف ١٨ درهم) .

واستثناء سعر طم ٥٢١ هـ فان قيم الميضاء منذ عهد الظاهر لا عاز دين الله كان غير قادر على تأمين احتياجات أسرته الاساسية من القمح .

ولدينا رواتب الخازن والفراش بنار العلم التى أنشأها الحاكم فى القاهرة والتى أقر رواتبها منذ طم ٤٠٣ هـ وعطى للمخازن بهذه السداد ٤ دنانير شهريا وللغراش $\frac{1}{4}$ دينار شهريا (١).

(١) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة ص ٣١ ، المقرئى الخطط ج ١ ص ٣٥٩ .

١ - الخازن : (١)

ظل راتب خازن دار العلم يفي باحتياجاته من القمح حتى الشده العظمى ، فان أقل سعر للقمح وقتها كان يتيح له شراء ما يزن ١٥٧٥ كيلوجرام من القمح وهو ما يغطي احتياجات الأسره الصغيره في أيام فقط . ولم يلحق الضرر بعدها بخازن دار العلم الا في النصف الاول من عام ٤٩٧ هـ اذ تقدر قوة راتبه الشرائية خلاله بما يعادل ١٩٧٥ رطل وكفى ذلك القدر باحتياجات ٥٧٥ رطل يوميا .

ب - الفرائش :

يظل راتب الفرائش غير كان لمواجهة متطلبات أسرته من القمح طوال الازمات والمجاعات التي عصفت بمصر الفاطمية باستثناء .

١- اسعار التسعير في ٣٩٧ هـ ، ١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ .

٢- اسعار عام ٥٢١ هـ .

ولم يستفد الفرائش من تسعير عام ٤٤٦ هـ حيث لم يكن راتبه يكفي لشراء اكثر من ٤٠٦٥ كيلوجرام اى احتياجات ٢٣٢٢ يوما .

تلك كانت شريحه من الطبقات الوسطى للمجتمع المصري في العصر

الفاطمي ومدى تأثيرها بالمجاعات ولاحظ انه كلما اقترب الموظف من الاعمال

(١) عن وظيفة الخازن انظر : د . حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١ ص ٤٤٧ .

البدنية او غير الذهنية قل راتبه .

على أنه لا ينبغي أن يتبادر الى الذهن ان ذلك كان حال
كل العالمين بمساجد مصر ، فقد كان بمصر عام ٤٠٣ هـ ثمانمائة مسجد
أحصاها الحاكم كانت لا تتلقى نفقات من الدولة . (١)

وقد ورد في أحد البرديات التي ترجع الى ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م إشارة
إلى خادم بمسجد^(٢) أجره في السنة ثلاثة دنانير ونصف^(٣) لا يستبعد أن
يظل هذا الراتب قائما بالنسبة لقومة صغار المساجد في العصر الفاطمي
٢٥ ره درهما بسعر ١٨ درهما للدينار .

أما الصناع والحرفيون فان أجورهم كانت تتفاوت بحسب العمل الذي
يؤدونه فالخياط كان أجره عن عمل ثوب $\frac{1}{8}$ دينار (درهمان) وعن خياطة
غلاله ارباعه دراهم وربع . (٤)

ومستفاد من بردية عربية ترجع إلى القرن ٣ - ٤ هـ ان أجره بنائين
كانت تبلغ ستة دراهم في اليوم وغداهم درهم واحد وأت ستة من أعوانهم
(رقاصين يعملون مقابل غذاء لهم بدرهم ونصف) . (٥)

(١) ايمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة ص ٣١ .

(٢) عن وظيفة خادم المسجد انظر : د . حسن الباشا : الفنون والوظائف ج ١
ص ٤٤٦ .

(٣) Grohmann(A.), Op. Cit. Vol. II.P. 104, Pl.XIII.

(٤) د . راشد اليراي : حالة مصر ص ١٥٠ .

(٥) Grohmann(A.), Op. Cit. Vol. VI. PP. 81-82, Pl.

وغنى عن البيان مدى ما يمكن أن يصيب هؤلاء الحرفيين من ضرر
من جراء ارتفاع الاسعار خاصة وانهم لم يكونوا يعملون في حرفهم بشكـل
يومي وكانت أعمالهم، وخاصة غير المتعلقة بالغذاء، تتعرض للتوقف أثناء
المجاعات .

تأثير المجامع على السكه الفاطميه

ظلت السكة المستخدمة في مصر طوال عصر الولاة . هي ذات السكة
الاسلامية المتداولة في أرجاء الخلافة الاسلاميه (١)

وكانت قاعده النقد Etalon Monétaire بعد الفتح العربى
هى الذهب ، أى أن مصر كانت تسير على نظام المعدن الفىــــــــــــــــردى
Monometallisme حيث كان للذهب قوة ابراء غير محدوده (٢) حتى
أن المقرزى يذكر أن نقد مصر كان دوما الذهب ، وأن أول ذكــــــــــــــــر
للدراهم الفضة بمصر كان فى أيام الحاكم بأمر الله (٣) ، وهو ما يخالف
الحقيقه ، إذ أن هناك أدله تثبت عكس ذلك سواء فى أوراق الســــــــــــــــبى
العربيه أو صنع السكة الزجاجية فى عصر الانتقال (٤) فقد كانت قاعــــــــــــــــده
النقد هى الذهب ، مع استعمال الفضة والنحاس كعملات مساعدة وخاصــــــــــــــــه
فى الصفقات والمعاملات الصغيره .

ومنذ خلافة هارون الرشيد (١٢٠ - ١٩٣ هـ) كان اسم والــــــــــــــــى
مصر يظهر على السكة وتدعم ذلك الحق بصورة أكثر قوة فى عهد والى مصر
أحمد بن طولون الذى نقش اسمه على السكة بجانب اسم الخليفه العباسى (٥)

(١) د . سیده کاشف : مصرفى عصر الولاة . سلسلة الالف كتاب العدد ٢٤١ .
القاهره - بدون تاريخ ص ٤٨ . وقصد بالسكة " الدينار والدرهم المضمومين
سمى كل منهما سكة لانه طبع بالحديد المعدله وقال لها السكة وكــــــــــــــــل
مسمار عدد العرب سك وقال الفارابى فى ديوان الادب السك المسمار والسكة
يكسر السين سكة الدراهم " المقرزى : الاوزان والاكيال الشرعية - نشره
Rostocku ; Lychn 1800 ص ٣٩ .

(٢) د . عبد الرحمن فهمى : النقود العربيه ماضيها وحاضرها - المكتبة الثقافية
القاهره ١٩٦٤ ص ٢٠ - ٢١ .

(٣) المقرزى : اغاثه الامه ص ٦٤ .

(٤) د . عبد الرحمن فهمى : مجموع النقود العربيه وعلم الفيمات - فجر السكة
العربيه - دار الكتب - القاهره ١٩٦٥ ص ٦٦ .

(٥) د . عبد الرحمن فهمى : النقود العربيه ص ٥٠ - ٥٥ .

ومع استيلاء جيوش الفاطميين على مصر عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، دخلت
سكة مصر طوراً جديداً ، فمن الناحية السياسية حل اسم الخليفة الفاطمى
محل اسم الخليفة العباسى ومن الناحية الدينية ظهرت العبارات التى تشير
الى عقيدة الفاطميين الشيعية مثل " على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين (١)
أما من الناحية الشكلية فقد اتسمت النقود الفاطمية بكمال استدارتها (٢)
ويعد الفتح الفاطمى لمصر تدشيراً جديداً وتأكيداً لعصر سيادة
الذهب الذى كان النقد الرئيسى منذ ما قبل الفتح العربى وحتى قدوم
الفاطميين (٣) وان لم يستمر ذلك طويلاً وقد أفاد الفاطميون من سيطرتهم
على طرق الذهب الاتى من بلدان السودان الغربى أثناء سيطرتهم على
المغرب ، فحصلوا على رصيد ذهبى ضخماً أعطاهم على أعمال الدعوة فى
مصر ثم غزوها حتى أنهم حملوا معهم عدداً ضخماً من الدنانير المغربية
عند فتحهم مصر (٤) وتروى المصادر التاريخية ان المعز لدين الله لما خرج
من المغرب قاصداً مصر سبك من الذهب ثمانمائة راحة وحملها بأحبال على

- (١) Ziya (Ahmed) Catalogue of Islamic Coins.
Constantinople - 1910 .P. 140.
- (٢) Porteous (John): Coins in History London 1969.P.36.
- (٣) يرجع بعض المؤرخين الاقتصاديين ظاهره توفر النقد الذهبى ببلدان
الشرق عامه الى أن ميزان المدفوعات كان يعيل لصالح الشرق الذى كان
يحصل على مبالغ كبيرة من النقود الذهبية خلال عملية التبادل التجارى
مع الغرب - انظر
Ashtor (E.) Les Metaux Précieux et la Balance des
Payements du Proche orient A.la Basse Epoque. Paris
1971. P. 65.
- (٤) لومبار (موريس) : الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية - الذهب الاسلامى
منذ القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى - ترجمة توفيق اسكندر
ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
القاهرة ١٩٦٦ - ص ٦٣.

أربعمئة جمل ، بل وأنه حمل أربعة عشر حملا من الأكسير الجيد الذي
إذا وضع منه قليل على قنا طير نحاس صار ذهباً (١)

وبدل الأمان الذي أعطاه جوهر للمصريين على اضطراب حاله
النقد بالبلاد عند الفتح ، إذ وعد جوهر بتجويد العملة ومنع الغش منها (٢)
ففي سبيل ذلك خصصت الدولة مكانا محددا للصيرفة يسهل الإشراف عليه
سمى برجه الصيارفة بجوار جامع عمرو بالقسطاط (٣) وكان المحتسب يتولّى
معاقبه الصيارفة عند وقوع أى خطأ منهم ، وعندما حاول الصيارف
إثارة الشغب عام ٣٦٢ هـ لتأديب المحتسب لبعضهم ، هدد جوهر بأجراف
رحبة الصيارفة (٤) .

وقد أكد الفاطميون سيادتهم السياسية ، بمنع تداول الدينار
الراضى العباسى ، الذى أنخفض سعره نتيجة لاصرار الدولة على جبايته
الخارج بالدينار المزدى وحده (٥)

(١) ولعل في هذه المبالغة الأخيرة ما يشير الى ضخامة كميات الذهب - انظر :
مجهول : انسان العيون - ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

وقد قد ربح المؤرخين هذه السبائك الذهبية بثلاثة وعشرين مليون
دينار - د . حسن الباشا (وآخرون) القاهرة - ص ٥٣٩ .

(٢) د . عطية مشرفه : نظم الحكم ص ٣٩٥ .

(٣) د . عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ص ٦٥ .

(٤) د . حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ١٨٦ .

(٥) المقرئى : شذو العقود في ذكر النقود - تحقيق محمد السيد على بحس
العلوم - العراف - ط ١٩٦٧ م - ص ٢٧ ، وكانت عملة الفاطميين تضرب
من الدينار وأجزائه ولاحظ كثرة أجزاء الدراهم بها - انظر :

Lane - Pool (S.) The Coinage of Egypt. London.

1979, P. VII.

المجاعات وظاهرة الاكتناز :

ليس الاكتناز الا نوع من أنواع الطلب على النقود ^(١) ، وذلك باعتبار أن الذهب والفضة سلعا لها سعر للتداول في السوق .
وقد كان من جراء ما يصاحب المجاعات من ارتفاع لأسعار السلع الغذائية وهو ما يعنى من ناحية أخرى انخفاض القوة الشرائية للنقود فان الناس كانت تسارع الى اختزان الذهب (الدنانير) خوفا من خسارته وطمعاً في الاستفادة من قيمته بعد انتهاء المجاعات وهو ما يشبه ما يحدث الآن أثناء الحروب من اختزان المعادن النفيسة رغم ارتفاع اثمانها خوفا من قيمة النقد الورقى بعد انتهاء الحرب ^(٢)

وقد ساعد على تفاقم ظاهر الاكتناز تلك الازحاج الهائلة التى كان يجنيها تجار السلع الغذائية - على وجه التحديد - من جراء ارتفاع الأسعار ، فقد كانوا يحوزون حجما ضخما من النقد الذهبى الذى يضطر أصحابه للتخلّى عنه من أجل شراء الطعام ، وبعد انتهاء الأزمة الاقتصادية تستعيد النقود قوتها الشرائية وترتفع قيمتها ، وإذا انطلقت المكتنزات التى كونها الأفراد فى الماضى نحو الانفاق لاي سبب من الأسباب فانها بلاشك

(١) د . رمزى زكى : مشكلة التضخم - ص ٥٥٠

(٢) د . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٢

تمثل اضافة حقيقته لكمية النقود المتداولة ^(١) ولكن درجه تطور المجتمع في فترة الدراسة وطبيعته احتياجات السكان واتجاهات الاستهلاك لم تكن بقادريه على فك جزء كبير من هذه المكتنزات التي ظلت على حالتها كمقنود ومنها ما وصلنا من نقود الفاطميين ، أو في حالات أخرى تحولت الى حلى عن طريق ثقبها . ^(٢) اوسبكها واعادة صياغتها حليا ، كما أن ارتفاع الاسعار كان يدفع أصحاب المكتنزات الصغيره الى فكها . dishoordings وتداولها في السوق مما يزيد الطلب على المعروض من السلع فترفع اسعارها ^(٣) وكانت هذه المكتنزات الصغيره تؤول لصالح اصحاب المكتنزات الكبيره من التجار . وكانت كل مجاعة تحدث تدفع بمزيد من الذهب الى ظلام الاكتئاب خاصه وان الذهب كان يعتبر بالنسبة للدرهم " عمله جيد " ويطبقه لقانون جريشام فان العملة الرديئه (الفضة) طردت العملة الجيده (الذهب) من السوق واخرجتها من دائرة التعامل الدائم . ^(٤)

وقد ادى ازدهار التجارة الخارجية الى تدعيم مركز التجار المالي ومكثهم من الاحتفاظ بثرواتهم وتنميتها حتى أنهم كانوا يعدون قوة تمويليه

(١) د . رمزي زكي : مشكله التضخم - ص ٥٥ .
(٢) توجد قطع عديده بها ثقب مثال ذلك دينار ضرب مصر عام ٣٦٠ هـ ومحفووظ بدار الكتب المصريه سجل ١٣٣٨ (لوجه هـ) ودينار من نفس المجموعه سجل ١٣٧٨ مؤرخ بعام ٣٧٣ هـ ضرب مصر (لوجه ١٣) ودينار ثالثا نشره Miles من ضرب الاسكندرية عام ٥٤٧ هـ . انظر : Miles. (G.) Fatimid Coins, New York -1951, P.48.

(٣) د . رمزي زكي : المرجع السابق ص ٥٥ .
(٤) Ehrenkreutz(A.), Arabic Dinars struck by the Crusaders, Journal of Economic and Social History of Orient Vol. VII Part II. 1964 P. 179.

ضخمه يمكن أن تقوم بتحويل الخليفة نفسه في وقت الازمات حتى أن بعض رجال الدولة اقترح مصادرة التجار اثناء مجاعة الظاهر عام ٤١٥ هـ (١)

وليس من المستغرب ان تكون بداية ظهور قاعدة المعدنيين في مصر تاليه لسلسلة المجاعات التي وقعت في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٧، ٣٩٥ هـ ٣٩٨ هـ) فبعد ارتفاع الأسعار كان يزداد الطلب على الذهب وكلما بلغت المجاعة حدا خطيرا ارتفع سعر الدرهم (٢) وما ارتفاع سعر صرف الدراهم مقارنة بالدينار الى ٣٤ درهما في عام ٣٩٧ هـ (٣) الا الوجه الآخر لارتفاع سعر الدينار نتيجة لزيادة الطلب عليه ولم تكن محاولة الحاكم اقرار سعر صرف رسمي للدراهم وضرب الدراهم الجديدة الجيدة الا محاوله لوقف الطلب على الذهب عن طريق ادخال قاعدة المعدنيين وهو ما سيأتى لاحقا عند الحديث عن النقود الفضية.

ولاشك ان توالى المجاعات في العصر الفاطمي وانخفاض القوى الشرائية للنقود غير مرة أن يدفع بمزيد من الازدحام الى حيوب التجار وهنا تتجاوز النقود وليفتها من مجرد وسيط للتبادل لتصبح مخزنا للقيمة أداة من أهم الادوات التي يستخدمها المجتمع كشكل من اشكال الاحتفاظ بالثروة (٤) وازافة

(١) المسبحى : المصدر السابق ج ٤٠ ص ٨٦.

(٢) Balog (P.), Op. Cit. P. 115.

(٣) كان سعر الصرف في عام ٣٩٥ هـ عندما بدأت المجاعة ٢٦ درهما ارتفاع عام ٣٩٧ هـ الى ٣٤ درهما . المقرئى : اغاثة الامم ص ١٤.

(٤) د . رمزي زكي : المشكلة التضخم ص ٥٥.

الى مكنتزات التجار فان ظهور الوزراء النظام والعسكريين كقوة حاكمة في البلاد واتساع عددهم هم وحواشيهم عن الخيفة وآل بيته واتجاه هؤلاء الى زيادة ثرواتهم بطرق شتى سعيا وراء لتوطيد نفوذهم قد أدى الى زيادة المكنتزات وهو ما تكشف عنه تركمات الوزراء واملاكهم من الذهب والفضة .

وقد خلف الافضل بن بدر الجمالي ٦ مليون دينار عينا و ٢٥٠ ألف دينار دراهم من نقد (١) واستغرق نقل تركته اربعين يوما ووجد بها أيضا ثلاثين راحله احقاق ذهب رمايه مسمار ذهب زنه كل مسمار مائة مثقال وملاذي——ل مذهبه (٢) ، هذا فضلا عما تركه من اواني الذهب والفضة والتي كان —— بينها سبعة مائة طبقت ما بين ذهب وفضة (٣) وصندوقا من كيران فيهم——ا رابر ذهب يرسم النساء ودواء ذهب فيها جوهر ياتنى عشر الف دينار . (٤)

وعندما ألقى القبض على المأمون البطايعي وزير الامر باحكام الله عام ٥١٩ هـ وجد له سبعون سرجا من ذهب منصرع ووجد لاخته الموتى——ج محلى ذهب . (٥)

(١) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ وذكر د . المناوي أن وزن الدراهم كان خمسين اربابا فقط وان الدنانير كانت ٦٢٥٠٠٠٠٠ مليون . انظر الوزارة والوزراء ص ٩٠ .

(٢) مؤلف مجهول : انسان العميون ص ٤٢٨ - ٤٢٩ وذكر المؤلف ان الافضل——ل حصل كل هذه التحف من كنز وجد . { }

(٣) د . المناوي : المرجع السابق ص ٩١ .

(٤) السيوطي : المصدر السابق ج ٢ ص ١١٧ .

(٥) د . المناوي : الوزارة والوزراء ص ٩٢ .

ورغم تدهور سلطان الخفاء الا انهم ظلوا متحفظين بشروات ضخمة
كان من ضمنها المصوغات الذهبية والاواني الفضية والنقود فذلك حتى
من بعد آخر هلفائهم العاضد (١)

ولم يكف التجار بما حصلوا عليه من مكاسب نتيجة لارتفاع الأسعار
بل حصلوا أيضا عن طريق الشراء على ما أخرج من خزانة المستنصر من
التحف والذخائر وخاصة من الذهب والفضة والتي كانت تباع بثمن بخس (٢)
فزدات بذلك مكتنزاتهم • كما حصل العسكريون على جزء من هذين المعدنين
حيث كانت الآلات المصوغة المجراة ، بالذهب تسبك وتفرق عليهم (٣) وكان من
نتيجة الشدة العظمى ان مكتنزات الذهب والفضة التي جمعها الخفاء والفاطيون
خرجت من صورة الخليفة الى فئات كانت قادره على الاكتناز بها حرم السوق
من هذه الأرصده حيث كان في مكة الخليفة سبكها ودفعها الى الاسواق
طالما كانت بحوزته • وما ازدهار صياغة الحلى في القرنين الخامس والسادس
بعد الهجره ١٢/١١ م الا صورة أخرى للتعبير عن مكتنزات الذهب والفضة (٤)

(١) ابوشامه : المصدر السابق ج ١ ص ١٩٤ •

(٢) ابن اياس : المصدر السابق ج ١ ص ٦١ •

(٣) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤١٥ •

(٤) تعود معظم الأمثلة الفاطمية للحلى الموجوده بمتحف الفن الاسلامى الى
القرن ٥ هـ • انظر :

أحمد مدوح حمدى : معدات التجميل بمتحف الفن الاسلامى القاهرة
١٩٥٦ م •

الاتفاق الترفى :

بعد الاتفاق الترفى تعبيرا عن تزايد هجم مكنتزات مياسير التجسار والوزراء وحواشيهم ورجال الجيش الذين افادوا من ضعف سلطة الخليفة وتراخى قبضته السلطة المركزية من بعد خلافة الحاكم بأمر الله .

فقد تركزت ثروات البلاد من عوائد الاراضى والمكوس فى ايدى السوزراء وحواشيهم والجنود فى صورة رواتب نقدية وعينية واقطاعات بينها افاد التجار من استثمار اموالهم فى تجارة العبور المزدهرة ومن المضارب بأقوات الشعب بيل أن بعض الوزراء مارس الاحتكار فى السلع الغذائية مثل افعل الصالح طلائع بن رزيك .

وقد ازداد اتفاق الدولة على الملابس او الكسوات وخيوط الذهب التى كانت تحلى بها هذه المتسوجات الى ٤٣ ألف دينار فى خلافه الامير بأحكام الله (١).

(١) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية من ١٠٠٠ ما كان الحاكم اول من فطن الى خطورة التوسع فى استعمال الثياب الذهبية على رصيد البلاد من الذهب فأمر بالغاء ما يصنع منها سواء كان فى خزائن الكسوات ام مصانع النسيج الحكومية المعروفة بالطراز الشريف . انظر : د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة من ٤٠٠ .

الاتفاق الترفى :

بعد الاتفاق الترفى تعبيرا عن تزايد هجم مكنزات مياسير التجار والوزراء وحواشيهم ورجال الجيش الذين افادوا من ضعف سلطة الخليفة وتراخى قبضته السلطة المركزية من بعد خلافة الحاكم بأمر الله .

فقد تركزت ثروات البلاد من عوائد الاراضى والمكوس فى ايدى الوزراء وحواشيهم والجنود فى صورة رواتب نقدية وعينية واقطاعات بيها افاد التجار من استثمار اموالهم فى تجارة العبور المزدهرة ومن المضارب بأقوات الشعب بل أن بعض الوزراء مارس الاحتكار فى السلع الغذائية مثل افعل الصالح طلائع بن رزيك .

وقد ازداد اتفاق الدولة على الملابس والكسوات وخيوط الذهب التى كانت تحلى بها هذه المنسوجات الى ٤٣ ألف دينار فى خلافة الأمير بأحكام الله (١).

(١) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية من ٥١٠ ربما كان الحاكم اول من فطن الى خطورة التوسع فى استعمال الثياب الذهبية على رصيد البلاد من الذهب فأمر بالغاء ما يصنع منها سواء كان فى خزائن الكسوات ام مصانع النسيج الحكومية المعروفة بالطراز الشريف . انظر : د . عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة . ص ٤٠ .

مجاطات الحاكم بأمر الله والتحول الى قاعدة المعدلين :

عرف الفاطميون ضرب نقود فضية منذ تأسيسهم خلافتهم في أفريقية ،^(١) وهو ما يخالف ما ذهب اليه المقرئ من أن تداول الدراهم الفضية في عصر الحاكم بأمر الله^(٢) ، ويؤكد ما شر عليه من مسكوكات فاطمية قيسام الخلفه الفاطمية في مصر بإصدار عملات فضية منذ عام ٣٦٤ هـ على الأقل^(٣).

وقد أصدر الفاطميون عملاتهم الفضية على أساس الدرهم وأجزاءه من نصف الدرهم وربع الدرهم وثمان الدرهم ، وكان معظم التداول فسي انصاف الدراهم لا الدراهم^(٤) وكانت قيمة الدرهم منخفضة عند الفتح الفاطمي حيث كان سعر صرف الدينار المصري $\frac{1}{15}$ درهما^(٥) مما يدل على أنه كان في حكم العملة المساعدة وظل الأمر كذلك حتى عام ٣٧١ هـ فانخفض سعر الدرهم ليصل إلى عشرين درهما بدينار^(٦) وكانت هذه الدراهم

(١) أنظر ما نشره Balog عن الدراهم وأجزائها في خلافة كل من المهدي بالله والناصر بالله والنور بالله ، وما نشره Miles عن سكة المعز لدين الله الفضية قبل فتح الفاطميين لمصر ،
op. cit. P. 12 .

(٢) المقرئ : أغنية الأمم ص ٦٤ .

(٣) نصف درهم من ضرب مصر . انظر : Miles: Op. Cit. P. 12 .

(٤) محمد أبو الفتح العشي : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٥) المقرئ : شذو ص ٢٧ ، انستاس الكرمل : المرجع السابق ص ٥٨ .

(٦)

Balog: op. cit. P. 115.

تعرف بالقطع أى أنها دراهم غير كاملة لذهاب جزء منها بسبب القطع والمزايدة عن الدراهم الجيدة في الحجم وليس في الوزن^(١).

وكنتيجه لزيادة الطلب على اختزان الذهب يعد مجاعات الحاكم بأمر الله ارتفع سعر الدينار في مواجهة الدرهم منذ بداية المجاعة ففى عام ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م فبلغ في رمضان عام ٣٩٥هـ سنة وعشرين درهماً بدينار^(٢). ومع تفاقم المجاعة وامتدادها في عام ٣٩٧هـ / ٦ - ١٠٠٧م (أى تزايد الطلب على الذهب) تدهور سعر الدراهم ليسل الى ٣٤ درهماً بدينار في ربيع الأول من هذه السنة^(٣).

وقد حاول الحاكم بأمر الله أن يعالج أزمة النقد الذهبى عن طريق تحسين وضع الدراهم الرديئة حتى لا تطرد الدنانير من التعامل بشكل نهائى فأمر بسحب الدراهم القديمة من التعامل والنتيجه ربما يكون قد داخلها شىء من النش في الوزن والعيار وأنزل من القصر عشرين صندوقاً فيها دراهم جدد فرقت في الصيارفه وقرى سجل بمنع المعاملة بالدراهم الأولى

(١) المقرئى : اغاثه ص ٦٥ (٢) ص ٦٥.

(٢) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ٥٨.

(٣) المقرئى : اغاثه ص ٦٥ ، اتعاطج ٢ ص ٦٩ وليس في عام ٣٩٩هـ كما يذكر Balog: Op. Cit. P. 115 الذى اعتمد فيما يبدو على كتاب شذور العقود حيث ورد فيه هذه الأسعار منسوبة الى عام ٣٩٩هـ ولعل تصحيح كلمة سبع الى تسع كان خطأ من الناسخ أو ناشر الكتاب انظر: المقرئى : شذور ص ٢٧.

وترك لمن في يده شيء منها مهلة ثلاثة أيام ليورده إلى دار الضرب أو إلى ذلك الإجراء إلى انخفاض سعر الدراهم القديمة بالنسبة للدراهم الجديدة فبلغت أربعة دراهم بدرهم جديد^(١) وقرر الحاكم أن يكون سعر صرف الدراهم الجديدة ١٨ درهماً بدينار^(٢).

وكان من شأن هذا الإصلاح النقدي الذي رفع من سعر الفضة في مواجهة الدينار بل وقتئذ هذا السعر أن أصبحت مصر تعتمد فـى نقدها على قاعدة المعدنين Bimetallic System^(٣) ولعل الحاكم أراد بهذا الإجراء مواجهة تيار اختزان الذهب وحتى يصبح للبلاد نقد شرعي من الفضة تواجه به أي ازدياد في اتجاهات اكتناز الذهب^(٤) ومن المستبعد أن يكون سبب هذا الإصلاح النقدي هو تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن^(٥) إذ أنه من الملاحظ أن الأزمة النقدية كانت في انخفاض نسبة إبدال الدراهم الناشئ عن تزايد الطلب على الدنانير.

(١) المقريزي : شذور العقود ص ٢٧ - ٢٨ ، أغاثة ص ٦٥

(٢) د . راشد البراوي : المرجع السابق ص ٣٠٥

(٣) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٥٤١

(٤) د . راشد البراوي : المرجع السابق ص ٣٠٥

(٥) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ص ١٦٠

وينقل المقرئ عن المسيحي الذي توفي عام ٤٢٠هـ (١) / ١٠٢٩م
أى فى عهد الظاهر أن الدراهم أصبحت هى نقد مصر والقاهرة والاسكندرية
وأنه أدرك الاسكندرية وأهلها لا يتعاملون إلا بها وسموها الورق (٢).

ولعل فى تلك العبارة ما يؤكد تحول مصر الى قاعدة المعدنيــــــــــــن
وازدیاد تداول الدراهم وتراجع الدينار من المعاملة خاصة بعد مجاعة
٤١٥هـ / ١٠٢٤م.

ورغم ما تشير اليه المصادر من أن مقادير العملة وتغييرها كان
يتم على حسب رأى الامام (٣) إلا أن عامل زيادة الطلب على الذهب
كان يؤدى فى الواقع الى تحسين وضع الدرهم فى مواجهة الدينار فقــــــــــــى
عام ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م كان سعر الفضة ستة عشر درهماً بدينار (٤) وان ذكره
Quatremère. أنه $\frac{1}{4}$ م ١٦ (٥).

وقد ظل الدرهم حتى عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م محافظاً على سعرــــــــــــه
صرف تراوح ما بين ١٦ ، ١٨ درهماً للدينار ومتوسط وزن يتقارب (كان
الوزن يقل بنسبة ١٠% عن الوزن الشرعى) - ورجع ذلك الثبات فى الوزن
ونسب الابدال الى عدم وجود اشارات الى مجاعات حدثت خلال هـــــــــذه
الفترة (٦).

(١) د. عبد المنعم ماجد : المرجع السابق ص ٢١.

(٢) المقرئ : اغاثه ص ٦٥ - ٦٦.

(٣) د. عبد المنعم ماجد : نظم ج ١ ص ١٢٩.

(٤) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٤٧٩.

(٥) Balog: Op. cit. P. 115.

Ibid: PP. 122-3.

(٦)

ثم قام المستنصر في عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م بإصدار نوع جديد من الدراهم كل ٣٥ منها يدينار واحد ولم يفسر المؤرخون سبب هذا الانخفاض المفاجيء في قيمة الدرهم ولكن ذلك بلا شك قد سبب خسارة كبيرة للعامة (١) وقد يكون سبب هذا الانخفاض هو العيار السيء لهذه الدراهم (كما نلاحظ في هذا الجدول) • الا أن دراهم المستنصر الضعيفيه العيار سرطان ما ارتفع سعرها أثناء الشدة العظمى ليلـيـغ ١٦ درهما يدينار (٢) وذلك بسبب تزايد الاتجاه الى اكتناز الذهب والفضة معا •

الخليفه	$\frac{1}{4}$ درهم	$\frac{1}{3}$ درهم	درهم
العزیز	%٨١	%٨٦	%٨٨
الحاکم	%٦٦	%٦٦	%٧٠
الظاهر		%٤٨	
المستنصر (١) قبل ٤٤١هـ		%٤٦,٦	%٤٨
المستنصر (٢) بعد ٤٤١هـ		%٣٤	
العاـضـد	%٢٥	%٢٨,٨	%٣١

عيار الدرهم وأجزائه — نقلًا عن Balog: Op. cit. P. 122.

(١)
Balog: Op. cit. P. 115.
(٢) المقریزی: الخطط ج ١ ص ٤١٦.

وأطراد زيادة الطلب على النقود الذهبية وانخفاض عيار هذه النقود خاصة في عهد الأمر قام الأمر بضرب الفضة السواري المشهوره بالأمريّة (١) وهي ضعيفه العيار (٢) حيث كان معظمها من النحاس وفيها اليسير من الفضة وظلّت هي المتعامل بها حتى استولت دولة بنى ايوب على مملكتى مصر والشام (٣) .

والخلاصه أن تحول مصر إلى قاعدة المعدنين جاء نتيجة لاكتناز الذهب أثناء مجاعات الحاكم المتتاليه وأن سعر الذهب حقق ارتفاعا واضحا بالقياس للدرهم التي قلت بها نسبة الفضة منذ الشدة العظمى وان الفضة زاد التعامل بها حتى أصبحت هي نقد البلاد كما لاحظ المسبحى .

(١) السيوطى : حسن المحاضر ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) محمد أبو الفرج : المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣) المقرئى : إغاثة ص ٦٦ ، الخطط ج ١ ص ١١٠ .

تأثير المجامع على النقد الذهبى (الدينار واجزائه) : —

كان ذهب المعز كهيلا بأن يعطى ايجاء قويا بأن التعامل النقدي في مصر سيظل يعتمد على قاعده المعدن الواحد Monomettalisme التى كان الذهب ركبا الركين منذ ما قبل الفتح الاسلامى ألا أن رياح الأحداث جأت بما لا تشتهى السفن ، إذ سرعان ما تخلت البلاد عن قاعدة المعدن الواحد ، وأصبح التعامل يتم على أساس معدني الذهب والفضة منذ تحولت مصر الى قاعده المعدنين Bimetallic System فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الذى ضرب دراهم جديدة حددت قيمتها بالنسبة للدينار ، فاكسبت الدراهم بذلك الصفة القانونية . (١)

وقد أخذ هذا التحول الجينينى فى النمو طوال العصر الفاطمى وعندما سقطت خلافة الفاطميين كانت الدراهم السود التى فيها قليل من الفضة ومعظمها من النحاس هى السائدة فى التعامل ، وظلت كذلك حتى ضرب محمد الكامل بن العادل الأيوبي الدرهم الكامل فى ذى القعدة عام ٦٢٢ هـ . (٢)

(١) د . حسن الباشا : (وآخرون) : القاهرة ص ٥٤١ .
(٢) المقرئى : أغاثه الإله ص ٦٦ وكانت الدراهم الفاطمية تعرف بالعتيق (القديمة) والورق أما الكاملى " فقد كان ثلثه من النحاس والثلثين من الفضة — انظر المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١ .

ورغم ذلك فان Hennequin يعتقد ان العصر الفاطمي كان
عصر سيادة الذهب في التعامل النقدي^(١) ، كما يرى د. د. عليه القوصي
ان "الدينار الفاطمي ظل محتفظا بمركزه القوي ولم يتأثر بالشده العظمى
أو بالحروب الصليبية" وهذا يرجع في المقام الأول الى قوة اقتصاد مصر الذي
كان يرتكز على تجارة الشرق^(٢).

ورغم الاعتراف بأن الشده المستنصرية وغيرها من الأزمات لم تؤثر
كثيرا في وزن الدينار الفاطمي حيث ظل محافظا على وزن قريب من وزن الدينار
الشرعي^(٣) ، كما نلاحظ في الدنانير المحفوظه بدار الكتب المصرية
وترجع في تواريخ ضربها الى سنوات مجاعات او سنوات لاحقه لها والملحقه
بهذا البحث ، الا أن الامر لم يكن كذلك بالنسبة لعيار الدنانير الفاطميه .
ويستفاد مما ذكره Ehrenkreutz أن الدنانير الفاطميه
المضروبه في مصر فيما بين ٣٥٨ هـ و ٤٨٧ هـ / ٩٦٩ هـ - ١٠٩٤ م تتسم
في مجملها بارتفاع العيار ، فمن بين ١٢٦ قطعه تم فحصها كان هناك

(١) - Hennequin(G.), Points de vue sur L'Histoire Monétaire
de L'Egypte Musulmane au Moyen Age. (AI13, 1977)
P.2.

(٢) د. د. عليه القوصي : تجارة مصر ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٣) الوزن الشرعي للدينار هو ٤٢٥ جرام - د. د. عبد الرحمن فهمي :
مجموعه النقود العربيه ص ٣٠ .

٣ قطع فقط عيارها دون ٩٠٪^(١) أي بنسبة ٢٣٨٪ من عدد القطع التي فحصت . أما دنانير المستنصر المضروبة في مصر فان ٣ قطع من بين ٧٣ قطعه منها يقل عيارها عن ٩٠٪^(٢) (بنسبة ٤١٪) .

وتدهور العيار بشكل واضح في دنانير المستعلى بالله والامير باحكام الله التي تعتبر من أرداد الدنانير التي ضربت في العصر الفاطمي^(٣) وآيه ذلك أن ١٥ قطعه من مجموع ٩١ قطعه تم فحص عيارها (أي حوالي ١٦٪) كان عيارها دون ال ٩٠٪^(٤)

وأجمالا فان من بين ١٤٢ عينة فاطمية ضربت في مصر قبل عام ٤٨٧هـ / ١٠٩٣م كان هناك ١٢١ قطعة (بنسبة ٨٥٪) تبين ان دقة عيارها يزيد على ٩٨٪ بينما نجد أن نسبة ما يزيد عياره عن ٩٨٪ من بين ٩١ قطعه ترجع الى عهد الامر باحكام الله لا تزيد عن ٦٣٪^(٥). ان هذا الانخفاض التدريجي في عيار الدنانير الفاطمية كان أمرا ملحوظا من قبل الحكومة ، التي حاولت فيما يبدو التغلب على هذه المشكلة ، فقد حاول الأفضل بن بدر الجمالي أن "يحرر" عيار الدينار في المحرم من عام ٤١٠هـ / ١٠٩٦م ، الا أن تلك المحاولة وغيرها قد ذهبت أدراج

(١) Ehrenkreutz (A.) Op. Cit. P. 174.

(٢) Ibid . P. 177.

(٣) Ashtor (A.), Op. Cit . P.17.

(٤) Ehrenkreutz (A.).Op.cit. P.177.

(٥) Ibid . PP. 174-177.

(٦) انصاف رياض : الحالة الاقتصادية ص ١٣٦ .

الرياح كما يبدو من هذا الجدول (١) . الذي يوضح نتیجه فحص عيار
دنانير الأمر .

التاريخ	مكان الضرب	نسبه للعيار
٥٠٨ هـ	مصر	٨١ %
٥١٠ هـ	مصر	٨٠ %
٥١٠ هـ	مصر	٨٢ %
٥١٤ هـ	الاسكندرية	أقل من ٥٠ %
٥١٨ هـ	القاهرة	٧٧ %

ان ظاهره انخفاض عيار الدنانير في النصف الأخير من حكم الفاطميين —
وبسبابة النقد الفاطمي الفضي المتداول في الأسواق — يعكس قلة ما يورد
إلى دور الضرب من الذهب ، وقد حاولت دراسات مختلفة أن تتصدى لتفسير
هذه الظاهرة على أساس تأثير مصادر الذهب الفاطمي بعوامل طبيعية —
وسياسية ، مثل نضوب مناجم التعدين (٢) المصرية ، أو قلة الذهب السوار
لمصر من شمال أفريقيا بسبب الانقسام الحادث بين الفاطميين والزيريين —
وقتذاك — أو بسبب الغزوات الهلالية وقطعها طرق القوافل بين الشمال
الأفريقي وجنوب السودان (٣) . ولذا فانه من المفيد أن نشير بشك —

(١) نقلاً عن : Ehrenkreutz (A.), Op. cit. PP. 180-181.

(٢) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٧ .

(٣) لويس (أرشيالد) القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط — ترجمة
أحمد محمد عيسى — النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٠ ص ٣٨٧ .

موجز الى علاقة مصادر الذهب الفاطمي بنقص كميات الذهب اللازمة لضرب
الدنانير .

أ - المصادر المحلية :

اعتمد الفاطميون على جماعات الأرقاء المشتغلين
باستخراج الذهب في إعادة العمل الى بعض المناجم المصرية ، وذلك تحت
إشراف عمال الخليفة ، فعادت المناجم الى ما كانت عليه من ازدهار استغلال
ذهبها في عهد البطالمة . (١) وقد ظلت مناجم وادي العلاقي بالصحرَاء
الشرقية تدر كميات من الذهب حتى القرن ٤هـ / ١٠م ، ولم تقل أهميتها
إلا منذ القرن ٧هـ / ١٣م ، وأصبحت المناجم الأخرى في مصر العليا غير
منتجة ايضا . (٢)

ومعنى ذلك أن مناجم الذهب المصرية وان قل انتاجها في القرن ٤هـ / ١٠م إلا
أنها لم تتوقف عن الانتاج طوال العصر الفاطمي .

المصدر الثاني للذهب المصري كان كنوز فراعنة مصر القديمة . فمنذ
عهد أحمد بن طولون أصبحت أعمال البحث عن الكنوز تتولاها السلطة
الحاكمة . (٣) وفي عهد الحاكم بأمر الله كان الخليفة يأمر باستخراج كنوز
مصر من الآثار القديمة لصرفها على الناس . (٤)

(١) لومبار (موريس) الأسس النقدية ص ٦٢ .

(٢) Ashtor . Op. Cit. P. 16.

(٣) لومبار : المرجع السابق ص ٦٠ وتذكر الروايات التاريخية أن أحمد بن طولون
ضرب دنانيره الإجمدية العالية العيار مما عثر عليه من الذهب في أحـ
المطالب الفرعونية استاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات - القاهرة
١٩٣٩ ص ٧٤ - ٧٥ .

(٤) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٦٢ .

ويبدو ان كميات الذهب التي كان يعثر عليها بلغت حداً رأته معه الدولة تنظيم عمليات البحث ، فتكونت طائفة للمطالبين يترأسها رجل يعرف بأمر المطالبين ويمدنا ناصر خسرو بمعلومات هامة عن هذه الطائفة ورئيسها عام ٤٤١هـ / ١٠٤٩م ، فيذكر أن أمير المطالبين كان يعرف بلقب عمدة (١) الدولة وأنه أوفد على رأس جيش في هذا العام الى حلب ، وأن أمير المطالبين كان عظيم المال والجاه حتى أنه لما قتل أستغرق نقل خزائنه الى خزائن الخليفة شهرين ، ويستفاد مما ذكره الرحالة الفارسي أيضاً أن رجال المطالب من المغرب وديار مصر والشام كانوا مخاضين يتحملون المشاق وينفقون المال الكثير في تلال مصر ومحاجرها لأجل الحصول على الذهب ، الذي كان الخليفة يحصل على خمسة (٢)

ولا ينبغي أن تقلل من قدر ذهب المطالب ، خاصة وأن مقدار ما عثر عليه من الذهب في مقبرة توت عنخ آمون وهو من الفراعنة الضعاف ، كان يقدر بضعف النطاء المدني في البنك الأهلي المصري عند اكتشاف هذه المقبرة في بدايات هذا القرن (٣)

(١) العمدة في اللغة ما يعتمد عليه وقد أضيف إلى هذا اللفظ بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبة مثل عمدة الأحكام وعمدة الأمان وعمدة الأمان وعمدة الملوك والسلاطين انظر : د . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٤٠٨ .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٦٩ .

(٣) لوبيسار : الأسس النقدية ص ٦٠ .

ب - المصادر الخارجية :

كان المعين الأساسى للذهب الفاطمى هو ذهب السودان الغربى من غانا وسلجماسه وكان ذلك الذهب يأتى عن طريق التجارة من الجنوب الغربى لمراكش . (١)

وكانت تجارة الذهب تمر عبر عدة طرق رئيسيه تخرق الصحراء من مراكش وتونس وطرابلس وليبيا الى أعلى السنغال والنيجر وحيـرة تشاد . (٢) وأهم هذه الطرق ثلاثة طرق رئيسية ، الطريق الأول يمر بمدينة سجلماسه التى أسست باقليم تافيللت والطريق الثانى من ورجله الى منحنى نهر النيجر مارا بتيديكت ، أما فى الشرق الى هذين الطريقين فقد قامت الطرق التى تربط ما بين الجريد وطرابلس من ناحية وغدامس وطير والسودان من ناحية أخرى . وقد سيطر الفاطميون على هذه الطرق منذ تأسيسهم الخلافة بأفريقية ، وقضوا على أماره تهرت واحتلوا سجلماسه فأصبحوا سادة طرق الذهب كلها الى أن تمكن الأمويون فى الاندلس من إستعادة الإشراف على الطريق الصحراوى الغربى (طريق سجلماسه) فى القرن ١٠هـ / ١٠م (٣) ثم

Ashtor (A.) Op. cit. P.17.

(١)

ولم تكن غانا هى المنتج للذهب بل كانت هى الوسيط فى نقل الذهب بين منتجيه فى أعلى السنغال وبين شمال افريقيا ، وكان الغانيون يحصلون عليه عن طريق التجارة المامته . Silent - Trade يتبادل الذهب مع الملح والمسابح - انظر : د . ابراهيم طرخان : امبراطورية غانه الاسلاميه القايره ١٩٢٠ ص ٧٠ .

Lewis(B.), The Camb. History . Vol. I. P. 345.

(٢)

(٣) لومبار : الأسس النقدية ص ٦٢ - ٦٣ .

فقد الفاطميون في منتصف القرن ٥هـ / ١١م سيطرتهم على طريق الصحراء الشرقية الكبرى والجريد وطرابلس الذي كانوا ينقلون عبره ذهب السودان الغربى إلى مصر ووقع هذا الطريق في قبضه الزيريين . (١)

الا أن صلة مصر لم تنقطع نهائيا بغضه وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط ، لأن مصر كانت تقع على طريق الحج ، وظلت أهمية مصر قائمه بالنسبة لبلاد غربى أفريقية رغم اضطراب أحوال الشرق منذ أواخر القرن ٥هـ / ١١م . (٢) وظلت غانا المصدر الرئيسى للذهب الذى تضارب منه الدنانير المصرية حتى عصر القلقشندي وابن خلدون في العصر المملوكى . (٣) وكان الحاج من مناطق غرب أفريقيا يحملون معهم الذهب ، وليس من المستبعد ان يقوموا ببيعه في مصر ، وقد قام سلطان مالى منساين موسى باهداء بعض من ممتلكاته الشخصية من الذهب للسلطان المملوكى اثناء مروره بمصر فسمى طريقه للحج عام ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م (٤)

وتشكل التجارة الخارجية مصدرا هاما من مصادر الذهب في العصر الفاطمى ، حيث ازدهرت تجارة العبور (الترانسيت) التى كانت تمر بمصر

(١) Ashtor (A.), Op. Cit. P.17.

(٢) د . ابراهيم طرخان : امبراطوريه غانه ص ٨٤ .

(٣) Ashtor (A.), Op. Cit. P.18.

(٤) Lewis (B.), Islam, Vol. II. P. 22.

وخاصة تجارة الكارم حتى أصبحت هذه التجارة تمثل النشاط الاقتصادي الرئيسى للبلاد وخاصة فى أواخر الدولة الفاطمية ، ومن المعروف ان ميزان المدفوعات التجارى كان يميل لصالح بلدان الشرق العربى على حساب الأطراف الأخرى وخاصة الدولة البيزنطية حيث كان هناك نزيف مستمر من الذهب البيزنطى لصالح الشرق الاسلامى . (١)

والخلاصة أن مصادر الذهب طوال العصر الفاطمى لم يطرأ عليها تغييرات جوهرية تؤدى إلى نقص كميات الذهب بشكل مؤثر ، خاصة وأن الذهب المضروب لم يكن سلعة تستهلك طالما كان يعاد ضربه فى دور الضرب الفاطمية التى تقوم بصهر الذهب وضربه لحساب أصحابه نظير أجر رمزى (٢)

لقد كانت كمية الذهب المتداولة فى السوق المصرية ، وما حمله الفاطميون من ذهب غرب أفريقيا وما كانوا يحصلون عليه عبر طرق الذهب ، بجانب ما يستخرج من ذهب المناجم المصرية وكوز الفراعنة ، وحاصل الفائض فى ميزان التبادل التجارى ، كل كميات الذهب هذه ، كانت كفيلاً بإبقاء مصر على قاعدة المعدن الواحد (الذهب) . ولذلك فأن من المستبعد أن يكون نضوب مصادر الذهب الفاطمى هو السبب الرئيسى وراء تراجع الدينار الذهبى عن موقعه كقوة إبراء غير محدودة ليفسح المجال لظهور الفضة إلى جواره خاصة وأن تحول مصر إلى قاعدة المعدنين تم فى نهاية القرن ٤هـ / ١٠م وقبيل

(١) لوبيار (موريس) : الأسس النقدية ص ٦٨ ، Op. Cit. Ashtor (A.) ، P. 65.

(٢) د . عبد الوهم فهدى : إضافات جديدة فبى مسكوكات الفاطميين مستخرج من مجلة المجمع العلمى المصرى للمجلد ٥٢ — موسم ١٩٧١/٧٠ م حص ٢٠.

النزوات الهلالية بوقت كبير •

ولذا فان البحث يجب أن يتجه الى عوامل داخلية ، أثرت على مركز الدينار الذهبى ، وهى عوامل تتعلق بالمجاطات وما ترتب عليها من ظواهر اقتصادية أهمها اختزان الذهب واستعماله فى أدوات الترف والزينة (١) إضافة الى العوامل السياسية التى نجمت عن المجاطات وعلى رأسها تزايد نفوذ الوزراء والعسكريين •

(١) د • راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٧

أثر العملات التذكارية على الطلب على الذهب :-

ابتدعت الدولة الفاطمية في القاهرة نقوداً تذكارية من معادن وأحجام مختلفة قصد الإنعاش بها على الشعب في بعض المواسم والأعياد وذلك لامتصاص سخط أقدائهم وكسب مودة شعوبهم (١). فمن هذه النقود دنانير الغيرة التي كانت تضرب في العشرة الأخيرة من ذي الحجة بتاريخ السنة التي ركب بها الخليفة وتشمل جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة وهذه جزء من ذلك للوزير وأولاده وأخوته ويبلغ الغيرة التي ينعم بها في أول العام من الدنانير والرباعية والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار (٢).

كما كان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العروس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خرويه وتفرقها على جميع أرباب الرسوم (٣) ثم ارتفع مقدار ما يضرب من هذه الخرايب إلى ألف دينار في عهد المأمون البطائحي تضرب ٢٠٠٠ ر. ٢٠ خرويه (٤).

وكانت هذه النقود التذكارية التي تضرب سنوياً تخرج من دائرة التعامل النقدي لتضاف إلى رصيد الاكتناز سواء كانت بدافع الاحتفاظ بهبة الخليفة

(١) د. حسن الباشا (وأخرون) : القاهرة ص ٥٤١.

(٢) المقرئى : الأوزان والمكييل ص ٥٠ - ٥١.

(٣) المقرئى : المصدر نفسه ص ٥٣ ، الخطط ج ١ ص ٢٦٦.

(٤) انصاف رياض : المرجع السابق ص ١٤١.

على سبيل التبرك^(١) أم بهدف الانتفاع بقيمتها الذهبية خاصة وأن هذه النقود كانت تذهب إلى أرباب الوظائف ممن يحوزون مكتنزات ذهبية أي أنهم لم يكونوا بحاجة إلى فك اكتناز هذه النقود التذكارية.

فعندما كانت قيمة ما يضرب في خمسين العدى ٥٠٠ دينار كان الأفضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتي دينار ويحتفظ هو بالباقي ، وعند تضاعف هذا المقدار إلى ١٠٠٠ دينار لم يزد ما يحصل عليه الخليفة عن ثلثائة دينار وكان الوزير يحصل من نقود الخزانة على ٣٦٠ دينار و ٣٦٠ ربايعا و ٣٦٠ قيراطا وإلى أولاده وأخوته من كل صنف من ذلك خمسون^(٢).

وكان من نتيجة ازدياد الاتجاه نحو اكتناز الذهب في النصف الأخير من عصر الخلافة الفاطمية وقلة كمية الذهب المتداول في الأسواق أن عجزت الخلافة عن الاستمرار في ضرب هذه النقود التذكارية فلم تضرب في فترة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ونسى ذكرها بعد ذلك^(٣).

كما كان سقوط أى جزء من ممتلكات الخلافة في أيدي الصليبيين أو السلاجقة أو النورمانديين يؤدى إلى فقد الدولة لجزء من ذهبها المتداول في هذه الممتلكات

(١) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٥٤٢ .

(٢) المقرئى : الخططج ١ ص ٤٥٠ .

(٣) المقرئى : الأوزان والمكاييل ص ٥٠ - ٥١ .

(٤) المقرئى : المصدر نفسه ص ٥٢ .

سواء استولى عليها الاعداء او قام السكان هناك باكتنازها . (١)

وإضافة إلى تلك العوامل التي أدت إلى ضعف الوارد إلى دور الضرب المصرية من الذهب فان ضعف الخلافة الناطمية العام منذ ما بعد الشدة العظمى أدى إلى إستنزاف جزء من رصيدها الذهبي سواء في شكل أعباء ماليه متزايدة في نفقات مواجهة الحملات الملية أو دفع غرامات للمليين ، (٢) كما أدى إلى فقدان الدولة جزءا من مواردها الذهبية التي كانت تحصل عليها من بيع مهنوجات تنيس للميزنطين والتي كانت تبلغ ٢٠ ألف دينار سنويا وذلك بعد قيام المليونيين بتدمير المدينة ونهبها . (٣)

والخلاصة ان نتائج المجاعات الاقتصادية (ارتفاع الأسعار والاكتناز) والنتائج السياسية (تزايد نفوذ وزراء التعويض والعسكريين) وصياغ أملاك الخلافة وخاصة في الشام ، كلها عوامل أدت مجتمعة إلى قلة الذهب المتداول في الأسواق .

(١) مثاما حدث عند إستيلاء النورمانديين على جزيرة صقلية . د . عبد الرحمن فمهي : إضافة جديدة ص ١٩ - ٢٠ .

(٢) د . حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٥٤٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٥٤٣ .

تأثير المجاط على دار الضرب الفاطمية :

كانت دار الضرب بمصر - الفسطاط - هي دار الضرب الرئيسية في مصر الفاطمية ، وإلى جانبها دار الاسكندرية القديمة . وظهر أن دار الضرب بالفسطاط كانت معطلة عند دخول جوهر لمصر ، إذ أنه أمر بفتح هذه الدار وضرب بها مسكوكات المعز لدين الله . (١)

وإلى جانب دار الضرب بمصر ودار الاسكندرية أنشأ الفاطميون دار ضرب بقوس وأخرى بالقاهرة في أواخر خلافتهم (٢) . فقد رأى الوزير الفاطمي المأمون البطائحي أن تقام بالقاهرة دار الضرب فتم تشييدها في شوال عام ٥١٦ هـ بالقشاشين قبالة بيما رستان قلاوون وعرفت بالدار الأمرية (٣) . ورغم أن هذه الرواية قد توحى بأن النقود الفاطمية لم يرد عليها اسم القاهرة قبل عام ٥١٦ هـ (٤) ، إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك ، فلدينا دينار مؤرخ بعام

-
- (١) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٥٥٢ .
(٢) المقرئ : الخططج ١ ص ١١٠ وذكر المقرئ أن الإشراف على دار الضرب في العصر الفاطمي كان من مهام متولى وظيفة قاضي القضاء أو من يستخلفه أما عن وظائف دار الضرب وطريقة العمل بها فانظر : -
تحقيق ونشر الدكتور عبد الرحمن فهمي لكتاب ابن بكرة الذهبي الكامل : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية - القاهرة ١٩٦٦ م .
(٣) المقرئ : الأوزان والأكيال ص ٤٩ - ٥٥٠ .
(٤) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٨ .

٣٦٢ هـ من ضرب " مدينة المعز " وهي القاهرة ، وهو أول دينار ضربته
المعز بعد انتقاله من المنصورة . (١) كما ظهر اسم المعزية على درهم
مؤرخ بعام ٤٧٠ هـ ، وورد اسم المعزية القاهرة على دينار ضرب في عام
٥٠٨ هـ . (٢)

أما مدينة قوص (٣) بصعيد مصر فقد انشئت بها دار ضرب في عام
٥١٦ هـ بعد أن تولى ولايتها الأمير مؤيد الملك (٤) ، وبدأت إنتاجها
بعد تأسيس دار القاهرة بنحو عظم . (٥)

وإذا كانت الروايات التاريخية تقرن رغبة المأمون في إنشاء دار ضرب
القاهرة بضرورة وجود دار في عاصمة الخلافة وموطن الامامه (٦) . فان ذلك

(١) د . عبد الرحمن فهمي : اضافات جديدة في مسكوكات الفاطميين - مستخرج
من مجلة المجمع العلمي المصري المجلد ٥٢ موسم ١٩٧٠ / ١٩٧١ ص ١٥٠

(٢) محمد أبو الفرج العشي : مصر ، القاهرة على النقود العربية الاسلاميه
ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - القاهرة ١٩٧١ ص ٦٠

(٣) عن مدينة قوص وتاريخها في العصر الاسلامي أنظر : محمد عبد الحجاجي :
قوص في التاريخ الاسلامي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٢ .

(٤) المقرئ : اتعاظ ج ٣ ص ٩٣ .

(٥) Miles(G.), Fatimid Coins -New York 1951, P. 51.

(٦) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٤٤٥ .

التبرير يمكن مواجهته بأن القاهرة كانت موطناً للإمامه منذ عام ٣٥٨ هـ ، كما أن قوص لم تكن قط عاصمة للخلافة .

والواقع ان الفاطميين قاموا بإنشاء دار ضرب القاهرة ودار ضرب قوصى لتعويض خسارة دار الضرب السورية . (١) وحتى تقوم هذه الدار الجديدة بتزويد ولايات الخلافة بالنقد وقد سبق الإشارة إلى تقلص أملاك الدولة الفاطمية في أوقات المجاعات نتيجة للضغط السلجوقي والغزو الصليبي للشام . فخرجت دمشق عام ٤٦٨ هـ نهائياً وأصبحت بحوزة السلاجقة . (٢) وخطبت للعباسيين في حلب منذ عام ٤٩٢ هـ (٣) ، كما أن طبرية لم تعد خاضعة للفاطميين منذ الشده المستنصرية (٤) . أما عكا فقد خرجت من يد الفاطميين على يد تتش السلجوقي عام ٤٨٣ هـ . (٥)

وسقطت أيضاً طرابلس الشام ودار الضرب بها في أيدي الصليبيين . عام ٥٠٢ هـ (٦) ، كما أن الفاطميين خسروا بعد إنشاء دار ضرب القاهرة دار الضرب

(١) Ehrenkreutz (A.), Arabic Dinars Struck by the Crusaders. Journal of Economic and Social History of Orient Vol. VII, part II, 1964, P. 179. وكانت دمشق دار لضرب

ظهر اسمها على النقود الفاطمية . انظر P. 50 Miles, Fatimid Coins

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٠ - ٩٣ وقد ظهر اسم دار ضرب

حلب على نقود الفاطميين انظر Casanova (P.) Inventaire Sommaire

de la Collection des Monnoies Musulmans . Paris 1890, P. 57.

(٤) ابن ميسر : اخبار مصر ج ٢ ص ٢٣ وكان بها دار ضرب انظر .

Miles, Fatimid Coins . P. 50.

(٥) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٨ - ١٣٠ وكانت مكان دار الضرب

الفاطمية انظر Lavaix (H.), Catalogue de Monnaies Musulmanes de la Bibliotheque National . Paris 1890 . Vol III, P. 155.

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨٤ وكان بها دار الضرب انظر .

Casanova (P.), Inventaire S. P. 58.

بمدینه صور التي خضعت للصليبيين عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م. (١)

ويضاف الى ضياع دور الضرب بالشام ، أن مدينة المهديّة بالمغرب لم
يضرب بها نقود فاطمية منذ الشده المستنصرية (٢)

وقد أدى فقدان هذه الدور الى انشاء دار القاهرة ودار قوصي لسد
احتياجات ممتلكات الخلافة من النقود . وإذا كانت القاهرة باعتبارها دار الخلافة
قد اختيرت ليكون بها إحدى الدور الجديدة فان قوصي اكتسبت جدارتها بهذه
الدار بحكم النشاط التجاري الكثيف الذي كان بها بعد تحول طرق الحجج
والقوافل اليها منذ الشده العظمى ، فحلت من حيث الاهمية مكان مدينتي
قسط التي اضمحلت نتيجة لذلك (٣) وقد زويت هذه الدار عند بداية انتاجها
بعشرين ألف دينار وعشرين ألف درهم وفضلا عن أن دار قوصي كان منوطا بها
ضرب ما يصل من اليمن والحجاز من الننانير العدنية على طراز السكينة
الفاطمية (٤) . ولعل في ذلك ما يوحى الى قلة الذهب المتداول في الأسواق
المصرية حتى ان الدولة حاولت زيادة كميته عن طريق اعادة ضرب النانير
العدنية (أي المضروبة في عدن) وسد وأن قلة الذهب وفشل دار الضرب في امتصاص
الننانير العدنية كان وراء اغلاق هذه الدار بعد وقت يسير (٥)

(١) Ehrenkreutz (A.), Op. cit. P. 179.

(٢) د . ماجد : ظهور خلافة الفاطميين - ص ٢٧١ - ٢٧٢ والمهديّة من أقدم
Lane - Pool (S.) Catalogue of the Collection of Arabic
Coins London 1897. P. 150.

دور الضرب الفاطمية انظر . Miles . Op. cit. P. 51.

(٣) د . غطيه القوصي : تجارة مصر ص ١٠٨ .

(٤) Ehrenkreutz (A.), Op. cit. P. 179.

(٥) المقرئزي : اتعاظ الحنفا ج ٣ ص ٩٣ - ٩٤ .

المجلد الرابع

تأثير الجامعات على العمارة والفن

يعد تاريخ العمارة الإسلامية في مصر الفاطمية ، المرآة التي عكست بصدق كل تضاعف وملاحم صورة الحياة السياسية والاقتصادية والسياسية ارتباطها الشديد بالمجاعات ، وليس من قبيل البالغة أن ننظر لدراسة عمائر الفاطميين من نفس منظور دراسة تطور سلطات الخليفة ومنازعه الوزراء ، إياها ، والتي لعبت المجاعات وما صاحبها من أحداث دورا رئيسيا في نقل غالبية هذه السلطات إلى الوزراء .

ومصورة عامة فانه يمكن التمييز بين فترتين متباينتين في تاريخ العمارة الفاطمية ، أولاها تشمل فترة ما قبل الشدة المستنصرية والثانية تستوعب الفترة التي أعقبت الشدة حتى سقوط الخلافة الفاطمية .

وتوضح عمائر الفترة الأولى مدى ما كانت تتمتع به مصر من رخاء وازدهار قبل أن تدهمها أحداث مجاعة السبع سنوات العجاف في خلافة المستنصر ، وأيضا مقدار نفوذ الخلفاء وتعظيم ثروتهم ، فقد كانوا هم الذين تنشأ البانسي بأوامرهم وأسمائهم وهي مباني تميزت في مجملها بالضخامة من حيث المساحة وبالفخامة ودقة البناء وتركزت هذه العمائر - غالبا - في محيط القاهرة والفسطاط ورغم أنها شملت أنواعا عديدة من المباني الدينية والمدنية ، إلا أن البانسي ذات الوظائف الدينية كان لها الغلبة .

أما الفترة الثانية فقد عكست حالة البلاد سياسيا واقتصاديا بعد أحداث الشدة المستنصرية . فمن الناحية السياسية أصبح الوزراء هم أصحاب اليد الطولى في التشييد والبناء وقلت مباني الخلفاء . وظهر الاهتمام بالعمائر

الحربية نتيجة لضعف الخلافة وعجزها عن حماية ممتلكاتها خارج مصر . كما عبر الوزراء العظام من السنيين عن رغبتهم الكامنة فى ازالة المذهب الشيعى بانشاء المدارس السنية . وعلى عكس الحال فى الفترة الأولى صغرت أحجام المباني وخاصة المساجد نتيجة لضعف الحالة المالية للدولة بعد الشدة وتفتت ثروة البلاد بين الخلفاء والوزراء والعسكريين وكانت معظم الأعمال المعمارية عبارة عن تجديدات فى مبان قائمة . ويلاحظ فى هذه الفترة أيضا ميل الوزراء إلى تقليد الخلفاء فى إنشاء القصور والمناظر .

وكما عبرت المركزية فى الفترة الأولى عن نفسها بتمركز معظم الانشاءات فى حدود القاهرة والقسطاط ، عبرت حالة اللامركزية التى ميزت ما بعد الشدة المستنصرية عن نفسها فى تزايد حركة التشييد والبناء فى الأقاليم التى تمتع حكامها بقدر أكبر من الاستقلالية والنفوذ حتى تولى بعضهم منصب الوزارة وتنطق النصوص التأسيسية التى ترجع إلى ما بعد الشدة العظمى بمدى التغيير الذى تركته هذه الأزمنة الطاحنة على خريطة القوى السياسية فى الدولة الفاطمية إذ صار أمر التشييد منسوبا فى معظم الأحوال إلى الوزراء وتضاءلت ألقاب الخلفاء إلى جوار الألقاب التى تسمى بها الوزراء .

عناصر الخلفاء الأقوياء قبل الشدة المستنصرية :-

وتمتد فترة إنشاء هذه العماثر فيما بين الفتح الفاطمى لمصر عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ونهاية عصر الخليفة الحاكم بأمر الله (٤١١ هـ / ١٠٢٠ م) .
فقد كان لعصر الخلفاء الأقوياء (المعز - العزيز - الحاكم) سماته الخاصة التى تميزه عن عصر الوزراء العظام التى بدأت بوادره منذ خلافة الظاهر لاعزاز دين الله وكانت الشدة المستنصرية وما سبقها من اضطراب داخلى تتويجا له .

فمن الناحية السياسية كانت السلطة المركزية وعلى رأسها الخليفة الفاطمى تسيطر بشكل كامل على كافة أجزاء الخلافة ، كما كانت الحالة الاقتصادية للدولة الفاطمية فى عنفوان قوتها ، معتمدة على إيرادات الأرض الزراعية (الخراج) وما يتحصل عليه من ضرائب التجاره الخارجية والداخلية (المكوس) وتمتعت البلاد فى عصر الخلفاء الأقوياء بحالة من الاستقرار مكنتهم من القيام بإنشاء عماثر ضخمة تعكس هذه الأحوال السائدة . فكان الخلفاء (الدولة) هم الذين يقومون بتحويل إنشاء العماثر ، ولا يخفى مدى تأثير رخاء الدولة على حجم الانتاج الفنى وأنواعه وقيمه (١) .
ويمكن تصنيف العماثر التى وصلتنا من بناء هؤلاء الخلفاء (سواء آثار باقية أو مندثرة) حسب أغراض نشأتها الى :

(١) د . فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية - المجلد الاول -
عصر الولاة - القاهرة ١٩٧٠ - ص ٢٣٣ .

أ - العمائر الحربية :-

يعد سور القاهرة الذى بناه جوهر الصقلى من اللبن عند بدأ تأسيسه
لمدينة القاهرة عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م^(١) ، المشروع الحرس الكبير فى عهد
الخلفاء الأقوياء ، وإن لم تكن كل أغراضه دفاعية ، فقد كان السور يقوم بوظيفة
عزل الخليفة وجنوده ورجال البلاط عن عامة الشعب حيث كان الدخول من
أبواب السور الثمانية التى أنشأها جوهر يتم وفق تصريح خاص^(٢) .

ب - العمائر المدنية :-

تأتى القصور الفاطمية وعلى رأسها القصر الشرقى الكبير الذى أسسه جوهر
القائد فى مقدمة عمائر الفاطميين المدنية ، ليس فقط باعتبار الأسبقية
التاريخية^(٣) ، ولكن أيضا لاتساع مساحاتها وروعة بنيانها فقد أشتمل القصر
الشرقى على عدة مناظر وقاعات وقصور صغيرة أهمها قاعات وقصور الذهب وإقبال
والظفر والشجرة وقصر الشوك والنسيم والبحر والحريم ، وأضاف اليه العزيز بالله
قاعة الذهب والديوان الكبير^(٤) وقد أضيف الى هذه القصور اضافات كثيرة
فى كل عهد الخلفاء الفاطميين ، كانت كلها أعمالا فنية رائعة

(١) د . حسن الباشا : المدخل إلى الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٢٩ ص ١٨٧

(٢) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٤٦٩ .

(٣) د . عبد الرحمن زكى : الأزهر وما حوله من الآثار - القاهرة ١٩٢٠ - ص ١٣ .

(٤) د . عبد الرحمن زكى : القاهرة ، تاريخها وآثارها - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩ .

فيذكر ناصر خسرو أن جدران القصر الفاطمي كانت من الحجر المنحوت بدقه كما لو كانت قطعة صخر واحدة (١) . وليس هناك ما هو أجل على ما بلغت هذه القصور من شأو مما نقله غليوم رئيس أساقفة صور عن زيارة رسولى الملك عمورى للقاهرة عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، وعن مدى أعجابهما بقصور الفاطميين (٢) .

ومن المباني المدنية أيضا قصر اللؤلؤة الذى بناه العزيز بالله على النيل (٣) ومنازل العز وهى من بناء السيدة أم العزيز بالله على النيل ، فكان لا يحجبها عنه شئ ، وكان الخلفاء الفاطميون يتخذونها متنزها لهم (٤) . ويذكر ابن خلكان فى ترجمته للعزيز أنه أنشأ قصورا بعين شمس (٥) .

ج - المباني الدينية :-

١ - المساجد : وهى تمثل الجزء الأكبر من منشآت الخلفاء ، وان كانت تركت فى إطار القاهرة والفسطاط وما حولهما . ويأتى الجامع الأزهر فى طليعة المساجد الفاطمية ، اذ بدأ جوهر القائد فى تشييده يوم السبت لست بقين من جمادى الأول عام ٣٥٩ هـ وأتم بناه ل سبع

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٤٩ .

(٢) د . زكى محمد حسن : كمسوز الفاطميين . القاهرة ١٩٣٧ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) المقرئى : اتعاظ الحنفا - ج ٣ ص ٨١ ، هامش (١) وان كان أبوالمحسن يذكر خطأ ان الظاهر هو الذى بناه وقد ذهب هذا القصر ضمن ما ذهب من محاسن القاهرة أيام الشدة المستنصرية - النجوم الزاهرة - ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٤) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٣١٠ هامش (٢) .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٤ ص ٨ .

خلون من رمضان سنة ٣٦١ هـ (١) ، ثم أدخل الخلفاء من بعد ذلك اضافات عديدة على الجامع ، وقد قدرت مساحته وقت الفراغ منه عام ٣٦١ هـ / ١٧٢٢ م - بنحو ٢٦١٦٠ م^(٢) .

ويبدو أن المعز لدين الله قد أنشأ مسجدا آخر خارج القاهرة على النيل اذ يعدده ناصر خسرو ضمن أربعة جوامع تقام بها الخطبة وقت زيارته لمصر وقد سماه جامع المعز^(٣) . وينسب للسيدة تغريد زوجة المعز وأم العزيز بالله بناء جامع القرافة^(٤) ، وقد عرف هذا الجامع الذي بنى عام ٣٦٦ هـ بهـذا الاسم في العصر المملوكي ، وقبل ذلك كان يعرف بمسجد القبة وجامع الأولياء^(٥) وتولى بناءه يحيى بن طلحة مولى عامر بن لوئى^(٦) .

أما العزيز بالله فقد مات قبل أن يتم مسجده الضخم الذي بدأ فى بنائه خارج السور الشمالى للقاهرة ، وأكمله بعده ابنه الحاكم بأمر الله الذى أطلق اسمه على الجامع^(٧) . وكان الجامع يعرف أولا بجامع الخطبة وعرف أيضا

-
- (١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٨ .
(٢) د . حسين مؤنس : المساجد - سلسلة عالم المعرفة العدد ٣٧ - الكويت يناير ١٩٨١ - ص ٢٠٤ راجع تجديدات المسجد فى : د . عبد الرحمن زكى : الازهر وما حوله من الاثار .
(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٥١ .
(٤) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٤ ص ٨ .
(٥) ابن الزيات : الكواكب السياره ص ١٧٤ ويذكر المقرئى ان موقع المسجد كان به مسجدا أقدم وهو مسجد بنى عبد الله بن مانع بن مودع ويعرف بمسجد القبة - الخطط ج ٢ ص ٣١٨ .
(٦) د . سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون القاهرة ١٩٧١ ص ٢٩٥ .
(٧) Hauteceur(L.) et Wiet(G.) Les Mosquées de l'Egypte - Paris 1932. Tome I, P.220.

باسم الجامع الأنور وقد أوقف الحاكم عليه عدة قياسر وأملك بيباب الفتوح (١) :
وقدرت نفقات اتمام البناء في عهد الحاكم بأربعين ألف دينار (٢) .
ويعد الجامع الحاكمي أضخم مساجد مصر بعد جامع ابن طولون (٣) ، إذ تبلغ مساحته نحو من ١٤ ألف متر مربع ويتوسطه صحن مستطيل تبلغ مساحته ٥١٤٨ م^٢ فقط وافي المساحة مشغولة بالجدران والدعامات الضخمة (٤) . ورغم أن الجامع في مجموعه مبنى من الطوب الأحمر ، إلا أنه أقدم مساجد مصر الباقية والتي استخدم الحجر في بنائها ، حيث استخدم في بناء السور والمدخل الغربي للجامع (٥) . ومن الملاحظ أن الحجر كان مستخدما أيضا في جدران القصر الفاطمي .

ومن منشآت الحاكم بأمر الله الهامة في مصر جامع راشدة جنوبي الفسطاط الذي بدأ في انشائه في ١٧ ربيع الآخر عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م وكان متوليا البناء الحافظ " أبو محمد عبد الغنى ابن سعيد والمصحح لمحرابه على بن

(١) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٩ .
(٢) أيمن فؤاد سيد : نصوص ضائعة من المسبح ص ٢٠ .
(٣) د . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف - القاهرة .
١٩٦٥ - ج ١ ص ٦٣ - ٦٥ .
(٤) أنظر Berntjes (B.), Die Araber. West Germany 1971. S. 136.

Hautecoeur (L.) et Wiet (G.) . Op. cit. P 221.

يونس المنجم (١) . وكان في موقع المسجد ، كنيسة حولها مقابر لليهود والنصارى (٢) . وقد عرف بجامع راشدة لانه كان بالمكان الذي أنشأ به عرب نازلة يقال لهم " بنو راشدة " ، اختطوا بهذا المكان جامعا وبنى الحاكم جامععه على أثره فسمى بجامع راشدة (٣) . بينما نجد القلقشندي يذكر أن جامع راشدة الذي بنته قبيلة تعرف بهذا الاسم كان على مقربة منه فعرف جامع الحاكم بنفس الاسم (٤) .

وقد فرش هذا الجامع في رمضان عام ٣٩٥ هـ (٥) وصلى فيه ، وخطب الحاكم في المسجد في رمضان ٣٩٨ هـ (٦) ، وبعد ذلك بعامين في رمضان ٤٠٠ هـ علقت بجامع راشدة قناديل وتنور من فضة (٧) الا أن الحاكم هدم المسجد في عام ٤٠١ هـ وأعاد بناءه بالحجر بعد أن كان مبينا بالطوب (٨) ، وفي شهر رمضان عام ٤٠٣ هـ صلى الحاكم بأمر الله صلاة الجمعة في جامع الجديد (٩) .

-
- (١) ابن خلكان : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٨٢ .
(٢) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ١٩ .
(٣) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ١٨٣ ويستبعد ابن الزيات ان يكون قد سمى براشدة نسبة الى حظيرة للحاكم بينما يذكر . ماجد ان راشدة كانت عمه للحاكم وتوفيت في أيامه وخلفت ثروة هائلة - الحاكم بأمر الله ص ٨١ .
(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٤٥ .
(٥) المقرئ : اتعاظ الحنفيا ج ٢ ص ٥٨ .
(٦) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ٢٥ .
(٧) المرجع نفسه ص ٢٩ .
(٨) ابن دقماق : الانتصار لواسطه عقد الامصار - ج ٤ ص ٧٨ - ٧٩ .
(٩) أيمن فؤاد سيد : المرجع السابق ص ٣١ .

ويبدو أن الحاكم قد وجه عناية خاصة لهذا الجامع . فبناه بالحجر ووضع فيه قناديل الفضة وأقام الخطبة فيه رغم وجود جامع عمرو بالقسطاط أيضا . ومن المستبعد تفسير اهتمام الحاكم بهذا الجامع على أنه محاولة للقضاء على مركز جامع عمرو بن العاص إذ أننا نعرف أن الحاكم اشترى جامع عمرو من أبناء عمرو بن العاص بمائتي ألف دينار وأدخل عليه عمارات كثيرة وعجبية منها ثريا من الفضة ، أطنب في وصفها ناصر خسرو (١) .

كما ينسب إلى الحاكم بناء ثلاثة مساجد معلقة (٢) ، وجامع بمدينة الاسكندرية أمر ببنائه عام ٤٠٤ هـ / ١٨٣ م (٣) .

وللحاكم بأمر الله جامع عرف بجامع المقس على شاطيء النيل بدأ في بنائه عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م وأوقف على هذا الجامع أوقافا عديدة وقد جدد هذا المسجد في العصر المملوكي عام ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م (٥) .

وقد شيد الحاكم دار العلم بالقاهرة بجوار القصر الغربي وافتتحت في جمادى الآخرة عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م (٦) ويضاف إلى ذلك أن الحاكم كان يتحمل

- (١) ناصر خسرو : المرجع السابق ص ٥٩ .
 (٢) ابوالحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٥٤ ويذكر على مبارك أنها كانت بخطط ابن طولون منها مشهد محمد الاصفى والمسجد المعروف عند العامة بمسجد الشيخ عبد الرحمن الطولوني أما الثالث فلعله كان بالقرب منهما .
 على مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها ولادها القديمة بولاق ١٣٠٥ هـ ج ٢ ص ٤٢ .
 (٣) المقرئى : اتعاظ ج ٢ ص ١٠٠ .
 (٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .
 (٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٩ .
 (٦) د . عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٢٠ وقد اشرنا إلى وقفيتها عند الحديث عن الرواتب .

نفقات ٣٦ ألف مسجد بمصر ويحمل إليها القناديل والتنانير والمصاحف والبخور
والستور والحصر والإضاءة الخاصة في شهر رمضان في مواكب شعبية (١) .

وبانتهاء عصر الحاكم بأمر الله انتهى عصر الخلفاء المشيدين إذ تكاد تخلو
فترة خلافة الظاهر والنصف الأول من عصر المستنصر (قبل الشدة) من مبان
ذات خطر ، وكما كان عصرهما فترة انتقال مهدت من الناحية السياسية لعصر
الوزراء العظام ، كان الأمر كذلك من الناحية المعمارية .

فلم يرد في المصادر التاريخية ذكر عن منشآت للظاهر لا عازر الدين الله
اللهم الا حظير دائر على مقياس النيل بالجزيرة في ربيع الأول ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م
ووكّل به الشريف أبو طالب محمد بن العجمي " متولى الصناعة فبناه بالحجر الأبيض
وأنفق عليه مالا كثيرا ونقل إليه الحجر من حظير كبير كان مبنيا على الشاطئ " (٢) .

عناصر الخلفاء بعد الشدة :

اما المستنصر بالله فانه سجله المعماري خال من الأعمال الهامة فلا يحوى
الا تجديد قصر الذهب بالقصر الكبير عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م وقبله تجديد
بالجامع الأزهر في عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٣٦ م (٣)

-
- (١) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله ص ٨١ .
(٢) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ١٤٢ .
(٣) د . عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ١٣ ، ٢٥ ، ذهب آثار القصر الكبير
الان ولا زالت بقايا تجديد الأزهر قائمه .

ويتصير العصر الفاطمي بعد الشدة العظمى بقلّة منشآت الخلفاء ويلاحظ
ان معظم منشآتهم تركت في فترات حكمها فيها بدون وزراء . فالخليفة الأمر بأحكام
الله بنى قصرا بالروضة لزوجته البدوية حتى لا يتعد عن جو الصحراء (١)
ومنى أيضا منظر من خشب بركة الحبش كانت مزوقة بصور شعراء وأبيات لهم (٢)
وربما يكون الأمر قد شيد هذه المنشآت في الفترة التي تولى فيها الأمور بالبلاد
بدون وزراء (٣) وهي عامة ليست بالمنشآت الضخمة .

ويرجع انشاء الجامع العتيق بسوهاج إلى المحرم عام ٥٢٩ هـ / ١٠٣٧ م كما
يدل على ذلك لوح تذكاري من الرخام (٨٠ x ٥٠ سم) وينسب البناء إلى
” ولي عهد أمير المؤمنين ابن الامام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ” (٤) .
وهي فترة كان الحافظ يحكم بها بدون وزراء من ٢٦ ذى الحجة ٥٢٦ هـ إلى
١١ جمادى الآخرة ٥٢٩ هـ (٥) / ١٠٣٨ م .

ويذكر ابن الزيات أن الحافظ أنشأ مشهد النور الذي دفنت به الشريفة مريم
ابنة عبد الله ابن محمد بن أحمد بن اسماعيل بن القاسم الرس بن طباطبكا
ومنى أيضا مشهد السيدة رقية وهو مشهد رؤيا ، ومنى أيضا مشاهد ومساجد

-
- (١) انصاف رياض : المرجع السابق ص ١٦٨ وقد أندثر هذا القصر .
(٢) د . حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامي في مصر القاهرة ١٩٢٣ م ص ٥٧
وهي أيضا منظره مندثرة .
(٣) تبدأ هذه الفترة بمقتل المأمون عام ٥١٩ هـ وحتى وفاة الأمر عام ٥٢٤ هـ —
أنظر : د . المناوي : الوزراء والوزراء ملحق ص ٣١٢ .
(٤) د . سعد ماهر : محافظات ص ٢٤١ لوجه ١٦ . والمسجد مجدد ولا يرجع بناؤه
الحالي للعصر الفاطمي .
(٥) د . المناوي : ص ٣١٢ . وفترة أخرى من ٥٤٢ هـ إلى ٥٤٣ هـ .

أخرى (١) وربما كان ذلك فى فترات الحكم المنفرد .

وليس من قبيل المصادفة أن آخر منشآت القاهرة التى تنسب إلى خليفة فاطمى وهو الجامع الظافرى يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وهى فترة حكم فيها الظافر يدون وزراء من بعد وفاة الحافظ لدين الله (٣) .

(٤) وقد بنى الظافر بأعداء الله اسماعيل مسجده الذى وقف عليه أوقافا كثيرة داخل باب زويلة على الشارع الأعظم بالقرب من حارة الديلم (٥) وقد عرف الجامع باسم الجامع الأفخر ويعرف منذ عصر المماليك على الأقل بجامع الفاكهييين (٦) ومكانه الآن على رأس حارة خوش قدم بالجزء الجنوبي من شارع المعز لدين الله ولا يعود بنائه الحالى للعصر الفاطمى .

مهاجر عصر الوزراء العظام (بعد الفدفة المستنصرية) :-

وبعد عصر الوزراء المشيدين انعكاسا صادقا لكل سمات عصر الوزراء العظام التى تتلخص فى :

١ - تزايد نفوذ الوزراء من العسكريين حتى أصبحوا هم الحكام الفعليين للبلاد وأصحاب أكبر الثروات ومنهم من كان على مذهب السنة وعمل على إزالة الخلافة.

(١) ابن الزيات : المصدر السابق ص ١٨٤ . الباقي منها هو مشهد السيد رقية

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٥ .

(٣) المناوى : المرجع السابق ص ٣١٢ .

(٤) ابن خلكان : المصدر السابق ج ١ ص ٢١٥ ، عبد الله الشرقاوى :

تحفة الناظرين ص ٣٥ .

(٥) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٦) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ .

- ٢ - الضعف العام للدولة الفاطمية وقلة متحصلها من خراج الأرض (الايرادات)
٣ - تعرض مصر لاطماع القوى الخارجية التى شجعها ضعف مصر .
٤ - تزايد أهمية حكام الاقاليم وخاصة حاكم قوص الذى كان يعد الرجل الثانى بعد الوزير وقوى بعض حكام هذا الاقليم بمنصب الوزارة .

ولذا فاننا نجد أن معظم المنشآت التى قام بها الوزراء وحكام الأقاليم كانت عبارة عن تجديدات او ترميمات فى مباني قائمة سواء فى المساجد أو القصور والمناظر وتبرزت منشآتهم بضآلة الحجم بالقياس الى مباني الخلفاء الاول وقد أعطى الوزراء أهمية متزايدة لحركة البناء فى الاقاليم .

وشهادة العمارة الحربية اهتماما مكثفا الى جانب تزايد أعداد المدارس السنية التى أنشئت لمقاومة مذهب الدولة الشيعى وخاصة فى أواخر العصر الفاطمى .

أ - العمارة الحربية :-

كان من نتيجة الضعف الذى انتاب الخلافة بعد الشدة أن أستطاع الصليبيون والسلاجقة الإستيلاء على معظم ممتلكات الفاطميين بالشام بل وزحفوا بجيوشهم صوب مصر مقر الخلافة نفسها ، ومن المعروف أنه فى أوقات الحرب والتهديد بها فان العمارة والفنون تخضع للاتجاه نحو خدمة الأغراض الحربية (١) . ولاغرو أن كانت أسوار القاهرة وبواباتها هى أهم المنشآت المعمارية للوزير بدر الجمالى فما ان استقر له الأمر فى مصر واستعادت البلاد بعض قوتها

(١) د . فريد شافعى : العمارة الحربية ص ٢٣٣ .

الاقتصادية ووحدها السياسية التي فقدتها اثناء الشدة العظمى حتى بدأ

بدر الجمالى فى بناء السور الجديد للقاهرة عام ٤٧٢ هـ / ١٠٨٤ م .^(١)

وقد أقام بدر الأسوار الجديدة موازية لأسوار جوهر القديمة وان زاد فى رقعة مساحة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا الى شمال السور القديم ، وحوالى ٣٠ مترا الى الشرق ومثلها الى الجنوب^(٢) .

وقد أستعمل بدر فى بناء السور الطوب اللبن بينما كانت الأبواب مبنية من الحجارة^(٣) ولا زالت أجزاء من أسوار بدر والبوابات الثلاثة الرئيسية باقية للآن - كشاهد عيان على عظمة بنائها وكثرة النفقات التى مولت هذا المشروع الحريص الضخم والذى استمر بناؤه نحو من ثمان سنوات اذا انتهى السور الشمالى وبوابتيه باب الفتوح وباب النصر عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م^(٤) ، بينما تم بناء السور الجنوبى وباب زويلة عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م ويظهر فى الأسوار والبوابات تأثير العمائر السورية^(٥) .

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة للمعاصر آخر خلفاء الفاطميين عام ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م كانت مصر قد مرت بأحداث عاصفة عرضتها لخطر الصليبيين غير مرة

(١) المقرئى : اتعاطج ٢ ص ٣٢١ .
(٢) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٤٧٢ .
(٣) د . حسن الباشا : المدخل ص ١٨٢ .
Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe , Tome ٤
6, Le Caire MC M XXXVI, P. 238.

(٥) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩ .
Hauteceur et Wiet: Op. cit. P 232.

وإزاء استمرار التهديد الصليبي للخلافة المحضرة بدأ صلاح الدين فى تجديد سور القاهرة ليضم الفسطاط داخله حتى يتسنى له الدفاع عن العاصمة الممتدة ضد الهجمات المحتملة من الصليبيين (١) وبدأ عمله ذلك فى عام ٥٦٦ هـ أى قبيل سقوط الخلافة الفاطمية (٢) .

وحظيت الإسكندرية أيضا بعناية الوزراء من الفاحية الحربية ، إذ كانت أهم موانئ مصر التجارية على المتوسط وكانت تتعرض لهجمات الصليبيين من البحر .
ففى أواخر عهد الأمر عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م تولى أبو تراب حيدرة أخو الوزير المأمون الاسكندرية فقام بتعمير سور الإسكندرية وتجديده (٣) .

وفى أواخر العصر الفاطمى عام ٥٥٧ هـ شيد الوزير أبو الأشبال ضرغام بن سوار البرج عند باب البحر بالاسكندرية فعرف بـ برج ضرغام وقد لعب هذا البرج دورا كبيرا فى الدفاع عن المدينة ضد كل المغيرين الذين حاولوا الهجوم عليها (٤) .

(١) د . أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها القاهرة ١٩٦٩ م ج ٢ ص ٧

(٢) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٣٢١ .

(٣) د . السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ص ٢١٤ .

(٤) د . جمال الدين الشيال : تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٤٥ .

أما عمائر عصر الوزراء العظام الدينية والمدنية فانها غالبا ما كانت منشآت صغيرة لا ترتقى إلى مستوى المشاريع المعمارية الضخمة وكثير منها كان مجرد تجديدات في آثار قائمة وتعكس المباني المدنية ميل الوزراء الى الترف ومحاكاة الخلفاء الأول في بناء المنازل الضخمة والمناظر وتوسيع كثرة منشآت الوزراء المدنية في مدن الأقاليم إلى اللامركزية التي ميزت العصر الفاطمي الأخير والأهمية المتزايدة التي اكتسبها حكام ولاة الأقاليم وقد أدى تسلط وزراء من السنة على الخلفاء وسعيهم نحو اصناف الخلافة الشيعية الى تزايد حركته انشاء المدارس السنية خاصة وأن الأفضل بن بدر الجمالي كان قد اغلق دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله (١).

(١) د . عبد الرحمن زكى : القاهرة ص ٢٠ .

العمائر المدنية :

عمل الوزراء العظام على محاكاة حياة الخلفاء فلم تعد تقنعهم
الا السدور الفاخرة ، وقد سكن بدر الجمالى فى دار عرفت بدار المظفر بحارة
برجوان . ولم تشيد دار للوزارة يسكنها الوزراء على تعاقبهم الا فى عهد
الأفضل بن بدر الجمالى ، ولم تكن دار الوزارة الا قصرا كبيرا ، حيث كانت
تشتمل على عدة قاعات ومساكن ومستان وغيره وكان فيها مائه وعشرون مقسما
للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها (١) .

وبنى الأفضل دارا أخرى على شاطئ النيل بالفسطاط عرفت بدار الملك
وانتهى من بنائها عام ٥٠١ هـ / ١١٠٢ م وسكن بها وقد مدحها الشعراء
لحسنها وللأفضل تنسب أيضا منظرة الخمس وجوه والمنتزه المعروف بالتاج (٢)

ولم يكن خلف الأفضل الوزير المأمون البطائشى بأقل حماسة لبناء المناظر
والقصور من سلفه فبنى ثلاثة مناظر بالقاهرة اندثرت جميعها الآن أحداهن
بين باب الذهب وباب البحر ، والأخرى على قوس باب النصر ، ومنظرة ثالثه
تعرف باسم الزاهرة أو الفاخرة أو الناضرة وكان يجلس الخليفة فى إحداها

-
- (١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ . اندثرت هذه الدار أيضا .
(٢) ابن هيسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢ ويذكر أنها أصبحت دار متجر
فى أيام الملك الكامل محمد الأيوبي ثم عملت وكالة فى أيام الظاهر بيبرس ولائسرها
لها الآن .
(٣) المقرئى : اتعاطج ج ٣ ص ٢٤ . زالت معالم هذه المنظره ولاوجود لها .

لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب (١) .
وفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أنشأ المأمون منظر بجزيرة مصر بعد أن نقل
المراكب الحربية من الصناعة التى بها الى الصناعة القديمة بساحل مصر (٢) .
كما أعاد المأمون بناء منظره اللؤلؤة (٣) التى كانت من انشاءات
العزیز بالله وتشعث أثناء الشدة العظمى .
ولم يخل سجل المأمون المعمارى من مبان ذات اغراض تجارية فقد أمر
فى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ببناء دار وكالة بالقاهرة لمن يصل من العراق
والشام من التجار (٤) . وما يؤسف له أن الزمن لم يبق على أى من هذه
المنشآت المدنية .

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٠٤ .

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣ .

(٣) المقرئى : اتعاظ هامش ١ ج ٣ ص ٨١ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢ . كانت هذه الوكالة بجسوار
دار الضرب التى انشاها المأمون بالقشاشين وقد حدد المقرئى مكانها فى
عصره بأنها على بهنة السالك من رأس الخراطمين الى سوق الخيمييين
والجامع الأزهر . المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٥١ .

المآثر الدينية :

لم تذكر المصادر التاريخية منشآت دينية للوزير بدر الجمالى فى اطار القاهرة ومصر الا مسجد الجيوشى الذى شيد على هضبة المقطم فى عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م والرغم من صغره الا أنه يعتبر من أجمل الاثار الفاطمية (١) ، وهو فريد فى تصميمه ومنا قبتنه عما هو معروف بمصر الفاطمية (٢) وعدا ذلك فان اعمال بدر الجمالى المعمارية تقع كلها خارج القاهرة وكلها تقريبا اعمال اضافات وترميمات بأثار قائمة .

جامع العطارين :

تكاد المصادر التاريخية التى أشارت الى الوزير بدر الجمالى أن تجمع على أنه قد بنى هذا الجامع بالأسكندرية عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م بعد أن نجح فى الاستيلاء على المدينة والقضاء على تمرد ابنه الأوحى وأخذه أسيرا (٣) وأنه بنى هذا الجامع من أموال أخذه من الأسكندريين وفرغ منه فى شهر ربيع الأول من عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م أى انه لم ينفق على عمارته

(١) د . عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وما حولها من الاثار القاهرة

١٩٧١ ص ١١٦ ،

Répertoire : Op. cit. Tome I. P. 230.

Hauteceur(L.) et Wiet (G.) Op. cit. P. 232,

Glück(H.) Und Diz (E.): Die Kunst des Islam, Berlin

1925, S. 163.

(٣) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ١١٩ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧ ، ويذكر ابن خلكان خطأ

أنه بنى جامع العطارين عام ٤٧١ هـ وفيات ج ٢ ص ١٦٠ .

وقد ظلت الخطبة بالاسكندرية تقام بهذا الجامع حتى دخل صلاح الدين الأيوبي فنقل الخطبة منه (١) .

ورغم تأكيدات المؤرخين بأن منشئ هذا الجامع هو بدر الجمالي فان النص التأسيسي يكذب ما ذهبوا اليه ، فأعمال بدر في الواقع كانت تجديدات قرر اقامتها " عند حلول ركابه بثغر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خراب فرأى بحسن ولائه ودينه تجديده زلفوا إلى الله تعالى " وذلك كما ورد في لوح من الرخام لازال في الجامع إلى اليوم أسفل المئذنة إلى يسار الداخل من الباب الشمالي الشرقي ، وكان المسجد القديم قد أنشئ على انقاض كنيسه قديمه (٢) . وقد بلغ ما جمعه بدر من أهل الاسكندرية - على سبيل الغرامة فيما يبدو - ١٢٠ ألف دينار خصصها للانفاق على الجامع (٣) والهناء الحالي للجامع لا يرجع الى العصر الفاطمي .

ولبدر الجمالي عدة أعمال تجديدية في صعيد مصر منها المسجد العتيق بإسنا الذي تهدم وجدد عدة مرات حتى ذهبت معالمه الأصلية (٤) ويشير النص التأسيسي المثبت على لوح رخامي إلى يمين المحراب أن بدر الجمالي أمر بعمارة الجامع فأسس على يد القاضي أبي الحسن علي بن أحمد بن النضر في ذي الحجة سنة ٤٦٩ هـ وكمل سقفه عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م . الا أن حوادث التاريخ تثبت أن الذي عمر هذا الجامع هم بنو النضر عام ٤٢٠ هـ ثم زادوا في

(١) المقرئزي : تعاطج ٢ ص ٣٢١ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : تاريخ الاسكندرية ص ٤٢ .

(٣) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينه الاسكندرية ص ٢٢٠ .

(٤) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٣٠ .

عمارتها عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م ولذلك فإن أعمال بدر الجمالي لاتعدوا ان تكون بعض التجديدات (١) .

ومئذنة الجامع الباقية الى الان فى ركن منه ترجع الى عهد بدر الجمالي (٢) وان كان منشأها كما جاء فى النص التأسيسى الخاص بها هو " الأجل المنتخب فخر الملك سعد الدولة تاج المعالي ذو العز بن حسام امير المؤمنين ايسو منصور سارتيكين الجيوشى " فى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م وعلى اساس طراز هذه المئذنة فان د . فريد شافعى يرجع مئذنة جامع أبى الحجاج بالاقصر التى شيدت باللبن فوق السطح العلوى لأعمدة معبد الاقصر ومئذنة المشهد القبلى بأسواق الى عصر بدر الجمالي (٤) .

ينسب للأفضل بن بدر الجمالي بناء مسجدين بمصر أولهما مسجد الفيلة بالقرافة الكبرى (٥) وهو بسطح الجرف المطل على بركة الحبش وبناءه فى شعبان عام ٤٧٨ هـ وبلغت نفقات بنائه ستة آلاف دينار وهو مايدل على صغر حجمه وسمى بجامع الفيلة لأن فى قبلته تسع قباب فى أعلاه ذات قناطير إذا رآها الانسان من بعيد شبهها بمدرعين على فيله كالتى كانت تعمل فى المواكب أيام الأعياد وكان هذا المسجد خربا فى أيام المقرئى (٦) .

(١) د . سعاد ماهر : مساجد مصر ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ .

(٢) د . فريد شافعى : المرجع السابق ص ٣٣٠ .

(٣) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(٤) د . فريد شافعى : المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(٥) ابن الزيات : المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٦) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٨٩ — ٢٩٠ ويذكر ابن خلكان أن المأمون

أكمل هذا المسجد فى وزارته . المصدر السابق ج ٤ ص ٣٨٦ .

أما المسجد الثانى فيعرف بمسجد الرصد وكان أفضل من جامع الفيحة وقد أكمله عندما صار مخصصا لرصد الكواكب (١) وهو مسجد مندر .

وتشمل أعمال الأفضل خارج مصر والقاهرة مسجد الغمري بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية (٢) وقد أمر الأفضل ببنائه فى المحرم عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م على يد القاضى " أبو الفتح المسلم بن على بن الحسن متولى الحكم الشريف فى الغربية " كما تدل على ذلك لوحته التأسيسية التى لم يبق غيرها من المسجد الأصلى (٣) . كما ينسب إليه أيضا بناء جامع الجزيرة (٤) .

وليس فى سجل إضافات وتجديدات الأفضل سوى ثلاثة مآذن بناها لجامع عمرو بن العاص هى المئذنة الكبيرة والمئذنة السعيدة والمئذنة المستجدة (٥) ، وتجديد آخر بمسجد ابن طولون سجله على محراب جصى به (٦) .

ورغم أن المأمون البطائشى قد ولى الوزارة ٤ أعوام فقط (شوال ٥١٥ هـ - ٤ رمضان ٥١٩ هـ) (٧) ، إلا أنه سجله المعمارى حافل بأعمال الانشاءات

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٢٢ .
(٢) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٩٤ - ٩٥ .
(٣) د . سعاد ماهر : مساجد مصر ص ٢٩١ .
(٤) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٧٢ وان كان محقق الكتاب بنقل عن الخطط ان - جامع الجزيرة بنى عام ٣٥٠ هـ زمن على بن عبد الله بن الاخشيد ولم يورد المقرئى فى الخطط ذكر لدور الأفضل فيه - هامش ٤ . ولا أثر لهذا الجامع الان .

(٥) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٧٢ .
Répertoire : Op; cit. Tome 8 , P.4 .
(٦)

(٧) د . حمدى المناوى : الوزارة ص ٣١٢ .

والتجديدات فبلغ ما انشاء فسى وزارته وفى أيام الأفضل ٤١ مسجداً مع ما أمر بتجديده بعد وزارته بالقاهرة ومصر وأعمالها ما يناهز مائتى مسجد (١) .

ويأتى الجامع الأقمر فى طبيعة منشأته الدينية فقد بدأ فى بناءه فى نفس العام الذى ولى فيه الوزارة وانه عام ٥١٩ هـ (٢) وكان مكان الجامع دكاكين علافين (٣) ويقال أن المأمون اشترى له حمام شمول ودار النحاس بمصر وجسهما على سدنته ووقود مصابيحهم ومن يتولى أمره ويؤذن فيه (٤) ولغت نفقاته مائتى ألف دينار (٥) . ولم تكن الخطبة تقام بهذا المسجد طوال العصر الفاطمى وإنما جددت به خطبة على يد الأمير يلىغا السالى أحد أمراء الظاهر برقوق عام ٨٠١ هـ (٦) .

وجامع الأقمر هو أول مسجد يراعى اتجاه خط تحديد الطريق ولذلك جاءت واجهته منحرفة بالنسبة لاتجاهات واجهات الصحن (٧) .

وقد بنيت واجهته بالحجر الذى أستعمل فى القصور الفاطمية وبوابات بسدر الجمالى ولعل ذلك جاء نتيجة الرغبة فى الاعتماد على صلابة الحجر وقد رتبه على

-
- (١) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٩٢ .
 - (٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ اتفق المقرئى (اتعاطج ٣ ص ٧٧) وابن خلكان (ج ٤ ص ٢٨٦) وابن ميسر (ج ٢ ص ٦٢) وأبو الحسن (ج ٥ ص ٢٢٩) على أن باني الجامع الأقمر هو الوزير المأمون بينما يذكر ابن اياسى أن الأمر هو المنشىء (ج ١ ص ٦٣) ويزيد القلقشندى أن الأمر بناء بوساطة وزيره المأمون البطائخسى (ج ٣ ص ٣٦٥) وثبت النصوص التأسيسية^١ الذى أمر بعمل الجامع الوزير المأمون . انظر د . سعاد ماهر / مساجد مصر ص ٣٢٣ .
 - (٣) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢ .
 - (٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٩٠ .
 - (٥) ابن اياسى : المصدر السابق ج ١ ص ٦٣ .
 - (٦) القلقشندى : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٥ .
 - (٧) توفيق عبد الجواد : تاريخ العمارة القاهرة ١٩٦٩ م ج ٢ ص ٣٠٥ .

البقاء وتوفير المادة الملائمة للزخرفة المنحوتة بشتى أنواعها من نباتية وهندسية وكتابه والتى ابداع الفنان فيها فجاءت آية من آيات الفن الجميل (١) وكانت الواجهة الحجرية تتكون من ثلاثة أقسام ضاع الأيمن منها (٢) .

وتبدو هذه المبالغة الزخرفية فى الواجهة كما لو كانت محاولة لاثارة إعجاب الناس وذلك كبديل للهيبة التى كانت تعطيها المباني ذات النسب الضخمة التى ميزت مباني الخلفاء الأقوياء، إذ أن هذا المسجد مساحته الداخلية (٢٨ × ٣٤ ر ١٧ م) تعادل نحو ٤٠٨٥ م^٢ ليست جميعها مبنية إذ يتوسطها صحن أوسط مساحته (٣٦ ر ١٩ م) (٣) .

ومن المساجد التى أنشأها مسجد الكافورى فى البستان الكافورى بالقاهرة أسسه عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م ومتولى عمارته وكيله ابو البركات محمد بن عثمان وكتب اسمه عليه وقد ظل قائما حتى شاهده المقرئى (٤) وينسب إليه أيضا بناء مسجد أمام باب الخوخة على يد وكيله وكان الصانع يعملون فيه ليلا ونهارا حتى أنه تصدع واحتجج الى تجديده (٥) .

(١) انظر Creswell(K.A.C.) : The Muslim Architecture of Egypt . Oxford 1952, Vol.I, Pl. 49, 65.

(٢) د . محمد عبدالعزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك الطبعه الثانيه القاهرة بدون تاريخ ص ٨٣ — ٩٢ .

(٣) د . كمال الدين سامح : العمارة الاسلاميه فى مصر القاهره ١٩٢٠ م شكل ٥٨

(٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤١٠ .

(٥) المصدر نفسه ص ٤١٢ .

ومن مبانیه خارج القاهرة مسجد أبى بكر الطرطوشى الذى أنشأ عام ٥١٦ هـ بظاهر النغر على البحر وقد أمر المأمون قاضى الاسكندرية ابن حديد ببنائه فى موضع يتخير به الفقيه وان يبالغ فى اتقانه (سرعة انجازه) وتكون النفقة عليه من مال ديوانه دون مال الدولة (١) وقد ضاعت معالم هذا المسجد الان (٢) .

وأنشأ المأمون فى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م مسجداً بالبهنسا لتقام فيه الخطبة وأقيم فيه خطيب وإمام وقومة وموءذنون وأطلق لهم ماهى عادة أمثالههم (٣) — وقد زالت معالم هذا المسجد الان .

وفى شوال من عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م بلغ المأمون ان جزيرة قويسنا ومنية زفتى ليس فيهما جامع فتقدم المأمون الى بعض خواصة وخلق عليه فسارو بنى جامعاً على شاطئ النيل بمنية زفتى وقرر فيه خطيباً وإماماً وموءذنين (٤) .

ومن المساجد التى بنيت فى عهده مسجد الذخيرة بميدان القلعة الان — تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن أنشأه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة عام ٥١٦ هـ الذى ولى القاهرة والحسبة من نفس العام واستعمل السخرة فى بناء المسجد حيث كان يقبض على الناس للعمل فيه بدون أجره وكان الناس يحلفون —

(١) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٩٢ وكان الطرطوشى قد حضر من الاسكندرية الى

القاهرة فى نفس العام ليقدم للمأمون كتابه سراج الملوك — اتعاطج ٣ ص ٨٨ —

انظر ترجمته فى د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣٣٠ — ٣٣٢ .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٤ .

(٣) المقرئى : اتعاطج ٣ ص ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٨٨ .

ويقولون له لا بالله فعرف لذلك بمسجد لا بالله (١) .

وقد بنى أخو المأمون المعروف بالمؤتمن سلطان الملوك نظام الدين أبو تراب حيدره مسجداً بالاسكندرية عرف بجامع المؤتمن وكان والياً على الاسكندرية والأعمال البحرية منذ عام ٥١١ هـ ونشئ هذا المسجد أثناء قيامه فى هذا الثغر (٢) .

أما التجديدات التى تمت فى وزارة الأمر فأهمها قيامه فى عام ٥١٦ هـ بتجديد مسجد القرافة التى بنته تغريد أم العزيز بالله وعمر بجانبه طاحونا للسبيل ليحمل عن الضعفاء كلفة الطحن . وظل الجامع على عمارته حتى احترق عام ٥٦٤ هـ أثناء حريق القسطنطين (٣) .

وفى نفس العام أمر المأمون بتجديد المشاهد السبعة التى بين الجبل والقرافة وأولها مشهد السيدة زينب وأخرها مشهد السيدة أم كلثوم وإصلاح ما تهدم منها وأثبت تاريخ ذلك التجديد على لوح من الرخام (٤) .

يضاف إلى ذلك إكمال عماره مسجد الرصد الذى بدأه الأفضل وأنشأ منبر بهذا المسجد (٥) ونى الوزير أبو الفتح يانوس الأرمنى الذى ولى

(١) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤١١ وهو جزء من أرض مسجد الرفاعى الآن - د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٣ .

(٥) ابن منجب : الإشارة ص ٦٣ - ٦٤ .

الوزارة لعام واحد فقط (٥٢٦ هـ) (١) مسجدا بظاهر باب السعادة
الا أنه توفي قبل إتمامه فكله أولاده بعد وفاته (٢) .

وبعد جامع الوزير الصالح طلائع بن رزيك خير ختام لجوامع الوزراء بالقاهرة
إذ بناء عام ٥٥٥ هـ (٣) وهو بحق قمة جوامع الوزراء من حيث المساحة
حيث بلغت مساحته ٢٢ ١٥ م^(٤) وهو بذلك أكبر جوامع عصر سيادة الوزراء
وتدل بقايا زخارفه بالواجهة وداخل المسجد بالاضافة إلى بابيه الذى
يعد أقدم باب نحاس بمصر (٥) على مدى ثراء هذا الوزير وتعاظم نفوذه حتى
أنه أراد نقل رأس الحسين التى كانت بعسقلان خوفا من الصليبيين إلى
هذا الجامع الا أن الخليفة الفائز بنصر الله لم يمكنه من ذلك حيث بنى
المشهد المعروف بمشهد الحسين بجوار قصره ونقل الرأس إليه فى عام
٥٤٩ هـ ولم يكن بهذا الجامع خطبة حتى عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م^(٦) .

والى جانب هذا المسجد الفخم أنشأ الصالح طلائع مسجدا آخر بالقرافة
إلى جوار جامع القرافة أو الأولياء وجواره ترسه ليدفن بها (٧) . ويذكر

-
- (١) د . المناوى : الوزارة ص ٣١٢ .
(٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٤١٢ .
(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية القاهرة ١٩٤٦ ج ١ ص ٩٩ .
(٤) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٤٠٥ .
(٥) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٩٩ .
(٦) القلقشندي : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٦ . ويذكر المقرئى ان الصالح
طلائع لما حضرته الوفاة ندم على بناء هذا المسجد حيث انه كان خارج باب
زويلة ومن الممكن استغلاله من الناحية الحربية ضد بوابه القاهرة الجنوبية -
الخطط ج ٢ ص ٢٩٣ .
(٧) ابوالمحاسن : المصدر السابق ج ٥ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

أبو صالح الأرمني أن الصالح طلائع حمل إلى مسجده بالقرافة بعض
الأمدة من بيعة قبضية (١) .

وقد أجريت عدة إصلاحات في الجامع العتيق بقوم يقصى
منها منبر خشبي يرجع إلى عام ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م^(٢) .

(١) أبو صالح الأرمني : تاريخ الكنائس ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) د . سعاد ماهر : المحافظات ص ٣٣ .

المدارس السنية :

عجوز الوزراء السنيون إلى إنشاء المدارس السنية لاضعاف المذهب الشيعي وكان ذلك التدعيم للمذهب السني على حساب المذهب الشيعي هو السمة المميزة لعصر الوزراء العظام .

وقد بدأت المدارس السنية في الظهور بمدينة الاسكندرية حتى انتقلت الى حاضرة الخلافة في القاهرة على يد صلاح الدين الأيوبي .
ففي عام ٥٣٢ هـ أنشأ الوزير رضوان بن ولخشي وكان مالكي المذهب (١) مدرسة لتدريس المذهب المالكي قرر فيها الحافظ أبا الطاهر بن عوف شيخ المالكية بالثغر وكانت تقع بشارع المحجة (٢) .

أما المدرسة الثانية فقد أنشأها أبو الحسن علي بن السـلار بالأسكندرية للحافظ أبي طاهر السلفي (٣) في عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م أي -
تخلّفاً لظاهر الفاطمي (٤) وأثناء ولاية ابن السلار على الاسكندرية (٥)
وعرفت بالسلفية .

-
- (١) د . المناوي : الوزارة ص ٣٠٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، د . المناوي :
المرجع السابق ص ١٠٧ - ١٠٨ ، وان كان د . الشيال : يرجع تاريخها إلى
عام ٥٣٣ هـ انظر د . الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .
(٣) ابوشامه : الروضتين ج ١ ص ٩١ وكان كرديا شافعي المذهب د . المناوي :
المرجع السابق ص ٣٠٣ .
(٤) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٤٤ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢١٩ .

وجاءت الطفرة في بناء المدارس السنية على يد صلاح الدين الأيوبي
وزير العاشر الذي أقبل على إنشاء المدارس السنية لمقاومة نفوذ المذهب
الشيعة (١) ، فأنشأ عدة مدارس بمصر القسطنطينية خصصت عند بداية تأسيسها
لتدريس مذهب واحد (٢) .

في أول المحرم عام ٥٦٦ هـ هدم صلاح الدين حبس المعونة بمصر وعميره
مدرسة للشافعية وعرفت بالمدرسة الشريفة وهي أولى المدارس السنية
بمصر القسطنطينية (٣) .

وفي المحرم من نفس العام هدم صلاح الدين دار الغزل (٤) بمصر وحولها
إلى مدرسة للمالكية عرفت بدار الغزل ثم عرفت بالقمحية لأن معلومها كان
يصرف للمدرسين والطلبة قمحاً (٥) .

(١) د. فريد شافعي : العمارة العربية ص ٢٤٨

(٢) د. حسن الباشا : المدخل ص ١٥٦

(٣) أبوشامه : الروضتين ج ١ ص ١٩١ المقرئ : اتعاظ الحنفية ج ٣ ص ٣١٩

(٤) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة : ج ٥ ص ٣٨٥

(٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٤٦ .

النصوص التأسيسية :

تدل النصوص التأسيسية لباني العصر الفاطمي الأخير على تزايد نفوذ الوزراء وتضائل نفوذ الخلفاء حيث احتلت أسماء وألقاب الوزراء الصدارة بينهم تراجع نصيب الخليفة منها وظهر أيضا في هذه الكتابات أسماء لولاة أقاليمهم ومحتسبين وقضاة مما كان لها أن تظهر لولا تراخي قبضة الدولة المركزية وتضائل نفوذ الخليفة .

ففي النص التأسيسي لباب الفتوح بسور القاهرة الشمالي والمؤرخ بالمحرم ٤٨٠ هـ تشير الكتابات الكوفية إلى أن منشئ الأسوار هو الوزير الأجـل بدر الجمالي الذي عدت القاية (١)

وفي النص التأسيسي لتجديدات بدر الجمالي بالجامع الطولوني (٢) يرد اسم الخليفة المستنصر في سطر واحد بينما يجرى أمر البناء منسوبا إلى بدر الجمالي والدعاء له في سطرين . وفي النص التأسيسي لتجديد جامع العطارين لم يرد اسم المستنصر بالله وحازت ألقاب ونعوت بدر الجمالي كل اللوح الرخامي (٣)

وفي اللوح التأسيسي لتجديدات جامع إسماعيل العتيق يشار إلى اسم المستنصر في صيغة داعية بينما يقترب أمر البناء ببدر الجمالي ويرد اسم القاضى على بن أحمد النضر الذي كان ناظرا للأحباس بالأعمال القوصية (٤) بينهم

(١) Répertoire / op. cit. Tome 7, P. 238.

(٢) محمود عكوش : المرجع السابق لوجه ١٦٠ P. Répertoire: op.cit.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٢٢٧ د . الشيال : المرجع السابق ص ٤٤

Répertoire: Op.cit. P. 225.

(٤) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٦ .

يخلو نص بناء المئذنة الذي كان باسم سارتيكين المنسوب الى الجيوشى (بدر) من
أى ذكر للمستنصر . (١)

وفي مشهد السيدة نفيسة الذى جدد عام ٤٨٢ هـ فى وزارة بدر الجمالى
ورد اسم الأفضل ابنه معه على النص التأسيسى الخاص بأعمال التجديد . (٢)

اما الجامع الغمري بالمحلة الكبرى فليعبر به إشارة الى اسم الخليفة
وانما حوى فقط اسم الوزير والقاضى أبو الفتح المسلم بن على بن الحسن متولى
الحكم الشريف فى الغريه . (٣)

وبأتى أمر انشاء الجامع الأقرم مقرونا باسم الأمر بأحكام الله الذى ذكر
— ألقابه والد طء له فى ٢٨٧ حرفا بينما جاء ذكر المأمون والد طء له فى
٣٧٨ حرفا . (٤)

وحتى عندما كان الحافظ لدين الله يحكم بدون وزير وأجرى تجديدات
فى الجامع الطولونى سجلها نص تأسيسى فان نصيب قاضى القضاء سراج الدين
أبو الشرياء بن جعفر هو الأوفى منها (٥)

(١)

Répertoire : Op. cit. P. 202.

(٢)

Ibid: P. 248.

(٣) د . سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٢٩١ .

(٤) د . سعاد ماهر : المرجع نفسه ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

Répertoire: Op. cit. Tome 8, PP. 146-81.

(٥) محمود عكوش : المرجع السابق ص ٩٠ .

Répertoire: Op. cit. Tome 9, PP. 175 -6.

ويبدو ألبون أكثر اتساعاً بين نصيب الخليفة والكتابات التأسيسية ونصيب الوزراء
في النص التأسيسي لجامع الصالح طلائع بن رزيك الذي حازت القابله
والدعاء له باعتباره منشئ هذا الجامع ٢٥٩ حرفاً مقابل ١٠٢ حرفاً
(١) للفائز بنصر الله .

(١) حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ٩٩، Op. Cit، Répertoire :
P.21.

تأثير المجاعات على الفنون التطبيقية

ليس الباحث هنا بصدد الحديث عن أثر كل مجاعة بمفردها على الفنون التطبيقية ، إذ أن المجاعة ، كحدث تاريخي ، ليست الإحداثا عابرا ، محدود الأثر ، زمانيا ، على حركة الصناعات والفنون ، فتطور هذه الفنون أو تدهورها لم يكن ليحدث طفرة واحدة ، فضلا عن أن العوامل المؤثرة على الفنون التطبيقية تعد بالأساس عوامل اقتصادية واجتماعية مستقرة وبتميزه بالثبات النسبي ولذا فإن النتائج التي تمخضت عنها المجاعات سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أوسياسية هي التي أثرت بشكل مباشر على هذه الفنون بالتغيرات الكمية التي تنتج عن كل مجاعة كانت تتراكم لتتحول في النهاية الى فوارق كمية ^(١) بلغت ذروتها في أعقاب الشدة المستنصرية التي كانت علامة فارقة في تاريخ الخلافة الفاطمية وآية لذلك أننا يمكن أن نميز بين منتجات مرحلتين مختلفتين في تاريخ الفنون الفاطمية أحدهما تشمل القرن ٤هـ والنصف الأول من القرن ٥هـ (١٠ - ١١ م) أي قبل الشدة

(١) عن العلاقة بين التغيرات الكمية والكمية راجع : —
بليخاتوف (ج) : تطور النظرة الواحدة الى التاريخ — ترجمة محمد مستجير
مصطفى — القاهرة ١٩٦٩ — ص ١١٦ .

العظمى والثانية تمتد من النصف الثاني من القرن ٥هـ حتى سقوط خلافة الفاطميين في القرن ٦هـ / ١٢م أي بعد الشدة المستنصرية .

وترتكز دراسة أثر نتائج المجاعات على الفنون التطبيقية بعد الشدة العظمى على مفهومين رئيسيين :-

١- ان ما خلفته المجتمعات البشرية من آثار ثابتة ومنقولة كانت تعبيراً حضارياً عن حالة هذه المجتمعات ، اتخذ من طريق الصناعة والتشييد والفن سبيلاً من سبله المتنوع للافصاح عن نفسه . (١)

٢- ان منتجات الفنون التطبيقية في معظمها سلع ذات طابع فني سواء كانت تستخدم للاستخدام الشخصي أو المنزلي كالخزف والزجاج والنسيج أو كانت سلعاً لترفيه كالحلى والمعادن والبللور الصخري ، وهي في ذلك تخضع في انتاجها وذوقها الفني لطبيعة الطلب عليها ، وديهي ان الطلب على هذه السلع يرتبط الى حد كبير بنظم توزيع الثروة التي تترك أثرها على منتجات العمارة والفنون وتوضح في الوقت نفسه المستويات المختلفة لمعيشة كل طبقة من طبقات الامم . (٢)

(١) د . صلاح الدين سيد البحيري : نحو منهج تحليلي وانساني في دراسة الأركيولوجيا - مقال بالمجلة العربية للعلوم الانسانية - العدد الرابع - المجلد الاول - الكويت ١٩٨١ - ص ١٥ .

(٢) د . فريد شافعي : العمارة العربية ص ٢٣٣ .

وقد أوجدت نظم توزيع الثروة في المجتمع المصري بعده الشدة ، نمطين مختلفين من الطلب نتيجة لتغير موازين القوى الشرائية : —

١- نمط الطلب الأهل

الذي يشمل القوى الشرائية الكبيرة التي حازها أفرادها القسط الأكبر من ثروات البلاد بعد الشدة العظمى ، والقوى الاجتماعية صاحبة هذا النمط من الطلب تشمل رجال العسكر ، الذين كانوا يتولون الوزارة ومناصب ولاه الأقاليم ، كما أن الأجناد كانوا هم المقطعين الذين حازوا معظم قبالات الأراضي الزراعية ، وقد لعبت ثروات هذه الفئات وميولها الترفيه لتقليد الخلفاء أثرا بعيدا في تشكيل نمط الطلب الترفي الذي ساد المجتمع بعد الشدة

مضاف الى فئات العسكريين ، كبار التجار ، سواء عملوا في تجارة السلع الغذائية أو ارتبطوا بازدهار تجارة العبور (الترانسيت) ولحق بهذه القسوى موظفى الدواوين أفادوا من تراخي القبضة المركزية للدولة ، وخاصة الذين كانت أعمالهم تتعلق بأقاليم البلاد كالمساحين ومحصلى الضرائب . وقد تمتع الأقباط بمركز متميز بين الفئات الأخيرة ، لأن الدولة كانت تعول عليهم في مسح الأراضي الزراعية وتقدير الخراج .^(١) ولا نجد وصفا لمركزهم المميز أبلغ تعبيراً أو أشمل

(١) سجل لنا المقرئى محاولة أحد الكتاب الأقباط في عهد الحافظ لدين الله تقرير ضريبة اطيان على ضامن المعديّة الذي أصر على تحصيل أجر تعديده الكاتب رغم أن ضامن المعديّة لا يملك أراضي زراعية — الخطط ج ٤٠٥

مما أورد المقيزى عن حالهم فى عهد الحافظ لدين الله بعد أن ولى الدواوين الأخرم بن زكريا الذى أعاد " كتاب النصارى " وأفرما كانوا عليه وشرعوا فى التجسس والغزو فى اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغال الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضائقوا المسلمين فى أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاقواف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين " (١) والحق أن أهل الذمة احتلوا طوال عصر الفاطميين مكانة بارزة سواء اشتغلوا بالتجارة أو خدموا فى دواوين الدولة ، ويمكن ترسم أثرهم على الفنون فى ظهور رموز مسيحية على بعض المنتجات الفنية .

٢- نمط الطلب الأندلسى :-

ويشمل القوى الاجتماعية ذات المقدرة الشرائية الضعيفة ، التى يأتى الفلاحون فى مقدمتها باعتبار تأثيرهم باضمحلال الزراعة وانتشار الأوبئة الفتاكـة أثناء المجاعات التى نشرت الفقريين صفوف الفلاحين ، فلم يعودوا يقادرون على الدخول فى تزايدات قبالة الأراضى ، وظلوا حتى نهاية العصر الفاطمى مجرد أجراء فى الأرض .

وللى هذه القوى المحدودة الدخل ينتسب فقراء المدن الذين أرهقوا من جراء تزايد المكوس التى شملت جميع أوجه النشاط التجارى والصناعى .

وقد توجه " طلب " هذه القوى الشرائية المنخفضة نحو السلع الرخيصة التى تلبى احتياجاتهم المعيشية الأساسية .

(١) المقيزى : اتعاظ ١ ص ٤٠٦ .

وأزاء وجود هذين النمطين المتباينين من الطلب ، نشأ نمطان مقابلان من " العرض " يوفر كل منهما سلعا تستجيب لهذه القدرات الشرائية المتناقضة ورغم أن المنتجات أو السلع المرتفعة الثمن تميزت بدق فنى رفيع ، إلا أن السدوق الفنى لم يتخل عن المنتجات الرخيصة الثمن ، لأن منتجات العصر الفاطمى الأخير تميزت فى مجملها بطابع عام مميز كما سنرى على منتجات الخزف بشكل خاص .

تأثير المجامع على منتجات الخزف والفخار :-

يعد الخزف والفخار أكثر منتجات الفنون التطبيقية تأثرا بحالة المجتمع وأبلغ تعبير عنها فى ذات الوقت ، ويرجع ذلك ليس فقط ، إلى قابليته للكسـر بسهولة ، مما يجعل الطلب عليه فى تجدد مستمر ، بل وأيضا إلى أن الخزف كان مادة شائعة الاستعمال بين كل طبقات المجتمع ، حتى أن الخزف يعد سجلا صادقا لحالة المجتمع المصرى قبل وبعد الشدة ، حافلا بالاشارات إلى مستويات المستهلكين المادية وذوقهم الفنى .

١ - الخزف والبريق المعدنى :-

وهو نوع من الخزف ابتكره الخزاف المسلم ربما ليكون بديلا عن الأوانى الذهبية والفضية التى حرم الإسلام استعمالها .^(١) وفى هذا النوع تستعمل الأكاسيد المعدنية للرسم على البطانة البيضاء المعتمة التى تكسى بها طينة الاناء ، وذلك بعد حرق الأوانى حرقا أوليا ثم تحرق بعد الرسم حرقا بطيئا جدا تحت درجة حرارة أقل من

(١) د . زكى محمد حسن : فنون الاسلام - القاهرة ١٩٤٨ - ص ٢٥٩ .

الأولى وعندئذ تتحول الأكاسيد المعدنية باتحادها مع الدخان الى طبقة معدنية رقيقة جدا (١).

ولا شك أن المواد المستخدمة في صناعة هذا النوع تضعه في مصاف المنتجات المرتفعة الثمن التي تقبل على شرائها القوى الشرائية الأكبر في المجتمع ، خاصة وأن هذا النوع كان يحرق في القرن ثلاث مرات (٢) قابلة للزيادة عند استخدام طلائع مختلفة يلزم حرقها (٣).

وتظهر استجابة صناع أواني الخزف ذي البريق المعدني " لطلب " الاغنياء الجدد الترفي أول ما تظهر في طريقة صناعة هذه الأواني ، فمنتجات هذا النوع التي تنتسب الى قبل الشدة العظمى (٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م) تختلف عن منتجات بعد الشدة (٥ - ٦ هـ) ١١ - ١٢ م التي تتميز بجمال اشكال أوانيها ورقه جدرانها (٤).

ومن الناحية الزخرفية ، ازدادت العناية بزخارف أواني الخزف ذي البريق

المعدني بعد الشدة ، ويعزى أوليج جرابار Grabar ذلك التطور الذي حدث في منتصف القرن ١١ هـ / ١١ م الى الشدة العظمى عند ما ظهر الى النور عدد

(١) ديماندي (م.س) الفنون الاسلامية : القاهرة ١٩٥٨ - ص ١٢٥ .

(٢) مرة لاكساب الطمي صلبة وثانية لتثبيت الطلاء الزجاجي والثالثة لتثبيت الملاصق المعدني - انظروا :-

جمال محرز : الخزف ذي البريق المعدني في مجموعته * على ابراهيم - بحث مستخرج من مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة - المجلد السابع - عدد يوليو ١٩٤٤ - ص ٢٠ .

(٣) د . حسن الباشا : المدخل الى الآثار الاسلامية ص ٣٢٥ .

(٤) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٣١٥ .

من التحف الفنية التي كانت حتى ذلك التاريخ محجوبة عن الأنظار ، نتيجة عمليات النهب التي جرت لخزائن المستنصر^١ ومن ثم فإن الموضوعات الفنية التي كانت مقصورة على دوائر الخليفة والامراء أصبحت متاحة أمام البرجوازية الثرية الجديدة في مدينة القاهرة وتحولت على أيديها الى فن مصري جديد^(١) والواقع أن زخارف الخزف تميزت بعد الشدة بتصميماتها المركبة ودقتها سواء كانت رسوما تمثل الطيور والحيوانات وآدميين أو زخارف نباتية وكتابية وهندسية .

زخارف الخزف ذي البريق المعدني قبل الشده :-

اعتمدت التصميمات الزخرفية في القرن ٤ هـ - ١٠ - ١١ م على رسوم عنصر زخرفي رئيسي يمالأ المسطح المراد زخرفته ، وهذه سمة عامة لمنتجات هذه الفترة التي ينسب جزء منها للفنان مسلم ومد رسته^(٢) وتتماز هذه الرسوم بالبساطة ، وكلها تقريبا مجرد موضوعات زخرفية قصد منها ملأ فراغ الاناء بالرسوم ولم تخرج هذه الزخارف عن عناصر الزخرفة الإسلامية المعروفة .

ومن القطع التي زخرفت برسوم الحيوانات كموضوع زخرفي ، صحن من الخزف ذي البريق المعدني محفوظ بمتحف الفن الاسلامي ببرلين^(٣) ملأ الفنان أرضيته برسم أرنب طويل الأذنين يخرج من فمه فرع نباتي يتشكل على هيئة أنصاف مراوح

(١) جوايار (أوليج) : الفنون العالمية والمحلية في الاسلام (موضوع الفن في العصر الفاطمي) - ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٧٠ - ج ١ ص ٢٤٩ .

(٢) مسلم بن الدهان أحد الخزافين الذين وردت توقيعاتهم على القطع الخزفية الفاطمية وينسب انتاجه الى نهاية القرن ٤ هـ ومداية القرن ٥ هـ - انظر د . محمود ابراهيم حسين : اعلام المصورين المسلمين واشهر اعمالهم - القاهرة ١٩٨٢ - ص ٤٨ .

(٣) Kleij(A.) Islamische Kermik, Berlin 1973, S.90.

نخيلية ، تختلط مع جسم الأرنب لتكون موضوع زخرفيا واحدا . وتتضح في رسم الأرنب نفس السمات التي ميزت رسم الحيوانات في هذه الفترة من عدم مراعاة النسب التشريحيه والميل إلى رسم أجسام مثله للحيوانات (١)

ومثبه أسلوب رسم هذا الأرنب رسم لأرنب على صحن محفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة (رقم السجل ١٩٣١) يتميز باستطالة الأذنين وامتلاء الجسم ، ومخرج من فمه فرع نباتي ينتهى بورقة ثلاثية ، ومحيط برسم الأرنب مناطق رسمت بها دوائر تتوسطها نقط داكنة (لوحة ٧٦) وكان رسم هذه المناطق شائعاً في الخزف ذي البريق المعدني العباسي (٢) وقريب من ذلك التصميم ما نجده على كسرة من الخزف محفوظة بمتحف الفن الإسلامي ببرلين تمثل حصانا تخرج من فمه ورقه نباتية ثلاثية ومحيط برسم الحصان نفس المناطق التي تحوى الدوائر المنقوطة (٣) وتمتاز زخارف الخزف قبل الشدة بوضوح الرسم وفخامته والانصراف عن التفاصيل وتتضح هذه المميزات في رسم لشور يتوسط صحن من الخزف ذي البريق المعدني (٥) ، إلا أن عدم اهتمام الفنان بالتفاصيل أو تمثيل الواقعية في رسمه لم يخف محاولته إظهار

(١) د . محمود إبراهيم : المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) د . زكي حسن : فنون الاسلام ص ١٦٤ ، شكل ١٨٨ .

(٣) Klein(A.), Op. cit. S. 92.

(٤) ديمان (م . س) : الفنون الاسلامية ص ٢١٢ .

(٥) د . حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامي في مصر ص ٦٨ ، شكل ١٧ .

القوة والضخامة على نسب أجزاء الحيوان الذى أحيط بأفرع نباتية ملتوية تخرج منها
أوراق ثلاثية وانصاف مراوح نخيلية . وهذا الصحن محفوظ بمتحف كلية الآداب
بجامعة القاهرة (رقم السجل ١٧١٥) ، لوحه (٧٧) وشبيه بأسلوب رسم هذا
الشورمانجده على كسره من الخزف^(١) الذى البريق المعدنى من رسم لجزء من جسم
حيوان يتسم بالقوة وضخامة النسب (لوحه ٧٨) .

ومن أعمال الخزف الذى البريق المعدنى التى ترجع إلى قبل الشدة المستنصرية
صحن كان ضمن مجموعة د . على إبراهيم ، قوام الزخرفة فيه رسم فيسل ضخم الجثة
يحتل مساحة الصحن كلها تاركا فراغا بسيطا مزينا بأوراق نباتية من ثلاثة فصص
ويلاحظ أن الخزاف الذى وجد توقيع على هذه القطعه مقرونا باسم مصر " عمـل
إبراهيم بمصر " (٢) جعل للفيل ذنبا طويلا وهو ما يجافى الواقع .

والرسوم التى تجمع أكثر من حيوان على الأواني الخزفية التى ترجع إلى
القرن ٤ - ٥ هـ / ١٠ - ١١ م قليلة ، ومن أمثلتها ، قد رمن الخزف محفوظ بمتحف
الفن الإسلامى بالقاهرة تتألف زخرفته من ثلاث مناطق رئيسيه وعريضه تفضل كـ
منها عن التالية منطقة ضيقه فيها رسوم انصاف مراوح نخيلية ، أما المناطق الرئيسيه

Butler(A.), Islamic Pottery. London 1926 Pl. IX-B. (١)

(٢) جمال محرز : الخزف والبريق المعدنى ص ٥ . وقد وجد اسم إبراهيم
هذا فوق قاع اناء عليه زخرفه نباتية بالبريق المعدنى - انظر : د . محمود إبراهيم
المرجع السابق ص ٦٦ .

الثلاثة فقوم الزخرفه في كل منها رسم حيوان ينقض على أرنب ليفترسه وحول هذا الرسم زخارف نباتية من فروع ووريقات. (١)

ولا يختلف الأمر كثيرا فيما يتعلق برسوم الطيور التي زخرفت بها أواني الخزف ذي البريق المعدني قبل الشدة العظمى ، فقد كان رسم الطائر يمتد إلى معظم سطح الاناء محاطا بالزخارف النباتية او الكتابية . ومثلما نجد على كسرة من الخزف يتوسطها رسم لطائر يتدلى من منقاره فرع نباتي وتحيطه الأفرع النباتية الحلزونية (٢) وقد رسم الطائر بشكل تخطيطي لا يهتم بمحاكاة الطبيعة أو إظهار التفاصيل ، وقد رسمت عين الطائر على هيئة دائرة بداخلها نقطة داكنة (لوجه ٧٩) .

وفي متحف المتروبوليتان بنيويورك سلطانية من إنتاج الخزاف مسلم يزينها رسم بالبريق المعدني الذهبي لنسر ناشر جناحيه فغطى فراغ الاناء (٣) ولنفس الفترة تنسب كسرة من الخزف عليها رسم بالبريق لطاووس (٤) تحيط به رسوم أوراق نباتية ثلاثية الفصوص (لوجه ٨٠) .

(١) د . زكي حسن : اطلس الفنون الزخرفية والتصامير الاسلامية - القاهرة ١٩٥٦ ص ١٢ شكل ٤٠ .

(٢) Butler (A.), Op. cit. Pl. IX . A.

(٣) ديماندي (م . س) : المرجع السابق ص ٢١٧ .

(٤) Butler (A.), Op. cit. Pl. X - A.

وقد نجد في بعض قطع الخزف التي تؤرخ بالقرن ٤هـ - ١٠هـ / ١٠ - ١١م تصميمات زخرفية تجعل من رسم الطائر موضوعاً أساسياً يتوسط الأنية وتحيط به زخارف نباتية كما في صحن من الخزف محفوظ بمتحف الفن الإسلامي^(١) بالقاهرة ، يتوسطه رسم بالبريق لديك في منقاره ورقة نباتية ثلاثية ، والدريك محصور داخل دائره محاطة برسم أشكال مراوح نصف نخيلية (لوحة ٨١) ورسم آخر على طبق لطاوس ومسك في منقاره فرط نباتيا ، وضم الذيل كلمة بالخط الكوفي تصعب قراءتها ومحيط بالجامه التي تحصر رسم الطاوس كتابة كوفية وورقتان نباتيتان كبيرتان يتوسط كلا منهما ثقب بيضاوي الشكل^(٢) . وحتى في حالة رسم أكثر من طائر على الأنا ، فان كل طائر كان يرسم باعتباره موضوعاً زخرفياً مستقلاً محصوراً داخل منطقة أو جامه مثلما نجد في قدر محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة^(٣)

وقد وصلتنا من فترة ما قبل الشدة أواني من الخزف ذي البريق المعدني ، اتخذت من الرسوم النباتية موضوعاً زخرفياً رئيسياً لها ، وأشهر هذه الأمثلة الثابتة التاريخ طبق محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة يؤرخ بحوالى عام ٤٠٤هـ / ١٠١٣م ، وهو يحمل اسم غن أستاذ الأستاذين في عصر الحاكم بأمر الله ، وتقوم زخارف هذا الطبق ذات البريق المعدني الذهبي على أرضية بيضاء يتكون تصميمها العام من ثمانى مناطق متساوية تمتد من حافة الطبق نحو المركز وقوام زخارف هذه المناطق وحدتان تتكرران

(١) زكى حسن : فنون الإسلام ص ٣١٢

(٢) أحمد حمدى (وآخرون) معروض الفن الإسلامي في مصر - القاهرة ١٩٦٩ - ص ١٠٥
لوحة ٢٣

(٣) د . زكى حسن : أطلس الفنون ص ١٢ شكل ٤١

بالتبادل حول الطبق أربع مرات باختلاف ضئيل وتتألف إحدى الوحدتين من مسراج
نخيلية في أوضاع متناظرة وتتكون الأخرى من شجرة محورة تخرج منها أفرع نباتية
متماثلة (١).

وتعد الزخارف النباتية التي رسمت على هذا الطبق معدومة النظير في الأوانس
المعاصرة سواء من حيث الدقة أو اتقان التصميم الزخرفي ، ولعل ذلك راجع
إلى أن هذا الطبق لأحد كبار رجال الدولة.

وقد تميزت الرسوم النباتية المستخدمة كموضوع زخرفي رئيسي بكبر حجمها
مثل الزخارف الحيوانية ورسوم الطيور ، ونجد ذلك في قدر محفوظ بمجموعة كليمان
في متحف فيكتوريا وألبرت بلندن ، حيث تحتل أشكال المراج النخيلية منطقة
عريضة متسعة من بدن القدر (٢) وشبه ذلك القدر آخر محفوظ بمتحف الكويت الوطني (٣)
قسمت زخارفه النباتية على أربعة أشربة عرضية مزخرفة بأشكال مارج نخيلية وأنصاف
مارج نخيلية بأحجام كبيرة تذكرنا بزخارف سامرا من الطراز الثالث (لوحة ٨٢) .

ولم يسهم الفنان استخدام الزخارف الكتابية كموضوع رئيسي للزخرفة على أوانس
البريق المعدني قبل الشدة العظمى وتميزت الزخارف الكتابية أيضا بضخامة الحجم
وعدم الاتقان كما أنها قد تكون غير مقروءة في بعض القطع .

(١) د . حسن الباشا (وآخرون) القاهرة ص ٥٢٣-٥٢٤ ، شكل (٢٢) وعبد
استاد الاستاذين : أنظر : د . حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف
ج ١ ص ٦٣ .

(٢) Du Ry (C.) : Die Welt des Islam. West Germany 1970. S. 83.

(٣) جينكينز (مارلين) : الفن الإسلامي في متحف الكويت الوطني - لندن - ١٩٨٣
ص ٢٧ .

ومن القطع التي وردت عليها كتابات صحن محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، قوام زخرفته رسم ثلاث مناطق لوزية الشكل تفصلها ثلاث مناطق أخرى على هيئة شرافات وتضم كل من هذه المناطق الست شريطا من كتابة كوفية على أرضية من الفروع والأوراق النباتية (١) .

ونفس المتحف كسره (٢) من الخزف عليها بقايا كتابة كوفية بيد وأنما كانت تشكل الموضوع الزخرفى الرئيسى لصحن من الخزف ذى البريق المعدنى (لوحة ٨٣)

ومن أمثلة الخزارف الكتابية التى تتسم بعدم الدقة فى رسمها ، كتابة على صحن محفوظ بمتحف الكويت الوطنى (٣) به كتابة تقرأ " بركة لصاحبه " (لوحة ٨٤) وأخرى على صحن محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وموسط الصحن رسم لانا الى يساره زخرفة بالخط الكوفى تقرأ المن (٤) وكتابة تقرأ نعمة شاملة وركبة كاملة " على سلطانية كانت بمجموعة د . علوايراهيم وترجع الى القرن ١٠هـ / ١٠ (٥)

ولم يكن الأمر أفضل من حال الخزارف السابقة فيما يتعلق باستخدام الرسوم الأدبيه فى زخرفته أوانى البريق المعدنى قبل الشدة العظمى .

(١) د . زكى حسن : اطلس الفنون ص ١٥ شكل ٥١ .
Butler(A.), Op. cit. Pl. X-B. (٢)

(٣) جنكينز (مارلين) المرجع السابق ص ٢٦ .
Musée de l'Art Arabe du Caire : La Céramique Egypt- (٤)
inne de L'époque Musulman. Le Caire 1922. Pl.28. (٥)

د . جمال محرز : الخزف ذو البريق المعدنى شكل ٤ .

فقد اعتاد الخزافون في تلك الفترة استخدام رسم آدمى واحد يغطى الاناء بكامله على أرضية من زخارف نباتية أو زخرفة الدوائر المنقوطة ، ونرى ذلك فى عدة أمثله يرجع صحن منها إلى القرن ٤هـ / ١٠م ومحموط بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، يتوسطه رسم لراقصة لم تراعى فيه النسب التشريحية (١) وتجلسى عدم مراعاة النسب التشريحية بشكل أوضح فى كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى ، كانت تمثل قاع اناء يتوسطها رسم لرجل يكاد (٢) طول الذراعين فيه يماثل حجم الجسم بكامله (لوحة ٨٥) وفى متحف كلية الآثار بجامعة القاهرة صحن من الخزف ذى البريق المعدنى يرجع الى القرن ٤هـ / ١٠م (رقم السجل ١٩٣٠) يتوسطه رسم بالبريق لعازف على آلة تشبه العود ، تحيط به أوراق نباتية ثلاثية الفصوص ودوائر منقوطة ، ومظهر جليا عدم اهتمام الخزاف بالنسب التشريحية وخاصة فى رسم اليدين والوجه المرسوم بطريقة اصطلاحية ، فضلا عن أهمال إبراز التفاصيل فى ملابس العازف (لوحة ٨٦) .

قريب شبه بهذا الرسم ما نجده على صحن آخر محفوظ بمتحف كلية الآثار جامعة القاهرة (رقم السجل ١٩٣٩) وأن كان رسم الراقصة على هذا الصحن يتسم بقدر أكبر من الدقة وهو ما قد يرجع نسبته إلى القرن ٥هـ / ١١م (لوحة ٨٧) .
ومشكل عام فإن الرسوم الأدبية تميزت فى تلك الفترة بالجهود والبعد عن الطبيعة بل أن بعض هذه الرسوم كان يكتسب طابعا زخرفيا محضا ، كما فى صحن

(١) د . محمد مصطفى : متحف الفن الاسلامى - دليل موجز - القاهرة ١٩٧٩
شكل ٦٤ .

Butler(A.), Op. cit. Pl. IX . F.

(٢)

محفوظ بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة بوسطه رسم بالبريق لمرجل يمسك في يده
كأسين في منظر شراب ، وقد زخرفت ملبسه بأوراق نباتية ضخمة وأفرع نباتيه ، و
واضحا بعد الفنان عن محاكاة الطبيعة في الطريقة التخطيطية لرسم الوجه والرسم
المشوه لأصابع اليدين .^(١)

زخارف أواني الخزف ذي البريق المعدنى بعد المدة :

تميزت زخارف الخزف ذي البريق المعدنى في تلك الفترة (٦٥٠ هـ / ١١١٠-١٢٠٠ م)
بكثرة الموضوعات الزخرفية المستمدة من رسوم الآدميين والحيوانات^(٢) ، متأثرة فـ
ذلك بالموضوعات الزخرفية التي كانت سائدة في التحف التي أخرجت من خزائن المستنصر
بالله أثناء الشدة العظمى وأصبحت الموضوعات الزخرفية تتسم بالتصميم المركب الذى يجمع
بين أكثر من عنصر زخرفى ، يمزج بينهم الخزاف في وحدة فنية متكاملة شديدة التعقيد
في بعض الأحيان .

وأتاح صغر حجم الوحدات الزخرفية رسم أكثر من عنصر زخرفى ، وديهم
أن صغر حجم الزخارف وتعدد ها يعنى زيادة العمل المبذول في رسم زخارف الأنية
وزيادة كميته مادة البريق المستخدمه والمحصلة النهائية لذلك كله ارتفاع ثمن الأنية .

وفي هذه الفترة قل الاعتماد على العناصر النباتية كموضوع زخرفى رئيسى وابتعدت
الزخارف النباتية عن طابع البساطة والضخمة وعدت الشقة بينها وبين زخارف طرز

(١) احمد حمدى (وآخرون) معرض الفن الإسلامى - لوحه ٢٤ .

(٢) جرابار (اوليج) الفنون العالميه والمحليه ص ٣٤٩ .

سامرا ، التي كانت سائده في زخارف الخزف قبل الشدة العظمى .
ودليل ذلك رسوم أنصاف مراوح نخيلية وعناصر نباتية أخرى مرسومة على أرضيه مسطحة
البريق المعدني ، تتسم بقدر كبير من الاتقان وبراعة التنسيق وجمال التصميم المتوازن
نجدها على صحن محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة . (١)

ومن أبداع أمثلة زخارف الخزف ذي البريق المعدني التي تجمع بين رسوم
النباتات والطيور ما نجده على صحن من الخزف (لوحة ٨٨) . في مجموعة Cote
في ليون بفرنسا تتألف زخارفه من رسم شجرة دقيقة والفروع محورة عن الطبيعة وعليها
رسوم ستة عشر طائرا في أربعة صفوف وقد تطورت الزخرفة في هذا الصحن ، فازدادت
الدقة وصغر قياس الرسم بالنسبة للطيور وقلت الفروع والسيقان والورقات النباتية
التي ميزت زخارف ما قبل الشدة وترجع هذه القطعة إلى القرن ١٢ هـ / ١٢ م . (٢)

وشبه طبق آخر من الخزف ذي البريق المعدني رسمت بوسطه نجمة سداسية
تحيط بها مناطق هندسية بكل منها رسم لطائر ، ومنسب Lane هذه القطعة
إلى القرن ١٢ هـ / ١٢ م لما اتسمت به بتعقيد في تصميمها (٣)

ولحق التطور نحو الدقة والواقعية أيضا رسوم الحيوانات ومن أمثلة ذلك
كلاب الصيد التي التفت حول أشكال الجداول التي تتوسط الأناء الذي غطيت أرضيته
بالبريق المعدني بينما تركت الرسوم محجوزة يدون بريق والأناء محفوظ بمتحف الفن

(١) د. زكي حسن : أطلس الفنون ص ١٥ شكل ٥٢ .

(٢) Koechlin(R.), Migeon(G.), Islamische Kunstwerke -Berlin
1928. Tafel XVIII.

(٣)

1953
Lane(A.), Early Islamic Pottery, London. Pl. 29 -A.

الإسلامى بالقاهرة^(١) ونفس المتحف صحن من الخزف يرجع إلى القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م يعتمد في تصميمه على دائرتين متحدتي المركز ، الوسطى تضم رسم أرنب خلفه ورقة نباتية محوره والدائرة الأخرى تضم رسما لخمسه أرنب تسير متتابعه وفي قم كل منهما ورقة نباتية محوره^(٢) ويلاحظ على رسوم هذا الصحن صغر حجم الحيوانات ودقة رسم الزخرفه النباتيه .

ولم تعد الزخارف الكتابيه تمثل موضوعا زخرفيا رئيسيا في الخزف ذي البريق المعدني الذي يرجع إلى القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م ، ولت أحجام هذه الكتابات التسي اتخذت من الخط الكوفي المورق نمطا سائدا في زخارف هذه الفترة مثلما نرى على كسرة خزفيه محفوظه بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة عليها كتابة متكرره تقرأ العز^(٣) . وتحولت الكتابات الدقيقة وغير المقرؤة في كثير من الأواني إلى مجرد عناصر زخرفيه تستخدم في تحديد المناطق الزخرفية وحواها^(٤) . بعد أن كانت هذه الحواف تزخرف بزخارف بسيطة في أواني القرن ٤-٥هـ / ١٠-١١م مثل أسنان المنشار (لوحة ٧٦) والنقط (لوحة ٧٩) أو انصاف دوائر (لوحة ٨٤) .

أما الرسوم الأدبيه فان تأثيرها بمتحف الخلافة والاتجاه الترفى الذى ميز خيل الطبقات البرجوازية كان أبعد من أى نوع آخر من الزخرفه فازدادت العناية برسوم

(١) Musée de L'art Arabe du Caire , La Ceramique Pl.28.

(٢) د . زكى حسن : الأطلس شكل ٥٨ ص ١٧ .

(٣) Musée de L'art Arabe du Caire, Op. cit. Pl. 29.

(٤) د . زكى حسن : الأطلس شكل ٤٦ شكل ٥٥ .

الآدميين التي حاول الفنان فيها إبراز السمات الشخصية وراعى الدقة في رسم تفاصيلها وخاصة رسم الوجه وأشكال العمامة والملابس مثلما نجد على كسرة من الخزف ذي البريق المعدني محفوظة بمتحف الكويت^(١) وترجع إلى القرن ٥-٦هـ / ١١-١٢م (لوحة ٨٩).

والى جانب محاكاة الطبيعة وصغر نسب رسم الآدميين الذي استندى تعدد الأشخاص في الأناء الواحد ، ظهرت الرسوم الآدمية في النصف الأخير من العصر الفاطمي كمنظر تصويرية تمثل موضوعات بعينها ، فسجل أحد الأطباء لعبادة التحطيب ، وهو محفوظ بمتحف الفن الاسلامي وقوام زخرفته المرسومة على أرضية من البريق المعدني رسم لرجلين يرقصان ويتبارزان بالعصى ونلاحظ أن كلا من الرجلين يمد وظهرى الرأس وأن أحد هما رسم رسما جانبيا بينما يمد والآخر في وضعية ثلاثيه الأبعاد^(٢).

وقد انتشرت الرسوم التي تتعلق بحياة العسكريين والجنود الذين أصبحوا يمثلون الحكام الفعليين للبلاد ونجد صدى سيطرتهم على صحن من الخزف رسم على أرضيته الملونة بالبريق المعدني صورة فارس يمتطي صهوة جواده وفوق يده اليسرى طائر من الطيور الجارحة التي تستخدم في الصيد^(٣).

(١) جنكينز (مارلين) : الفن الاسلامي في متحف الكويت ص ٥٥.

(٢) د. حسن الباشا : الهدخل ص ٦٨ شكل ١٠٣.

(٣) د. زكي حسن : الاطللس شكل ٤٣.

ويلاحظ أن كثرة رسوم العسكريين لم تكن ظاهرة قاصرة على الخزف ذي البريق المعدني إذ نجد صداها في الرسوم القليلة التي وصلتنا على الورق وترجع إلى العصر الفاطمي مثل قطعة من الورق عليها رسم الخبير الأسود يمثل أميراً ومعه أحد قواده وفوق الرجلين شريط من كتابة كوفيه مزهرة نصها " عز وأقبال للقائد أبي منب " وهو محفوظه بمتحف الفن الاسلامي^(١) ويمكن نسبتها إلى القرن ٥هـ / ١١م.

وقد انعكس الوزن المتزايد لدور الأقباط بعد الشدة العظمى على منتجات الخزف الذي ينسب إلى القرن ٥هـ - ١١م مثلما نجد في سلطانية من الخزف ذي البريق المعدني محفوظة في مجموعة كيليكيان عليها صورة قسيس يمسك بمخضرة على هيئة مشكاة^(٢) (لوحة ٩٠-٩١) وهي تحمل توقيع سعد الذي ينسب إنتاجه إلى نهاية القرن ٥هـ والقرن ٦هـ (١١-١٢م)^(٣) كما أن هناك قطع خزفية عليها رسوم لرجال دين مسيحيين كما في كسرة من الخزف ذي البريق المعدني عليها رسوم قسيس وحول رأسه هالة التقديس بداخلها شكل لصليب كما يشير القسيس بيد إلى علامة التثليث والقطعة ترجع إلى القرن ٥هـ / ١١م^(٤)

(١) د. حسن الباشا : فنون التصوير ص ٦٤-٦٥ وإلى القرن ٥هـ - ٦هـ تسبيح
الرسوم الفاطمية على الورق التي تمثل مناظر حراسة أو معارك حربية تتصل جميعها
بحياة العسكريين أنظر : محمود ابراهيم حسين : التصوير الاسلامي في مصر
في العصر الفاطمي على الورق والجدران والخزف والعاج : رسالة ماجستير - كلية
الاثار جامعة القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٨ ، لوحة ٦٧ شكل ١ ب.

(٢) د. حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامي ص ٧٠.

(٣) د. محمود ابراهيم حسين : أعلام المصورين ص ٦١.

(٤) د. سعاد ماهر : أثر الفنون التشكيلية الوطنية القديمة على فن القاهرة في العصر
الفاطمي مقال ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - أبريل -
١٩٦٩) القاهرة ١٩٦٩ ج ٢ ص ٥٣٧ شكل ٩.

ب - فخار الفيوم المطلبي :

وهو من المنتجات الرخيصة الثمن ، وفيه تزخرف البطانات بألوان متعددة على شكل أشرطة تلتقى في مركز الأطباق ، أو تزخرف القدر وطوليا ويشيع في زخارف هذا النوع البقع المرشوشة أو المنشورة التي تغطي سطح الاناء وقد عثر على كسر وأوانع من هذا النوع في منطقته الفيوم فعرف لذلك بخزف أو فخار الفيوم ^(١) وقد صنع هذا الخزف في مصر منذ القرن ٣ هـ / ٩ م تقليدا للخزف أسره تانج الصينيه ^(٢) ومن الصعب تأريخ القطع التي تزخرف بالبقع أو الأشرطة نظرا لخلوها من العناصر الزخرفية الواضحة التي تساعد الباحث على نسبة التحفة إلى أقرب التواريخ احتمالا . ومن أمثله هذا النوع طبق صغير محفوظ بمتحف كلية الآثار (رقم السجل ١٤٤٥) به بقع من ألوان متعددة تغطي سطح الطبق بكامله (لوحه ٩٢) كما استخدم الحزفي بطانة بعض الأواني لرسم بعض الزخارف إلى جانب تغطية سطح الاناء ببقع الألوان المتعددة ومن أمثله ذلك صحن محفوظ بمتحف كلية الآثار (رقم السجل ١٩٨١) يحوى زخارف محزوزة تشبه السائفة في العصر الطولوني وداية العصر الفاطمي (لوحه ٩٣) .

وقد أثر الاتجاه الفني العام الذي ساد المنتجات الفنية بعد الشده العظمى على هذا النوع من الفخار الرخيص حيث أبى ذوق الفنان المسلم ألا أن يطبع هذه الأواني بطابع فنون الخلافة الفاطمية استجابة لرغبات الناس في حيازة أواني قريبة الشبه ما كان في خزائن الخلفاء ، فتخلت هذه الأواني الفخارية عن طابع التقليد الصيني وظهرت

(١) د . حسن الباشا وآخرون : القاهرة ص ٣١٧ .
(٢) د . زكي حسن : أطلس شكل ٦٥٥٤ ص ٢ . حكمت أسره تانج الصين حوالى
ثلاثة قرون (٦١٨ - ٩٠٧ م) أنظر فهمى هويدى : الإسلام في الصين - عالم
المعرفة ٤٣ - الكويت ١٩٨١ ص ٤٢ .

(١) عليها الزخارف الكتابية والهندسية كما في قدر محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
قوام زخرفته مناطق نجمية في بعضها كلمات " بركة شاملة " بالخط الكوفي وفي البعض
الآخر رسم وريده (لوحه ٩٤) ويتسم التصميم الزخرفي لهذه القطعة بنفس طابع
الزخارف المركبة التي سادت بعد الشدة العظمى ويمكن نسبة هذا القدر إلى القرن
١٢ هـ / ١٢ م على أساس مشابهة أشكاله النجمية للزخارف الخشبية المجمعة التي أخذت
في الظهور في نهاية العصر الفاطمي (٢)

وهناك قطع خزفية محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة تثبت اتجاه الخزافون
في العصر الفاطمي الى المزج بين الوان البريق المعدني والألوان المستخدمة في فخار
الفيوم ليكسبوا هذه الأواني الرخيصه ملامح أواني الأغنياء المصنوعة من البريق، ومن
أمثلة ذلك صحن قوام زخرفته زهره ذات ثمانية فصوص تتوسط المساحة ويحيط بها رسم
أربع حيوانات متتابعة ومفصل كلا منها عن الآخر منطقة غير منتظمة الشكل (٣)
ومنفس المتحف صحن آخر (٤) تتضح فيه محاولة رسم زخارف البريق الشائعة
من رسوم حيوانية ونباتية على أواني فخار الفيوم.

(١) Mostafa (M.) Moslem, Ceramics, Cairo 1956, P.1.

(٢) انظر : د . فريد شافعي خبشات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي
في مصر . مجلة كلية الاداب - جامعة القاهرة . المجلد السادس عشر - الجزء الاول
- مايو ١٩٥٤ ص ٨٣ .

(٣) د . زكي حسن : الأطلس ص ١٦ ، شكل ٥٦ ، فنون الاسلام ص ٣١٦ شكل ٢٤٢ .

(٤) رقم السجل ٢٤٤٢٦ .

ج - الخزف المحزوز تحت الطلاء

وهو من انواع الخزف التى عملت فى مصر تقليدا للخزف الصينى الذى اشتهرت به أسرة سونج الصينية^(١) ، وتحز الزخارف فى طين الاناء ثم تطفى بطلاء زجاجى من لون واحد وتبدد الزخارف أكثر دكته من لون الاناء لترسب الطلاء فى حزوز هذا الزخارف .

وقد ظهر هذا النوع فى أواخر العصر الفاطمى القرن ٥هـ / ١١-١٢م لتلبية حاجات الفقراء حيث أنه كان أقل نفقة من الخزف الذى يبريق المعدنى^(٢) ، ودل أسلمها الضعيف على اضمحلال صناعة الخزف بصفه عامه فى أواخر العصر الفاطمى^(٣) .
وقد اتسمت زخارف هذا النوع بالجمع بين أكثر من نوع من الزخرفه مثل الزخرفه الهندسية والجداول النباتية^(٤) ، وظهرت عليه فى بعض الأحيان الرسوم الأدبيه ، وان كانت الزخارف الحيوانية أكثر انتشارا على هذا النوع من رسوم الآدميين ، فنجد على كسره من الخزف محفوظه بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة^(٥) ، رسما يمثل فيلا محزوزا تحت طلاء زجاجى من لون واحد .

وبعد الفقر الذى انتشر بين قطاع عريض من السكان فى الريف والمدن غلها ما فى صناعة هذا الخزف فى مصر منذ منتصف القرن ٥هـ أى بعد الشدة العظمى حيث

(١) د . زكى حسن : فنون الاسلام ص ٣١٨ حكمت أسرة سونج الصين من ٩٦٧ الى

١١٦٨م فهمى هويدى : الاسلام فى الصين ص ٥٢ .

(٢) د . زكى حسن : كنوز الفاطميين ص ١٧٤ .

(٣) د . حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامى فى مصر ص ٧٨ .

(٤) د . زكى حسن : الاطللس ص ١٩ شكل ٦٦ .

(٥) رقم السجل : ٢١٨٢٠ .

يلاءم سعره الرخيص القدرات المالية لهذه الفئات.

د - الزجاج والبللور الصخري

لم تختلف زخرفته الزجاج في بدايه العصر الفاطمي عن زخرفته في عصر الاخشيديين وان اخذت تتطور بعد ذلك تدريجيا لتحمل نفس طابع رسوم وزخارف العصر الفاطمي مع اختلاف الطرق الصناعية التي تستخدم في تزيين الزجاج (١).

وتجدد الاشارة إلى ظاهرتين هامتين في صناعة الزجاج في العصر الفاطمي ارتبطتا بالحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد قبل وبعد الشدة العظمى هما :

- ١- أن البريق المعدني صار يستخدم في زخرفة الزجاج ، ومرت الزخارف المستخدمة في ذلك بنفس مراحل الخزف ذي البريق المعدني تقريبا فقبل الشدة كانت زخارف الزجاج ذي البريق المعدني بسيطة في تصميماتها وترسم في وحدات كبيرة تملأ سطح الأنية كرسوم الطائر الذي يحمل في منقاره ورقة نباتية ثلاثية (٢) ، والزخارف النباتية البسيطة التي تملأ سطح طبق محفوظ بمتحف الكويت الوطني (٣) بل أن حواف أواني الزجاج المزخرف بالبريق المعدني كانت تحمل طابع زخرفة حواف الخزف في القرن ٥/٤ هـ كما نجد في حافة إناء زجاجي حيث زخرف بنقاط تشبه أسنان المنشار (٤) وما يؤسف له أن القطع الكاملة التي يمكن أن تعطي فكرة عن زخرفة البريق المعدني في أواخر العصر الفاطمي قليلة ونادرة ومعظم الذي وصلنا عبارة عن قطع

(١) د ٠ زكي حسن : فنون الاسلام ص ٥٨٢ .

(٢) د ٠ حسن الياسا : فنون التصوير ص ٧٨ وشكل ٢٠ .

(٣) جنكينز (مارلين) الفن الاسلامي في متحف الكويت الوطني ص ٢٩ .

(٤) Lamm(G.), Mittelealterliche Gläser und Steinschnittarbeiten aus dem Nahen Osten, Band II, Berlin 1929.T.43.

(١) صغيره .

٢- ان خروج تحفالمستنصر المصنوعه من البللور الصخرى وانتشار استخدام البللور الصخرى بين الأغنياء تبعها لذلك أدى إلى محاولة صناع الزجاج تقليد منتجات البللور في أعمالهم ، وتنسب هذه القطع في مجموعها إلى النصف الثاني من القرن ٥هـ والقرن ٦هـ / (١١-١٢م) ولعل أشهر أمثلة الزجاج الذى صنع تقليدا للبللور الصخرى الكؤوس الزجاجية التى تعرف باسم كؤوس القديسة هـ ويسج وهى من زجاج سميك مزخرف بالقطع برسوم الطيور والحيوانات (٢) . وترجع هـ هذه الأواني إلى القرن ٦هـ / ١٢م (لوحة ٩٥) وهى محفوظة بمتحف أمستردام بهولند هـ وفى متحف برلين معبرة من الزجاج السميك الذى صنع تقليدا للبللور الصخرى وهى ترجع إلى القرن ٦هـ / ١٢م (٣)

لقد ساعد تطور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى نجمت عن المجاعات المتعاقبة على تزايد ثروات العسكريين والتجار ، فاتجهوا إلى استعمال أواني البللور الصخرى التى لم يعد استعمالها قاصرا على الخلفاء وحملهم بل جمع الوزراء وعلية القوم أعدادا من أواني البللور التى اعتقدوا أن للشرب فيها فوائد (٤) . وإلى جانب ذلك العامل فقد ساعد

(١) ديمانند : الفنون الاسلامية ص ٢٣٥ .
Glück(H.) und Diz (E.) Op, cit. S. 433. (٢)

(٣) د . زكى حسن : اطللس ص ٢٥١ شكل ٧٤٠ .

(٤) د . زكى حسن : فنون الاسلام ص ٥٩٢ .

على ازدهار الصناعة البللورية الصخرية ، انخفاض أسعار مادته الخام نتيجة لاعتماد مصر منذ زيارة ناصر خسرو على الأقل على البللور المستخرج بالقرب من بحر القلزم بعد أن كانت مصر تستورده من المغرب وشير ناصر خسرو إلى ازدهار هذه الصناعة وقت زيارته لمصر (١)

ويتضح من الأمثلة المؤرخة وهي ترجع إلى عصر العزيز وعصر الظاهر (٢) أن زخارف القطع التي ترجع إلى النصف الأول من العصر الفاطمي تامة البروز وقطعها في البسدين ظاهرا بينما نرى في التحف التي ترجع إلى نهاية العصر الفاطمي أن بروز الزخارف بسيط لا يكاد يفصلها تماما عن بدن التحفة أو أرضية الرسم (٣) وربما كان تخطيط الفنان عن الزخرفة البارزة في نهاية العصر الفاطمي يرجع إلى محاولته تخفيض سعر القطع عن طريق تقليل الجهد المبذول في زخرفتها خاصة وأن قدرات الخلفاء الأقياء على الشراء كانت كبيرة و مهما بلغت ثروات التجار وكبار العسكريين فإنها لم تكن لتوازي ثروات خلفاء الفاطميين في العصر الفاطمي الأول . ومن أمثلة قطع البللور الصخرية التي ترجع إلى العصر الفاطمي أبريق محفوظ بمتحف اللوفر يرس عليه رسم زخرفة مسننة شجرة فيها مراوح نخيلية يحف بها من الجانبين رسم بيضاء (٤) ويمكن أن ترجع

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ٥٩٠ ٥٦٠

(٢) د . حسن الباشا : المدخل ص ٤٢٧

(٣) د . زكي حسن : فنون الاسلام ص ٥٩٤ - ٥٩٥ - شكل ٤٨٨

(٤) Lamm(C.) Op. cit. T. 63.

إلى القرن ٥ هـ (لوحة ٩٦) ، وإلى نفس الفترة ترجع قنينة يزينها رسم طائرين متقابلين يفصلهما رسوم فروع نباتية ومراوح نخيلية (١) (لوحة ٩٧) ، ويحتفظ متحف الكويت الوطني بقنينة صغيرة من البللور الصخري قوام زخرفتها أشكال بارزة تمثل مراوح نخيلية (لوحة ٩٨) وهي ترجع إلى مطلع القرن ٥ هـ / ١١ م (٢)

ومن أمثله قطع البللور الصخري التي صنعت في نهاية العصر الفاطمي أبريق عيسى هيئة كثرى ولكنه ذي قصور وكان محفوظا بمتحف تاريخ الفن في فيينا بالنمسا (٣) وملاحظه ^{المتعارف} الفخار الفاطمية البارزة التي كانت تنفذ بالقطع في التحف التي ترجع إلى العصر الفاطمي الأول (لوحة ٩٩) .

(١) Lamm(C.) Op. cit. T. 66.

(٢) جنكينز (مارلين) : الفن الاسلامي في متحف الكويت ص ٦١ .

(٣) Glück(H.) and Diez(E.) op. cit. T.XXVIII.

هـ - النسيج :-

ازدهرت صناعة النسيج في العصر الفاطمي نتيجة لاهتمام الخلفاء بما كان متبعدا في العالم الاسلامي من اهداء الخلع المنسوجة في مراسم التشريف والتكريم التي وصلت درجة عالية من التنظيم والاتقان^(١) ورغم ما حل بالبلاد من حوادث أثناء الشهد العظمي التي وصلت بالبلاد الى احط درجات الفقر الا أن ذلك لم يقض على صناعة المنسوجات نهائيا^(٢) إذ عادت مصانع الطراز^(٣) تخرج انتاجها من المنسوجات بعد الشدة وان لم تصلنا قطع من نسيج الطراز تحمل تاريخ إنتاج من فترة الشهد العظمي (٤٥٧ - ٤٦٤ هـ)^(٤) وهو ما يشير إلى توقف مصانع الطراز عن الإنتاج ونستطيع أن نجد صدی سيطرة الوزراء على الخلفاء في ما ورد من كتابات على أنسجة الطراز ، فطوال عصور الخفاء الأقواء (المعز و العزيز والحاكم) لم ترد أسماء الوزراء على نسيج الطراز باستثناء ما ذكرته المصادر التاريخية من أن يعقوب بن كلس كتب اسمه على الطراز فـسى عهد العزيز بالله^(٥) وهو ما لم يصلنا على قطع من المنسوجات واستثناء قطعه نسيج من عهد الحاكم ورد عليها اسم أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار سنة ٣٨٦ هـ^(٦)

(١) د . حسن الباشا : المدخل ص ٣٤٧ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفه المنسوجه ص ٦٤ .

(٣) عن الطراز انظر : د . حسن الباشا : المدخل ص ٣٤٧ .

(٤) راجع Répertoire : Tome 7 .

(٥) د . زكي حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٨ .

(٦) وعن أمين الدولة أنظر د . حسن الباشا : النون والوظائف ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧

Répertoire, T. 6. P.20.

وهي الفترة التي كان الحاكم فيها صغير السن ولم يفرد بالأمور. وإلى جانب اسم الحاكم ظهر اسم ولي عهده عبد الرحمن بن الياس على قطعة من نسيج الطراز في مجموعة —————
Abemoyer مما عمل بطراز العامة بتيس عام ٤١٠ هـ. (١)

وقد بدأ ظهور أسماء الوزراء بشكل متكرر منذ عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الذي تعد خلافته والنص على أول من خلافة المستنصر مرحلة إنتقالية بين الخليفة المطلق النفوذ "وعصر الوزراء العظام" وأقدم قطعه مؤرخة تحمل اسم الوزير الفاطمي علي بن أحمد الجرجاني إلى جانب اسم الخليفة الظاهر نجده على قطعة نسيج من الكتان في مجموعة Tono مؤرخه بعام ٤٢٥ هـ. وملاحظ أن اسم الوزير جاء مسبقا بعبارة أمر بعمله ، أي أن أمر العمل صار منسوباً إلى الوزراء (٢)

وتمتحن الفن الاسلامي ٤ قطع من نسيج الطراز يظهر عليها اسم الوزير على بين أحمد الجرجاني إلى جانب المستنصر بالله. وقطعه خامسة بمتحف المتروبوليتان من عهد طراز العامة بتونه نصها : "مما أمر بعمله الوزير الأجل الكامل" . علي بن أحمد في طراز العامة بتونه (٣) وقد تميزت كتابات الطراز في عصر سيادة الوزراء العظام بأن معظم الكتابات صارت تشير إلى ألقاب الوزير الذي أمر بنسج قطع الطراز مثل الوزير الأفضل بين بدر الجمالي الذي وردت ألقابه "سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاء المسلمين وهادي دعة المؤمنين أبو القسم شاهنشاه" . على قطعه من نسيج الطراز عليها اسم المستعلي بالله (٤)

(١) Repertoire T. 6. P. 118 وعن تيس انظر محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة

وقد ظهر اسم عبد الرحمن بن الياس ايضا على المسكوكات انظر Nicol (N.) El -Nasrāwī (R.), Bacharach (J.) Catalogue of the Islamic Coins, Glass Weights, Dies and Medals in Egyptian National Library, Cairo U.S.A. 1982. P. 58.

Répertoire, T. 7. P. 2.

Ibid. PP. 64-67.

Ibid . Tome 8, P. 49.

(٢)

(٣)

(٤)

وكان سماح الخليفة بظهور اسم الوزير بالطراز تسليمًا بالأمر الواقع وهو —

(١)

استيلاء الوزير على السلطة في البلاد .

ويلاحظ على أقمشة النصف الأول من العصر الفاطمي أن الشريط الكتابي كان

يحتل الجزء الأكبر من مساحة الزخرفة المنسوجة^(٢) مثلما نجد في قطعة باسم الحاكم

بأمر الله وولي عهده محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة حيث كانت الزخرفة تتألف

من شريطين كتابيين متعاكسين يحصران بينهما شريطا يشتمل على وحدة زخرفية

متكررة تتألف من طائرين متقابلين بينهما شجرة^(٣) ، ولعل ذلك كان تعبيرا عن أن

كتابة اسم الخليفة كان هو الغاية من زخرفة الأقمشة التي كانت تمنح كهدايا يعتز

بها رعايا الخليفة طالما كانت تحمل اسمه إلا أن أهمية الأشرطة الكتابية أخذت في

التضاءل منذ النصف الثاني من القرن ٥ هـ وتزايدت أعداد وأهمية الشرائط الزخرفية

الأخرى ، ويمكن أن يعزى هذا التطور أيضا إلى روح الترف التي سادت الجزء الأخير

من حياة الخلافة ومن ناحيته أخرى إلى تضائل نفوذ الخلفاء حتى أصبح كتابة اسمائهم

على الطراز أمرا لا يعنى شيئا بالنسبة للذين يستعملون هذه المنسوجات وربما كان

ذلك محاولة من الوزراء وخاصة السنيون منهم لأجل القضاء على مركز الامام الشيعة

كما فعلوا ببناء المدارس السنية في أواخر الخلافة .

ومنذ القرن ١٢ هـ / ١٢ م أصبحت الزخارف المنسوجة بالحرير تغطي أكثر الأرضية

الكتابية في الأقمشة^(٤) ، وأصبحت الأشرطة الكتابية مجرد شريط كتابي زخرفي غير

(١) د . زكي حسن : كنوز الفاطميين ص ١١٨ .

(٢) د . محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة ص ١٠٢ .

(٣) د . حسن الباشا : فنون التصوير ص ٨٢ .

(٤) د . زكي حسن : كنوز الفاطميين ص ١١١ .

مقروء في نهاية قطعه القماش ولا يحوى أى اشاره إلى الخليفة أو الوزير وكأننا حافظ
النساج على وجود شريط كتابى حتى ولو كان لا يعنى شيئا ، وقد نجد بعض الأقمشة
وقد خلت تماما من الأشرطة الكتابية في نهاية العصر الفاطمى في القرن ١٢ هـ / ١١ م^(١).

و- صياغة الحلى :-

تدين صياغة الحلى بالفضل في ازدهارها في نهاية العصر الفاطمى لاكتناز العملات
الذهبية التى كانت يزداد قوة بعد كل مجاعة كما لاحظنا عند دراسة المسكوكات . ونلاحظ
في مجموعة النقود الفاطمية بدار الكتب المصرية المنشورة في هذا البحث وجود بعض
الدينارين المثقوبة مما يحمل على الظن أنها استخدمت كحللى نظرا لجودة عيارها
وترجع معظم الأمثلة التى وصلتنا من صياغة الحلى في العصر الفاطمى الى الفترة ما بين
النصف الأخير من القرن الخامس للهجرى والنصف الأول من القرن السادس للهجرى
١١٢ / ١١ م^(٢).

أى بعد الشدة العظمى . ولا شك أن خروج تحف المستنصر ويعملها بثمن بخس كان
من العوامل الهامة في زيادة المكتنزات كما كان في نفس الوقت عافزا لصناع الحلى وعليه
القوم لأجل صياغته وحيازة حللى تماثل ما كان في خزائن الخلفاء .

ومن الأمثلة الرائعة لازدهار فن صياغة الحلى في العصر الفاطمى مشبك صغير
من الذهب محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وهو عبارة عن قرص مستدير من
الذهب وينسب إلى القرن ١١ هـ / ١١ م وزخارف هذا القرص موزعة في ثلاثة أقسام أفقية

(١) Kühnelt(E.), Islamische Stoffe, Berlin 1927-T.12.

(٢) أنظر ما نشره : د . أحمد مدوح حمدى في : معدات التجميل بمتحف الفن
الاسلامى .

على سطحه ، الأوسط أعرضها وتشغله كتابة كوفية باللون الأبيض ومزخرفة باللون الأحمر . أما الأرضية التي تقوم عليها الكتابة فذات لون سنجابي ونمرا للكتابة الكوفية على القرص " الله خير حفظا " أما القسم العلوى والقسم السفلى من القرص فيمزج بينهما كلاً منهما فرع نباتى مرسوم باللون الأحمر على أرضية خضراء ^(١) (لوحة ١٠٠) .

ومتحف الفن الاسلامى أيضا مشبك من الذهب على هيئة مثلث يصلح أيضا كدلاية مزخرف بالمنيا المتعددة الالوان ويفصل بين كل لون وآخر جدار رقيق من الذهب فى وسط المثلث دائرة فى شكل جامة تضم ما يشبه زهرة ذات أوراق أبيض — — — — — بيضاء اللون على أرضية خضراء وثلاث مراوح نخيلية على هيئة قلب بلون أحمر — — — — — محاط بالأبيض فى حوافه شريط زخارف متعرجة باللون الأزرق على خلفية بيضاء ^(٢) .

وقد ازدهرت صياغة المعادن بشكل عام لتلبية لاتجاهات ترفا الطبقات الغنية فى المجتمع ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بشمعدان من البرونز يرجع تاريخه الى القرن ١٦ هـ / ١٢ م ، له ثلاثة أرجل فوقها قاعدة تزينها زخارف نباتية — — — — — وكتابية بالخط الكوفى المورق تتضمن بعض عبارات الدعاء والتبرك وللتحفة قرص علوى تفصله عن القاعدة رقبة جزؤها الأوسط سدس الجوانب وفوقه وتحت كره لها سطح مصلح وفوق القرص العلوى كتابة كوفية نصها " عمل بن المكنى " ^(٣) .

-
- (١) د . حسن الباشا (وآخرون) : القاهرة ص ٥٦٩ .
(٢) د . أحمد مدوح حمدى : معرض الفن الاسلامى ص ٣٣ . (لوحة ١) .
(٣) د . زكى حسن : فنون الاسلام ص ٥١٩ .

ومن أجمل وأشهر التحف المعدنية الفاطمية عقاب من البرونز قائم عند مدخل
مقبره بيزا بايطاليا • عليه نقوش غايه في الدقة والابداع^(١) • وعنق هذا العقاب
وجناحه مغطاه بريش مرسوم على هيئة تشبه فلوس السمك وجسمه مغطى بزخارف محفوره
فيه تضم رسوما نباتية وهندسية وخطية ورسوم طيور وحيوانات وهو يعطى فكـــــــره
واضحه عن مدى تقدم وازدهار صناعة الاواني والتحف المعدنية في نهاية العصر الفاطمي •

(١) ديمانند : فنون الاسلام ص ١٥٣ •

الخاتمة

ومعد ، فذلك كان بحثاً عن موضوع المجاعات التى حدثت فى العصر الفاطمى والعوامل التى كانت وراء حدوثها ، والنتائج المباشرة وغير المباشرة التى ترتبت عليها .

انتهيت فيه الى أن انخفاض الفيضان لم يكن سبباً حقيقياً فى معظم هذه المجاعات ، وأن عوامل أخرى غير الجغرافيا كانت هى التى تدفع بالبلاد إلى حافة الفقر والمجاعة . وأهم هذه العوامل الاحتكار التجارى والإعراض عن طرح السلع الغذائية فى الأسواق حتى ترتفع أسعارها وكان ضعف أداة الحكم المركزية منذ خلافة الظاهر لإعزاز دين الله إيداناً يتعاظم تأثير هذا العامل خاصة وأن بعض رجال الدولة كانوا يقومون بالاتجار فى الغلال .

وقد أدى تكرار حوادث المجاعات إلى ضياع هيئة الخليفة رأس السلطة المركزية ، والمقابل تزايد الدور المؤثر لرجال الدين والعسكر ، وكانت كل مجاعة تقتطع جزءاً من صلاحيات الخليفة حتى انتهى الأمر إلى ترك سلطات الحكم الحقيقية فى أيدي الوزراء العظام الذين أتوا إلى كرسى الوزارة من صفوف الجندية .

وأنعكس اضطراب أداة الحكم على قوة الخلافة ، فخرجت أملاكها فى الشام والمغرب وصقلية والحجاز عن حوزتها أثناء المجاعات التى كان يصاحب انتهائهما استعادة الخلافة لهذه الأملاك ، وظلت حركة المد والجزر هذه حتى أنهكت الخلافة وأصبحت مطعماً للغزاة الصليبيين والسلاجقة والأكراد الطامحين الذين

نجحوا في إسقاطها دون أن يشهر سيف بوجههم .

وقد أدت المجاعات إلى تغيير صورة الحياة في المجتمع المصري بسبب موت
الكثيرين بالأوبئة وضمحل الريف وفقر سكانه الذين أصبحوا غير قادرين على
التزايد لأجل الحصول على قبالات الأرض ، فتولى العسكريون هـــــــــــــ
القبالات إضافة إلى الاقطاعات الممنوحة لهم .

وتزايدت ثروات التجار بسبب ارتفاع الأسعار أثناء المجاعات ، فأصبحوا
أثرياء المجتمع .

ولم يقتصر الانحدار العمراني على الريف بل امتد إلى الفسطاط والقاهرة
التي أصبحت منذ الشدة المستنصرية مدينة مفتوحة يسكنها الناس بعد أن ظلمت
حصناً ملكياً منذ تأهيسها .

وإن الناحية المالية ، أثرت المجاعات والأوبئة على الحياة الزراعية ، وانعكس
ذلك على انخفاض الخراج ، المصدر الرئيسي للإيرادات ، واستمر مقدار الخراج
في التناقص منذ الشدة العظمى ، والمقابل زادت الضرائب على الأنشطة
التجارية والصناعية ، كتعويض لانخفاض الخراج وكان ارتفاع أسعار السلع الغذائية
وانخفاض أسعار ماعداها ، أبرز الملامح الثابتة المتكررة في هذه المجاعات ،
وحاولت الدولة في عصر الخلفاء الأقوياء مواجهة ارتفاع الأسعار باتباع سياسة
التسعير ، والقضاء على الوسطاء في تجارة هذه السلع ، وقد حاولت ترسيم
الخط البياني لمستوى معيشة بعض العاملين في الدولة من خلال ما وصلنا عـ

روايتهم .

والى هذه المجاطات وما يصاحبها من أحداث يرجع سبب تحول مصر إلى التعامل النقدي على أساس معدني الذهب والفضة ، إذ أدى ارتفاع الأسعار إلى إنهيار قيمة العملة الذهبية السائدة في التعامل (الدنانير) مما دفع القادرين إلى اكتنازها وكان انخفاض سعر صرف الدراهم بالنسبة للدينار تعبيرا عن اختفاء الذهب من التعامل ، فاضطر الحاكم إلى تقرير سعر لصرف الدراهم فتحوّلت مصر بذلك إلى قاعدة المعدنيين ومع توالى المجاطات وارتفاع الأسعار ازداد اتجاه وقدره التجار على اكتناز الذهب حتى أصبحت الفضة هي النقد الرئيسى للبلاد ، وارتفع سعرها أمام الدينار رغم سوء عيارها ، ومعنى ذلك أن عصر الفضة بدأ في عهد الفاطميين الذى لم يكن كـلـه عهد سيادة الذهب في التعامل كما هو شائع في الكتابات الحديثة .

وقد أدت الشدة المستتصرية إلى بلورة نفوذ الوزراء ، وانعكس ذلك على حركة التشييد والبناء التى اتسمت في عصر سيطرة الخلفاء بكبر أحجام المباني الدينية (المساجد والجوامع) التى تركزت في مجال القاهرة ومصر ، بينما قلت مساحات هذه المباني في عهد الوزراء الذين كانوا هم رعاية الفن المعماري في أواخر العصر الفاطمي . وكثرت انشاءات الوزراء في الأقاليم واعتنى السنيون منهم بانشاء المدارس السنية المذهب ، وازاء ضعف مركز مصر الحربي وجه الوزراء جهودهم نحو تدعيم الانشاءات والعمائر الحربية . وكانت معظم الأعمال المعمارية للوزراء عبارة عن تجديدات في مبان قائمه .

وتظهر النصوص التأسيسية التي ترجع الى ما بعد الشدة العظمى مدى ما تمتع به الوزراء من نفوذ وسلطان في هذه الفترة حيث احتلت ألقابهم معظم مساحة هذه الكتابات مقرونه بالإشارة إلى أن أعمال الانشاء أو الترميم كانت بأمر منهم.

وكان من أثر النتائج الاجتماعية التي نجمت عن المجاعات وخرج التحف والذخائر التي كانت في خزائن المستنصر أن تركز طلب الأغنياء على تحف التوف التي أصبحت تحمل طابع الزخارف التي كانت على تحف المستنصر، ويمكن ترسم هذا الطابع الزخرفي في المقارنة بين زخارف الخزف ذي البريق المعدني الذي ينسب إلى ما قبل الشدة والخزف الذي ينسب إلى ما بعدها، وقد أدى الاتجاه الترفي في الاستهلاك إلى انتشار استعمال البيللور الصخري وظهر نوع من الزجاج صنع تقليدا لأواني البيللور الصخري، كما أن اكتشاف الذهب الذي أشرنا إليه آنفا وجد متنفسا له في ضياغة الحلبي التي ازدهرت في القرن ٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م.

ومن جهة أخرى أدى تزايد أعداد الفقراء في الريف والمدن نتيجة لتوالي المجاعات إلى ازدهار نوع جديد من الخزف المرخرف بالخز تحسنت طلاء زجاجي من لون واحد وهو المعروف كتقليد لخزف أسرة سنج الصينى، وأن حملت زخارفه نفس طابع الزخارف الفاطمية في القرن ٥ - ٦ هـ / ١١ - ١٢ م وهو نفس طابع زخارف تحف المستنصر، وظهرت هذه الزخارف أيضا على أواني الفخار التي صنعت تقليدا لخزف أسرة تانج الصينى والمعروف بفخار القيم.

أما زخارف وكتابات نسيج الطراز ، فقد أيدت ما أثبتته الدراسات
التاريخية من انهيار لسلطات الخليفة منذ عهد الظاهر وصعود نجم
الوزراء الذين سجلوا ألقابهم وأسمائهم مسبقة بأمر العمل على هـــــــــــــ
المنسوجات التي لم تعد تحمل أسماء الخلفاء في نهاية العصر الفاطمي .

الملاح

المصدر	حسبجد ول ابن الحارث				حسبجد ول ابن الحارث				حسبجد ول ابن الحارث				السنوات
	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	أصابع	ذراع	
زيادة أدت الى غرق - اتعاظج ٢ ص ١٧٥	١٦	١٦	٧	١٦	١٦	١٦	٧	١٦	١٦	١٦	٧	١٦	٤١٧ هـ
الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .	١٧	١٧	٦	١٧	١٧	١٧	٦	١٧	١٧	١٧	٦	١٧	٤٢٢ هـ
تاخرت الزيادة ٤ شهور اتعاظج ٢ ص ١٨٠	١٧	١٧	٤	١٧	١٧	١٧	٤	١٦	١٦	١٦	١٥	١٦	٤٢٦ هـ
الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .	١٧	١٧	٥	١٧	١٧	١٧	٥	١٧	١٧	١٧	٥	١٧	٤٤٤ هـ
كثر الفار ولاعلاقه بالفيضان اتعاظج ٢ ص ١٨٠ - الخطط ج ١ ص ٣٥٥ .	١٥	١٥	٤	١٥	١٥	١٥	٤	١٧	١٧	١٧	٤	١٧	٤٤٦ هـ
يذكر المقرري ان سبب ذلك نقص النيل .	١٧	١٧	٣	١٧	١٧	١٧	٣	١٦	١٦	١٦	٣	١٦	٤٤٧ هـ
	١٧	١٧	٣	١٧	١٧	١٧	٣	١٦	١٦	١٦	٣	١٦	٤٤٨ هـ
	١٩	١٩	١١	١٩	١٩	١٩	١١	١٧	١٧	١٧	١١	١٧	٤٥٥ هـ
	١٦	١٦	٣	١٦	١٦	١٦	٣	١٦	١٦	١٦	١٣	١٦	٤٥٦ هـ
	١٦	١٦	١٠	١٦	١٦	١٦	١٠	١٦	١٦	١٦	١٠	١٦	٤٥٧ هـ
	١٦	١٦	١٧	١٦	١٦	١٦	١٧	١٦	١٦	١٦	١٧	١٦	٤٥٨ هـ
	١٦	١٦	٧	١٦	١٦	١٦	٧	١٦	١٦	١٦	١٧	١٦	٤٥٩ هـ
	١٥	١٥	٦	١٥	١٥	١٥	٦	١٥	١٥	١٥	٦	١٥	٤٦٠ هـ
	١٧	١٧	١٨	١٧	١٧	١٧	١٨	١٧	١٧	١٧	١٨	١٧	٤٦١ هـ
	١٧	١٧	٣	١٧	١٧	١٧	٣	١٧	١٧	١٧	٣	١٧	٤٦٢ هـ
	١٦	١٦	٣	١٦	١٦	١٦	٣	١٧	١٧	١٧	٣	١٧	٤٦٣ هـ

- ٤٢٥ -
تطور سعر القمح أثناء المجاعات (ملحق رقم ٢)

ملاحظات	المصدر	السعر بالدينار		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدينار	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
الريشه تساوي ١,٦٨ كج هنتس (فالتر) - الموازن والكبييل ص ٨٠	إغاثه الأمم - ص ١١	١٥	دينار	٣٠,٤٢ كج	١ ٢ ريشه	١٩٥٤/هـ ٣٤٣٣م
	إغاثه الأمم ص ١١	١٥	دينار	٤,٣٣٦ كج	٢ ريشه	١٩٦٣/هـ ٣٥٢٢م
	إغاثه الأمم ص ١٢	١٥	دينار	١٢,١٦٨ كج	ريشه	١٩٥٧-٥٦/هـ ٣٥٧-٥٦م ١٩٦٨-٦٦م
	اتعاظ الحنفا - ج ٢ ص ١٦٨	١٥	دينار	٦,٤٥١ كج	٩ اقداح	١٩٦٩/هـ ٣٥٨٨م
القدح يوازي ١/٤٨ من الاربع انظر هنتس : ص ٥٨ تسمير التليس يماوي ٩٧,٥ كج ٦٠ هنتس (فالتر) : ص ٦٠	إغاثه الأمم ص ١٥	١٤,٣٧٥	دينار لاقيوط	٩٧,٥ كج	تليس	١١٠٦/هـ ٣٩٧٧م
	إغاثه الأمم ص ١٦	١٣٦	٤ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	١١٠٦/هـ ٣٩٧٧م
	اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ٧٤	٧٢	٤ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	١٠٠٧/هـ ٣٩٨٨م
	السبحي : ج ٤٠ ص ١٢-١٣	١٦	دينار	٩٧,٥ كج	تليس	جمادى الاخر ١٤هـ ١٠٢٣م
غير ضمن التليس	السبحي : ج ٤٠ ص ١٣-١٣	٣٢	دينارين	٩٧,٥ كج	تليس	٤١٤هـ
	السبحي : ج ٤٠ ص ٣٢	٤٨	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	ربيع الاول ١٥هـ ٤١٥م
	اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢	٣٢	دينارين ثم	٩٧,٥ كج	تليس	١٠٢٤م
	السبحي : ج ٤٠ ص ٦٩-٦٩	٤٨ ثم ٣٢	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	شوال ١٥هـ ٤١٥م
	اتعاظ ج ٢ ص ١٦١	٤٨	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	١٣ ذى القعدة ١٥هـ ٤١٥م
	السبحي : ج ٤٠ ص ٧٢	٤٨	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	١٣ ذى القعدة ١٥هـ ٤١٥م

ملاحظات	المصدر	المصدر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدinars	بالدinars	بالكيلوجرام	الوحدة	
تسمير	السبحى ج: ٤٠ ص ٧٤	٤٨	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	١٤ ذى القعدة ٤١٥ هـ
	السبحى ج ٤٠ ص ٧٤-٧٥ اتعاطج ٢ ص ١٦٥	٤٠	دنانير ونصف	٩٧,٥ كج	تليس	١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ
	السبحى ج: ٤٠ ص ٧٥ اتعاطج ٢ ص ١٦٦	٥٢	٣ دنانير وربع	٩٧,٥ كج	تليس	١٧ ذى القعدة ٤١٥ هـ
	السبحى ج ٤٠ ص ٨٦ اتعاطج ٢ ص ١٦٩	٦٩	$\frac{1}{3}$ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	ذو الحجة ٤١٥ هـ
فى اغائه الامه عام ٤٤٧ هـ ٢١ - ٢٠	اتعاطج ٢ ص ٢٢٦ الاشارة ص ٤٣	١٢٨	٨ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م
	اتعاطج ٢ ص ٢٢٦	٤٨	٣ دنانير	٩٧,٥ كج	تليس	٤٤٦ هـ
	النجوم ج ٥ ص ٧٩	١٢٨	٨٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م
الأردب يوازي ١,٢٥ ج ٧٣,١٢٥ كج هنتس (فالتر): ص ٥٨ اختفى القمع بعد ذلك . حادث نهب قمع المشتري .	اتعاطج ٢ ص ٢٩٧	١٢٨	٨٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م
	اتعاطج ٢ ص ٢٩٩	١١٢٠	٧٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٦١ هـ
	النجوم ج ٥ ص ٨٣	١٦٠٠	١٠٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٦١ هـ
	اتعاطج ٢ ص ٣٠٧	١٦	دينار نزارى	٣,٩٣٧٥ كج	أرطال	٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م
الرطل يساوى ٤٣٧,٥ جرسا هنتس (فالتر) ص ٧٦ .						

ملاحظات	المصدر	العمر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
أولا ثم أختفى .	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	٤٨-٣٢	مقابلين ثم ثلاثة	٩٣٧٥ كج	٩ أرطال	٤٦٦٤ هـ
	الكواكب السيارة - ص ١٧٧ .	١١٣٦	٧١ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٥٧ - ٤٦٤ هـ الشدة
	اغاثه الامه - ص ٢٣ الخطط ج ١ ص ٣٣٧ - عن الجوالين	١٢٨٠	٨٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	الشدة
	ابن اياس - ج ١ ص ٦٠	١٢٨٠ - ١٩٢٠	٨٠ ثم ١٢٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	الشدة
أولا ثم أختفى .	النجوم - ج ٥ ص ١٧	١٦٠٠	١٠٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	الشدة
	راشد - ص ٩٤ عن النوري .	٣٢٠٠	٢٠٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	الشدة
	ابن ميسرج - ج ٢ ص ٣٤	٣٢٠٠	٢٠٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	الشدة
	ابن اياس ج ١ ص ٦٣	٤٨٠	٣٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٩٩ هـ / ١١٠٣ م
لمدة ٦ أشهر .	اغاثه الامه ص ٢٦	٢٠٨٠	١٣٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	مائة أردب	٤٩٧ هـ
	اغاثه الامه ص ٢٦	٤٨٠	٣٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	مائة أردب	٤٩٧ هـ
	اتعاظ - ج ٣ ص ٦٦ و ٦٧ هايش (٤)	١٦	دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٤٩٧ هـ
	اتعاظ ج ٣ ص ١٣٣	١٦	دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٥٢١ هـ / ١٢٧ م
سمر تد اول بعد الشراء بالتسليم .	اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨	٤٨	٣ دينار	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	٥٣٣ هـ / ١٣٨ م
	اتعاظ ج ٣ ص ١٦٨	٦٤٠	٤٠ دينار	٧٣,١٢٥ كج	مائة أردب	٥٣٣ هـ
	غلال فاسدة .					

ملاحظات	المصدر	السعر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلو جرام	الوحدة	
لم يذكر صراحة انه القمح	ابن ميسرج ٢ ص ٨٥	٩٠	٠	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	١١٤١/هـ م
	اتعاظج ٣ ص ١٧٦ اغائه الامه — ص ٢٧	٨٠	٥ دنانير	٧٣,١٢٥ كج	الأردب	١١٥٦/هـ م

ملاحظات	المصدر	السعر		الوزن / الوحدة		تاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
حصل الطحين في مصر بوزن ١٣٥ كج - راجع هنتن الأوزان والكاييل من بعد ذلك	تسوير	٥١	دينار ونصف	١٣٥ كج	الحمله	٣٩ هـ
		٢٤	٦ دنانير	١٣٥ كج	الحمله	٣٩ هـ
		١٠٨	٦ دنانير	١٣٥ كج	الحمله	٣٩ هـ
		درهم	$\frac{1}{4}$ دينار	٤٣٧,٥ جرام	رطل	٤١ هـ
		٣٦	$\frac{1}{4}$ دينار	١٣٥ كج	الحمله	معدى الاخير ٤١٤ هـ
		درهم	$\frac{1}{4}$ دينار	١,٩٣٧٥ كج	رطلين ونصف	موال ٤١٥ هـ
		٧٥	٤ دنانير و٣٠٠ قيراطين	١٣٥ كج	الحمله	١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ
		درهم	٤ دنانير	٦٥٦,٢٥ جرام	رطل ونصف	١٥ ذى القعدة ٤١٥ هـ
		٦٤	٦ دنانير	١٣٥ كج	الحمله	١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ
		٩٦	٦ دنانير	١٣٥ كج	الحمله	١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ
شحن دار اشتراها قبل الشدة		١٤٤٠٠	٩٠٠ دينار	٨,٧٥ كج	٢٠ رطل	الشدة

ملاحظات	المصدر	المعيار		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
حادثه عقد المرأة والقرصة .	اغاثه الامه ص ٢٤	١٦٠٠٠	١٠٠٠ دينار	١٧,٥ كج	تليس	٤٦٢ هـ
	ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ص ٢٥٧	٤٨٠٠	٣٠٠ دينار	١٣٥ كج	الحمله	٥٣٦ هـ
	ابن ميسرج ص ٨٥ اتعاظ - ج ٣ ص ١٧٦	١٥٠		١٣٥ كج	الحمله	

ملاحظات	المصدر	السعر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	بالوحدة	
السعر العادي .	الكامل - ج ٧ ص ٣١	درهمين		٤٣٧,٥ جرام	رطل	٣٥٨ هـ
	اغائه الامة - ص ١٣	درهم		١,٧٥٠ كج	٤ أرطال	المحرم ٣٨٧ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٨	درهم		٧,٠٠٠ كج	١٦ رطلا	٣٩٠ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٢٥	درهم		٤,٣٧٥ كج	١٠ أرطال	قبل ٣٩٦ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٦٢	درهم		٢,٦٢٥ كج	٦ أرطال	٣٩٦ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٦٢	درهم		٥,٢٥٠ كج	١٢ رطلا	٣٩٧ هـ
	اغائه الامة ص ١٥	درهم جديد		٢,٦٢٥ كج	٦ أرطال	٣٩٧ هـ
	اغائه الامة ص ١٦	درهم		١,٣١٢٥ كج	٣ أرطال	٣٩٧ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٦٩	درهم		١,٣١٢٥ كج	٣ أرطال	٣٩٧ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	درهم		١,٣١٢٥ كج	٣ أرطال	٣٩٨ هـ
خبز أسود	السبحي : ج ٤٠ ص ١٦-١٥	درهم		١,٣١٢٥ كج	٣ أرطال	٩ رجب ٤١٤ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	درهم		١,٧٥٠ كج	٤ أرطال	جمادى الاخر ٤١٤ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	درهم		١,٣٧٥ كج	رطلين ونصف	ربيع الأول ٤١٥ هـ
	السبحي : ج ٤٠ ص ٣٢	درهم		٢,١٨٧٥ كج	٥ أرطال	٤ رجب ٤١٥ هـ
مبلول	اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢	درهم				
	السبحي : ج ٤٠ ص ٤٨-٤٧	درهم				
أخطا المقرئ في (ثمن)	السبحي : ج ٤٠ ص ١٣	درهم				
	اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	درهم				
خضار	السبحي : ج ٤٠ ص ٣٢	درهم				
	اتعاظ ج ٢ ص ١٣٥	درهم				

ملاحظات	المصدر	السعر		الوحدة / الوزن		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
• حواري	السبحي ج ٤٠ ص ٤٧-٤٨	درهم		١,٧٥ كج	٤ أرطال	٤ رجب ٤١٥ هـ
• خبز الأفران	السبحي ج ٤٠ ص ٤٨	درهم		٢,١٨٧٥ كج	٥ أرطال	٦ رجب ٤١٥ هـ
• كل الانواع عدا السعيد	السبحي ج ٤٠ ص ٤٨	درهم		١,٣١٢٥ كج	٣ أرطال	٦ رجب ٤١٥ هـ
• السعيد	السبحي ج ٤٠ ص ٤٨	درهم		١,٩٣٧٥ كج	رطلين ونصف	٦ رجب ٤١٥ هـ
• السعيد	السبحي ج ٤٠ ص ٦٧ - ٦٩	درهم		٨٧٥ ج	رطلين	شوال ٤١٥ هـ
• خشكار	اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢	درهم وربع		٨٧٥ ج	رطلين	١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ
• خبز أسود	السبحي ج ٤٠ ص ٧٢	درهم		٨٧٥ ج	رطلين	١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ
• تمير	السبحي ج ٤٠ ص ٧٤	درهم وربع		٨٧٥ ج	رطلين	١٥ ذى القعدة ٤١٥ هـ
• سويد	اتعاظ ج ٢ ص ١٦٥	درهم		١,٩٣٧٥ كج	رطلين ونصف	١٦ ذى القعدة ٤١٥ هـ
• سويد	السبحي ج ٤٠ ص ٧٥	درهم وربع		٨٧٥ ج	رطلين	١٧ ذى القعدة ٤١٥ هـ
• سويد	اتعاظ ج ٢ ص ١٦٦	درهم وربع				

ملاحظات	المصدر	السم		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
• حواري	السبحي : ج ٤٠ ص ٧٥	درهم		٨٧٥ ج	رطلين	١٧ ذي القعدة ٤١٥ هـ
• بعد هجوم المبيد	السبحي : ج ٤٠ ص ٨٦ اتعاظ ٢ ص ١٦٩	درهم		٤٧ ج	رطل وربع	ذو الحجة ٤١٥ هـ
• في أزيمة الساغب	السبحي : ج ٤٠ ص ٨٨ اتعاظ ٢ ص ١٧٠	درهم		٤٣٧,٥ ج	رطل	ذو الحجة ٤١٥ هـ
• حادثة البتازوري	اغاثه الامه - ص ١٨ اغاثه الامه ص ١٨ - ١٩	درهم وثن		١,٧٥ كج	٤ أرطال	٤ هـ
• وقت الحصار	النجوم - ج ٥ ص ١٥ ابن ميسر : ج ٢ ص ٣٤	درهم	دينار ١٤ دينار أو درهما	٢,١٨٧ ٤,٣٧٥ كج	١٠٥ أرطال	٤ هـ
• نقلا عن النويري	راشد - ص ١٤	١٦ ١٤ أو ٢٢٤	دينار ١٤ دينار أو درهما	٦٨٧ كج ٤٣٧,٥ ج	١٣ رطلا	٤٦٣ هـ الشدء المستنصره
• بيع الطرף في زقاق القناديل	الخططج ١ ص ٣٣٧ عن الجواني	١٤ أو ٢٢٤	١٤ دينار أو درهما	٤٣٧,٥ ج	رغيف	٤ هـ
•	اغاثه الامه ص ٢٣ ابن اياس : ج ١ ص ٦٠ ابن ميسر : ج ٢ ص ٨٥ اتعاظ ٣ ص ١٧٦	٢٢٤ ٢٤٠	١٤ دينار أو درهما	٤٣٧,٥ ج	رغيف الخبز وزنه رطل	٤ هـ
•		درهم	١٥ دينار	٤٣٧,٥ ج	رغيف الخبز	٤ هـ
•				١,٣١٢ كج	٣ أرطال	٥٣٦ هـ

(ملحق رقم ٥) تطور أسعار الحيوانات واللحوم أثناء المجاعات

ملاحظات	المصدر	السعر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
• لحم بقرى	اغائه الامه ص ١٦	درهم		٦٥٦,٢٥ ج	رطل ونصف	٣٩٧ هـ
• لحم الضأن	اغائه الامه ص ١٦	درهم		٤٣٧,٥ ج	رطل	٣٩٧ هـ
• تسمير	اتعاظ ج ٢ ص ٦٩	درهم		٨٧٥ ج	رطلين	٣٩٧ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	درهم		٨٧٥ ج	رطلين	٣٩٨ هـ
• لحم بقرى	اتعاظ ج ٢ ص ٧٤	درهم		١,٩٣٧ كج	رطلين ونصف	٣٩٨ هـ
• الأوقيه قى مصر تزن ٣٧,٥ ج	اتعاظ ج ٢ ص ١١٥	درهم		١٤٩,٧٦ ج	٤ أواق	٣٩٨ هـ
• هنتس : ص ١٩	السبحى : ج ٤٠ ص ٦٩-٦٧	٣		٤٣٧,٥ ج	رطل	شوال ٤١٥ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ١٦٢-١٦١				رأس بقر	شوال ٤١٥ هـ
	الخطط ج ١ ص ٣٥٤	٨٠٠	٥٠ دينار		٤ أواق	١٣ ذى القعدة ٤١٥ هـ
	السبحى : ج ٤٠ ص ٧٢	درهم		١٤٩,٧٦ ج		
• لحم	اتعاظ ج ٢ ص ٢٩٦	٧	عشره قراريط		البضه	٤٦١ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	درهم		٣٧,٤٤ ج	أوقيه	٤٦٤ هـ
• جلود البقر المطبوخة	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	درهمين		٤٣٧,٥ ج	رطل	٤٦٤ هـ

ملاحظات	المصدر	المسحور		الوحدة / الوزن		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
	النجوم ج ٥ ص ١٧	١٦	دينار		البض	لشدة
	النجوم ج ٥ ص ١٦	٨٠	دينار		الكلب	٤٤
	النجوم ج ٥ ص ١٦	٤٨	دينار		السور	٤٤

ملاحظات	المصدر	السعر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
فاسد	• اغائه الامه ص ١٦	١٦	دينار	١٢,١٦٨ كج	ويع	٣٩٧ هـ
	• اتعاط ج ٢ ص ٧٤	١٦	دينار	١٢,١٦٨ كج	ويع	٣٩٨ هـ
	• اتعاط ج ٣ ص ١٦٨	١٦٠	١٠ دنانير	٧٣,١٢٥ كج	مائة أردب	٥٣٣ هـ

(ملحق رقم ٧) تطوير سمر السمر أثناء المظاهرات

ملاحظات	المصدر	السمر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
مستعير	الكامل ج ٧ ص ٣١ .	١٨	دينار وسدس	١٢,١٦٨ كج	ويسم	٣٥٨ هـ
	اغاثه الامه ص ١٥	١٦	دينار	١٢,١٦٨ كج	١٠ ويات	٣٩٧ هـ
	السبحي : ج ٤٠ ص ٣٢ .	١٦	دينار	٤٨,٦٧٢ كج	٤ ويات	بيع اول ٤١٥ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ١٤٢ .	١٦	دينار	٩٧,٥ كج	تليس	شوال ٤١٥ هـ
	السبحي : ج ٤٠ ص ٦٧	١٦	دينار	٧٣,٠٥٨ كج	٦ ويات	عدد شوال ٤١٥ هـ
	اتعاظ ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .	٧		١٢,١٦٨ كج	الويسم	٥٣٦ هـ
	ابن ميسر : ج ٢ ص ٨٥					
	اتعاظ ج ٣ ص ١٧٦ .					

(تابع ملحق رقم ٨)

ملاحظات	المصدر	المصدر		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدرهم	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
وقت الحصار	النجوم ج ٥ ص ١٥	٩	١٣ قيراطا		الراوية	٤٦٣ هـ
• زينت	اتعاظ ج ٢ ص ٣٠٧	درهمان		٣٧,٤٤ ج	أوقيه	٤٦٤ هـ
• زينت طيب	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥	٣ ثم ٧		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت حمار	اتعاظ ج ٣ ص ٧٦	١ ١/٢		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥	درهمان		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت	ابن ميسر ج ٣ ص ١٧٦	درهم		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت	ابن ميسر ج ٢ ص ٨٥	درهم		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت	ابن ميسر ج ٣ ص ١٧٦	درهم		٤٣٧,٥ ج	رطل	٥٣٦ هـ
• زينت	ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ٢٥٧	بوزن الدراهم		٨٧٥ ج	لوز	الشدة
• زينت	ابن الجوزي المنتظم ج ٥ ص ٢٥٧	بوزن الدراهم			سكر	الشدة

(ملحق رقم ٩) تطور أسعار الأدوية وأغذيه المرضى

ملاحظات	المصدر	الاسم		الوزن / الوحدة		التاريخ
		بالدينار	بالدينار	بالكيلوجرام	الوحدة	
ملاحظة بدريه الخط ج ٢ ص ٢٤ . شباب .	السبحي : ج ٤٠ ص ٦٩	٣			روانسه	شوال ٤١٥ هـ
	اتعاط ج ٢ ص ١٦٢	٣٠			بطيخه برلس	شوال ٤١٥ هـ
	٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤			٣٧,٤٤ ج	أوقيه	شوال ٤١٥ هـ
	٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤					
	٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤ ٤٤					

بيان اللحام

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١	١٣٢٩	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٢٢	٢٣	وجه ظهر هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش أوسط : دعا الامام الموحدين ووزير خير المرسلين معد لتوحيد الاله الصمد هامش داخلي : لا اله الا الله محمد رسول الله . لدين الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ١))
٢	١٣٣١	"	"	٤ر٠٢	٢٢ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ١ ((لوحه رقم ٢))
٣	١٣٣٢	"	"	٤ر٢٠	٢٢ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ١ ولكن التاريخ هو شعبان سنة ٣٥٩ هـ ((لوحه رقم ٣))
٤	١٣٣٤	"	"	٣ر٦٠	٢٢	مثل رقم ٣ ولكن التاريخ بدون شهر ((لوحه رقم ٤))
٥	١٣٣٨	"	"	٤ر٠٥	٢٣	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٤ ولكن التاريخ هو المحرم سنة ٣٦٠ هـ ((لوحه رقم ٥))
٦	١٣٤٠	"	"	٣ر٩٩	٢١ ١/٢	مثل رقم ٥ ولكن التاريخ هو سنة ٣٦١ هـ ((لوحه رقم ٦))
٧	١٣٤١	"	"	٤ر١٨	٢١ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٦ ولكن التاريخ هو جمادى الأول سنة ٣٦١ هـ ((لوحه رقم ٧))
٨	١٣٤٢	"	"	٤ر١٥	٢١ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٧ ((لوحه رقم ٨))
٩	١٣٤٥	"	"	٤ر٠٩	٢١	مثل رقم ٧ ولكن التاريخ جمادى الثاني سنة ٣٦٢ هـ ((لوحه رقم ٩))

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١٠	١٣٤٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٢١	٢٢	مثل رقم ٩ ولكن التاريخ هو سنة ٣٦٣ هـ . ((لوحة رقم ١٠)) تتضمن صورته لأول مرة
١١	١٣٤٩	٥٥	٥٥	٤ر١٥	٢٠ ١/٢	مثل رقم ١٠ ((لوحة رقم ١١)) تتضمن صورته لأول مرة
١٢	١٣٦٤	٥٥	٥٥	٤ر١٥	٢٣	وجه ظهر هـامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هـامش داخلي : لا اله الا الله هـامش داخلي : الامام العزيز بالله امير المؤمنين عبد الله . وهـامشه . ((لوحة رقم ١٢)) تتضمن صورته لأول مرة
١٣	١٣٧٨	٥٥	٥٥	٣ر٨١	٢٢	وجه ظهر هـامش خارجي : مثل رقم ١٢ . هـامش داخلي : لا اله الا الله هـامش داخلي : مثل رقم ١٢ . محمد رسول الله على ولي الله . ((لوحة رقم ١٣)) تتضمن صورته لأول مرة
١٤	١٣٧٩	٥٥	٥٥	٤ر٠٩	٢١ ١/٢	مثل رقم ١٣ ولكن التاريخ هو سنة ٣٧٤ هـ . ((لوحة رقم ١٤)) تتضمن صورته لأول مرة
١٥	١٣٨١	٥٥	٥٥	٤ر١٨	٢٣	مثل رقم ١٣ ولكن التاريخ هو سنة ٣٧٥ هـ . ((لوحة رقم ١٥)) تتضمن صورته لأول مرة

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
١٦	١٤٠١	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤١٧	٢٣	وجه ظهر هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله هامش داخلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له . هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدين بمصر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة . هامش داخلي : الامام عبد الله وحده لا شريك له . المشركون . مركز : محمد رسول الله . علي ولي الله الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ((لوحة رقم ١٦))
١٧	١٤٠٢	"	"	٤١٨	٢٢ ١/٢	قطر صورته لأول مرة مثل رقم ١٦ لكن التاريخ هو سنة ٣٩٨ هـ . ((لوحة رقم ١٧))
١٨	١٤٠٩	"	"	٤١١	٢١ ١/٢	قطر صورته لأول مرة مثل رقم ١٦ لكن التاريخ هو سنة ٣٩٥ هـ . ((لوحة رقم ١٨))
١٩	١٤١٢	"	"	٤٢١	٢٢ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ١٦ ولكن الهامش الخارجى للوجه زاد عليه " ولو كره " والهامش الداخلى للظهر فنصه : الامام عبد الله ووليه ابو على المنصور والتاريخ هو سنة ٤٠٠ هـ . ((لوحة رقم ١٩))
٢٠	١٤١٦	"	"	٤١٦	٢٣	قطر صورته لأول مرة مثل رقم ١٩ ولكن ينقص الهامش الداخلى للظهر كلمه " المنصور " أما التاريخ فهو سنة ٤٠٤ هـ . ((لوحة رقم ٢٠))
٢١	١٤١٧	"	"	٣٩٥	٢١	قطر صورته لأول مرة وجه ظهر هامش خارجي : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش خارجي : بسم الله ضرب هذا الدين بمصر سنة خمسين وأربعمئة .

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						<p>هامش أوسط: وعلى أفضل الوحسين ووزير خير المرسلين هامش داخلي: لا اله الا الله محمد رسول الله • أمير المؤمنين • ((لوجه رقم ٢١))</p> <p>تنشر صورته لأول مرة</p>
٢٢	١٤١٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤١٧	٢٢	<p>وجه هامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •</p> <p>مركز: لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على • ولتسلي الله مركز: عبد الله ووليه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وعبد الرحيم ولي عهد المسلمين ((لوجه رقم ٢٢))</p> <p>تنشر صورته لأول مرة</p>
٢٣	١٤١٩	“	“	٢٠٩	٢١٦	<p>مثل رقم ٢٢ ولكن التاريخ هو سنة ٤٠٨ هـ ونصوص مركز الظاهر: عبد الله ووليه الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وعبد الرحيم ولي عهد المسلمين ((لوجه رقم ٢٣))</p> <p>تنشر صورته لأول مرة</p>
٢٤	١٤٢٠	“	“	٤٠٨	٢٢	<p>مثل رقم ٢٣ ولكن التاريخ هو سنة ٤٠٩ هـ • ((لوجه رقم ٢٤))</p> <p>تنشر صورته لأول مرة</p>
٢٥	١٤٤٧	“	“	٤١٧	٢١	<p>وجه هامش خارجي: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •</p> <p>هامش خارجي: بسم الله ضرب هذا الدين بعصر سنة أربع عشر وأربعمائه •</p>

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						<p>هامش داخلي : لا اله الا الله وحده لا شريك له . مركز : هامش داخلي : الامام عبد الله ووليّه على ابو الحسن . مركز : محمد رسول الله على ولي الله الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٢٥))</p>
٢٦	١٤٤٨	دار الكتب المصريه بالقاهرة	ذهب	٤١٢	٢٢	<p>تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٢٥ ولكن التاريخ هو سنه ٤١٦ هـ . ((لوحه رقم ٢٦))</p>
٢٧	١٤٤٩	"	"	٣٨٨	٢٣	<p>تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٢٦ . ((لوحه رقم ٢٧))</p>
٢٨	١٤٨٥	"	"	٤٠٤	٢١ ¼	<p>تنشر صورته لأول مرة وجه ظهر هامش : محمد رسول الله هامش : بسم الله ضرب هذا ارسله بالهدى ودين الحق الدين بطرابلس سنه ست ليظهره على الدين كله ولو وثلاثين وأربعمائه . كره المشركون . مركز : مركز : على لا اله الا الله الامام ابو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٢٨))</p>
٢٩	١٥١٠	"	"	٤٢٦	٢١ ¼	<p>تنشر صورته لأول مرة وجه ظهر هامش خارجي : محمد رسول هامش خارجي : بسم الله ضرب الله أرسله بالهدى ودين الحق هذا الدين خمس سنه أربع ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش أوسط : وعلى أفضل الوحسين ووزير خير المرسلين هامش داخلي : لا اله الا الله هامش داخلي : الامام معد لتوحيد الاله الصمد . هامش داخلي : المستنصر بالله</p>

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						محمد رسول الله أمير المؤمنين ((لوحة رقم ٢٩))
٣٠	١٥١٥	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤ر٢٩	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٢٩ ولكن التاريخ هو سنة ٤٤٤٥ هـ ((لوحة رقم ٣٠))
٣١	١٥١٦	“	“	٣ر٥٢	٢٠	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٠ هـ ((لوحة رقم ٣١))
٣٢	١٥١٨	“	“	٤ر٢٥	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٠ ولكن التاريخ هو سنة ٤٤٤٦ هـ ((لوحة رقم ٣٢))
٣٣	١٥٢٢	“	“	٤ر٢٣	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٠ ولكن التاريخ هو سنة ٤٤٤٧ هـ ((لوحة رقم ٣٣))
٣٤	١٥٢٤	“	“	٣ر٩٦	٢٠ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٣ هـ ((لوحة رقم ٣٤))
٣٥	١٥٣١	“	“	٤ر٢٨	٢١ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٤ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٠٠ هـ ((لوحة رقم ٣٥))
٣٦	١٥٣٢	“	“	٤ر١٨	٢٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٥ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٠١ هـ ((لوحة رقم ٣٦))
٣٧	١٥٣٣	“	“	٤ر٢٠	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٥ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٠٢ هـ ((لوحة رقم ٣٧))
٣٨	١٥٣٤	“	“	٤ر٢٨	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٧ هـ ((لوحة رقم ٣٨))
٣٩	١٥٣٧	“	“	٤ر٢٨	٢١ ١/٢	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٣٧ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٠٣ هـ ((لوحة رقم ٣٩))
						تنشر صورته لأول مرة

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٤٠	١٥٣٨	دار الكتب المصرية بالتاهرة	ذهب	٤ر٢٣	٢١	مثل رقم ٣٩ . ((لوحة رقم ٤٠)) تنشر صورته لأول مرة
٤١	١٥٣٩	“	“	٤ر٢٣	٢١ ¼	مثل رقم ٤٠ لكن التاريخ هو سنة ٤٥٤ هـ . ((لوحة رقم ٤١)) تنشر صورته لأول مرة
٤٢	١٥٤٠	“	“	٤ر٣٠	٢١ ¼	مثل رقم ٤١ . ((لوحة رقم ٤٢)) تنشر صورته لأول مرة
٤٣	١٥٤١	“	“	٤ر٢٣	٢٢	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٥ هـ . ((لوحة رقم ٤٣)) تنشر صورته لأول مرة
٤٤	١٥٤٣	“	“	٤ر١٩	٢٢ ¼	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٧ هـ . ((لوحة رقم ٤٤)) تنشر صورته لأول مرة
٤٥	١٥٤٤	“	“	٤ر١٨	٢١	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنة ٤٥٩ هـ . ((لوحة رقم ٤٥)) تنشر صورته لأول مرة
٤٦	١٥٤٥	“	“	٤ر٣٣	٢٢ ¼	وجه ظهر هاشم: محمد رسول الله هاشم: بسم الله الرحمن الرحيم ارسله بالهدى ودين الحق ضرب هذا الدين بصر سنه ليظهره على الدين كله ستين وأربعمائه . ولوكره المشركون . مركز: مركز: على لا اله الا الله عبد الله ووليه الامام ابو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين . ((لوحة رقم ٤٦)) تنشر صورته لأول مرة
٤٧	١٥٤٦	“	“	٤ر٢٤	٢٠ ¼	مثل رقم ٤١ لكن التاريخ هو سنة ٤٦١ هـ . ((لوحة رقم ٤٧)) تنشر صورته لأول مرة

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليتر	الوصف
٤٨	١٥٥٠	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤٢٣	٢١	مثل رقم ٤١ ولكن التاريخ هو سنة ٤٢٠ هـ . ((لوحة رقم ٤٨)) تنشر صورته لأول مرة
٤٩	١٥٦٦	٥٥	٥٥	٤٣٤	٢٢ ¼	وجه ظهر ها مش : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بالاسكندرية سنة إحدى وثمانين وأربعمائة . مركز : معد عبد الله ووليه الأمام أبو تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين عال ((لوحة رقم ٤٩)) تنشر صورته لأول مرة
٥٠	١٥٦٧	٥٥	٥٥	٤٠٥	٢٢	مثل رقم ٤٩ ولكن التاريخ هو سنة ٤٨١ هـ . ((لوحة رقم ٥٠)) تنشر صورته لأول مرة
٥١	١٥٦٨	٥٥	٥٥	٤٤٣	٢٠ ¼	مثل رقم ٤٩ ولكن التاريخ هو سنة ٤٨٢ هـ . ((لوحة رقم ٥١)) تنشر صورته لأول مرة
٥٢	١٥٧٠	٥٥	٥٥	٤٢١	٢٢	مثل رقم ٥١ ولكن ضرب مصر . ((لوحة رقم ٥٢)) تنشر صورته لأول مرة
٥٣	١٥٧١	٥٥	٥٥	٤١٥	٢٠ ¼	مثل رقم ٥١ . ((لوحة رقم ٥٣)) تنشر صورته لأول مرة
٥٤	١٦٠٢	٥٥	٥٥	٤٢٠	٢٢ ¼	وجه ظهر ها مش خارجي : محمد رسول الله ها مش خارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ارسله بالهدى ودين الحق ضرب هذا الدين بمصر سنة ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ها مش داخلي : لا اله الا الله ها مش داخلي : ابو القاسم المستنصر محمد رسول الله على ولي الله بالله أمير المؤمنين .

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
						مركز : الامام احمد
						مركز : عال غايه
						((لوحة رقم ٥٤))
						تنشر صورته لأول مرة
٥٥	١٦٠٣	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤١.١	٢١	مثل رقم ٥٤ ولكن التاريخ هو سنة ٤٩٣ هـ . ((لوحة رقم ٥٥))
						تنشر صورته لأول مرة
٥٦	١٦١٣	"	"	٤٢.٤	٢٢	وجه ظهر مثل رقم ٥٤ هامش خارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدين بعصر سنة خمسائه هامش داخلي : ابو علي الامر ياحكم الله أمير المؤمنين . مركز : الامام المنصور
						((لوحة رقم ٥٦))
٥٧	١٦١٤	"	"	٤٠.٩	٢٢	مثل رقم ٥٦ ولكن التاريخ هو سنة ٥٠١ هـ . ((لوحة رقم ٥٧))
						تنشر صورته لأول مرة
٥٨	١٦١٥	"	"	٤١.١	٢٢	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنة ٥٠٢ هـ . ((لوحة رقم ٥٨))
						تنشر صورته لأول مرة
٥٩	١٦١٦	"	"	٤٢.٠	٢٢	مثل رقم ٥٨ لكن ضرب الاسكندرية . ((لوحة رقم ٥٩))
						تنشر صورته لأول مرة
٦٠	١٦١١	"	"	٤٢.٩	٢١.٥	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنة ٥٠٣ هـ . ((لوحة رقم ٦٠))
						تنشر صورته لأول مرة
٦١	١٦٢٠	"	"	٤١.٣	٢٢	مثل رقم ٦٠ لكن ضرب الاسكندرية . ((لوحة رقم ٦١))
						تنشر صورته لأول مرة

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٦٢	١٦٥٨	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٣ر٤٣	٢١	مثل رقم ٥٦ لكن التاريخ هو سنة ٥١٦ هـ . ((لوحة رقم ٦٢)) تنشر صورته لأول مرة
٦٣	١٦٥٩	“	“	٤ر٠١	٢٠ ¼	مثل رقم ٦٢ . ((لوحة رقم ٦٣)) تنشر صورته لأول مرة
٦٤	١٦٦٦	“	“	٣ر٧٦	٢٢	مثل رقم ٦٢ لكن التاريخ هو سنة ٥١٩ هـ . ((لوحة رقم ٦٤)) تنشر صورته لأول مرة
٦٥	١٧٠٠	“	“	٤ر١٥	٢٠ ¼	وجه ظاهر مثل رقم ٦٤ هامش خارجي : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بعصر سنة ست وثلاثين وخمسمائة . هامش داخلي : ابو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين . مركز : الامام عبد المجيد ((لوحة رقم ٦٥))
٦٦	١٧٠١	“	“	٣ر٦٥	٢١	تنشر صورته لأول مرة مثل رقم ٦٥ لكن التاريخ هو سنة ٥٣٩ هـ . ((لوحة رقم ٦٦)) تنشر صورته لأول مرة
٦٧	١٧٠٢	“	“	٣ر٩٥	٢١	مثل رقم ٦٥ لكن التاريخ هو سنة ٥٤١ هـ . ((لوحة رقم ٦٧)) تنشر صورته لأول مرة
٦٨	١٧٠٥	“	“	٤ر٧٢	٢١	وجه ظاهر هامش : محمد رسول الله أرسله باليهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ضرب هذا الدين بالاسكندرية سنة خمس وأربعين وخمسمائة . بسم الله الرحمن الرحيم

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٦٩	١٧١٢	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤٤٥	٢٠ ١/٢	<p>مركز: عال لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله غايه</p> <p>مركز: عبد الله ووليه اسماعيل ابو الامام الظافر بأمر الله أمير المؤمنين ((لوحه رقم ٦٨))</p> <p>وجه هامش خارجي: محمد رسول الله ارسله باليهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .</p> <p>هامش داخلي: لا اله الا الله محمد رسول الله على ولي الله .</p> <p>مركز: عال غايه</p> <p>مركز: الله الامام عبد ((لوحه رقم ٦٩))</p> <p>ظهر هامش: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدين بالمعززة القاهرة سنة خمس وستين وخمسمائة .</p> <p>مركز: الله الامام عبد ((لوحه رقم ٦٩))</p>
٧٠	٤٧٢١	٠٠	٠٠	٤٣٥	٢٣	<p>وجه هامش: محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .</p> <p>مركز: على لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله</p> <p>مركز: عبد الله ووليه الامام ابو تميم المستنصر بالله امير المؤمنين عال ((لوحه رقم ٧٠))</p>

٢	رقم السجل	مجموعة	نوع	وزن بالجرام	قطر بالمليمتر	الوصف
٧١	٤٧٣٢	دار الكتب المصرية بالقاهرة	ذهب	٤١٨	٢١	مثل رقم ٢٩ لكن التاريخ هو سنة ٤٥٣ هـ . ((لوجه رقم ٧١))
٧٢	٤٧٤٠	“	“	٤١٨	٢١ ¼	تتشر صورته لأول مرة وجه ظهر هامش خارجي : محمد رسول الله أرسله باليهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . هامش داخلي : لا اله الا الله محمد رسول الله على خير صفوه اللهم هامش داخلي : بسم الله ضرب هذا الدين بخصر سنة ثلث وسبعين وثلاثمائة . عبد الله ووليه الامام العزيز بالله أمير المؤمنين
٧٣	٤٧٤٨	“	“	٤٠٢	٢٢ ¼	تتشر صورته لأول مرة مثل رقم ٧٢ لكن التاريخ هو سنة ٤٥٥ هـ . ((لوجه رقم ٧٣))
٧٤	٤٧٦١	“	“	٣٩٦	٢٣	تتشر صورته لأول مرة مثل رقم ٧١ لكن التاريخ هو سنة ٤٧٩ هـ . ((لوجه رقم ٧٤))
٧٥	٤٧٦٢	“	“	٤٢٢	٢٢	تتشر صورته لأول مرة مثل رقم ٥٤ لكن التاريخ هو سنة ٤٩١ هـ . ((لوجه رقم ٧٥))
						تتشر صورته لأول مرة

(ب) بهان لوحات الفنون

((لوحة رقم ٧٦)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(١٠/٥٤ م) محفوظ بمتحف كليه الآثار - جامعه
القاهرة • رقم السجل (١٩٣١) •

((لوحة رقم ٧٧)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) محفوظ بمتحف كليه الآثار
جامعه القاهرة • رقم السجل (١٧١٥) •

((لوحة رقم ٧٨)) : كسره من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) عن :

Butler (A.), Islamic Pottery. Pl. IX- B.

((لوحة رقم ٧٩)) : كسره من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) عن :

Butler (A.), Islamic Pottery Pl. IX - A.

((لوحة رقم ٨٠)) : كسره من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) عن :

Butler 5(A.), Islamic Pottery. Pl. XA.

((لوحة رقم ٨١)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى

بالقاهرة عن :

Koechlin (R.), Migeon (G.) , Islamische
Kunstwerke, T. XVI.

((لوحة رقم ٨٢)) : قدر من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠/٥٥ م) محفوظ بمتحف الكويت الوطنى عن :

جنكينز " مارلين " : الفن الاسلامى فى متحف الكويت الوطنى

((لوحة رقم ٨٣)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠هـ / ١٠ - ١١م) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى

بالقاهرة عن :

Butler (A.), Islamic Pottery Pl. X - B.

((لوحة رقم ٨٤)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠هـ / ١٠ - ١١م) محفوظ بمتحف الكويت الوطنى عن :

جنكينز " مارلين " ، الفن الاسلامى فى متحف الكويت الوطنى .

ص ٢٦ .

((لوحة رقم ٨٥)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤ - ١٠هـ / ١٠ - ١١م) عن :

Butler , Islamic Pottery, Pl. IX . F.

((لوحة رقم ٨٦)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤هـ / ١٠م) محفوظ بمتحف كلية الآثار - جامعه

القاهرة رقم السجل (١٩٣٠) .

((لوحة رقم ٨٧)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٤هـ / ١٠م) محفوظ بمتحف كلية الآثار - جامعه القاهرة

رقم السجل (١٩٣٩) .

((لوحة رقم ٨٨)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٦هـ / ١٢م) كانت فى مجموعه Cate فى ليون بفرنسا

عن :

Koechlin (R.) Migeon (G.) Islamische

Kunstwerke, T. XVIII.

((لوحة رقم ٨٩)) : كسرة من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن

(٥ - ١١هـ / ١٢م) محفوظ بمتحف الكويت الوطنى عن :

جنكينز " مارلين " ، الفن الاسلامى فى متحف الكويت .

ص ٥٠

((لوحة رقم ٩٠)) : صحن من الخزف ذى البريق المعدنى : مصر القرن (٥ - ١١هـ / ١٢م)

- ((لوحة رقم ٩١)) : صورة لجانب الصحن السابق .

- ((لوحة رقم ٩٢)) : طبق صغير من فخار الغيوم المطلى . بدايه العصر الفاطمى
مصر محفوظ بمتحف كليه الاثار - جامعه القاهرة رقم السجل
(١٤٤٥) .

- ((لوحة رقم ٩٣)) : صحن من فخار الغيوم المطلى . بدايه العصر الفاطمى . مصر
محفوظ بمتحف كليه الاثار - جامعه القاهرة رقم السجل (١٩٨١)

- ((لوحة رقم ٩٤)) : قدر من الفخار الغيوم المطلى . مصر القرن (٢/هـ٦ م) .
محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة عن :
Mostafa (M.), Moslem Ceramicsn P. 1.

- ((لوحة رقم ٩٥)) : أحد الكؤوس الزجاجية المعروفة باسم كؤوس القديسه هيلوج
مصر القرن (٢/هـ٦ م) عن :
Gluck und Diez , Die Kunst des Islam.
5. 433.

- ((لوحة رقم ٩٦)) : ابريق من البللور الصخرى . مصر القرن (١١/هـ٥ م) محفوظ
بمتحف اللوفر بباريس عن :
Lamm, Mittelalterliche Glaser und steins-
chnittarbeiten aus dem Nahen Osten Band
II, T. 65.

- ((لوحة رقم ٩٧)) : قنينة من البللور الصخرى . مصر القرن (١١/هـ٥ م) عن :
Lamm, Mittelalterliche . T.66.

- ((لوحة رقم ٩٨)) : قنينة من البللور الصخرى . مصر القرن (١١/هـ٥ م) محفوظه
بمتحف الكويت الوطنى عن :
جنيكينز " مارلين " : الفن الاسلامى ص ٦١

- ((لوحة رقم ٩٩)) : ابريق على هيئة كمشى من البللور الصخرى . مصر القرن (٢/هـ٦ م)
كان محفوظا بمتحف تاريخ الفن فى فيينا بالنمسا عن :
Glack and Diez, Die Kunst, T. XXVIII.

- ((لوحة رقم ١٠٠)) : مشبك صغير من الذهب . مصر القرن (١١/هـ٥ م) محفوظ بمتحف
الفن الاسلامى بالقاهرة عن :

قائمة المصادر والمراجع



— أحمد عبد الرزاق (دكتور)

- دراسات في المصادر والملوكية المبكرة — القاهرة ١٩٧٤.
- البذل والبرطلة في عصر سلاطين المماليك — الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٩.

— أحمد عزت عبد الكريم (دكتور)

- الأرض والفلاح في مصر
- مقال بكتاب الأرض والفلاح في مصر على مر العصور — الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — القاهرة ١٩٧٤.

— أحمد فخرى (دكتور)

- مصر الفرعونية
- الطبعة الثالثة — الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٧١.

— أحمد فكرى (دكتور)

- مساجد القاهرة ومدارسها ج١ القاهرة ١٩٦٥.
- ج٢ القاهرة ١٩٦٩.

— أحمد مختار العبادى (دكتور)

- في التاريخ العباسى والفاطى — الاسكندرية ١٩٨٢.

— ابن أبى أصيبعة

- عيون الانباء في طبقات الاطباء
- شرح وتحقيق د. رضا نزار رخا — بيروت ١٩٦٥.

- أمين سامى باشا

تقويم النيل - الجزء الأول - المطبعة الاميرية

القاهرة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م

- الأب انستاس الكرملى

الفقود العربية وعلم النميات - مطبعة الياس الحديثة - القاهرة

١٩٣٩م

- أنصاف رياض موسى عبد الهادى

الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمى

الثانى - رسالة ماجستير مخطوطة - كلية الآداب - جامعة المنيا

١٩٨٠

- ابن اياس

بدائع الزهور في وقائع الدهور - الجزء الأول - القاهرة ١٣١١هـ

- أيمن فؤاد سيد

نصوص ضائعة من أخبار مصر للمسيحي

مستخرج من حوليات اسلامية - المجلد ١٧ المعهد الفرنسى

للأشراق الشرقية بالقاهرة ١٩٨١

- بليخانوف (ج .)

تطور النظرة الواحدة إلى التاريخ ترجمة محمد مستجير مصطفى

القاهرة ١٩٦٩

— ابن تغرى بردى

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة •

الاجزاء — ١ — ٥ طبع دار الكتب

— توينبى (أرنولد)

مختصر دراسة التليخ •

ترجمة : فؤاد محمد شبل ج١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر للقاهرة ١٩٦٦ •

— ابن تيميه

الحسبة في الاسلام • المطبعة السلفية — القاهرة ١٤٠٠ هـ

— جاردنر (الن)

مصر الفراغة

ترجمة د • نجيب ميخائيل ابراهيم — مراجعة د • عيد المنعم ايسو

بكر • الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ •

— جرابار (اوليج)

الفنون العالمية والمحلية في الاسلام (موضوع الفن في العصر الفاطمي)

ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس — ابريل ١٩٦٩)

الجزء الأول — مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ •

— جمال الدين الشيال (دكتور)

- مجموعة الوثائق الفاطمية - المجلد الأول - وثائق الخلافة وولايته
- العهد الوزارة - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة
- ١٩٥٨.

- تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي
- دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧م.

— جمال حمدان (دكتور)

- دراسات في العالم العربي دار النهضة المصرية ١٩٥٨
- شخصية مصر دراسة في عقيرة المكان - الجزء الأول
- علم الكتب - القاهرة ١٩٨٠م.

— جمال محمد محرز (دكتور)

- الخزف الفاطمي ذو البريق المعدني في مجموعة الدكتور علي ابراهيم
- باشا مستخرج من مجلة كلية الآداب - المجلد السابع - يوليو -
- سنة ١٩٤٤.

- منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط.
- أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - ابريل ١٩٦٩)
- مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٧٠.

— جنكينز (مارلين)

- الفن الإسلامي في متحف الكويت الوطني (مجموعة الصباح)
- لندن ١٩٨٣.

- ابن الجوزى

المشتم في تاريخ الملوك والأمم
الاجزاء (٧ % ١) مطبعة دار المعارف العثمانية بعام ١٣٥٨ هـ
حيدرآباد الدكن (١٣٥٨) (١٣٥٩)
الاجزاء (٨ ، ٩) (١٣٥٩)

- حسن ابراهيم حسن (دكتور)
الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص
المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٣٢ .

- حسن ابراهيم حسن (وآخرون)
المجمل في التاريخ المصري القاهرة ١٩٤٢ .

- حسن الباشا (دكتور)
• الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ج ١ القاهرة ١٩٦٥
• فنون التصوير الاسلامي في مصر القاهرة ١٩٧٣
• الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار القاهرة ١٩٧٨
• مدخل إلى الآثار الاسلامية القاهرة ١٩٧٩

- حسن الباشا (وآخرون)
القاهرة تاريخها - فنونها - آثارها
القاهرة ١٩٧٠

- حسن حبشي
الحرب الصليبية الأولى
دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧ .

— حسن حسنى عبد الوهاب

ورقات عن الحضارة العربية بأفريقيه التونسيه

ج ١ مكتبة المنار - تونس ١٩٦٤

— حسن سليمان محمود

الصليحيون في اليمن وعلاقتهم بالفاطميّين في مصر

رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٥٢

— حسن عبد الوهاب

تاريخ المساجد الأثرية جزآن القاهرة ١٩٤٦

— ابن خلكان

وفيات الأعيان وإنباء الأبناء الزمان

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الجزء الأول • مكتبة النهضة

المصرية ١٩٤٨

— ابن دقماق

الانتصار لوسطه عقد الأمصار

الجزء الرابع المطبعة الأميرية بيولاق ١٣٠٩ هـ

— ديماند (م • س)

الفنون الإسلامية

القاهرة ١٩٥٤

ترجمة أحمد محمد عيسى

— الذهبي

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلاء — سلام

• دار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ •

— راشد البراوي (دكتور)

• حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين •

• مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ •

— رمزي زكي (دكتور)

• مشكلة التضخم في مصر •

• الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٠ •

— ابن الزبير

• كتاب الذخائر والتحف تحقيق د • محمد حميد الله الكويت ١٩٥٩ •

— زكي محمد حسن (دكتور)

• كنوز الفاطميين القاهرة ١٩٣٧ •

• فنون الإسلام القاهرة ١٩٤٨ •

• أطلس الفنون الزخرفية والتعليم الإسلامية القاهرة ١٩٥٦ •

— ابن الزيات

• الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة بغداد ١٩٢٥ •

— سعاد ماهر محمد (دكتور)

- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وإثارها الباقية في العصر الإسلامي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية • القاهرة ١٩٦٦ •
 - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ج١ القاهرة ١٩٧١ •
 - أثر الفنون التشكيلية الوطنية القديمة على فن القاهرة فـسـي العصر الفاطمي ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة
- (مارس - أبريل ١٩٦٩)
- الجزء الثاني دار الكتب ١٩٧١ •

— ابن سعيد الاندلسي

- المغرب في حلى المغرب
- تحقيق د • زكي محمد حسن وآخرون • الجزء الأول من القسم الخاص بمصر مطبوعه جامعة فؤاد الاول ١٩٥٣ •

— سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) •

- شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية
- المجلة التاريخية المصرية - المجلد السادس عشر القاهرة ١٩٦٩ •

— السيد الباز العريني (دكتور)

- الحسبة والمحتسبون في مصر
- المجلة التاريخية المصرية - المجلد الثالث • العدد الثاني أكتوبر

— السيد عبد العزيز سالم (دكتور)

تاريخ الأسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي
الأسكندرية ١٩٨٢

— السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام بيروت ١٩٧٢

— سيده اسماعيل الكاشف (دكتور)

• مصرفي عصر الاخشيديين الطبعة الثانية

دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٠

• الأرض والفلاح في مصر الإسلامية ضمن كتاب الأرض والفلاح

في مصر على مر العصور • الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

١٩٧٤ •

• مصرفي عصر الولاة الألف كتاب ٢٤١ القاهرة بدون تاريخ

— السيوطي

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

ج ٢ — المطبعة الشرفية — القاهرة ١٣٢٧ هـ

— أبو شامة

الروضتين في أخبار الدولتين

جزءان • مطبعة وادي النيل القاهرة ١٢٨٧ ، الثاني ١٢٨٨ •

— أبو صالح الأرمني

تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمني

المطبعة المدرسية بأكسفورد ١٨٩٥ م.

— صلاح الدين اليحيى (دكتور)

• نحو منهج تحليلي وإنساني في دراسة الأركيولوجيا

المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد الرابع - المجلد الأول الكويت

١٩٨١ م.

• ظلمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون

حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت - الحولية الثالثة ١٩٨٢ م.

— صلاح الدين خودابخش

حضارة الإسلام

ترجمة د. علي حسن الخربوطلي بيروت ١٩٧١ م.

— صبحي لبيب

التجارة الكارمية وتجارة مصرفي العصور الوسطى

المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع العدد الثاني مايو سنة ١٩٥٢ م.

— ابن الصيرفي

الإشارة إلى من نال الوزارة تحقيق عبد الله مخلص

مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية - المجلد ٢٥ القاهرة

١٩٢٤ م.

— ابن العيسري : مختصر تاريخ الدول بيروت ١٨٩٠ م.

— عطية أحمد محمد القوصي (دكتور)

تجارة مصرفي البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

١٤٠٦ هـ

رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٣م

- عطية مصطفى مشرفه (دكتور)

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٨

- عبد الرحمن زكي (دكتور)

• القاهرة تاريخها وأثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ القاهرة
١٩٦٦ •

• الأزهر وما حوله من الآثار القاهرة ١٩٧٠ •

• قلعة صلاح الدين وما حوله من الآثار القاهرة ١٩٧٢ •

- عبد الرحمن فهمي محمد (دكتور)

• مجموعة النقود العربية وعلم النميات (فجر السكة العربية)

طبع دار الكتب ١٩٦٥ •

• إضافات جديدة في مسكوكات الفاطميين •

مستخرج من مجلة المجمع العلمي المصري - المجلد ٥٢ موسم

١٩٧٠ / ١٩٧١ •

• النقود العربية ماضيها وحاضرها •

المكتبة الثقافية ١٠٣ القاهرة ١٩٦٤ •

- عبد العزيز الدوري (دكتور)

مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي

دار الطليعة بيروت ١٩٦٩ •

— عبد العزيز صالح (دكتور)

- الشرق الأدنى القديم الجزء الأول مصر والعراق
- الطبعة الثانية الأنجلو المصرية ١٩٧٣ •
- الأرض والفلاح في مصر الفرعونية مقالة بكتاب الأرض والفلاح
- على مر العصور • المجلة المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٤ •

— عبد المنعم ماجد (دكتور)

- السجلات المستنصرية دار الفكر العربي — القاهرة ١٩٥٤
- الحاكم بأمر الله — الخليفة المفترى عليه الأنجلو المصرية ١٩٥٩ •
- ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر دار المعارف بالاسكندرية
- ١٩٦٨ •
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر • الجزء الأول — الطبعة الثانية
- الأنجلو المصرية — ١٩٧٣ •
- امرأة مصرية تتزعم مظاهرات في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي
- المجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٤ القاهرة ١٩٧٧ •

— عبد الله الشرقاوي

- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلطين ١٩٢٢ •

— عبد المنعم رسلان (دكتور)

- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا •
- دار تهامة — السعودية ١٩٨٠ •

— علي بن حسين السليمانى

العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك

١٩٢٣م

القاهرة

— ابن العماد الحنبلى

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

ج ٣ ، ٤ مكتبة القدس • القاهرة ١٣٥٠هـ •

— عمر رضا كحالة

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة

دمشق ١٩٤٩ •

٣ أجزاء

— عمر طوسون

كتاب مالية مصرفى عهد الفراغة إلى الآن

الأسكندرية ١٩٣١ •

— ابو الفسدا

البداية والنهاية • الجزء الحادى عشر والثانى عشر

مطبعة السعادة مصر ١٩٣٩ •

— فرانك—فورت (هنرى)

فجر الحضارة فى الشرق الأدنى ترجمة ميخائيل خورى بيروت ١٩٦٥ •

— محمد شافعى (دكتور)

• العمارة العربية فى مصر الإسلامية — المجلد الأول عصر الولاية القاهرة

١٩٧٠ •

• مميزات الاخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي
في مصر - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة • - المجلد السادس
عشر • الجزء الأول ١٩٥٤ •

- فهمي هويدي

الاسلام في الصين • عالم المعرفة العدد ٤٣ •
الكويت ١٩٨١ •

- فييت (جاستون)

• المراسلات في مصر في العصور الوسطى ترجمة محمد وهبي •
• القاهرة مدينة للفن والتجارة ترجمة مصطفى الجبدي
بيروت ١٩٦٨ •

- قاسم عبده قاسم (دكتور)

اليهود في مصر منذ الفتح العربي حتى الفزوال العثماني بيروت ١٩٨٠

- ابن القلانسي

ذيل تاريخ دمشق •

مطبعة الأباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ •

- القلقشندي

صبح الأعشى في صناعة الأنشأ

الجزء الأول طبع دار الكتب ١٩٢٢ الجزء الثالث والرابع

المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩١٤ الجزء الثامن دار الكتب ١٩١٥ •

— كمال الدين سامح (دكتور) : العمارة الإسلامية في مصر القاهرة ١٩٢٠م

— لوميسار (موريس)

الأسس النقدية للسيادة الاقتصادية — الذهب الإسلامي

منذ القرن السابع إلى القرن الحادى عشر الميلادى

ترجمة توفيق إسكندر • ضمن بحوث فى التاريخ الاقتصادى الجمعيّة

المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٦١ •

— لويس (ارشيبالد)

القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ — ١٠٠٠م)

ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة محمد شفيق غزال

مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ •

— لينبول (ستانلى)

سيرة القاهرة

ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون النهضة المصرية ١٩٥٠ •

— متز (آدم)

الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى

ترجمة محمد عبد الهادى ابوريده مطبعة لجنة التأليف والترجمة

والنشر ١٩٤٠م •

— محسن خليل

فى الفكر الاقتصادى العربى الإسلامى

بغداد ١٩٨٢ •

— محمد حمدى المناوى (دكتور)

- نهر النيل فى المكتبة العربية القاهرة ١٩٦٦ .
- الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

— محمد جمال الدين سرور (دكتور)

- النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب دار الفكر العربى القاهرة ١٩٥٠
- النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق الطبعة الثانية دار الفكر العربى القاهرة ١٩٥٩ .

- سياسة الفاطميين الخارجية دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٧
- الدولة الفاطمية فى مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها دار الفكر العربى القاهرة ١٩٧٠ .

— محمد عبد الله عثمان

- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية الطبعة الثانية
- مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٦٩ .

— محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور)

- الزخرفة المنسوجة دار الكتب ١٩٤٢ .

— محمد عبد الحجاجى

- قوس فى التاريخ الإسلامى القاهرة ١٩٨٢ .

— محمد على الفراء (دكتور)

- مشكلة انتاج الغذاء فى الوطن العربى
- سلسلة عالم المعرفة العدد ٢١ الكويت ١٩٧٩ .

- محمد عوض محمد
نهر النيل
الطبعة الرابعة
القاهرة ١٩٥٦
- محمد الغزالى
تحفة الخليل فى أخبار مصر والنيل
مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ٦١١ تاريخ
ونسخة بمكتبة جامع الشيخ ابراهيم باشا الاسكندرية
- محمد ابوالفرج العشى
مصر، القاهرة على النقود العربية الإسلامية
ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (مارس - ابريل ١٩٦٩)
القاهرة ١٩٧١ .
- محمد مصطفى (دكتور)
متحف الفن الإسلامى (دليل موجز)
القاهرة ١٩٧٩ .
- محمود ابراهيم حسين (دكتور)
• التصوير الإسلامى فى مصر فى العصر الفاطمى على الورق والجدران
والخزف والعاج • رسالة ماجستير • كلية الآثار جامعة القاهرة
١٩٧٥ .
- أعلام المصورين المسلمين وأشهر أعمالهم الفنية
مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٢ .
- محمود عكوش
تاريخ ووصف الجامع الطولونى
القاهرة ١٩٢٧ .

— المسيحي :

- أخبار مصر الجزء الرابع • تحقيق أيمن فؤاد السيد ، تيساري بيانكي المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٧٧ •

— مصطفى العبادي د (دكتور)

- الأرض والفلاح في مصر الرومانية
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٧٤ •

— المقریزی :

- الأوزان والأكيال الشرعية نشره Rostochu 1800-Tychsen
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
- جزاء ان طبع تجديدة بالافست مؤسسة الحلبي •
- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا
- الجزء الأول • تحقيق د • جمال الدين الشيال —————
- دار الفكر العربي ١٩٤٨ •
- الجزء الثاني تحقيق د • محمد حلمي محمد أخم —————
- القاهرة ١٩٧١ •
- الجزء الثالث : تحقيق د • محمد حلمي القاهرة ١٩٧٣ •
- إغاثة الأمه بكشف الغمة دار الوليد — حص •
- شذور العقود في ذكر النقود
- الطبعة الخامسة تحقيق محمد السيد علي
- بحر العلوم — الع — — — — — اراق ١٩٦٧ •

— ابن منقذ —

كتاب الاعتبار تصحيح هـ • تومغ د رتيرغ
مطبعة بريل — ليدن ١٨٨٤ •

— ابن مسر —

أخبار مصر ج ٢ تصحيح هنرى ماسيه
مطبعة المعهد العلمى الفرنسى القاهرة ١٩١٩ •

— مورلا بيه (فرانيس) وكولينز (جوزيف) —

صناعة الجوع و (خراقة الندرة) ترجمة أحمد حسان
سلسلة عالم المعرفة العدد ٦٤ الكويت ١٩٨٣ •

— مؤلف مجهول —

إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون •
مخطوط بدار الكتب رقم ٩١٩ تاريخ تيمور •

— مؤلف مجهول —

شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر
مخطوط بكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٢ •

— ناصر خسرو عوى —

سفر نامه ترجمة وتعليق د • يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٥ •

— نبيلة محمد أحمد جيرة —

الخدمات الطبية فى مبصر الإسلاميه من الفتح العربى حتى الفتح
العثمانى رسالة لنيل درجة الماجستير — كلية الآداب — جامعة
الأسكندرية ١٩٨٢ •

— هنتس (قالتسر)

المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري

ترجمة عن الألمانية د . كامل العسلي

منشورات الجامعة الاردنية • عمان • ١٩٧٠

— ويلسون (جون)

الحضارة المصرية ترجمة أحمد فخرى ١٩٥٥

ثانيا : المراجع الاجنبية

- Ashtor (E.):
Les Metaux Précieux et La Balance des
payement du Proche - Orient A la Basse
Epoque. Paris 1971.
- Balog (P.):
History of the Dirhem in Egypt from the
Fatimid conquest until the collapse of
the Mamluk Empire.
R N. Vle série 1976.
- Berntéjes (B.),
Die Araber .
West Germany 1971.
- Brockelmann(C.),
History of the Islamic Peoples .
London 1980.
- Butler (A.J.),
Islamic Pottery.
London 1926.
- Casanova (P.),
Inventaire Sammair De la Colléction
des Monnaies Musulmanes.
Paris 1896.

- Combe, Sauvaget (J.), Wiet (G.),

Répertoire Chronologique d'Epigraphie
Arabe Tomes 6-9 Le Caire (1935-1937).

- Creswell (K.A.C.),

Moslem Architecture of Egypt.

Vol. I Oxford 1952.

- Du Ry (C.J.),

Die Welt des Islam.

Germany 1970.

- Ehrenkreutz (A.),

. Arabic Dinâre Struck by the crusaders

- Journal of economic and social History
of orient.

Vol VII, Part II, 1964.

. The standard of fineness of western and
eastern Dinars before ^{the} Crusades.

. Studies in the monetary history of the
near east in the middle ages II.

- Glück (H.) und Diz (E.),

Die Kunst des Islam.

Berlin 1925.

- Goitein (S.),

Studies in Islamic History and
Institutions.

Leiden 1968.

- Grohmann (A;),

Arabic papyri in the Egyptian Library
Vols. II, VI.

Cairo 1930, 1962.

- Hautecoeur (L.) et Wiet (G.)

Les Mosquées du Caire.

2 Tomes Paris 1932.

- Hennequin (G.),

• Points de vue sur L'Histoire
Monétaire de L'Egypte Musulmane au
Moyen Agé . (AI 13, 1977).

- Islamic Coins.

Auction 32, 20 th October 1962 in
Zurich .

- Islamic Coins.

Auction 62, October 9th 1982.

Muzen Und Medullen A. G. Basel.

- Musée De L'art Arabe du Caire,

La Ceramique Egyptienne de L'epoque
Musulmane,

Le Caire 1922.

- Newbiggin (M.)

The Mediterranean Lands.

London 1933.

- Nicol (N.) ; El Nabrawy (R.) Bachorach (J.),
**Cataloge of the Islamic coins, Glass
Weights, Dies and Medels in the
Egyptian National Librerary, Cairo.**

U, S. A. 1982.

- Porteous (J.),

Coins in History .

London 1969.

- Rivoria (G.) ,

Moslem Architecture.

Oxford 1918.

- Wiet (G.),

Stéles Funéraires

Catalogue Général du Musée Aarabe du
Caire, Tome 2, Le Caire 1930.

- Wüstenfeld (F.),

Geshichte der Fatimiden - Cholißen Nach
Arabischen Quellen.

Aus dem 26 und 27 Bände der Abhandlungen
der Königlichen Gesellschaft der Wissensch-
aften zu Göttingen.

Göttengen 1981.

- Ziya (Ahmed),

Catalogue of Aslamic Coins.

Costantinpole 1910.